

مجلة

كلية الآداب



المجلد الحادى والثلاثون ـــ الجزء الأول والثانى

مايو - ديسمبر ١٩٦٩

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٧٧

تصدر هذه المجلة مرتين كل سنة ، فى مايو وديسمبر ، وتطلب من مكتبة جامعة القاهرة بالجيزة ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية إلى المشرف على تحريرها الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة

فهـــرس القسم العـــربى

الرسالة اللازمة

فى صوم شهر رمضان وحينه

تأليف

الداعى الفاطمى

حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى

تحقيق وتقديم

د. محمد عبد القادر عبد الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فى الصوم عند الفاطميين

أهم ما يلفت نظر الباحث فى موضوع الصوم عند الفاطميين ثلاث مسائل : رؤية الهلال وبدء شهر رمضان ثم عدد أيامه .

فأما عن الرؤية فإن الفقهاء من أهل السنة بجميع مذاهبهم يعتمدون فى دخولهم فى الصوم وخروجهم منه على رؤية الهلال . ولا خلاف بينهم فى ذلك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » . والرؤية عندهم لم يشترط فيها شخص بعينه حتى فى عهد الرسول عليه السلام ، وإنما يقبل فيها خبر الواحد العدل . وذلك إذا لم يكن تفرد هذا الواحد مظنة الغلط والكذب [1] .

---

(١) راجع فى ذلك : الفقه على المذاهب الأربعة ، والفصل الأول من بحث « تحديد أوائل الشهور القمرية – مجمع البحوث الإسلامية » .

ولكن الفاطميين يعتمدون على الحساب الفلكي أو علم النجوم ، ويؤولون الرؤية في الحديث المتقدم على أنها رؤية نفسانية ، ويقصدون بها الرؤية العلمية التي تدرك بالحساب الفلكي . ويحتجون بأن الرؤية البصرية تخطىء فضلا عما يقع فيه المسلمون باعتمادهم عليها من اختلاف في الصوم . أما الرؤية العلمية عندهم فهي لا تخطىء ، والأخذ بها يوحد بين المسلمين على اختلاف بلادهم في أداء الفرائض . ثم إنهم يجعلون هذه الرؤية من حق الإمام ، فهو وحده الذي يحدد - بما أنه معصوم من الخطأ والزلل - بدء الصوم وانتهاءه [1] . وبهذا يختلف الفاطميون عن أهل السنة في الرؤية من جهتين : الأولى معناها ، والثانية من يخبر بها .

وتأكيداً من الفاطميين لوجهة نظرهم في الرؤية فانهم يذهبون إلى أن النبي عليه السلام نفسه لم يكن يصوم برؤية الهلال ، ولم يكن يتطلع إليه في السماء حتى يراه ، فيصوم حسب هذه الرؤية ، وإنما كان يصوم ويفطر بما آتاه الله من العلم . ومن أدلتهم على ذلك :

١ - أن النبي عليه السلام « كان يقول - وهو صادق - إن الروح الأمين جبريل (ع) يغشاه بكرة وعشيا بأخبار السماء ، فلا حاجة له إلى أن يقلب وجهه فيها يطلب الهلال . وعنده من يأتيه بالخبر اليقين . ولو برز إلى السماء يطلب هلالا لكان ذلك تعليلا - أي إضعافا - لقوله إنه يهبط عليه جبريل . وكان يقال له : هلا سألته عن ذلك فغنيت به عن الطلب »

٢ - « أنه مأثور عن النبي (ص) في الأخبار - أنه قال : (أنا بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض) فلو أنه بعد هذا القول شوهد يطلب هلالا لقيل له : فأين قولك بالأمس : إنك بطرقات السماء أعرف منا بطرقات الأرض ؟[2] » .

---

(١) راجع في ذلك : الرسالة اللازمة ، والمجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية ، والمجالس ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من المجالس المستنصرية .

(٢) المجلس ٤٢ من المائة الأولى من المجالس المؤيدية . والقول بأن النبي عليه السلام كان يصوم برؤية الهلال لا يقلل من شأن النبوة ، فالنبي في ذلك كان مشرعا لأمته ، وإذا كان النبي يستغنى عن التطلع إلى السماء بالوحي فهذه درجة لم تؤت لأحد من بعده . فليس للأمة إلا أن تعتمد في الصوم على الرؤية سواء بالعين المجردة أم بالآلات المستحدثة أم بالعلم الصحيح إذا كانت الرؤية غير ممكنة لغيم مثلا .

ولما كانت الرؤية البصرية فى نظرهم معرضة للخطأ ، ومؤدية إلى الاختلاف بين المسلمين فى أدائهم لفريضة الصوم . ولما كان لا يعقل عندهم أن النبى عليه السلام كان يعتمد عليها فإنهم يستبعدون أن يأمر النبي أمته بما لم يعمله ، وبما يوقع فى الخطأ . ويؤدى إلى الاختلاف (١) . فالنبي عليه السلام لم يكن يخفى عليه أن أوضاع الأرض مختلفة « فمنها مرتفع يقضي بأن تكون رؤية الهلال أسرع مثل رءوس الجبال وما يجرى مجراها . ومنها متسفل يقضي بأن تكون الرؤية فيه أبطأ » . ومعنى هذا أن قوما يرون الهلال فى ليلة ما وقوما لا يرونه فى تلك الليلة . ويترتب على هذا « أن يوما واحدا يكون من شعبان حيث لا يرى الهلال ومن رمضان حيث يرى ، أو من رمضان حيث لا يرى ومن شوال حيث يرى »(٢) لذلك لا يعقل عندهم أن يكل النبي أمته فى فرض من فروض الدين على أمر غير ثابت لم يأخذ هو به وبهذا ينتهون إلى تأكيد ما بدءوا به الموضوع وهو أن الرؤية الواردة فى الحديث ليست الرؤية البصرية وإنما هى الرؤية النفسانية أى العلمية .

هذا ومن علمائهم من يذهب إلى أن الحديث المتقدم (صوموا لرؤيته . .) خاص بظرف معين . وهذا الظرف هو أن الرسول عليه السلام « أراد التوجه فى بعض الغزوات فى القرب من شهر رمضان ، فاجتمع إليه الصحابة فقالوا : يارسول الله . كنا نصوم بصومك . ونفطر بافطارك . فكيف حالنا فى غيبتك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » .

وقد استدل صاحب هذا الرأى(٣) من الحديث ومن الظرف الخاص الذى ساقه له على أمرين :

الأول وجوب الصوم بصوم الرسول إذا كان حاضرا ، أو من يقوم مقامه إذا كان غائباً . ووجوب الفطر بافطاره .

والثانى أن الصوم لرؤية الهلال من قضايا الضرورة فى حين علم قيام الرسول والإمام الذى يقوم مقامه (٤) . فإذا كان الرسول حاضراً أو الإمام حاضراً كان

---

(١) الرسالة اللازمة ص ٣١ .

(٢) المجلس ٤٢ من المائة الأولى من المجالس المؤيدية .

(٣) هو المؤيد الشيرازى . أنظر المجلس ٤٢ من مجالسه .

(٤) ليس المقصود بالإمام الذى يقوم مقام الرسول عندهم أى شخص كان يقيمه الرسول مقامه =

قانون الفرض أن يصام بصومه ويفطر بإفطاره [1] .

ومن علمائهم [2] من لم يلجأ إلى تأويل الرؤية الواردة فى الحديث ، ولم ينكر الرؤية البصرية ، وإنما أخذ بها وبالحساب جميعا ، ورأى أنهما كالظاهر والباطن لا بد من الجمع بينهما ، حتى إذا أشكل الأمر فى أحدهما التمس فى الآخر . « فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتفق الظاهر والباطن وزال الإشكال وزكت الأعمال ، وإن وفى الحساب ولم يطلع الهلال علم أنه قد غم » . غير أن صاحب هذا الرأى يرى أن الجمع بين الأمرين أى الرؤية البصرية والحساب يصعب على العوام ، فلا بد من الرجوع إلى الإمام [3] .

وهكذا نرى أن علماء الفاطميين مع اختلاف مواقفهم من حديث الرؤية بين مؤول له ومخصص لحكمه وجامع بين الرؤية فيه بمعناها الظاهر وبين الحساب الذى هو الرؤية العلمية عندهم يتفقون فيما بينهم على ترك أمر الصوم للإمام . فهو وحده الذى له أن يحدد بدء الصوم وانتهاءه ، وعلى الأمة أن تصوم بصومه ، وتفطر بإفطاره دون حاجة منها إلى التطلع إلى رؤية الهلال فى السماء . فأمور الدين كلها ومنها الصوم موكولة إلى الإمام ، كما كانت موكولة إلى جده النبى . فهو الذى يحفظها ، ويؤم الأمة فى تنفيذها ، وليس للأمة إلا أن تأتم به فى ذلك . وهنا نرى فكرة الإمامة عند الفاطميين تتحكم فى هذا الجانب من موضوع الصوم .

وأما عن بدء الصوم أو بدء الشهر القمرى بصفة عامة فالفاطميون يجعلون بداية الشهر من لحظة مفارقة القمر للشمس بعد اجتماعهما ، وهو ما يسمى عند علماء الفلك بالوضع الاجتماعى ، كما يجعلون دلوك الشمس أى زوالها من اللحظة التى تأخذ فيها الشمس فى الهبوط من وسط السماء . وحركة الشمس فى هذه اللحظة لا يمكن إدراكها بالعين المجردة ، وإنما تدرك بعد ذلك حينما يظهر أثر هبوطها عن

= حينما كان يترك المدينة ، وإنما المقصود بالإمام هنا إمام من أهل البيت ومن نسل الحسين بن على ، ويعهد إليه بالإمامه بالنص من أبيه .

(١) المجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية –المائه الأولى.

(٢) هو صاحب المجالس المستنصرية .

(٣) انظر المجالس ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ من المجالس المستنصرية .

وسط السماء فى ظل الأشياء ، فكذلك لا يمكن للعين إدراك مفارقة القمر للشمس فى لحظة المفارقة [1] .

وعندهم أنه مع عدم إدراك العين لهبوط الشمس عن وسط السماء عند بدء هذا الهبوط فان وقت الصلاة يكون قد حان . وكذلك مع عدم إدراك العين لمفارقة القمر للشمس فى لحظة المفارقة يكون الشهر قد بدأ . ووجب الصوم فى اليوم التالى . ولا عبرة برؤية الهلال ، لأنهم لا يأخذون بها كما عرفنا مما تقدم .

وهم يرون ذلك مع أن (الوضع الاجتماعى) يتقدم (الوضع الهلالى) الذى هو بداية الشهر القمرى عند أهل السنة وغيرهم ممن يأخذون بالرؤية [2] ، بيوم على الأقل وبيومين على الأكثر .

ومعنى هذا أنه فى اليوم الذى تتم فيه رؤية الهلال يكون الفاطميون صائمين . وحتى يجعلوا ذلك مشروعا فإن الآخذين منهم بحديث الصوم [3] يؤولون اللام فى الحديث تأويلا يجعل الصوم سابقا للرؤية . وذلك أنهم يجعلون الصوم من أجل الرؤية . وقد مثلوا لذلك بقول القائل : ألفوا لمجىء الأمير شعرا . وقالوا : إنه لما كان تأليف الشعر ينبغى أن يكون سابقا لمجىء الأمير حتى يلقى عند مجيئه فكذلك ينبغى أن يكون الصوم سابقا للرؤية . بمعنى أن يكون المسلمون صائمين وقت الرؤية . كما أن الشعر يكون مؤلفا وقت مجىء الأمير [4] .

ومن الواضح أن صاحب هذا الرأى وهو الكرمانى متحيف على اللغة فهو يؤولها وفق رأيه وليس كما تقتضى تراكيبها . فاللام فى الحديث (صوموا لرؤيته) لا تقتضى أن يكون ما قبلها سابقاً لما بعدها . ثم إنه شبهها باللام فى قوله تعالى « أقم الصلاة لدلوك الشمس [5] » وأصحاب اللغة يجعلون من معانى هذه اللام (بعد) . وقد مثلوا لذلك بالآية السابقة [6] .

---

(١) الرسالة اللازمة ص ٣٠ .

(٢) الشيعه الزيدية والإمامية يأخذون بالرؤية فى الصوم .

(٣) منهم الكرمانى .

(٤) الرسالة اللازمة ص ٢٧ .

(٥) الإسراء : ٧٨ .

(٦) الاتقان ١ — ١٧٠ .

والكرمانى فى الحقيقة مضطرب فى موقفه من حديث الصوم بصفة عامة ، فقد رأيناه يؤول الرؤية فيه بأنها رؤية نفسانية [1] ، ثم عاد فتحدث عنها فى هذا الموضع على أنها رؤية بصرية [2] ، وجعل الصوم سابقاً لها . فقوله هنا بين الضعف والتهافت .

بقيت المسألة الثالثة وهى مسألة عدد أيام شهر رمضان . وأهل السنة كما هو معلوم لا يلتزمون بعدد معين لأيام شهر رمضان وإنما يعتمدون فى عدد أيامه على رؤية الهلال سواء جاء كاملا ثلاثين يوما أو ناقصا تسعة وعشرين يوماً ، اتباعاً منهم فى ذلك للسنة النبوية ، فحاصل الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع « أن الاعتبار بالهلال ، فقد يكون — أى الشهر — تاما ثلاثين ، وقد يكون ناقصاً تسعاً وعشرين ، وقد لا يرى الهلال فيجب إكمال العدد ثلاثين . قالوا : وقد يقع النقص متواليا فى شهرين وثلاثة وأربعة ، ولا يقع فى أكثر من أربعة [3] .

والفاطميون عندهم أن رمضان كامل دائما لا ينقص أبدا ما دامت الشهور تجرى [4] . ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة منها ما يروونه عن النبى عليه السلام « ما تم شعبان وما نقص رمضان » [5] . ومنها أمر الكفارات ، إذ أن من أفطر فى شهر رمضان يوما متعمداً فعليه عتق رقبة . فان عجز فعليه صوم شهرين متتابعين ، فان عجز فإطعام ستين مسكينا . وهنا يذهبون إلى أنه لو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تسعة وعشرين يوما لاحتمل أن تكون الكفارة إطعام ستين مسكينا أو ثمانية وخمسين [6] .

ومن أدلتهم أيضاً قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات » [7] . فتفسيرهم أن المراد بقوله تعالى (الذين

---

(١) الرسالة اللازمة ص ٣ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ١٠ وما بعدها .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٣—١٣٥ . وحساب الرصد يؤكد ذلك .

(٤) تأويل الدعائم ٣—١٠٩ .

(٥) هذا رأى المؤيد الشيرازى فى الخبر وعند الكرمانى وصاحب المجالس المستنصرية أنه من أقوال الأئمة .

(٦) المجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية—المائة الأولى .

(٧) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

من قبلكم) النصارى . وصيام النصارى غير متعلق بالرؤية بل بالحساب . وقوله : (أياما معدودات) تأكيد لذلك . فالأيام المعدودات هى التى لا تزال معدودة لا يحتاج فيها إلى رؤية ولا نظر . فلو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين ، وتارة تسعة وعشرين لما قال (أياما معدودات) قطعاً . وهى مثل قول القائل : هذا حساب محسوب ، وهذه دراهم معدودة .

ومن أدلتهم أيضا أن السنة عندهم منها ستة أشهر كاملة وستة ناقصة . وأولها مبنى على الكمال . « فالشهر الأول الذى هو المحرم كامل وصفر ناقص وربيع الأول كامل وربيع الآخر ناقص ورجب كامل وشعبان ناقص وشهر رمضان كامل » .

ثم يأتون بدليل على نقص شعبان وهو ليلة النصف منه . ولا نصف لرجب ولا لشهر رمضان . وذلك أن ليلة النصف من شعبان ليلة الخامس عشر منه . وهذه الليلة ليلة النصف بالحقيقة لكون أربعة عشر قدامها وأربعة عشر خلفها وهى فى النصف ولا يكاد يصح ذلك فى شهر رمضان . لأنه إن جعلت ليلة الخامس عشر هى النصف لم يصح ، فقد بقى فى الشهر ستة عشر يوماً . وإن جعلت ليلة السادس عشر لم يصح ، فليس السادس عشر نصف الثلاثين [1].

وهذا هو ما يسمى عند الفلكيين بالسير الوسطى . وعند من يأخذون بهذا النظام منهم أن الشهر ٢٩ يوما وكسراً من اليوم دائماً . فيجبرون كسر اليوم كلما زاد على نصف يوم ، فيصير المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وهكذا على التوالى دون نظر إلى الهلال . ولكن هذا النظام تبين خطوءه علميا . فقد تتوالى أشهر كلها ثلاثون . وأشهر كلها تسعة وعشرون [2]. وعلى هذا لا يقبله الفقهاء من أهل السنة لمخالفته للواقع ولما جاء فى السنة [3] .

وإذا احتج محتج على جواز أن يكون شهر رمضان تسعة وعشرين يوما بقول الرسول عليه السلام : « نحن قوم أميون لا نعرف الحساب : الصوم مرة هكذا حتى

---

(١) المجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية .

(٢) تحديد أوائل الشهور القمرية ص ٧٦ وما بعدها .

(٣) راجع باب الصوم فى صحيح مسلم .

استوفى العدة ثلاثين فى ست مرات ، وأنه جمع الأصابع ثانية فلما انتهى إلى الآخر نقص واحدا من الأصابع ثم قال : ومرة هكذا ،،[1] استبعدوا ذلك وقالوا : حاشا لله أن النبي صلى الله عليه وسلم الذى شرفه الله بالمعراج ، وأراه ما وراء الحجاب يكون به من العى واللكن وإن كان أمياً أن لا يفصل ثلاثين من تسعة وعشرين بلسانه فيغنى عن جمع الأصابع وتحريك اليد هذه الدفعات الكثيرة مما يقوم به راعى البقر والغنم[2].

والحقيقة أنه ليس فى إشارة النبي عليه السلام هنا قدح فى بيانه . فليس هذا هو الحديث الوحيد الذى عبر به عن أن شهر رمضان قد يكون ثلاثين يوماً وقد يكون تسعة وعشرين يوما فهناك أحاديث كثيرة قالها النبي فى هذا المعنى دون أن يستخدم الإشارة التى استخدمها فى هذا الحديث .

فاستخدام الإشارة فى هذا الحديث مع وجود أحاديث أخرى بمعناه إنما جاء لإفهام من لم يفهم ممن كانوا حاضرين حينما قال الرسول هذا الحديث أو لزيادة التأكيد عليهم فى فهم المقصود دون أن يكون فى ذلك مساس ببلاغة الرسول ولا طعن فى صحة الحديث . وشأن الرسول فى ذلك شأن أى خطيب أو متحدث يريد أن يوصل فكرة معينة إلى من يرى أنه لم يفهمها حق الفهم . أو إذا كانت الفكرة من الأفكار التى يجب تثبيتها فى الأذهان .

هذا وقد كان اختلاف الفاطميين عن أهل السنة فى الصوم وبخاصة إفطارهم قبلهم بيومين فى بعض الأحيان من الأمور التى أثارت بين الفريقين جدلا حاداً كان ينتهى أحيانا إلى مناظرات بين العلماء من أولئك وهؤلاء . وأحيانا أخرى كان ينتهى إلى العنف وكانت الغلبة بالطبع لمن فى أيديهم السلطة . وكان من مظاهر غلبة أصحاب السلطة أن يلزموا مخالفيهم بالسير على مذهبهم فى الصوم .

ففى شيراز التى كانت تابعة للخلافة العباسية السنية . وكانت الغالبية فيها من السنيين حدث أن صلى المؤيد الشيرازى داعى الفاطميين هناك عيد الفطر بأتباعه قبل رؤية الهلال بيوم سنة ٤٢٩ هـ فثار أهل السنة وكاد الأمر ينقلب إلى فتنة عارمة ،

---

(١) السيرة المؤيدية ص ٦ وأنظر صحيح مسلم باب الصوم ٣-١٣٧ .

(٢) السيرة المؤيدية ص ٦٠ .

وتقرر نفي المؤيد من شيراز[1] ، ولكن انتهى الأمر إلى عقد المناظرات بينه وبين العلماء من أهل السنة وغيرهم ممن يصومون بالرؤية[2] .

وفي مصر حينما كان الحكم للفاطميين نجدهم يحاولون إلزام أهل السنة بأن يصوموا بصوم الإمام ويفطروا بإفطاره دون انتظار منهم لرؤية الهلال . فقد تهدد جوهر الصقلي القاضي السني الذي لم يفطر هو وأتباعه بعد التاسع والعشرين من رمضان لسنة ٣٥٨ هـ وكان يتطلع إلى الهلال[3]. كما تهدد أيضا المعز لدين الله الذين صاموا يوم العيد سنة ٣٦٣ هـ . لأنهم لم يروا الهلال يوم التاسع والعشرين من رمضان[4]. ثم إن الحاكم بأمر الله أصدر في رمضان سنة ٣٩٩ هـ سجلا جاء فيه ألا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه[5]. وهذا الخبر مع دلالته على تسامح الحاكم مع غير أتباع مذهبه إلا أنه يدل أيضاً على أن الدولة الفاطمية كانت تلزم من كانوا على غير مذهبها بأن يصوموا حسب مذهبها .

وإذا تساءلنا عن تاريخ نظام الصوم عند الفاطميين فإننا لا نجد لتساؤلنا جوابا يقينيا كافيا ، لقلة مانشر أو ظهر من المؤلفات الفاطمية التي تحدث فيها علماؤهم عن الصوم . وكل ما يمكن أن نقوله في ضوء ماوصلنا من معلومات عنه أنه أخذ يظهر بظهور الدولة الفاطمية في المغرب على يد المهدي بالله (٢١٦ — ٣٢٢ هـ) . وفي هذا يقول صاحب المجالس المستنصرية[6] : « فإن الإمام المهدي بالله (ص) لما أظهر الله أمره وأطلع بالسعد فجره . ونشر لأهل الدين فخره ، تقلد من أمر الصيام ماعجز عنه الخاص والعام . روى عن آبائه الكرام أن شهر رمضان لايكون غير تام . وصامه هو والأئمة من ذريته ومن ائتم بهم من سعداء الأنام[7] » . ولكن لم يخبرنا المؤلف من هم الآباء الذين روى عنهم المهدي .

---

(١) السيرة المؤيدية ص ٥ وما بعدها .

(٢) ممن ناظروا المؤيد في الصوم علوي زيدي . السيرة المؤيد ص ٥٧ .

(٣) المعز لدين الله ص ١٩٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٤ .

(٥) اتعاظ الحنفا ٢–٧٨ .

(٦) من الدعاة في عصر المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ — ٤٨٧) .

(٧) المجلس ٣٠ من المجالس المستنصرية .

وحسب الكتب الفاطمية التى وصلتنا تعتبر الإشارات القليلة التى نجدها عند القاضى النعمان بن محمد (ت سنة ٣٦٣ هـ) أقدم معلومات عن الصوم عند الفاطميين. وفى إحدى هذه الإشارات ذهب النعمان إلى أن الله تعالى بقوله : « ولتكملوا العدة» نص على شهر رمضان بكمال العدة فكان كذلك كامل الأيام أيامه ثلاثون يوماً لا تنقص أبدا مادامت الشهور تجرى »[1]. وفى إشارة أخرى ذهب إلى ضرورة الاقتداء بإمام الزمان فى الصوم والفطر . فاذا أمر بالصوم وجب الصوم على الناس ، وإذا أمر بالفطر فى آخر الشهر أفطروا »[2] . هذا بالإضافة إلى ما أورده من تأويل الصوم والنصوص المتعلقة به .

وفى مطلع القرن الخامس الهجرى يؤلف حميد الدين الكرمانى (ت بعد سنة ٤١٢ هـ) رسالة يخصصها للصوم ويتناول فيها كل ما يتصل به عند الفاطميين . ويكاد بهذا الشمول ينفرد عن كل من كتبوا فى الموضوع . وسيأتى تفصيل ذلك فى عرضنا لمضمون هذه الرسالة .

فاذا ما تقدمنا بعد الكرمانى فإننا نجد المؤيد الشيرازى يطالعنا فى سيرته بأخبار سنة ٤٢٩ هـ التى صلى فيها عيد الفطر بأتباعه قبل أهل السنة فى شيراز بيوم وما أثاره ذلك من جدل ومناظرات بينه وبين أهل السنة ومن كان يصوم مثلهم من أهل المذاهب الأخرى ، ودفاعه فى هذه المناظرات عن نظام الصوم عند الفاطميين[3] . ثم نجده فى مجالسه يتناول الموضوع بايجاز وهو يعتبر حديث الصوم خاصاً بظرف معين ، وبهذا يعفى نفسه من تأويل الرؤية فى هذا الحديث . ثم يرد القول بأن النبى عليه السلام كان يصوم برؤية الهلال . ويدافع عن وجهة نظر الفاطميين فى تمام رمضان ونقص شعبان[4] .

وفى زمن المؤيد نجد صاحب المجالس المستنصرية يتناول الصوم فى ثلاثة من مجالسه تناولا يربط فيه بين الظاهر والباطن أو بين الرؤيتين البصرية والعلمية . فهو لم يؤول الرؤية البصرية كالكرمانى ولم يلغها ويعتبرها خاصة بظرف معين فى حياة

---

(١) تأويل الدعائم ٣–١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ٣–١١٥ .

(٣) السيرة المؤيدية ص ٥ وما بعدها ، ص ٦٠ وما بعدها .

(٤) المجلس ٤٢ من المجالس المؤيدية –المائه الاولى.

الرسول كالمؤيد ، وبهذا يتضح لنا اختلاف هؤلاء الدعاة الثلاثة حول رؤية الهلال . وهذا الاختلاف ليس بالأمر اليسير لتعلقه بأمر جوهرى عندهم هو التأويل فى فريضة من الفرائض .

وملاحظتنا هذه وإن بدت صغيرة إلا أنها ذات دلالة كبيرة فى الحقيقة . لأنها تشير إلى تغيير كبير فى نظام الدعوة الفاطمية . فالمعلوم أن المعز لدين الله الفاطمى وهو الذى أظهر التأويل وفتح بابه[1].وحاول نشره على نطاق واسع [2] بعد أن كان آباؤه أشحاء به لايكادون يبوحون به إلا لخاصة خاصتهم[3] — كان هو الذى يتولى أمر التأويل . ويخرج إلى النعمان مجالسه مكتوبة ليقرأها على أتباعه حتى لا يحدث فيها أى تغيير بالنقص أو الزيادة[4] . وكان يفعل ذلك مع دعاته فى الأقاليم النائية حيث كان يرسل إليهم ما يقرءونه فى مجالسهم على أتباعهم[5] . وهذا النظام كان لايدع مجالا لاختلاف الدعاة فى مسألة من مسائل التأويل . لأن مصدر التأويل واحد وهو الإمام ونصه مدون ثابت .

فوجود الاختلاف بين هؤلاء الدعاة الثلاثة ومنهم اثنان متعاصران على النحو الذى أو ضحناه إنما يدل على أنهم كانوا يجتهدون فى التأويل ولم يكونوا يتلقون ما يلقونه فى مجالس الحكمة من الإمام على نحو ما رأينا فى عصر المعز . ولكن إلى أى حد كان اجتهادهم ؟ هل كان مطلقاً . أم محدوداً بموضوعات معينة ؟ والإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى مقارنة شاملة ودقيقة بين أعمال الدعاة . ومعظم هذه الأعمال غير موجود لدى الباحث الآن .

هذا وبعد القرن الخامس الهجرى لايكاد الباحث يجد شيئاً عن الصوم فيما ظهر من مؤلفات فاطمية . ولا نستطيع أن نقول إن الأئمة ودعاتهم لم يتناولوا هذا الموضوع طوال هذه الفترة . ولكنا على أية حال نستطيع أن نقول إنه إذا كانت فى هذا الفترة كتابات عن الصوم . وقد كانت فى أغلب الظن — فانها لا تخرج

(١) المجالس والمسايرات ١٦-١ ، ١٨-٦ .
(٢) المرجع السابق ١٨-٦ .
(٣) المرجع السابق ١٦-٦ .
(٤ و ٥) المرجع السابق ٢٨ — ٥ .

عن النظام الذى رأينا فيما تقدم ، فأصحابها كانوا بالطبع كغيرهم من المؤلفين فى شتى مجالات التاليف فى العصور المتأخرة ، همهم الجمع والتلخيص والشرح لما تركه لهم أسلافهم دون إضافات جوهرية .

ويبدو أن الدافع لمن كتبوا فى هذا الموضوع من دعاة الفاطميين هو أن الأحداث التى كانت تحدث عندما كان الخلاف يستفحل بين الفاطميين وأهل السنة فى أمر الصوم كانت تترك صداها فى نفوس أتباع المذهب الفاطمى وبخاصة فى الجهات النائية عن سلطان الدولة الفاطمية ، وتدعوهم إلى التساؤل عن حقيقة الموقف . فكان الدعاة يقومون بشرح ذلك لهم حتى لا يتسرب إلى نفوسهم أى شك فيما يتصل بالعقائد الفاطمية . وكانوا فى شرحهم هذا يردون على مخالفيهم فى المذهب ويحاولون إثبات صحة مذهبهم بكل ما أوتوا من قوة فى الجدل الذى كان من أهم العناصر فى عملهم ، وذلك فى رسائل ومقالات أو محاضرات يلقونها على أتباعهم فى مجالس الحكمة التأويلية .

الرسالة اللازمة فى صوم شهر رمضان وحينه :

تعتبر هذه الرسالة أهم ما وصلنا من المؤلفات التى تناولت الصوم عند الفاطميين للأسباب التى سنذكرها فيما بعد . ومؤلفها هو سيدنا حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى (ت بعد سنة ٤١٢ هـ) (١) أحد دعاة الدعوة الفاطمية فى عصر الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ) .

ويبدو أنه كان أشهر الدعاة فى عصره وأكثرهم لسنا وقوة بيان . حتى لقب بحجة العراقين .

ولما ظهر الدرزى . وغلا فى الإمام غلواً كبيراً حتى قال بألوهية (٢) الحاكم وهبت أعاصير الفتنة على الدعوة الفاطمية وأوشكت أن تجتاحها لم يجد ختكين داعى الدعاة عونا له فى تجنيب الدعوة هذا الخطر المحقق خيرا من الكرمانى من بين الدعاة جميعاً ، فاستدعاه للقاهرة سنة ٤٠٨ هـ (٣)

---

(١) مقدمة التحقيق لكتاب راحة العقل

(٢) اتعاظ الحنفا ٢ — ١١٣ .

٣— مقدمة التحقيق لكتاب راحة العقل

وإذا اطلعنا على ما ظهر من مؤلفات الكرمانى فإننا نلاحظ أنه وقف قلمه للدفاع عن الدعوة الفاطمية وقضاياها . ورسالته اللازمة فى الصوم صورة من صور هذا الدفاع . إذ يبدو من مقدمتها أن الذى دعاه إلى تأليفها طعن المخالفين على الفاطميين لدخولهم فى الصوم قبل غيرهم من المسلمين سنة ٤٠٠ هـ حتى يرد طعون الطاعنين ويطمئن أتباع الدعوة إلى صحة كل ما يصدر عن الإمام ومن ذلك أمره بالدخول فى الصوم .

ويتضح من مقدمة المؤلف أنه ألف رسالته هذه سنة ٤٠٠ هـ أو بعدها بقليل ، وهى السنة التى دخل فيها الفاطميون فى الصوم قبل غيرهم من المذاهب التى تعتمد على الرؤية فى الصوم بيومين كما يتضح أيضا أنه ألفها فى المشرق . وليس فى القاهرة لأن مجيئه إلى القاهرة — كما رأينا — كان سنة ٤٠٨ وأثناء فتنة الدرزى ، ولأن الأمثلة التى ضربها فى الرسالة لصفاء الجو وكدورته فى البلاد أمثلة من بلاد المشرق كشيراز وكرمان وطبرستان وجيلان .

هذا وينبئنا المؤلف فى رسالته منذ البداية عن السبب الذى جعله يسميها باللازمة وأنه سماها كذلك ، لأنه ضمنها حججا تلزم الكافة من المسلمين باتباع الفاطميين فى الصوم كما يقول .

وقد تناول المؤلف فى رسالته كل ما يتصل بالصوم عند الفاطميين إذ تحدث عن رؤية الهلال ، وذهب إلى أن الرؤية رؤية علمية وليست بصرية . وعلى هذا أول الرؤية الواردة فى حديث الصوم . وساق الأدلة الكثيرة نقلية وعقلية تأييدا لمذهبه ثم اتخذ من القول بالرؤية العلمية مدخلا للقول بضرورة رد أمر الصيام إلى الإمام . فالصوم عندهم كغيره من أمور الدين لا يحق لأحد من الأمة البت فى شىء منها ، وذلك لأن الإمامة أهم قضايا المذهب الفاطمى والمحور الذى يدور عليه تفكير علمائهم حينما يتناولون موضوعا من الموضوعات . ثم تحدث عن بداية الشهر عند الفاطميين . وهى بداية تسبق بدايته عند أهل السنة — كما أوضحنا من قبل — واستعان فى عرضه لهذه الفكرة بمعلومات فلكية دقيقة . وهذا أمر لا يستغرب بالنسبة للعصر الفاطمى الذى ازدهرت فيه العلوم الفلكية أو التجامة ، واهتم بها الخلفاء أنفسهم ، ومنهم من برع فيها حتى وصل إلى حد الشهرة بها كالخليفة المنصور بالله (ت سنة ٣٤١ هـ) .

وكما أول الرؤية فى حديث الصوم بأنها رؤية علمية ، ليدعم مذهبه بالحديث فإنه حاول أيضاً أن يؤول نفس الحديث تأويلا يطابق مذهبه فى الدخول فى الصوم قبل أهل السنة ، ليجد لمذهبه فى هذه الناحية من الموضوع سنداً من الحديث أيضاً . غير أنه أخفق فى هذه المحاولة من ناحيتين : الأولى أنه جار على اللغة وتركيبها ، والثانية أنه اضطرب فى موقفه من الحديث على نحو ما ذكرنا من قبل .

ثم انتقل المؤلف إلى فكرة تمام رمضان ، وأنه لاينقص أبداً . وتساق طائفة من الأدلة دفاعا عن هذه الفكرة . منها أن احتمال النقص والتمام فى شهور رمضان يوقع الأمة فى الشك ، ولهذا استبعد أن يحمل النبي أمته على قاعدة قد يحدث فيها شك[1]. ومن هذه الفكرة عاد ليؤكد مرة أخرى أن الصوم شأنه شأن غيره من أمور الدين لا يصح أن يوكل إلى الأمة تحدد بدءه وانتهاءه ، وإنما هو من اختصاص الإمام المعصوم . فالمسألة ليست عندهم مسألة إجماع وإنما مسألة إمامة موروثة من النبي عليه السلام . إلا أن الكرمانى بحديثه عن ترك الأمة أمر الصيام للإمام ليحدد لها بدءه وانتهاءه لم يوضح لنا بجلاء ما إذا كان علم الإمام بذلك علما لدنياً أم أنه توصل إليه بالحساب الفلكى كما يتوصل سائر الفلكيين .

وبعد أن يوفى المؤلف هذه الجوانب من الموضوع ينتقل إلى التأويل الذى هو عنصر أساسى من عناصر المذهب فالشمس تقابل (الناطق) الذى هو النبي ، والقمر يقابل (الأساس) الذى هو (وصيه) على بن أبى طالب . ثم يعرض لمراحل العمر وأحواله . ويقابل بينها وبين أحوال (الوصى) على بن أبى طالب فى الدعوة من قبل أن يعلن النبي (وصايته) حسبما يذهبون . إلى أن ظهر أمره ظهور القمر عند مضى أربعة عشر يوما حيث يراه الكبير والصغير . ويمضى فى هذا التأويل فيقابل بين شهر رمضان — بما أنه أشرف شهور السنة — وبين (الوصى) الذى هو صاحب رتبة التأويل . ولا يكتفى بهذا وإنما يؤول آيتى الصيام (البقرة ١٨٣ ، ١٨٤) تأويلا يؤكد به ماذهب إليه من شرف (الوصى) ومكانته .

وبعد هذا كله يختم الكرمانى رسالته بما يؤكد به الغرض الذى ألفها من أجله ،

---

(١) الرسالة اللازمة ص ٣١ .

فيقرر صحة دخول الفاطميين فى الصوم قبل غيرهم من المسلمين بناء على رؤيتهم العلمية بالحساب . ولا ينسى هنا أن يدافع عن علم النجوم الذى اشتهر به أئمته . ويؤكد أنه علم صحيح غير منهى عنه .

وبعد . فمع ما تتضمنه رسالة الكرمانى فى الصوم من أمور أختلف معه فيها . إلا أن ذلك لم يمنعنى من إعدادها للنشر ، لأنها تمثل وجهة النظر الفاطمية فى الصوم وتأويله تمثيلا واضحا . ولعلها المؤلف الوحيد بين المؤلفات القديمة الفاطمية الذى خصصه صاحبه للحديث الشامل عن الصوم . ومن هنا سيجد فيها القارىء فكرة تامة وواضحة عن هذا الموضوع قد لايتاح له الوقوف عليها فى كتاب آخر غيرها .

والرسالة بالإضافة إلى ذلك تلقى ضوءا على تقدم علم الفلك عند أسلافنا إلى إلى درجة تستحق الإعجاب والتقدير . ثم إنها بما تتضمنه من دعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية فى الصوم والإفطار تثير التفكير فى العمل الجاد لتحقيق الأمل الكبير الذى يراود المسلمين والعلماء والمصلحين منهم بصفة خاصة كلما استقبلوا شهر رمضان وودعوه وهو أن تتحد البلاد الإسلامية فى صومها وإفطارها . فالتوحيد طابع ديننا وجوهره . وقد أحس المسلمون اليوم شعوبا وحكومات بضرورة الوحدة بينهم . فلم لا تتمثل هذه الوحدة فى هذه الشعيرة الدينية ؟ أليس من العجب العجاب أن نقف حائرين بين رؤية الهلال وعدمها فى الوقت الذى يتجول فيه غيرنا فوق القمر ؟

إن اختلاف مطالع الأهلة باختلاف مواقع البلاد بحيث يرى الهلال فى بلد ولايرى فى آخر ظاهرة لا تنكر . وهذه الظاهرة لم يفت فقهاء المسلمين بحثهاوإجالة الفكر فيها منذ أمد بعيد . وقد ذهبوا فيها مذهبين : الأول اعتبارا اختلاف مطالع الأهلة فى تحديد بداية الصوم ونهايته بمعنى أن كل أقليم يصوم ويفطر برؤيته الهلال . والآخر عدم مراعاة هذا الاختلاف بمعنى أنه إذا رئى هلال رمضان فى إحدى البلاد الإسلامية وجب على سائر المسلمين الصوم برؤية من رأوه .

وقد رجح الأستاذ الشيخ محمد على السايس عضو مجمع البحوث الإسلامية الرأى الثانى ، ودعا إلى الأخذ به فى بحثه القيم . « تحديد أوائل الشهور القمرية » لا لأن هذا هو ما تصبو إليه نفوس كثير من العلماء والمصلحين حتى تتوحد كلمة

الأمة الإسلامية ، ولا لأن القائلين به هم الكثرة الغالبة وهم الجمهور . ولكن لأن سنده من الكتاب والسنة قوى متين »[1] .

فليت دعوة فضيلته تلقى الاستجابة السريعة من أهل الاختصاص فى العالم الإسلامى حتى يتخلص المسلمون من البلبلة التى تواجههم كل عام .

وثمة مسألة أخرى تثيرها هذه الرسالة وهى : هل نأخذ بالحساب الفلكى فى تحديد أول الشهر القمرى إذا لم تتيسر الرؤية الحقيقية للهلال أو لا نأخذ ؟ .

وقد أقر كثير من فقهاء المسلمين الأخذ بالحساب الصحيح إذا منع مانع من الرؤية الحقيقية « فإذا دل هذا الحساب على أن الهلال قد طلع من الأفق على وجه يرى لولا وجود المانع كالغيم مثلا فهذا يقتضى الوجوب لوجود السبب الشرعى ، وليست حقيقية الرؤية مشروطة فى اللزوم »[2] وما دامت هذه المسألة كذلك فانها تدعم الرأى السابق فى حسم الاختلاف المتكرر حول الرؤية كل عام .

هذا وأسلوب الرسالة أسلوب علمى ، وإن لم يخل فى بعض المواضع من السجع والصور البيانية[3] ، وذلك لأن المؤلف تناول فيها موضوعا فقهيا على مذهبه ، واستعان فى عرضه بما أتيح له من معلومات فلكيه ومذهبية ومنطقية تبدو آثارها فى تقسيم الموضوع وتسلسل أفكاره وشمولها وغلبة طابع الحجاج عليه ، كما تبدو فى كثرة المصطلحات المذهبية والعلمية وبخاصة علم الفلك[4] الذى يتصل به موضوع الرسالة اتصالا وثيقا . ومثل هذا المجال لا يجد فيه السجع ولا غيره من ألوان البيان والبدع منفذا صالحا له . ومن هنا نرى المؤلف قد لاءم فى رسالته هذه بين الموضوع والأسلوب .

ثم إن المؤلف استعان كثيرا بالآيات القرآنية ، يؤولها حينا ويستشهد بها حينا آخر ، وكذلك بالأحاديث النبوية التى جمع فيها بين مرويات أهل السنة ومرويات أصحاب مذهبه . كما أنه استعان — لتوضيح فكرته — بالمقارنات والتشبيهات والحوار

---

(١) تحديد أوائل الشهور القمرية ص ٧١ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ وما بعدها .

(٣) يبدو هذا فى بداية الرسالة .

(٤) أنظر فهرس المصطلحات .

الذى يكثر فيه من (فإن قيل كذا قلت كذا) بحيث لا يكاد يترك مسألة يمكن أن يتطرق إليها تفكير أحد من أتباعه إلا ويتساءل عنها. ثم يقدم ما يراه شافيا فيها من إجابة . ومع ذلك فإن الرسالة لم تخل من الجمل الطويلة المركبة المسرفة فى الطول والتركيب إلى حد التعقيد والغموض[1]

أما عن تحقيق هذه الرسالة فقد اعتمدت فيه على نسخة واحدة . لم يتيسر سواها . لأن المخطوطوت الفاطمية نادرة وأصحابها فى الغالب أشحاء بها . وهذه النسخة التى اعتمدت عليها هى نسخة الأستاذ محمد حسن الأعظمى الباكستانى . وهى ملحقة بالجزء الأول من كتاب جامع الحقائق . وتقع فى سبع عشرة صفحة من القطع الكبير ٣٠ — ٢١ . وبا لصفحة ستة عشر سطراً بخط النسخ الجيد . وهى قليلة الأخطاء .

ويبدو أنها نسخت حديثا وهى بدون تاريخ . ولم يذكر فيها اسم ناسخها ، وهذا أمر لا يستغرب فى المخطوطات الفاطمية إذ كان القوم يذهبون فى كثير من الأحيان إلى الستر والتقية . ثم إذ المعز لدين الله . فيما رواه عنه القاضى النعمان كان يستحسن ألا يذكر المؤلف من رجاله اسمه على الكتاب الذى يؤلفه . لأنه رأى أن الناس فى عصره يأخذون عمن جهلوه . ويزهدون فى علم من عرفوه[2] .

وأما عن نسبة هذه الرسالة للكرمانى فهذا أمر لا يحتاج إلى إثبات . فقد تحدث القدماء والمحدثون الذين عرضوا له فى مؤلفاتهم عن رسالته هذه . واقتبس بعضهم نصوصاً منها تطابق ما جاء بها مطابقة تامة .

وأخيراً . فإنى أرجو أن أكون بهذا العمل المتواضع قد وفقت فى تقديم أحد المؤلفات الفاطمية التى تمثل جزءاً هاما من تراثنا العربى الإسلامى لا ينبغى إغفاله إذا أتيحت الفرصة للحصول على أصوله .

والله الموفق وهو المستعان . . .

محمد عبد القادر عبد الناصر

---

(١) أنظر على سبيل المثال ص ٢٣ بالرسالة وتعليقنا بالهامش رقم/٣)

(٢) المجالس والمسايرات ٥-٩ ، ٣-١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وبطاعة أوليائه تعم البركات ، وصلى الله على رسوله وعبده محمد خير الأنام ، وفخر من تقدمه من الرسل الكرام ، وعلى أبرار عترته الطاهرين منار الهدى وأقمار الدجى وسلم تسليما .

أما بعد أيها الأخ فإنك كتبت تذكر أن أهل الفرقة والاختلاف فيما جرت به عاداتهم من الوقيعة فى أهل الحق والأئتلاف قد كثرت أقاويلهم طعنا منهم على الجماعة وتعبيراً لهم فى دخولهم الصوم قبل العامة ، وسألت أن أشرح لك أمر الصوم فى دخول جماعة شيعة أمير المؤمنين قبل أولئك وخصوصا صوم سنة أربعمائة التى أوجبت الأوامر الواردة من الحضرة الطاهرة الدخول فيه بيوممن قبل رؤية الهلال عيانا ، والعلة فيه ببيان وإيضاح وبرهان فأحببت أن أجعل ذلك فى رسالة أورد فيها من البراهين الشافية ما ترتع نواظر أولى النهى فى نظام مبانيه ، وتسخن أعين المخالفين لالتيام معانيه ففعلت مستعيناً بالله وبأوليائه فى أرضه ، ووسمتها بالرسالة اللازمة فى صوم شهر رمضان وحينه ، لأن الذى ضمنتها حجج تلزم الكافة من المسلمين لا مخلص لهم منها فى مبادىء العقل والحس والله ولى أحسن التوفيق فى الاصابة .

إعلم عصمك (الله) من شبه الجهالة ، ووقاك من عمى الضلالة ، أن القوم المخالفين لو كان لهم تميز وبصيرة ، أو كان لهم فى العقل والفهم نصيب وقسمة لكان قيد الشيطان عنهم مدفوعا ، وهمهم إلى الحق مصروفا . ولكانوا من جملة من استثناهم الله فى كتابه بقوله : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك . الآية »[1] لكنهم لما ركبوا مطية الأهواء ، وترامت بهم أسباب الآراء سول لهم الشيطان فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ، وحق فيهم قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم

---

(١) هود : ١١٨ .

قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »[1] . فهم فيما هم فيه كالأنعام بل كالموتى وهم لا يشعرون . كما قال تعالى « أموات غير أحياء وما يشعرون »[2] وقد ماتوا عن معرفة الحقائق وعموا عنها باستنكارهم على أهل الحق وبغيهم واختلافهم فصاروا كالبهائم في اختلافاتهم يترددون وفي عمايتهم من غير تمييز ولا بصيرة يركضون[3] . ولم يقعوا فيما هم فيه من الاختلاف والافتراق الذي نهى الله عنه بقوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا »[4] إلا ببغيهم واستكبارهم وحسدهم واستنكافهم من طاعة من أوجب الله طاعته من ولاة الأمر الذين أمر الله بالرجوع[5] فيما اختلفوا فيه إليهم بقوله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول »[6] وقال تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »[7]. فمن جانب الاستكبار والبغي والحسد وأطاع أهل الحق وقف على الحقائق . وخرج من جملة أهل الجهالة . ومن عاند أهل الحق . وأصر على ما هو عليه من الارتكاض في العمى والضلالة أداه ذلك إلى الهلاك وسوء المقالة . وحق عليه كلمة العذاب ، واستحق به آية العقاب . نعوذ بالله من ذلك . ومن الفرقة بعد الائتلاف . ومن الطغيان بعد الإيمان . ومن العصيان في أوليائه (ص) بعد التسليم والإيقان . واياه نسأل أن يجعلنا من الفائزين برحمته . القائمين بطاعته وطاعة أوليائه . إنه خير مسئول وأكرم مأمول .

ثم إن الله تعالى أوجب على عباده في نص كتابه الصوم بقوله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات »[8] .

---

(١) الحج : ٤٦ .
(٢) النحل : ٢١ .
(٣) في الأصل : يريكضون .
(٤) آل عمران ١٠٥١ .
(٥) في الأصل : المرجوع .
(٦) النساء : ٥٩ .
(٧) النساء : ٨٣ .
(٨) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقال النبي (ص) : شعبان شهري ورمضان شهر الله وصومه فرض » . وقالت الأئمة (ص) : صوم شهر رمضان فريضة على كل مسلم » .

ولما فرض الله تعالى صوم شهر رمضان على عباده لم يتركهم النبي (ص) في العمى عن معرفة وقته وحينه . كما لم يتركهم في الجهالة بمعرفة غيره من الفرائض من أعداد الصلاة وأوقاتها حين فرضها . وكمية الزكاة في أعيان الأشياء حين أوجبها ؛ فقال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وهذه الرواية لا يكاد يقع فيها خلاف بين الفرق من المسلمين . وهي عماد أهل الظاهر في احتجاجهم فنقول : إن الله خلق الأشياء كلها أزواجا ليكون المنفرد بالوحدانية هو ؛ فلا يشاركه فيها شيء فقال تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها ... الآية »[1] وقال : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » [2] . ولما كان ذلك كذلك ورأينا الأشياء كلها أزواجا وأشكالا كالجوهر والعرض والسماء والأرض والبحر والبر والسهل والجبل والليل والنهار والخير والشر والجسد والروح والظاهر والباطن والدنيا والآخرة والذكر والأنثى وغير ذلك مما يطول ذكره . ورأينا النبي (ص) جعل أساس شريعته وقاعدتها على الزوجية حين قرن الأوامر والفرائض بأقرانها دلالة على ما قلنا من تجريد توحيد الله مثل الصلاة التي قرنها بالزكاة والأذان الذي قرنه بالإقامة والحج الذي قرنه بالعمرة والصفا الذي قرنه بالمروة والفريضة التي قرنها بالسنة والركوع الذي قرنه بالسجود وشهادة أن لا إله إلا الله التي قرنها بشهادة أن محمداً رسول الله وأشباه ذلك مما يطول ذكره قلنا إن الرؤية أيضا رؤيتان إحداهما مقرونة بالأخرى : رؤية طبيعية ورؤية نفسانية . فالرؤية الطبيعية ما تكون بالعين وهي التي تدرك الألوان من بياض وسواد وحمرة وصفرة وغيرها . والأشكال من تدوير وتثليث وتربيع وتخميس وغير ذلك . والاحتجاج على ذلك مستغنى عنه لوقوعه[3] تحت الحس . والرؤية النفسانية ما تكون من جهة العلم بالقلب والنفس ، وهي تدرك ما لا تدركه[4] الرؤية الطبيعية من الأسباب التي تغيب عن إدراكها إياها .

---

(١) يس : ٣٦ .

(٢) الذاريات : ٤٩ .

(٣) في الأصل (لوقوفه) .

(٤) في الأصل : ماتدركه .

قال تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى [1] » وقال تعالى : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » [2] وقال : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » [3] . وقد علمنا أن النبى (ص) لم يكن فى زمن أصحاب الفيل فيراهم . وإنما المراد به رؤية النفس التى تكون من جهة الفؤاد والعلم . ويقال أيضاً فى المثل : فلان أعمى القلب بمعنى أنه بليد متأخر عن معرفة الأشياء ورؤيتها على غيبتها .

فلما صح بما أوردناه أن الرؤية رؤيتان/كالأشياء كلها فيما تنقسم إليه من حالين ووجهين ليخلص توحيد الله فلا يشاركه فى الوحدانية شىء قلنا : لما كانت الرؤية الطبيعية التى هى من جهة العين لا تدرك من الأشياء إلا ما كان جسمانياً واقعاً تحت الحدود والزمان مثل الألوان والأشكال وكانت الرؤية النفسانية التى هى من جهة الفؤاد والعلم تدرك ما تدركه الرؤية الطبيعية وما تعجز عن إدراكه مما تغيب عن الأبصار جميعا كان منه القضية بأن الرؤية النفسانية التى تكون من جهة الفؤاد والعلم أجل من الرؤية الطبيعية التى تكون من جهة العين والبصر وألطف إدراكا إذ كان فعلها فى معرفة الأشياء وإدراكها على حقائقها كالبصر ، فان إنسانا لو أخذ من غدير ماء قطرة حكمت الرؤية النفسانية بأن كمية ذلك الماء انتقصت بقدر القطرة . ورأت ذلك رؤية صحيحة . وكان ذلك النقصان للحس من جهة العين والبصر غير واقع .

ولما كانت الرؤية النفسانية أدق وألطف إدراكا كان الأخذ فى أداء فرائض الله تعالى بها ألزم من الأخذ بغيرها وأولى . فإن الاقتصار على غير الأفضل مع وجود الأفضل من قضايا الجهل لا من قضية العقل . وهو الذى يلزم الناس بالحقيقة — أعنى الأخذ بالأدق والأفضل الذى هو رؤية العلم والنفس .

ثم إن إنسانا لو عرف بقلبه ورأى أن وقت صلاة من الصلوات قد أتاه : ولم يسمع صوت الأذان لكانت الصلاة لازمة له . كما أن المتسحر للصوم لو رأى بقلبه وعلم أن الفجر قد طلع وبصره ممنوع عن رؤيته لحائل قد حال لكان الإمساك

---

(١) النجم : ١١ .
(٢) الفرقان : ٤٥ .
(٣) الفيل : ١ .

عن الطعام لازما له وإن كان بصره لم يره ، وإذا كان ذلك كذلك فقد لزم الصوم المتسحر والإمساك عن الطعام بعلمه أن الفجر قد طلع وإن كان بصره ممنوعا عن رؤيته لمانع منع .

وكذلك نقول : إن دخول الصوم لازم مع حصول المعرفة بأن علة الصوم التى هى مفارقة القمر النير الأعظم [1] عند اجتماعهما قد حصلت ولو كان البصر ممنوعاً عن رؤيته بحال من الأحوال من ضوء أو غيم أو غبار أو جبل . إذ من المتعالم أن العلة إذا حصلت وجب لوجودها معلولها . فلا يتقدم أحدهما على الآخر إلا بالمرتبة .

فاذن أهل الدعوة فى دخولهم الصوم بحكم الرؤية النفسانية التى لا تكاد يقع فيها خطأ على بيان ومعرفة .

ثم إنه لما كان الرسول (ص) أوجب الصوم فى بعض شهور السنة ، وأخبر أن الله تعالى قد جعل الشمس والقمر سببا إلى معرفة السنين والشهور وأوقاتها وأهلتها فقال تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » [2] وقال سبحانه : «يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » [3] وكانت السنة اثنى عشر شهرا كما قال تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم »[4] وهى لا تتم إلا بانقضاء عدتها . وكان[5] كون الشهر لا يكون ولا تمام أيامه [6] إلا بمسير القمر من المكان الذى يكون هو والشمس معه فى درجة ودقيقة واحدة ، وذلك هو الاجتماع عند أهل النجوم إلى أن يقطع الفلك كله ويعود إلى التضميم والاجتماع كان[7] من ذلك العلم بأنه إذا صارت درجته ودقيقته من البروج

(١) يقصد الشمس .

(٢) يونس : ٥ .

(٣) البقرة : ١٨٩ .

(٤) التوبة : ٣٦ .

(٥) معطوف على (كان الرسول) فى أول فقره .

(٦) يقصد : لايبدأ ولا تتم أيامه .

(٧) جواب (لما) فى أول الفقرة .

مثل درجة الشمس ودقيقتها منه فقد تم مسيره للشهر الماضى ، وإذا فارق الشمس كان مسيره للشهر المستقبل[1]، وإذا كان مسيره للشهر المستقبل وكان له فى مسيره إلى الاجتماع والمفارقة حالات بانتقاص ضوء نصف جرمه مما يلى المركز الذى هو الأرض إلى أن يضم وإضاءة نصف جرمه الأعلى عند ذلك مما يلى المحيط كإضاءة كل نصف جرمه ليلة استقباله مما يلى المركز وظهور الضياء فى نصف جرمه عند المفارقة وتزايده بقدر تباعده وأسباب يعجز البصر عن إدراكها كلها قلنا : إنه لم يقع عجز البصر عن إدراك هذه الأحوال كلها منه ورؤية المضىء من جرم القمر عند مسيره إلى اجتماع فى آخر الشهر وعند مفارقته فى أول الشهر إلا لحال ضوء الشمس المانع للبصر عن الإدراك . فان الضوء فى منع البصر عن رؤيته حينئذ كغيره من الأسباب التى تحول وتمنع البصر عن رؤيته وعلمه مثل الغيم والغبار والحائط[2] والجبل ، ألا ترى أن الكواكب بالنهار لا ترى لضياء الشمس واستتارها به . وإذا انكسفت أدرك البصر رؤيتها وذلك لنقصان الضوء بانكسافها . فاذن قد صح أن قدر المضىء من جرم القمر عند مفارقته الشمس لولا ضوء الشمس وشعاعها لكان يرى بالعين فان الضوء هو الحائل والمانع كغيره من الغيم وكدورة الهواء[3] .

ولما كان البصر ممنوعا بضوء الشمس عن رؤية الهلال بعد مفارقته إياها كانت النفس من جهة العلم غير ممنوعة عن رؤيته على حقيقته فلزم الصوم برؤية العلم التى هى أجل على ما أقمنا عليه من الدلالات .

فإذن بهذه الشواهد أهل الدعوة الهادية فى دخولهم الصوم بالرؤية النفسانية على حقيقة وصواب . وإذا كانوا هم على الصواب كان من خالفهم على الخطأ.

---

(١) هناك وضعان القمر بالنسبة للشمس : الوضع الإجتماعى والوضع الهلالى : فالوضع الإجتماعى يقصد به اجتماع الشمس والقمر . ويبدأ الشهر القمرى عند بعض أهل النجوم من الليلة التالية لهذا الوضع مباشرة مع أن رؤية الهلال تكون غير ممكنة . وعلى هذا يسير الفاطميون أما الوضع الهلالى فانه يكون حينما تمكن رؤية الهلال ، وذلك يكون بعد الوضع الإجتماعى بيوم على الأقل أو يومين على الأكثر والعبرة عند أهل السنة بالوضع الهلالى لا بالوضع الإجتماعى . ومن هنا يقع الاختلاف بين أهل السنة والفاطميين فى تحديد بداية الشهر القمرى . (راجع فى ذلك بحث« تحديد أوائل الشهور القمرية » ص ٧٦)

(٢) فى الأصل : الحياط .

(٣) العبارة طويلة ومركبة إلى حد التعقيد .

ثم نقول للناصبة وغيرهم من المخالفين : من أين أوجبتم أن الرؤية رؤية البصر من دون رؤية الفؤاد والعلم ، وقد قامت الدلائل على أن الرؤية على وجهين لا يجحد ذلك إلا مكابر ظاهر المكابرة ؟ فان قلتم إن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بعد وقوع بصر عليه وإنه إذا أبصره قام له حكم رؤية العلم به قلنا إن احتجاجكم ذلك فاسد لا يصح من جهات :

إحداها أننا إذا قلنا لكم : هل رأيتم الله تعالى ؟ يلزمكم على هذا الأصل أن تقولوا : لا . فنقول : فلم أقررتم به ، وقد أوجبتم أن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بعد وقوع بصره عليه ، ولم يقع بصركم عليه تعالى وتكبر ؟ فيلزمكم أن ترجعوا عن النزول بالبصر إلى حديث العلم ، فتقولوا : علمنا وصح عندنا بالبراهين فأقررنا ، وهو قولنا وأصلنا

وثانيتها أمر العالم فى حدثه ، لو سألناكم عنه للزمكم أن تحكموا على حدثه بحكم رؤية العلم والبرهان ، لا بحكم رؤية البصر وهو قولنا .

وثالثتها انا نقول : ما تقولون فى رجل أفطر ولم ير الهلال ببصره لحائل حال وقد انقضى ثلاثون يوما من رمضان ، هل كان إفطاره حقا أم لا ؟ فان قلتم : كان حقا ، قلنا ، كيف ولم يبصر الهلال ، وأصل مذهبكم أن الصوم والإفطار لا يجوز إلا بعد رؤية الهلال بالبصر ؟ فيلزمكم أن تقولوا : إننا علمنا أن الهلال بعد ثلاثين يوما يرى ، وإنما الحائل حال عن رؤيته . قلنا لكم : قد تركتم حكم رؤية البصر ورجعتم إلى حديث رؤية العلم ضرورة ، وهو قولنا ، وإن قلتم : لم يكن الإفطار حقا لزمكم مالزمكم .

وبعد فما لا يعلم من الأشياء إلا من جهة الحواس التى تجمع البصر وغيره فهو ذات الأشياء الجسمانية فى هيئاتها وكيفيتها فقط ، والنفس تستغنى بعد الاستعانة بالحواس فى معرفتها دفعة عن الاستعانه بها أخرى ، وما للحواس ومحصولها وقوع الاستغناء عنها بقيام النفس بذاتها مقامها [1]. وذلك أن النفس فى الإنسان أجل الآلات

(١) يقصد ما قيمة الحواس ومحصولها أى نتيجتها وقوع الاستغناء عنها بالنفس ؟

التى بها تدرك الأشياء كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ، ولها مزية ليست لسائرها [١] بقيامها مقام جميعها بعد مصير صور محسوساتها فيها. وهى فى إدراك مالا يدركه السمع والبصر والشم والذوق واللمس كالسمع فى إدراك ما لا يدركه البصر والشم والذوق واللمس . وكالبصر فى ادراك ما لا يدركه السمع والشم والذوق واللمس . وكالشم فى إدراك ما لا يدركه السمع والبصر والذوق واللمس وكباقى الحواس . حكمة من الله لئلا يفوت النفس شىء لا تدركه مما أبدعه من العالمين . ومدركها غير مدرك لغيرها من الحواس كغيرها [٢] .

وإدراكها إدراكان : إدراك بوساطة الحواس الخمس كإدراكها الألوان والأشكال من جهة البصر والأصوات الدالة وغير الدالة من جهة السمع وغير ذلك مما يتعلق إدراكه بالحواس الأخرى . وهو الذى منه يقع استدلالها فى ادراك مالا تدركه الحواس . وإدراك بذاتها عن طريق الاستدلال الذى يقوم مما تدركه من جهة الحواس كادراكها حدث العالم بعد إدراكها إياه من جهة الحواس . وما تدركه بذاتها عن طريق الاستدلال فلا طريق للحواس إليه . وما تدركه من جهة الحواس فهى تستغنى عنه أول ما تدركه بها عن إدراك ثان من جهتها عند الحاجة إلى المعرفة . لقبولها صورة ذلك الشىء المدرك بالحواس على هيئتها فى أول ما أدركتها ووجودها له فى ذاتها ماثلا لها متى رجعت إلى هويتها من غير حاجة إلى الاستعانة بالحواس آنفا . كصورة الكواكب فى ذاتها وكيفيتها إذا أدركتها من جهة البصر استغنت بتلك الرؤية عن رؤية ثانية لحصول الصورة فى ذاتها وانحفاظها بقبولها إياها . وقامت بعد ذلك مقام الحواس بذاتها كنفس من تسمل عيناه المستغنية بما عرفته من صور ما أدركته من الذوات من جهة عينيه عن إدراك ثان ، لقبولها تلك الصورة . وكون تلك الصورة فيما تختص به قائمة على هيئتها من غير استحالة عنها عند إدراك ثان بالبصر .

وليس المراد فى طلب الهلال ورؤيته بالبصر فى كل سنة وشهر أن تعرف هيئته فى صورته ودقته وغلظته فنحتاج فى معرفة ذلك إلى البصر الذى هو الآلة

---

(١) الضمير فى (لها) عائد على النفس ، وفى (لسائرها) عائد على الحواس

(٢) يقصد أنها تدرك مالا تدركه الحواس ، كما أن لحواس كل منها تدرك من المدركات مالا تدركه غيرها .

فى إدراك مثل ذلك ، بل المراد فى طلبه معرفة هلية كونه فى المغرب أمام الشمس بعد أن كان فى المشرق بعدها ، وإدراك هلية كونه فى المغرب يتعلق بالنفس لا بالبصر إذ البصر مع ارتفاع الموانع لا يدرك إلا الأشكال والألوان فقط . ولما كان البصر لا يدرك (إلا) الأشكال والألوان وكان طلب الهلال لا لمعرفة لونه وشكله إذ لو كان يطلب لمعرفة لونه وشكله لكان من المحال طلبه مع حصول العلم بكيفية صورته وهيئاته ولونه لما تقدم من رؤيتهم بالبصر وقيام الثقة بأنه لا يعدم ما دامت السموات والأرض وأنه لا يتغير عما يتصور من صورته مما أدرك من جهة البصر من حال التدوير فى الشكل وإضاءة جزء الجرم إلى حال التربيع فى الشكل وإضاءة كل الجرم ، ولا كان أيضا طلبه لتعلق وجوب الصوم بشرط الدقة فى الجرم المضيء أو الغلظة فيه ، إذ لو كان يطلب لمعرفة دقته وغلظته لكان من المحال أن يصوم الرائى إذا كان دقيقا والشرط غلظته . أو يصوم إذا كان غليظا والشرط دقته ، وكان هذا الشرط من الشكل واللون والدقة والغلظة غير موجود فى وجوب الصوم بطل[1] أن يكون تعلق وجوب الصوم بادراك الهلال بالبصر . وإذا بطل ذلك ثبت تعلقه بإدراك النفس إياه فى كونه أمام الشمس .

إذن قد قامت الدلالة على أن الإنسان قد يعرف من جهة الاستدلال مما أدركه من الذوات الجسمانية بحواسه ما لا يدركه بها ، وأن المراد فى طلب الهلال (لا)[2] لمعرفة ذاته ودقته وغلظته فيكون العلم لا يقع إلا بالبصر ، وأن تعلق الصوم برؤية النفس لا بغيرها . وأن أهل الدعوة فى أخذهم بموجب رؤية النفس فى دخولهم الصوم على منهاج قويم وصراط مستقيم .

ثم إن رؤية البصر قد يقع من جهتها الخطأ فى رؤية الأشياء على حقائقها من أعراضها فيرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا والدقيق غليظا والغليظ دقيقا . وربما لا يرى إلا من قريب أو لا يرى إلا من بعيد ، ولا تكاد رؤية العلم تخطىء فيما تحيط به . والأخذ بما لا يخطىء فى قضاء الفرائض عند أولى الألباب أحق من الأخذ

---

(١) جواب لما فى أول الفقرة .

(٢) ليست فى الأصل .

بما يخطىء فاذن أهل الدعوة المادية فى دخولهم الصوم أخذا بما لا يخطىء على بيان وحقيقة .

ثم إن قول النبي (ص) : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فى الظاهر لا يخلو من وجهين :

إما أنه (ص) أراد بقوله ذلك أن يكون صوم الأمة من وقت رؤية الهلال عيانا كقول المخالفين .

أو يرى الهلال والأمة صائمة كقولنا .

فإن كان النبي (ص) أراد أن يكون صوم الأمة من وقت رؤية الهلال بالبصر . فما معنى قوله (ص) « لرؤيته » ؟ وما السبب فى اقتصاره (ص) من جميع وجوه الإعراب مع افتخاره وقوله : « أنا أفصح العرب ولا فخر على اللام دون الحروف الأخرى التى هى تستعمل فى الإعراب ؟ وهل كان استعمال النبي (ص) فى هذا الموضع بقوله : « لرؤيته » من دونها إلا لأن تكون الأمة صائمة عند روية الهلال بالبصر ؟ وذلك أن المعنى فى اللام المستعمل والمراد فيه أن يكون الفعل متقدما على المفعول له مثلما يقال لجماعة : أصلحوا الشيء الفلانى لمجيء فلان . بمعنى أن يكون الشيء مصلحا وقت مجيئه . ومثلما يقال : ألفوا لقاء فلان شعرا تقرءونه عليه بمعنى أنهم يلقونه والشعر مؤلف مقول . لا أنهم يؤلفونه من وقت لقائه . ومثلما يقال اعملوا للآخرة بمعنى أن تقدموا العمل قبل حين الآخرة . فمعلوم أن فى الآخرة لا عمل[1] .

فاذن بهذه الشواهد قد صح أن حرف اللام لم يستعمل إلا لأن يكون القوم صائمين عند رؤية الهلال عيانا .

وإن كان مراد النبي (ص) أن يرى الهلال والأمة صائمة فهو ما قلناه وأثبتنا البرهان عليه .

فان عارضنا معارض فقال : ما تنكرون أن يكون اللام من قول النبي (ص) : (لرؤيته) كاللام من قول الله عز وجل : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » فلا[2]

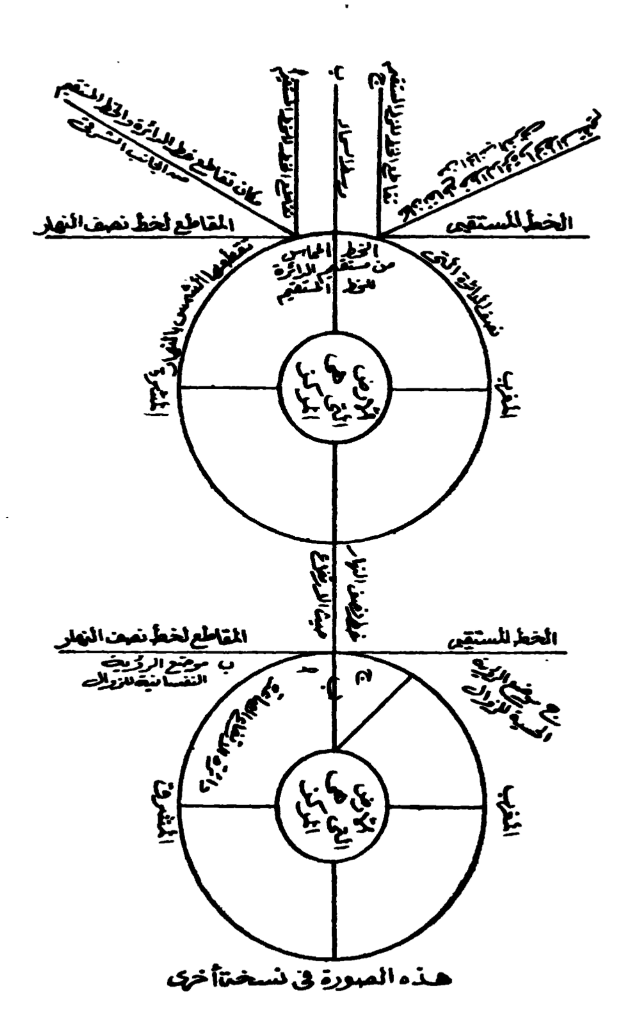
(١) هذه اللام لها عدة معان منها إفادة معنى (بعد) راجع الاتقان ١ — ١٧٠ .

(٢) الاسراء : ٧٨ .

يجب تقديم الصوم على الرؤية ، كما لا يجب تقديم الصلاة على دلوك الشمس .
قلنا : إن القول فى (لام) قول الله عز وجل « لدلوك الشمس » كالقول فى (لام) قول النبي (ص) : « لرؤيته »[1] وذلك أن دلوك الشمس زوالها من قبة السماء على ما فسر . وإدراك الزوال إدراكان : إدراك نفسانى وإدراك طبيعى . والإدراك النفسانى يتقدم على الإدراك الطبيعى ، وذاك أن زوالها بالحقيقة فى قبة السماء لا تدركه إلا الرؤية النفسانية من جهة العلم ، لأن الرؤية الطبيعية تضيق عن إدراكه إلى أن تفارق[2] نقطة السمت هابطة[3] ، وتحصل من نطاقها فى الهبوط عند تقاطع خط الدائرة والخط المستقم على ما بيناه فى هذه الصورة ليعاين ، فحينئذ يدركه الحس[4] لأن حركة الشمس وظلها إنما يقع تحت الحس بارتفاعها فى الدائرة عند طلوعها من مشرقها وهبوطها فيها إلى مغربها . فما كان لها ارتفاع وهبوط فالحس يدرك انقباض الظل وزيادته . وإذا حصلت فى السمت حيث لا ارتفاع[5] لها وهى إلى الزوال والهبوط فالحس يكل عن إدراك سيرها وحركتها ، لأنها قد حصلت فى السمت عند الزوال بحيث تخفى حركتها عن الحس وتغيب عنه ، فيقدر من لا علم له أنها قد وقفت ، وإنما خفى ذلك عن الحس ، لأنها قد سامتت الموضع الذى هى منه فى أبعد بعد علوا عليه . وصارت حركتها فى ممرها فى السمت من خط الدائرة على خط مستو منها حيث يماس سطح خط الدائرة الخط المستقم . وهو من موضع خط (ألف) الدائرة مكان تقاطع خط الدائرة والخط المستوى من الجانب الشرقى إلى خط (ج) من الجانب الغربى[6] ، فلا يتبين للحس انتقاص الظل وزيادته ، إذا انتقاصه وزيادته إنما يكون بالارتفاع فى العلو والهبوط . وليس هناك للشمس ارتفاع ولا هبوط . بل هى فى خط مستوى .

---

(١) لام لدلوك بمعنى (بعد) : الاتقان ١–١٧٠
(٢) فى الأصل : يفارق والضمير راجع إلى الشمس
(٣) فى الأصل : هابطا .
(٤) يقصد الزوال .
(٥) أى حيث لا تأخذ فى الارتفاع بعد ذلك ولكنها تبدأ فى الزوال ثم الهبوط .
(٦) فى الأصل : جانب المغربى .



هذه الصورة فى نسخة أخرى

فاذا كان ذلك كذلك فالزوال الحق الذى تجب به الصلاة عند حصول قرص الشمس من خط الدائرة فى خط (ب) المرئى بالرؤية النفسانية الذى هو علامة خط النصف مما يقطعه بالنهار ، لاعند حصولها فى خط (ج) المرئى بالرؤية الطبيعية الذى هو أكثر من النصف ، فان من وقت بلوغها خط(ب) تأخذ فى الهبوط وإن كان حسنا ليس يدرك ظلها ولا حركتها بمكانها وحصولها فى خط مستو ، ولا يتبين ذلك للحس إلا بعد حصولها فى تقاطع خط الدائرة والخط المستوى .

فاذا كان الكلام فى (لام) « لدلوك الشمس » كالكلام فى (لام) «لرؤيته» وجب أن يكون الظل إذا فاء فالمصلى فى صلاته كما أن الهلال إذا أهل وأدركه الحس فالصائم فى صومه ، ليكون أحوط فى أداء الفرائض . وبهذه الشواهد قد بطلت معارضته[1] .

فاذا قال قائل : إذا كان الأمر على ماذكرته وكان الصوم يلزم بالرؤيةالنفسانية بما أوردته ، فما معنى قول النبي (ص) : « فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما ؟ وهل ذلك إلا إيجاب رؤية العين ؟ قلنا : إننا و إن كنا قد أثبتنا رؤية نفسانية بما أتينا من الشواهد ، وأنها أشرف وأحرى فى الأخذ بها فى أداء الفرائض فما دفعنا حكم[2] رؤية العين ، لأن هاتين الرؤيتين أصلان فى أداء الفرائض وأحدهما أفضل من الآخر ، والأفضل للخاصة الذين[3] يتقدمون بعلمهم على غيرهم وهم أولو العلم ، والآخر للعامة[4] الذين يلزمهم بجهلهم اتباع أهل العلم ، وهم العراة من الفهم .

والحال بين الرؤيتين مثل وقتى الصلاة اللذين أولهما أفضل من الآخر ، ومثل الأمور كلها بأنها أمران خفى وظاهر ، فالخفى لا يعرفه إلا الخواص والظاهر يعرفه الخاص والعام جميعاً ، ويلزم الخواص القيام بلوازم ما قد علموا كما يلزم العوام القيام باللوازم مما عرفوه .

وإذا كان ذلك كذلك فما تنكر أن يكون العالم بفضل علمه يلزمه الصوم بالرؤية النفسانية الخفية ،والجاهل يلزمه اتباع العالم فى ذلك ، كما أن المتسحر العالم بعلمه الخفى

(١) هذه مغالطة واضحة .

(٢) فى الأصل : فا دفعنا رؤية حكم رؤية العين .

(٣) فى الأصل و الأفضل للخاص الذى .

(٤) فى الأصل : العام .

يعلم أن الفجر قد طلع ، ويحرم عليه الأكل والشرب والنكاح ، ويلزمه الصوم ، وعلى المتسحر الجاهل بالفجر الاقتداء بالعالم فى ذلك .

وقول النبي (ص) : « فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما » لايكاد يصح عند الاعتبار أن مراده (ص) رؤية العين . وذلك أن الصوم برؤية البصر مع ارتفاع الموانع من سحاب وغيره لايكاد يكون أبداً ثلاثين يوما ، فقط يكون تسعة وعشرين يوما .

وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون النبي يحمل أمته فى أمر من أوامر الله تعالى على قاعدة قد يحدث فيها شك ، فتكون علة لزيادة فى فريضة أو نقص منها ، وتصير أمته فى أدائها فى عشواء ، ولا أن يأمر أمته بصوم يوم زائد فى شهر من الشهور الناقصة بحدوث غيم ، لو لم يكن[1] لكان يعلم أن ذلك اليوم يحرم الصوم فيه ويجب[2] الإفطار ، لأن الصوم عبادة الله . وهو من الدين الذى يدان الله به . والعباد مأمورون بالإخلاص فيه بقول الله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين[3] » . والإخلاص غير الشك والشبهة[4] .

وإذا كان الإخلاص غير الشك والشبهة ، وكان الشك والشبهة قد أخلتا بهذه القاعدة فنقول : إن النبي (ص) لم يدع أحدا من الناس فى عبادة الله إلى الشك ، ولا إلى ماعنه تقع الشبهة . وإذا كان النبي (ص) لم يدع إلى الشك والشبهة ، فاقتصاره من أيام الشهر على الأكمل والأتم من دون الأنقص والأقل مع جواز كون أيام الشهر أن يكون ناقصاً بموجب رؤية البصر ، ووقوع الشك فيه لم يكن إلا للدلالة على رؤية النفس التى لاتزيد أعدادها ولا تنقص ، والحث على الأخذ بما دعا الله تعالى إليه من إكمال العدة بقوله : « ولتكملوا العدة » .

ثم نقول : من أين الثقة للقوم الذين يكون صومهم عند حدوث غيم ومانع على موجب ذلك بأن اليوم الذى عدوه من رمضان أو من شعبان بغيم يكون فى

---

(١) أى الغيم .

(٢) ليست موجودة فى الأصل .

(٣) البينة : ٥ .

(٤) فى الأصل : والاخلاص له الدين ، والإخلاص غير الشك والشبهة .

السماء هو كما عدوه وحسبوه ؟ وذلك اليوم بعينه عند قوم آخرين مثلهم من مذهبهم فى الأخذ برؤية البصر بخلافه بارتفاع الموانع عندهم من سحاب وغيره مثلما يكون مثلا بكرمان غيم فيكون صومهم بخلاف صوم أهل شيراز الذين لا يكون مثلا عندهم غيم . ولو جاز أن يكون وقت الصوم فى أهل إقليم واحد يتفاوت حتى إنه يجب على قوم الصوم فى يوم وعلى قوم آخرين فى غد ذلك اليوم لجاز أن يكون وقت الصلاة أيضاً فى أهل بلد يتفاوت[1] حتى تكون الصلاة الواحدة تلزم واحداً فى وقت[2] ، ويكون تلزم تلك الصلاة بعينها آخر فى وقت آخر .

ولما كان ذلك غير جائز ، إذا الصلاة إذا جاء وقتها لزم الأمة إقامتها ، أقامها من أقام ، وتركها من ترك ، لزم الصوم أيضاً الأمة إذا جاء وقته صامه من صام وأفطر فيه من أفطر .

وإذا كان ذلك كذلك فقول النبي (ص) ما قاله دلالة منه (ص) – حين علم أن الخطأ قد يقع فى رؤية العين – على ما[3] يقع فيه الخطأ من رؤية النفس التى هى العلم ، وعدتها التى هى من قضاياها المندوب[4] إليه من إكمال العدة .

ثم إن قول النبي (ص) : « فان غم عليكم فعدوا الثلاثين يوما » يقضى فى دخول الصوم أن يكون العد من أيام شعبان ، وفى الخروج منه بالإفطار أن يكون العد من أيام رمضان .

ومعلوم أن العد غير ممكن إلا بحصول أعداد ومعرفة بأولها ، ثم معلوم أنه قد يقع فى الأكثر أن لايرى الهلال فى أوائل الشهور لموانع تمنع البصر عن رؤيته خاصة فى الموانع الكثيرة الهواء مثل طبرستان ، وجيلان والسواحل وجزائر البحر . وإذا كان ممكنا أن لايرى الهلال فى أول شعبان بالعين ، ولا يرى لعارض يقع ولا يعلم أوله , فكيف يعد منه ، أم كيف يعد من رمضان ثلاثون وأوله لم يتحقق؟

---

(١) المقارنة بالصلاة هنا لا موضع لها .

(٢) فى الأصل : يوم .

(٣) يقصد بقول النبى هنا الحديث المتقدم والآتى بعد ذلك (فان غم) وحديثة هنا عن الرؤية النفسية وأنها إذا وقع فيها خطأ أو عدم يقين بآخر الشهر فيكمل الشهر ثلاثين يوما .

(٤) العبارة مضطربة ، وقد يكون فيها سقط . وعلى أية حال فنفرضه منها أن عجز الحديث يؤكد أيضا أن الرؤية النفسية هى المرادة .

وحمل هذا الخبر على أن المراد فيه روئية العين يقتضى أن يكون النبي (ص) قد أوقع أمته فى الخلاف ، ودعاهم إلى مالا استطاعة لهم فيه من عد أيام شهر لايعلم أوله ، ولايرى الهلال فيه والله تعالى يقول : « لايكلف الله نفسا إلا وسعها » .[1]

ولما كان ذلك غير متوهم فى النبي (ص) ، وهو منزه عنه ، متقدس من أن يكلف عباد الله مالا يستطيعونه ، وأن يوقعهم فى الخلاف وجب أن يكون الخبر « فان غم عليكم فعدوا ثلاثين يوما » غير صحيح[2] . أو إن كان النبي (ص) لو قد قاله فالواجب أن يؤخذ بالوجه الذى يصح ويحسم مادة الشناعة دونه لاغيره . وإذا كان ذلك واجبا ، وكانت الشهادات قد قامت على أن الصحيح المندوب إليه الخلق روئية النفس العلمية[3] قلنا : إن الكلام إذن أسفر عن أن المراد غير رؤية العين وأن العوام الأقلاء المعرفة عليهم الاتباع ، وبطلت المعارضة فى ذلك .

ثم نقول : وأى شىء من الشريعة التى جاء بها محمد (ص) مما هو من دعائم الإسلام جعل أمره إلى الأمة الغير المعصومة الواقعة تحت الزلل والخطأ الصلاة[4] أم الصوم أم الزكاة أم الحج أم الجهاد حتى يكون الصوم أيضاً موكولا إليهم فى طلب هلاله ومعرفة أوقاته . أليس الصلاة عماد الدين ، ووجه الإسلام ، وجميع أعمالها[5] من تكبيرة الإحرام والقراءة والركوع والسجود والتسليم موكولا إلى الإمام القائم مقام الرسول فى الصلوات بالناس من دون المأمومين (الذين عليهم[6] اتباع الإمام فى هذه الأعمال من غير أن يتبعوا مرادهم فى تقديم عمل من أعمالها أو تأخير واحد فيها ، ومن فعل منهم ذلك فى تقديم أو تأخير فصلاته خداج[7])؟ . أليس الزكاة جبايتها إلى الإمام القائم مقام الرسول (ص) وكذلك تركها والعدول بها

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٢) الحديث صحيح . راجع على سبيل المثال صحيح مسلم باب الصوم .

(٣) فى الأصل : العلمى .

(٤) فى الأصل : إلى الصلاة .

(٥) فى الأصل : أعماله .

(٦) التكملة من عندنا .

(٧) أخدج الرجل صلاته إخداجا إذا نقصها ومعناه أتى بها غير كاملة وفى التهذيب عن الأصمعى الخداج النقصان وأصل ذلك من خداج الناقة إذا ألقت ولدها لغير تمام الحمل (مادة خدج فى المصباح المنير) .

عنه غير جائز وتفرقة ما يحصل منها فى المستحقين إليه من دون الأمة كما كان أيام النبي (ص) ، ومن أعطى زكاته غير القائم مقام الرسول (ص) فعليه قضاؤها ثانياً كما أن واحداً لو أعطى زكاته فى أيام النبي (ص) غيره لكان يلزمه أن يؤديها ثانياً إليه ، لوضعه إياها غير موضعها ؟ . أليس الحج لا يتم إلا بالإمام الذى يتقدم على الجماعة فيلزمهم أن يتبعوه فيما يفعله من المناسك ، ومن ينفرد بتقديم أحد المناسك على الآخر أو[1] تأخيره فحجه خداج ؟ . أليس تدبير الجهاد فى سبيل الله إلى المتولى[2] لأمر المسلمين المجاهدين فى حفظ نظامهم ، وجمع شأنهم ، والتقدم بهم فى القتال ، والرجوع وطلب المصالحة فى الهدنة والقتال ، وعلى الأمة المجاهدة اتباع منه[3] بأمر الله من دون اتباع أهوائهم فى الصلح والقتال . ومن فعل شيئاً من ذلك بغير أمره ، وسفك دما بغير إذنه فهو مأخوذ به ؟

وإذا كان ذلك كذلك وكانت أصول الإسلام موكولة إلى من يحفظها وعلى الأمة أن يتبعوه فيها ، فمن أين جاز لهؤلاء القوم أن يتبعوا فى دخول الصوم الذى هو من الأصول أهواءهم من غير اتباع للقائم مقام الرسول (ص) فيه ؟ وهل فعلهم ذلك ودخولهم الصوم باجتهادهم الذى يؤديهم إلى إيجاب ما ليس بفريضة فريضة وترك فريضة أو عدها سنة إلا تجريا على الله تعالى أو خروجا من عصمة الأمر ؟ نعوذ بالله من ذلك .

فإن قال قائل : على أصلك الذى أصلته فى دخول الصوم الذى هو الاجتماع والمفارقة[4] يجب أن يكون يوم يتفق فيه[5] الاجتماع والمفارقة بعضه من شعبان وبعضه من رمضان ، ويلزم صوم ذلك البعض ، وهذا خلف لم يأمر به النبي (ص) . قلنا : إن النبي (ص) فرض الفرائض عن الله تعالى ، وجعل لكل فريضة منها علتين بهما تجب وتفترض : إحداهما علة سابقة بها تصح العلة الثانية التى تتبين بها

---

(١) فى الأصل : وتأخيره .

(٢) فى الأصل : التولى .

(٣) فى الأصل : منهم ، والمقصود اتباعه .

(٤) يقصد أنه جعل الأصل فى دخول الصيام مستندا إلى اجتماع الشمس مع القمر ومفارقتها .

(٥) أى اليوم الذى يتفق فيه الاجتماع والمفارقة .

إحدى الفرائض من الأخرى ، وهى عامة بمعنى أن تلك العلة السابقة علة لها ولغيرها من الفرائض ، فلا يؤخذ فى أدائها بها إلا بالثانية . وثانيتهما[1] تالية للعامة وهى خاصا بمعنى أنها تختص بتلك الفريضة من دون غيرها ، وبها تنفصل عما سواها ، وذلك مثل الصلاة الأولى التى فرضها الله فى النهار لا فى الليل ، فقلنا : إن هذه الصلاة لما كانت لا تفترض إلا بالنهار والنهار علة لها سابقة عامة بمعنى أنها علة لهذه الصلاة ولغيرها من الصلوات التى تقضى بالنهار ؛ ثم لما لم تكن هذه الصلاه تفترض مع حصول هذه العلة المتقدمة التى هى النهار إلا عند زوال الشمس عن القبة قلنا : إن هذه علة ثانية بها تفترض ويؤخذ فى أدائها ، وهى خاصة .

ومثل الزكاه التى فرضها فقلنا : إن الزكاه لما كانت لا تفترض إلا عن المال فالمال علة لوجوب الزكاة ، وهى علة سابقة عامة . ثم لما لم تكن تفترض الزكاة مع حصول العلة المتقدمة التى هى المال إلا بحول الحول عليه فالحول علة ثانية بها تجب ويؤخذ فى أدائها ، وهى خاصة .

ومثل الحج الذى فرضه فقلنا : إن الحج لما كان لا يفترض إلا بامكان علة له وهى سابقة عامة ، ثم لما لم يكن يجب أن يحج مع حصول الإمكان الذى هو العلة المتقدمة إلا فى اليوم الأكبر بمكه فقلنا : إنه علة ثانية بها يؤخذ فى قضائه ، وهى خاصة .

ومثل الجهاد الذى فرضه الله تعالى على الأمة فقلنا : إن الجهاد لما كان لا يفترض إلا بحصول الخلاف وقيام منار العصيان والنكول عن الطاعة ، فالخلاف علة سابقة عامة ثم لما لم يكن يفترض الجهاد مع وجود الخلاف والنكول عن الطاعة إلا بقيام القائم مقام الرسول (ص) رئيس القوم يقود الأمة إلى القتال ، قلنا إنه علة ثانية ، وهى خاصة .

ولما كان ذلك كذلك قلنا : إن الصوم له أيضاً علتان إحداهما سابقة عامة وهى مفارقة القمر الشمس ، وثانيتهما خاصة[2] وهى وقت طلوع الفجر الذى يجب فيه الدخول فى الصوم ، فكما أنه لم تفترض الصلاة مع كون النهار إلا عند الزوال ، وذلك وقته ، ولا الزكاة مع كون المال إلا عند حول الحول عليه وهو وقته ، ولا الحج

(١) فى الأصل وثانيهما .

(٢) فى الأصل : أحدهما سابق عام وهو مفارقة القمر الشمس وثانيهما خاص وهو .

مع حصول الإمكان إلا بمكة فى اليوم الأكبر وهو وقته ، ولا الجهاد مع كون الخلافة إلا بالرئيس المدبر القائم مقام الرسول خليفة رب العالمين وهو عماده ، كذلك الصوم لا يفرض مع كون مفارقة القمر الشمس إلا عند الفجر بعدها وهو وقته . فاذن بطل قوله فى معارضته أن بعضه من شعبان وبعضه من رمضان ، وأنه يجب صوم ذلك البعض .

والذى يزيد إيقانا بذلك مع قيام البراهين عليه من الظاهر الشهادة العظمى التى هى الناطقة بصدق رسول الله (ص) فيما جاء به عن الله تعالى من توازن ما وضعه من الشريعة والرسوم الدينية مع ما خلقه الله وفطره من الآفاق والأنفس المنصوص عليه بقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » الذى ليس فى استطاعة بشر أن يحاكيه فى فعله إلا من كان لجسده فى حظيرة القدس نسبة ؛ ولنفسه فى قبول وحى الله تعالى تهيؤ وأهبة إذا رجع إلى التأويل الذى هو أحد القسيمين اللذين أمر الله تعالى نبيه (ص) بدعاء عبيده فى عبادته إليهما[1] بقوله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة » التى تنقسم إلى : العمل الذى هو العبادة الطبيعية الظاهرة المختصة بالأبدان الطبيعية من جهة أداء الفرائض والسنن التى جاء (ع) بها المقتضية للتأويل الذى هو العلم . وإلى العلم[2] الذى هو العبادة العظمى النفسانية الخفية المختصة بالأنفس الخفية من جهة اعتقاد الحقائق فى كيفية تجريده توحيده تعالى المؤيدة للعبادة الطبيعية الظاهرة التى هى العمل . وذلك أن الشمس فى الدعوة التأويلية جعلت فى كونها أشرف الأجسام وأضوأها ومادة لغيرها فى الضوء ، وسبباً لنشوء المواليد فى عالم الطبيعة ، وعلة يتعلق بها أسباب العالم كلها دليلا[3] على معرفة مرتبة النبى (ص) فكما أن الشمس أشرف الأجسام كلها وأضوؤها فكذلك نفس الناطق أشرف الأنفس وأعلمها وكما أنها مادة لغيرها[4] من الكواكب فى الضوء فكذلك نفس الناطق[5] (ع) مادة لأنفس البشر فى العلوم الإلهية المؤدية إلى التوحيد المحض ، وكما أنها سبب لنشوء

(١) يقصد بالقسيمين الظاهر والباطن الذى هو التأويل . وفى الأصل : هو القسيمين اللذين .

(٢) فى الأصل : العمل .

(٣) فى الأصل : دليلة .

(٤) يقصد الشمس .

(٥) الناطق عندهم هو النبى عليه السلام وله رتبة التنزيل راجع مراتب الحدود فى كتاب أدب مصر الفاطمية ص ٤٠ .

المواليد في عالم الطبيعة فكذلك النبي (ص) سبب لنشوء المواليد الروحانية في عالم النفس ، وكما أنها علة يتعلق بها أسباب العالم الجسماني فكذلك النبي (ص) علة يتعلق بها أسباب عالم الدين الذي هو عبادة الله ، هذا في الجسم وهذا في النفس .

والقمر في كونه دون الشمس مرتبة وقابلا من ضوء الشمس أكثر من غيره من الكواكب ومضيئا لظلام الليل ومتوسطا في نشوء المواليد بينها وبين الشمس بالقبول والإفاضه جعل دليلا على مرتبة الأساس[1] ، وكما أن القمر مرتبته في الضوء دون الشمس فكذلك مرتبة الأساس في قبول ضياء عالم الإبداع دون النبي (ص) ، وكما أن قبوله من ضوء الشمس أكثر من قبول غيره فكذلك قبوله من الناطق (ع) ضوء ما امتد إليه من بركات توحيد الله أكثر من غيره من القابلين ، وكما أنه مضيء لظلام الليل فكذلك الأساس مبين عما جاء به النبي (ص) من الرموز المنغلقة[2] والشريعة المبسوطة والأمثال المضروبة ، وكما أنه واسطة بين الشمس وغيرها في نشوء المواليد فكذلك الأساس واسطة بين الناطق وبين الأمة في نشوء المواليد في عالم النفس بالإفادة والاستفادة فاذن قد توازن أحوال الشمس والقمر الجسمانيين في عالم الجسم مثل أحوال الشمس والقمر الروحانيين في عالم الدين .

ثم نقول : إن للقمر أحوالا فنها أنه إذا اجتمع مع الشمس أضاء نصف جرمه الأعلى مما يلي الشمس وهو ما يقوله المنجمون إنه تمتد إليه قوة بها يصير إلى الكون جميع مايكاد أن يكون من الأحداث والأكوان إلى الإجتماع الثاني تقديراً من العزيز العليم كالوزير مثلا إذا اجتمع مع الملك فيأمر الملك من أمر المماكلة مما يقوم مقامه في إمضائه إذا خرج من عنده ، وذلك كتعليم الرسول (ص) الأساس (ع) ما أراد أن يعلمه إياه ليقوم مقامه في الهداية والتعليم ، واستفادة الأساس منه أيامه من غير أن كان يفيد قبل الإشارة[3] ، ولذلك أشار النبي (ص) إلى علي بن أبي طالب (ص) فقال : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب .

---

(١) الأساس عندهم هو الوصي وله رتبه التأويل وهو الإمام علي رضي الله عنه راجع مراتب الحدود في كتاب أدب مصر الفاطمية ص ٤٠ .

(٢) النبي عليه السلام لم يأت برموز منغلقة ، فالقرآن الذي نزل عليه إنما نزل بلسان عربي مبين وأحاديثه عليه السلام عربيه فصيحة ليس فيها الغامض وكان أصحابه يسألونه أحيانا عما يحتاج إلى تحديد أو تفصيل فكان يخبرهم بما يسألون عنه سواء في القرآن أو في الحديث .

(٣) يقصد غير الذي كان يفيده الوصي من النبي قبل الإشارة بالنص عليه بالوصاية أو قبل الإشارة إليه بأنه باب علم النبي .

ومنها خفاؤه بعد المفارقة عن رؤية العامة من الناس بكونه تحت ضوء الشمس إلا عن رؤية أولى العلم ، وذلك كخفاء أمر الأساس — فيما يقرر له من مرتبته وافتراض طاعته بالإشارة إليه — عن أولى الجهل والعامة إلا عن أولى الفضل والاختصاص .

ومنها إهلاله وظهوره عند حصول الشمس فى مغربها حتى يراه الكبير والصغير وذلك كظهور أمر الأساس بما كان من الناطق بالنص عليه وافتراض طاعته عند لما حان انتقاله من العالم حتى عرف الصغير والكبير .

ومنها أنه لايكون له ضوء بالنهار بحصول قرص الشمس فوق الأرض إلا بعد غيبوبتها وذلك كالأساس الذى لايكون له أمر فى حياة الناطق إلا بعد انتقاله من العالم .

ومنها أن يكون فى بدء ظهوره ضعيفا لايراه إلا من كان قوى البصر ويقع الخــلاف فى رؤيته بين الناس وذلك لضعف أمر الأساس فى بدء وقته ، وحدوث الاختلاف فى إمامته ، ونكول الجـــماعة عن التزام طاعته إلا من كان ذا إخلاص ومعرفة .

ومنها ازدياد ضوئه على مرور الأيام وذلك كاستعلاء أمر دعوته وفشاء إمامته فى الناس على تصرم الأعوام .

ومنها استكمال ضوئه عند مضى الأربعة عشر يوما منه فيراه الصغير والكبير ، ولا يشك فى رؤيته ، وذلك كانتهاء ضوء إمامته إلى الأمة قاطبة عند مضى المثانى السبعة فى آخر الدور فلا يشك أحد حينئذ فى إمامته وتقدمه .

ثم إيجاب أهل العلم والإيمان اليوم الذى يكون فى الاستتار بعد المفارقة من الشهر المستقبل[1] كاستفراض من كان ذا إيمان صحيح بما عرفه من إشارات النبى (ص) على الخصوص طاعة أمير المؤمنين قبل أن ينص عليه فى الظاهر على العموم ، وإيجاب أهل الجهل والعامة ذلك اليوم المفترض صومه من الشهر الماضى الغير المفترض صومه بقلة معرفتهم وإخلالهم بصومه إلى أن يروا الهلال بالعين كإيجابهم محل الأساس

(١) فى الأصل : المستقل ويقصد اليوم الذى لايرى فيه الهلال ، والذى يحسب — حسب مذهبهم — من رمضان .

المفترض طاعته كمحل غيره ممن لم تفترض طاعته لا باشارة ولا بنص ، وإخلالهم بطاعته جهلا منهم بوجوبها عليهم إلى أن تظهر لهم حقيقة إمامته[1] .

فشهر رمضان من بين أشهر السنة أشرفها وأعمها خطراً وهو الأساس المقدم على غيره من الأصحاب الذى شرف بمرتبة البيان والتأويل الذى هو العلم ، ودل عليه بالإشارات. وهو مجمع لعلم جميع ماجاء به النبي (ص) عن الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ليكون دلالة عليه . فانا قد علمنا أن القرآن نزل فى ثلاث وعشرين سنة لا دفعة واحدة فى شهر رمضان بل كل يوم وشهر وسنة . وحمل الآية على ظاهر اللفظ يوقع الخلاف ، ولمثل ذلك احتيج إلى التأويل ، ليصح قول الله عزوجل وقول الرسول (ص) . ولزوم صومه وافتراضه عند رؤية الهلال من جهة النفس لأهل العلم أولا ، ومن جهة الحس لأهل الجهل آخرا كافتراض طاعة الأساس عند ارتقاء[2] النبي (ص) إياه إلى هذه المنزلة ودلالته عليه بالإشارات — على أولى العلم والمعرفة أولا ، وبالنص والتوقيت على العامة آخراً ، وكوجوب الإمساك عن الترخيص فى المفاتحة والتعليم مع كونه مقدما على الجماعة ، ولذلك قال تعالى : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » منعا للجماعة عن التعدى إلى ما يحرج[3] حكم الله ويضيقه ولا يوسعه من التقدم على الرسول فى وقته وعلى الأساس والقائم مقامهما فى حينهم ليتبين الإمام من المأموم والرئيس من المرءوس .

ثم قال : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وذلك إشارة من الناطق للأمة التابعة له فى اتباع الأساس وفى الإنصات لقوله بمعنى[4] أن من حضر مجلس الأساس فى علم الظاهر والباطن فليسكت ، فهو الممنوح المتبوع المشرف المقدم المفوض إليه أمر الدين لاغير ، وذلك دليل على أن القوم قد كانوا قبل افتراض طاعته يتفاوضون فى باب الدين والعلم كيف أرادوا فمنعوا عن ذلك ، كما أن قبل الصوم

---

(١) ربط بين إيجابهم صوم اليوم الذى يحكم علمهم أورؤيتهم النفسية بأنه من رمضان قبل الرؤية البصرية وبين التصديق بوصاية على قبل أن ينص النبى على وصايته حسب معتقدهم فى الوصاية .

(٢) كذا فى الأصل : والصواب ترقية .

(٣) فى الأصل : يخرج وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : بمى وهو تحريف .

ووجوبه كانوا يأكلون كيف أحبوا فنعوا عنه باقتراض الصوم ، وذلك كأمر النبي (ص) فى باب النكاح فقال : لانكاح إلا بولى وشاهدين » الدال على أنه قد كان يكون النكاح بلا ولى ولاشاهدين وهو المتعة ، كيف أحبوا فى أول الإسلام فنعوا عنها بذلك(1) .

ثم قوله : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » هو استثناء من جملة من شهد الشهر ، يعنى أنه قد اقترض على الناس كلهم إذا حضروا مجلس التأويل المنسوب إلى الأساس السكوت إلا من كان كلامه على سبيل الاستفادة من شاك ومتعلم ، ثم يلزم السكوت من بعد على الرسم إذ كان حضور ذلك المجلس هو الصلاة النفسانية العلمية ، وواجب أن يستعمل فيها ما يجب فى الصلاة العلمية من الآداب والسنن وإقامة الأحكام . وقد أوردنا فى الرسالة الحاوية من ذكر الصوم أيضاً طرفا على شرح وإيضاح بقدر ما تناهى إلينا من الفوائد من جهة ولى الله (ع) .

وأما شهر رمضان سنة أربعمائة واتفاق دخول أهل الحق فى صومه قبل رؤية الهلال بالعين بيومين مع المتعالم أنه لم يكن فيما مضى من التفاوت بين صوم أهل الحق وصوم أهل الخلاف إلا يوما واحداً فالأمر — لعمرى — يشتبه إلا على العقلاء وذلك أن الإجتماع الكائن فى شهر رمضان اتفق فى ليلة الثلاثاء برؤية البصر لاستعلاء الضوء على جرمه ، فإنه كان منها فى وقت غروبها على ست درج ودقائق ، وعلى مثل هذا البعد الذى هو نصف جرمه الأعلى لا يلحقه البصر لحصوله تحت الشعاع المانع للبصر عن عمله ، فلم يجز الإفطار فى ذلك اليوم الذى كان القمر من الشمس فى آخره على مثل تلك الدرج ، فلو أفطر لكان الذى يمكن أن يصام من شهر رمضان تسعة وعشرين يوما ، لأن الاجتماع للشمس والقمر لشهر شوال كان ليلة الأربعاء على ساعتين ودقائق منها فكان يوم الأربعاء يوم العيد المحرم صومه ، ولكان الإخلال بفريضة من الفرائض قد وقع إذ شهر رمضان ثلاثون يوما من غير نقصان يقول الموالى (ع) : « ماتم شعبان ولا نقص رمضان(2) » .

---

(1) إشارة إلى تحريمهم نكاح المتعه .

(2) المؤيد الشيرازى أورده على أنه حديث فى المجلس ٤٢ من المائة الأولى من المجالس المؤيدية . ولكن ورد فى الأحاديث الصحيحة أن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوما (صحيح مسلم باب الصوم) وليس شرطا أن يكون رمضان ثلاثين يوما عند أهل السنة . وقواعد رصد الفلك تؤيدهم .

وأدل الدليل على صحة دخولنا الصوم من يوم الاثنين قول النبي (ص) : يوم صومكم ويوم نحركم يوم واحد ، والنحر بالحرم يوم الاثنين العاشر من ذى الحجة سنة اربعمائة على موجب رؤية العلم وهو التاسع منه على موجب رؤية العين ، والأمر على ذلك مستمر فى كل عام كما قال (ع) من غير خلاف يقع .

فان قال قائل إن ما أوردته من حديث الشمس والقمر والدرجات والبعد والساعات ، وجعلته حجتك ودليلك هو من علم النجوم ، وقد نهى النبي (ص) عن الأخذبه والنظر فيه ، قلنا : كيف صار الاستدلال فى تحقيق وقت الصوم ومعرفته من طريق الشمس والقمر اللذين هما علة للشهور والسنين ، ولا يكون ذلك إلا بحركتهما ومسيرهما واجتماعها وافتراقهما لنا منهيا عنه , والاستدلال فى تحقيق القبلة وأوقات الصلاة ومعرفتها التى هى مثل الصوم بكونه من دعائم الإسلام من طريق منازل القمر وارتفاع الشمس بالمقائس التى نصبتموها لكم مأمورابه ؟ وهل ذلك إلا قسمة ضيزى ؟

هذا ولم يكن نهى النبي (ص) عن ذلك إلا للالحاد وذلك أن من ابتدأ طلب العلم بتعلم علم النجوم من غير أن يتقدمه العلوم الدينية الشرعية[1] أداه ذلك إلى الإلحاد على ما عليه اعتقاد أصحاب بطليموس والقائلين بالهيئة . فأما من تقدمه[2] العلوم الدينية الشرعية فالمعرفة بكيفية الأفلاك والكواكب فيما ركبت له تزيد النفس فى توحيد الله تعالى إيقانا [3] ويكسب تصورها فى وحدانيته إيمانا ، ولذلك قال تعالى : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون[4] » وقال : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق[5] » وليس الآفاق إلا السموات والأرض وما فيهما .

---

(١) يقصد أن من ابتدأ طلب العلم بتعلم علم النجوم من غير أن يكون قد سبق هذا العلم بتعلم العلوم الدينية الشرعية أداه ذلك إلى الإلحاد .

(٢) كذا فى الأصل : وهو يقصد فأما من بدأ بالعلوم الدينية الشرعية قبل علم النجوم فان تحصيله لهذا العلم حينئذ يزيده معرفة بتوحيد الله .

(٣) وهذا ما كان ينصح به المعز لدين الله . راجع المجالس والمسايرات ٥-٤ ، ١٥-٥ ، ٢٠ ، ١٠ ، ٢١-١ ، ٢٥-٥ ، ٢٧-٣ .

(٤) غافر : ٥٧ .

(٥) فصلت : ٥٣ .

ثم لو كان الأمر على ما قالوا لما أقسم الله تعالى بالنجوم ، ولما وصفها بالدلالة على وحدانيته فى كتابه بقوله تعالى : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً »[1] ولما أقسم فقال: « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم[2]» وقال: «فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس[3]» وقال: «فالمدبرات أمرا[4] » وقال : والسماء ذات البروج[5]؛ وقال: « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها»[6] وقال : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب[7]» فأى منقبة أجل من معرفة ثمرات الكواكب فى دوائرها ومواضعها فى أوجاتها وحضيضها الناطقة بصحة ما أسسه الله تعالى من دينه الشاهد بصدقه قول النبي (ص) فيما جاء به عن الله تعالى ؟ أم أى علم أجل بعد التوحيد ومراتب الحدود ومن علم ما يحدث بانتقالات الكواكب فى أبراجها جنوبا وشمالا واتصالات أنوار بعضها ببعض فى عالم الكون والفساد من ظهور المواليد وغيرها من الحوادث الدالة على — مراتب أولياء الله ؟ فهل تستوى الظلمات والنور أم هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ؟

فقد صح إذن مما أوردناه من الشواهد ظاهراً وباطناً أن الرؤية رؤيتان ، وأن الأخذ بالأفضل منهما فى أداء الفرائض أولى ، والنبي (ص) فى استعماله حرف اللام بقوله : « الرؤيته » هو الدلالة على رؤية العلم الذى يوجب أن يكون القوم صائمين عند رؤية الهلال بالبصر من دون غيره .

فاعرف — أعانك الله على طاعته وطاعة أوليائه — معانى ما أوردته ، واستعن

---

(١) الفرقان : ٦١ .

(٢) الواقعة : ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) التكوير : ١٥ ، ١٦ .

(٤) النازعات : ٥ .

(٥) البروج : ١ .

(٦) الشمس : ١ ، ٢ .

(٧) يونس : ٥ .

بالله فى جميع أمورك وتقرب إليه باخلاص النية والطوية فى عبادته وطاعته وطاعة أوليائه ، فنعم المعين على ما يراد معرفته من الحقائق ، واشكر الله تعالى على النعمة الواصلة إليك من جهة أمنائه .

وبعد فقد ختمت الرسالة بالحمد لله العلى الأعلى وبالصلاة على النبي محمد المصطفى والولى على المرتضى والأئمة الطاهرين أقمار الدجى وإمام الزمان مولانا وهادينا وولى نعمتنا المنصور أبى على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وبالسلام والتحيات الطيبات عليهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وإياه نسأل أن يثبتنا على طاعته وطاعة وليه وينور عقولنا بمنه وقدرته إنه خير مسئول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين

والسلام

تمت

مراجع التحقيق والدراسة

١ - ابن كثير تفسير القرآن العظيم . دار الشعب

٢ - تميم بن المعز ديوان تميم . بتحقيق لجنة من دار الكتب المصرية وأعاد نشره محمد حسن الأعظمى . دار الثقافة - بيروت ١٩٧١

٣ - ثقة الإمام المجالس المستنصرية بتحقيق محمد كامل حسين دار الفكر العربى ١٩٤٧

٤ - حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمى - مكتبة النهضة المصرية ط٢ سنة ١٩٦٤

٥ - السيوطى (جلال الدين) : الإتقان فى علوم القرآن . الحلبى ط٣ سنة ١٩٥١

٦ - المؤيد فى الدين الشيرازى : المجالس المؤيدية بتحقيق محمد عبد القادر (تحت الطبع) .

٧ - المؤيد فى الدين الشيرازى : ديوان المؤيد . بتحقيق محمد كامل حسين . دار الكاتب المصرى سنة ١٩٤٩

٨ - المؤيد فى الدين الشيرازى : السيرة المؤيدية . بتحقيق محمد كامل حسين . دار الفكر العربى سنة ١٩٤٩

٩ - الكرمانى (حميد الدين أحمد) إزاحة العقل . بتحقيق محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى دار الفكر العربى سنة ١٩٥٣

١٠ - محمد على السايس : تحديد أوائل الشهور القمرية . مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٩٧٢

١١ - محمد كامل حسين - : فى أدب مصر الفاطمية . دار الفكر العربى سنة ١٩٧٠

١٢ – محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية فى مصر . مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩

١٣ – مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم بشرح النووى . دار الشعب

١٤ – المقريزى (تقى الدين) : اتعاظ الحنفا ج ٢ بتحقيق محمد حلمى محمد أحمد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١

١٥ – النعمان بن محمد : دعائم الإسلام بتحقيق آصف علـى فيظى . دار المعارف سنة ١٩٦٩

١٦ – النعمان بن محمد : تأويل دعائم الإسلام بتحقيق محمد حسن الأعظمى . دار المعارف سنة ١٩٧١

١٧ – النعمان بن محمد : المجالس والمسايرات بتحقيق محمد عبد القادر (تحت الطبع) .

فهرس الموضوعات

(أ) فى الدراسة :

(ب) فى نص الرسالة :

فهرس المصطلحات
والألفاظ ذات الدلالات الخاصة عند الفاطميين

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

بسم الله الرحمن الرحيم

الموصول
فى
اللغات العربية والعبرية والسريانية

للدكتورة زاكية محمد رشدى
أستاذة اللغات السامية بآداب القاهرة

معنى الموصول :

معنى الموصول هو ما افتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما . فاذا تم بما بعد كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة فيجوز أن يقع فاعلا ومفعولا . ومضافا إليه ، ومبتدأ وخبرا . فتقول « نجح الذى ذاكر دروسه » فموضع الذى رفع على أنه فاعل ، وتقول « ضربت الذى قام أبوه » فموضعه نصب لكونه مفعولا ، وتقول « جاء فى غلام الذى فى الدار » فيكون الذى فى موضع المضاف إليه باضافة الغلام ، وتقول « الذى فى الدار زيد » فيكون الذى فى موضع رفع مبتدأ ، وتقول « زيد الذى أبوه قائم » فيكون الذى فى موضع رفع خبر المبتدأ .

لفظ الموصول :

١ — فى العربية : الذى للمذكر المفرد ، واللذان للمثنى ، والذين للجمع ، والألى واللاءون فى الرفع واللائين فى الجر والنصب ، والتى للمفرد المؤنث واللتان للمثنى واللائى واللات واللاى واللواتى للجمع .

أما الذى فيكون للمذكر العاقل ولغيره فمثال الأول قوله تعالى « أهذا الذى

بعث الله رسولا »[1] ومثال الثانى قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله »[2] .

ومنزلة الذى وحده منزلة حرف من الكلمة من حيث كان لا يفهم معناه إلا بضم ما بعده إليه فصار من مقدماته ولذلك كان لفظ الموصول مبنيا . فالموصول وحده اسم ناقص أى ناقص الدلالة . وفيه أربع لغات .

١ – الذى – بياء ساكنة وهو الأصل فيهما .

٢ – اللذِ – بكسر الذال من غير ياء كأنهم حذفوا الياء تخفيفاً . إذ كانت الكسرة قبلها تدل عليها وذلك كقولهم ياصاحب اجتزاء بها عن الياء

٣ – اللذْ – بسكون الذال ومجازه أنهم عندما حذفوا الياء اجتزاء بالكسرة منها اسكنوا الذال للوقف ثم أجروا الوصل مجرى الوقف كما قال الشاعر .

مثل الحريق صادف القصبا ∴ والتبن والحلفاء فالتهبا

والشاهد فيه أنه لما اضطر حرك ما كان ساكنا فى الأصل .

٤ – الذىّ – بتشديد الياء للمبالغة فى الصفة كما قالوا أحمرى وأصفرى وكما قيل الدهر بالإنسان دوارى . وجاء فى القاموس (والدهر دوارية ودوارى دائر) .

أصل الذى :

يذهب البصريون إلى أن أصل الذى هو لذ كعم وشج فاللام فاء الكلمة والذال عينها والياء لامها .

ويذهب الكوفيون إلى أن أصلها الذال وحدها وما عداها زائد . فاصل الذى كاصل هذا . وهذا عندهم أصله الذال وحدها فجوهرهما واحد وإنما يفترقان بحسب ما يلحقهما من الزيادات المختلفة لاختلاف معنييهما واحتجوا بذلك بان قالوا رأينا الياء تسقط فى التثنية نحو قولك اللذان واللذين .

وذهب بعض النحويين إلى أن الألف واللام فى الذى زائده للتعريف كما فى

(١) سورة الفرقان آية ٤١ .
(٢) سورة الاسراء آية ١ .

الرجل والغلام ، والذى عليه المحققون انهما زائدتان والمراد بهما لفظ التعريف لا معناه .

ورأى (ابن يعيش) انها ليستا لمعنى التعريف ، ويدلل على ذلك بقوله .

١ — إن اللألف واللام فى الموصولات زيادة لازمة ولام التعريف لا نعرفها جاءت لازمة ، بل يجوز اسقاطها نحو الرجل والغلام ورجل وغلام . ولم نجد أنهم قالوا لذ كما قالوا غلام فلما خالفت ما عليه نظائرها دل على أنها زائدة لغير معنى التعريف كما يزاد غيرها من الحروف .

٢ — كثير من الأسماء الموصولة معراة من الالف واللام وهى مع ذلك معرفه وهى من وما وأى نحو قولك « ضربت من أخطأ » « وأخذت ما أعطيتنى » « ولذكر من أيهم فى الدار » .

فكل هذه معارف ولا ألف ولام فيها كما كانتا فى الذى وإنما تعرفها بما بعدها من صلاتها ، وإذا ثبت أن الصلة معرفة لم يكن الألف واللام فيما دخلا فيه من الموصولات معرفة أيضاً لأن الاسم لا يتعرف من جهتين مختلفتين وإذا ثبت أن الألف واللام لا يفيد ان هنا التعريف كانت زيادتها لضرب من اصلاح اللفظ .

وتوجد بالاضافة إلى الذى أدوات أخرى استعملها العرب مثل ذو : فان قبيلة طىء تقول « هذا ذو قال ذاك » يريدون الذى قال ذاك وهى مبنية . وتكون ذو بالواو دائما فى حالة الرفع والنصب والجر وتستعمل للمفرد والجمع بنوعيه .

ذا : وتستعمل كاسم موصول بشرط دخول ما أو من الاستفهاميتين عليها كما قال الشاعر .

وقصيدة تأتى الملوك غريبة ∴ قد قلتها ليقال : من ذا قالها ؟

أى من الذى قالها ؟

ويضاف إلى ما تقدم الالف واللام فتكون موصولة بمعنى الذى فى الصفة نحو اسم الفاعل واسم المفعول فتقول هذا الضارب زيدا والمراد الذى ضرب زيدا ، وهذا المضروب والمراد الذى ضرب أو يضرب ، كما تدخل على الفعل فى مثل .

مالنت بالحكم الترضى حكومته ∴ ولا الأصيل ولا ذو الرأى والجدل

ونادراً ما يستخدم اسم الاشارة فى التعبير عن الموصول مثل .

عدس ما لعباد عليك امارة ∴ أمنت وهذا تحملين طليق

(أى والذى تحملين طليق (وهو شاذ عند البصريين .

وهناك أسماء موصوله أخرى مثل أى وما ومن .

٢ — فى السريانية :

أما فى السريانية فقد استخدموا الدال (ܕ) للتعبير عن الموصول بعد أن ضعفت دلالتها الإشارية . وهى تلزم هذه الصورة مع المفرد والجمع مذاكرا ومؤنثا مثل . ܕܠܐ ܫܡܥܢ ܐܕܢܘܗܝ ܗܘ ܚܙܐ أى الذى لا تسمع أذناه هو يرى (أفراطس ٢٨١ — ٥) : ܡܕܝܢܝ̈ܐ ܕܗܢܘܢ ܒܢܝ̈ ܩܛܘܪܐ أى المدينيون الذين هم أبناء قطورة (أفراطس ٢١١ — ٤) : ܡܠܬܐ ܕܐܠܗܐ ܕܩܒܠܗ̇ أى كلمة الله التى تقبلها (افريم ١٦٦ — ٩) ،

ܒܝܫ̈ܬܐ ܘܚܛܗ̈ܐ ܕܠܐ ܡܫܟܚܝܢ ܟܬܒ̈ܐ ܠܡܓܠܝܘ ܐܢܝܢ أى الشرور والآثام التى لا تستطيع الكتب أن تظهرها (افراطس ٣٤٣ — ١٨) .

وعند دخول أداة الموصول هذه على حرف الجر المتصل بضمير الملك تظهر بينهما باء فتقول ܕܝܠܗ ، ܕܝܠܗ̇ ، ܕܝܠܟ ، ܕܝܠܟܝ ، ܕܝܠܝ ، ܕܝܠܗܘܢ ، ܕܝܠܗܝܢ ، ܕܝܠܟܘܢ ، ܕܝܠܟܝܢ ، ܕܝܠܢ .

٣ — فى العبرية :

ولفظ الموصول فى العبرية هو عبارة عن الكلمة المبنية אֲשֶׁר [1] وهو يلزم صورة واحدة مع الافراد والجمع والتذكير والتأنيث . ويستعمل للعاقل

---

(١) مازال اشتقاق كلمة אֲשֶׁר محلا للبحث .

(١) هل تتصل بالكلمة العربية اثر والآرامية ܐܬܪ التى بمعنى الأثر والمكان ؟ ولكن نولدكه يرى أنه من الصعب أن تتطور كلمة أثر لتصبح اسما موصولا . (ب) هل هى عبارة عن عدة جذور ضميرية ؟ ولكن هومل يرى انها اسم أصيل يتميز عن שֶׁ ، שׁ (وهى من الجذور الضميرية) وتستخدم فى العبرية كروابط للموصول وتتميز عن (זֶה ، זוּ) اللذين يستعملان فى بعض الاحيان) (جـ) هل هى ضمير اشارة أصلى ؟

وغيره فهو للعاقل فى مثل לְכוּ שׁוּבוּ אֶל־הַמֶּלֶךְ אֲשֶׁר שָׁלַח אֶתְכֶם أى اذهبوا راجعين إلى الملك الذى أرسلكم (ملوك ثانى : ١ — ٦) ولغير العاقل فى مثل הַמִּטָּה אֲשֶׁר עָלִיתָ שָּׁם أى السرير الذى صعدت عليه (ملوك ثانى : ١ — ٤) وذلك فى المفرد . أما فى الجمع للعاقل فمثل בְּנֵי הַנְּבִיאִים אֲשֶׁר בְּבֵית־אֵל أى بنو الأنبياء الذين فى أريحا (ملوك ثانى : ٢ — ٥) . ولغير العاقل فى مثل כָּל־יְמֵי אָדָם אֲשֶׁר־חַי أى فكانت كل أيام آدم التى عاشها (التكوين : ٥ — ٥) .

وإلى جانب אֲשֶׁר نجد أن الكتب المتأخرة قد استخدمت صورة مختصرة منها وهى الشين فقط (שֶׁ) فنجدها فى الجامعة والمزامير وأخبار الأيام وعزرا والقضاة وغيرها مثل : כַּחוֹל שֶׁעַל־שְׂפַת הַיָּם לָרֹב أى كالرمل الذى على شاطىء البحر فى الكثرة (القضاة : ٧ — ١٣) ونادرا ما نجدها שַׁ مثل עַד שַׁקַּמְתִּי דְּבוֹרָה أى حتى قمت أنا دبورة (القضاة : ٥ — ٧). وجاءت مرة واحدة שֶׁ وذلك قبل الألف فى القضاة ٦ : ١٧ وعموما فهى تأتى مع ـּ قبل حروف الحلق ، שְׁ قبل الهاء كما فى الجامعة ٣ : ١٨ .

ومثل ضمير الإشارة الأصلى אֲשֶׁר ، توجد أيضاً أسماء اشارة أخرى تستعمل كاسم موصول وهى זֶה ، זוּ ، זוֹ والأخيرة هى الشائعة فمثال זֶה : לִוְיָתָן זֶה יָצַרְתָּ أى لفياتان هذا خلقته ليلعب فيه (المزامير ١٠٤ — ٢٦ .) ومثال זוּ : בְּרִיתִי וְעֵדֹתִי זוּ אֲלַמְּדֵם أن حفظ بنوك عهدى وشهاداتى التى أعلمهم إياها (المزامير ١٣٢ — ١٢ (ومثال זוּ : הֲלוֹא יְהוָה זוּ חָטָאנוּ לוֹ أى أليس الرب الذى أخطانا إليه (أشعيا ٤٢ — ٢٤)

وتستعمل أداة التعريف وهى الهاء (הַ) للموصول كما نرى فى المثال الآتى

כֹל הַהִקְדִישׁ שְׁמוּאֵל   أى كل الذى قدسه صموئيل (أخبار الأيام الأول ٢٦ ـ ٢٨ ، ٢٩ ـ ١٧ ، عزرا ٨ ـ ٢٥ ، ١٠ ـ ١٧

جملة الصلة :

قلنا فى معنى الموصول أنه هو ما افتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما : وهذا الكلام هو عبارة عن جملة الصلة ، وتشترك اللغات الثلاث فى ضرورة وجود هذه الجملة .

العائد :

ويشترط أن تشتمل جملة الصلة على عائد يعود منها إلى الموصول ويكون مطابقاً له فى الافراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأصله أن يكون ضمير غيبة . وقد يعدل عنه إلى ضمير المتكلم أو المخاطب إذا كان الموصول نعتا لضمير متكلم أو مخاطب أو خبرا عنه . وذلك مشاهد فى اللغات الثلاث . وقد جاء فى العربية للمتكلم فى قول على كرم الله وجهه .

أنا الذى سمتنى امى حيدره ∴ ضرغام آجام وليث قسورة

والأصل أن يقول (سمته) .

وفى مثل :

وأنا الذى قتلت بكرا بالقنــا ∴ وتركت تغلب غــير ذات سنام

والأصل أن يقول قتل ويكون الضمير للغائب .

وكذلك إذا كان الموصول أو موصوفه خبرا عن مخاطب ويأتى الضمير للخطاب مثل (أنت الرجل الذى قلت كذا) .

وأصله أن يقول أنت الرجل الذى قال كذا أى أن يكون الضمير للغائب .

وقد يحل الظاهر محل الضمير العائد كقول الشاعر

سعاد التى أضناك حب سعادا ∴ واعراضها عنك استمر وزادا

فسعاد الثانية بدل الضمير أى حبها .

ولكن ذلك أنكره كثير من العلماء وقالوا لا يجوز إلا للضرورة الشعرية وينطبق هذا الكلام على اللغة العبرية كذلك . فجاء الضمير للمتكلم فى مثل אֲשֶׁר מְכַרְתֶּם אֹתִי أى أنا يوسف الذى بعتمونى (التكوين ٤٥ — ٤) والأصل أن تكون אֹתוֹ أى بعتموه[1]. وجاء الضمير للمخاطب فى مثل יַעֲקֹב אֲשֶׁר בְּחַרְתִּיךָ أى يعقوب الذى اخترتك (اشعيا ٤١ — ٨ (فقال اخترتك والأصل أن تكون בְּחַרְתִּיו أى اخترته[2].

وكما عدل عن ضمير الغيبة بضمير المتكلم أو المخاطب فى اللغتين العربية والعبرية كذلك عدل بها عنه فى اللغة السريانية كما فى مثل [illegible] أى وأنا أيضا الذى ترونى . وأصله أن يقول (ترونه) ومثل [illegible] أى أنا حبيب الذى تبحثون عنى والأصل أن يقول (تبحثون عنه) (القصة السريانية ٩٠) . ومثل [illegible] أى انتم الذى فاح عرفكم فى كل مكان . والأصل أن يقال (اعرفهم) . [illegible] أى أنت الذى أخبرتنا . والأصل أن يقال (أخبرنا) (أفرىم ٤٩٢) .

حذف العائد :

كثر فى العربية حذف العائد من الصلة حتى صار قياسا ، وليس حذفها دون اثباتها فى الحسن ، وقد جاء الأمران فى قوله تعالى « أهذا الذى بعث الله رسولا » والمراد (بعثه) . وقال فى موضع آخر « كالذى يتخبطه الشيطان من المس »[3] فأتى بالعائد وهو الهاء فى يتخبطه .

ولا يحذف هذا العائد إلا بشروط ثلاث .

١ — أن يكون ضميرا منصوبا لا ضميرا مرفوعا ولا مجرورا ، لأن المفعول كالفضلة فى الكلام والمستغنى عنه .

---

(١) انظر العدد ٢٢ — ٣٠ ؛ اشعيا ٤٩ — ٢٣ .
(٢) انظر ارميا ٣٢ — ١٩ ؛ التكوين ١٥ — ٧ .
(٣) البقرة آية ٢٧٥ .

٢ ـ أن يكون العائد متصلا لا منفصلا لكثرة حروف المنفصل .

٣ ـ أن يكون على حذفه دليل . وذلك أن يكون ضميرا واحدا لابد للصلة منه فتقول (الذى ضربت زيد) فيحذف العائد الذى هو الهاء لأن « الكلام والصلة » لا يتم إلا بتقديره . ولو قلت « الذى ضربته فى داره زيد » لم يجز حذف الهاء لأن الصلة تتم بدونه . فلا يكون فى اللفظ ما يدل عليه .

كذلك فى السريانية نجد حذف الضمير العائد يتمثل فى الآتى :

١ ـ إذا كان مفعولا للشىء مثل [illegible] أى كلمة الله التى تقبلها (افريم ١٦٦ ـ ٩) . [illegible] أى الشرور والآثام التى أوجد (ها) الضياع (افريم ١٧٩ ـ ١٨) .

٢ ـ إذا كان العائد مجرورا بحرف . ويشترط دخول الحرف حينئذ على صاحب الموصول ما لم يكن الباء الظرفية . وصاحب الموصول اسم زمان فلا يشترط دخولها فالأول مثل [illegible] أى فى الموضع الذى كللوا فيه . [illegible] أى البيت الذى تدخلونه . والثانى نحو [illegible] أى اليوم الذى صلبوه فيه ، [illegible] أى إلى السنة الرابعة للملك سليمان التى ابتدا فيها ببناء .....

ونادرا ما يحذف العائد إذا كان التابع اسم فاعل أو اسم مفعول كما فى مثل [illegible] أى الطيبة التى تعود أن يمنحها (افريم ٢٠٥ ـ ١٩) . فنجد أن اسم الفاعل [illegible] خال من الضمير .

وفى العبرية يحذف العائد كذلك فى المواضع الآتية :

١ ـ أن يكون مفعولا للشىء كما فى مثل [illegible] أى عمله الذى عمل (التكوين ٢ ـ ٢) والأصل أن تكون אשר עשה אתה

٢ ـ حينما يكون ضميرا منفصلا يمثل حالة الفاعلية فى الجملة الاسمية مثل

٦ — הַמַּיִם אֲשֶׁר מִתַּחַת לָרָקִיעַ أى المياه التى (هى) من تحت الجلد (التكوين ١ — ٧) والأصـــل أن تكون אֲשֶׁר הֵם

٣ — ويلاحظ الحذف الغالب للضمير العائد حين يكون المسند الخاص بالجملة الوصفية هو فعـــل القول مثل אֲשֶׁר אָמַר יהוה אֹתוֹ אֶתֵּן לָכֶם أى الذى قال الرب اعطيكم إياه (العدد : ١٠ — ٢٩)[١] .

٤ — حينما تضاف الجملة البدلية إلى ظرف مكان يحذف الضمير العائد كما فى مثل כִּי כָל־הַיָּמִים אֲשֶׁר בֶּן־יִשַׁי أى لأن كل الأيام التى يعيش (فيها) ابن يسى[٢] . . . .

بعد هذا العرض الذى قدمنا نخلص بالنتائج الآتية :

١ — أصل لفظ الموصول فى اللغة السامية الأم هو على الأرجح الذال والياء . فاذا نظرنا إلى اللغة العربية وجدنا أن لفظ الموصول الذى (هو عبارة عن الذال والياء) ؛ أما (ال) فقد دخلت عليها — كما يقول النحاة — لمعنى التعريف أو للفظه ، أو هى زيادة للتحسين .

وإذا كنا نرى أن لفظ الموصول فى اللغة السريانية هو الذال فقط فليس معنى هذا أنه لا توجد ياء فى الأصل ؛ بل يؤيد كلامى السابق — وهو أن لفظ الموصول فى اللغة السامية الأم هو الذال والياء — وجودهما معا فى حالة دخول لفظ الموصول على حرف الجر المتصل بضمير الملك — كما ذكرنا آنفا — فى مثل [illegible]

وربما تكون قد سقطت هذه الياء فى فترة قديمة من فترات تطور اللغة السريانية وبذلك انفردت الذال فى التعبير عن الموصول فى هذه اللغة .

أما فى اللغة العبرية فنجد أن من الألفاظ المستعملة للموصول * : זֶה ، זוּ ، זוֹ وهى كما نرى تشترك مع العربية والسريانية فى حرف الذال ، وكما أن التطور

---

(١) انظر كذلك (العدد ١٤ — ٤٠ . صموئيل الأول ٩ — ١٧ ؛ ملوك أول ٨ — ٢٩) .
(٢) انظر كذلك : التكوين ٤٥ — ٦ ، التثنية ١ — ٤٦ ، ٩ — ٧ ، ملوك أول ١١ — ٤٤) .

اللغوى من السامية الأم إلى السريانية أدى إلى سقوط الياء فكذلك نرجح أنه فى العصور الأولى لتطور اللغة من السامية الأم إلى العبرية قد سقطت الياء ، ثم الحقت بدلا منها الهاء أو الواو كحركة مد فى فترة تلت الفترة الأولى . وينطبق هذا الكلام أيضا على لفظى الموصول فى العربية (ذا ، ذو) .

٢ — تشترك العربية والعبرية فى استخدام أداة التعريف للتعبير عن الموصول أما السريانية فلا تستخدمها حيث تختلف فى المفرد عنها فى الجمع . وهى فيها تلحق الاسم بخلاف العربية والعبرية فهى فيها سابقة عليه .

٣ — تشترك السريانية والعبرية فى أن لفظ الموصول كان يستخدم فى البداية للدلالة على الإشارة ثم استخدم للمو صول بعد أن ضعفت دلالته الإشارية ، وأرى أن لفظ الموصول فى العربية يندرج تحت هذا القول حيث أن الأصل فى الحالين (الاشارة والموصول) واحد وهو الذال ، خاصة وأننا نجد أن اسم الاشارة فى بعض الحالات يعبر عن الموصول كما فى (أمنت وهذا تحملين طليق) .

٤ — تشترك اللغات الثلاث فى وجوب وجود جملة للصلة ليكتمل المعنى بها وأن تشتمل تلك الجملة على عائد يعود على الموصول ويكون مطابقا له فى الافراد والجمع والتذكير والتانيث ، كما تشترك أيضا فى وجوب أن يكون العائد ضمير غيبة ، وكلها قد تستثنى هذا الشرط وتعدل عن ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم أو المخاطب .

وأخيرا نجد أن تلك اللغات تشترك فى حذفها العائد تبعا للشروط التى ذكرناها آنفـــا .

أهم المراجع

1. Brockelmann grundriss der vergleichenden grammatik Semilischen Sprachen, Berlin, 1908.

2. Gesenius, Hebräische grammatik, Leipzig, 1899.

3. Nöldeke Syriac grammar translated from german by, Crichton, London, 1904.

٤ ـ ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ـ المفصل ـ القاهرة مكتبة الخانجى ١٣٢٣ هـ

٥ ـ جمال الدين بن محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الانصارى : أوضح المسالك الى الفية ابن مالك ـ القاهرة ـ دار الكتب العربية ١٣٢٤ هـ

٦ ـ محمد بن مالك الطائى ـ شرح ابن عقيل على متن الفية ابن مالك ـ القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٤١ هـ

بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر زمن صلاح الدين الأيوبى

فى ضوء رحلة ابن جبير

للدكتور حامد زيان غانم

أخذ الحديث عن أعمال صلاح الدين[1] الأيوبى الحربية الشىء الكثير من اهتمام الباحثين غير أن أعماله السلمية فى داخل البلاد لم تحظ بذلك الاهتمام . حقيقة اننا لا نستطيع أن نقلل من شأن تلك الانتصارات التى أحرزها صلاح الدين ضد الصليبيين . ولكننا أيضا لا يمكننا اغفال نشاطه الداخلى وأعماله الجليلة ، وهى لا تقل أهمية عن أعماله الحربية وقد اهتم صلاح الدين بأمور رعيته اهتماما بالغا [2] ، وغير كثيرا من مظاهر حياة المجتمع المصرى ، ذلك أن صلاح الدين الايوبى تولى حكم مصر فى أعقاب الدولة الفاطمية الشيعية (عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م) ، فكان عليه أن يمحو من أذهان المعاصرين ما علق بهم من المذهب الشيعى ، بعد أن استمر حكم الدولة الفاطمية فى مصر أكثر من قرنين من الزمان . كذلك فان صلاح الدين شب وتربى فى مجتمع الشام [3] الذى اختلف كثيرا عن المجتمع المصرى وقد

---

(١) هو الملك الناصر ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذى بن مروان الكردى ، تولى حكم مصر عام ٥٦٧ هـ بعد ان ازال من مصر الدعوة الفاطمية (ابن اياس : تاريخ مصر ص ٦٩) .

(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٣ .

(٣) ولد صلاح الدين بتكريت (عام ٥٣٢ هـ) ثم انتقل مع والده الى الموصل ، ثم الى الشام حيث كان مقامه بعد ان تولى والده ايوب حكم بعلبك (ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ٦) .

نقل صلاح الدين معه الى مصر فيما نقل بعض مظاهر حياة المجتمع الشامى (1) ، ويبدو أن شخصية السلطان الملك العادل نور الدين محمود أثرت كثيرا فى صلاح الدين الذى حاكاه فى الاهتمام بكثير من أمور المجتمع .

وقد تناول كثير من المؤرخين المعاصرين الحديث عن صلاح الدين الأيوبى (2) لكن جاءت كتاباتهم كلها مركزة حول أعماله الحربية، ولم ينل المجتمع المصرى منها الا أقل القليل . غير أنه من حسن الحظ أن زار مصر أيام صلاح الدين أحد الرحالة المغاربة وهو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير المعروف بسمعته الطيبة، وقد ولد ابن جبير ببلنسيه فى ربيع الأول عام ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م) وقد توفى بالاسكندرية فى شعبان عام ٦١٤ هـ (١٢١٧م) (3)، وكان أديبا بارعا شاعرا مجيدا متنيا فاضلا، نزيه الهمة، سرى النفس ، كريم الأخلاق (4) وقد اتخذ غرناطة موطنا له ، وقام منها بثلاث رحلات الى الشرق كان آخرها تلك التى توفى فيها بالاسكندرية عام ٦١٤ هـ (5) .

أما أولى رحلات ابن جبير فهى تلك التى دون مشاهداته فيها فى مذكرات أودعها كتابه المعروف باسم « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار » أو «الرحلة» ومن بين البلدان التى زارها فى تلك الرحلة كانت مصر ، التى قضى فيها الفترة الممتدة مابين ٢٦ ذى القعدة ٥٧٨ هـ (٢٦ مارس ١١٨٣ م) و٢٥ ربيع الأول ٥٧٩هـ (٢٠ يونيه ١١٨٣ م) زار خلالها كلا من الاسكندرية والقاهرة ومصر وقوص وعيذاب . وكان اهتمام ابن جبير منصبا على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر ، ذلك المجتمع الغريب عن ابن جبير المغربى الأصل ، ولهذا جاءت مذكراته مرآة لكثير من أحوال المجتمع المصرى زمن صلاح الدين .

---

(1) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا . جـ ٤ ص ٥ — ٦ .

(2) منهم : ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، الاصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين .

(3) المقرى: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ١ ص ٥٠٧ — ٥٠٨ .

(4) المصدر السابق جـ ١ ص ٥٠٨ .

(5) المصدر السابق .

وأول ما استرعى انتباه ابن جبير عند زيارته للاسكندرية ، اهتمام السلطان صلاح الدين الأيوبي بأمر الغرباء ، من ذلك أن صلاح الدين « أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا الى ذلك »(١). ويصف الشيخ عبد اللطيف البغدادي(٢) تلك الحمامات التي شاهدها بمصر بقوله « وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها وضعا . ولا أتم حكمة ولا أحسن منظرا ومخبرا ، أما أولا فان أحواضها يسع الواحد منها ما بين راويتين الى أربع روايا ، وأكثر من ذلك ، تصب فيه ميزابان تجاجان حار وبارد ، وقبل ذلك تصبان في حوض صغير جدا مرتفع فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير ، وهذا الحوض نحو ربعه فوق الأرض وسائره في عمقها ، ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه ، وداخل الحمام مقاصير بأبواب وفي المسلخ أيضا مقاصير لأرباب التخصص حتى لا يختلطوا بالعوام . ولا يظهروا على عوراتهم ، وهذا المسلخ بمقاصيره حسن القسمة ، مليح البنية وفي وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة وجميع ذلك مزوق السقوف مفوف الجدران مبيضها . مرخم الأرض بأصناف الرخام ، مجزع باختلاف ألوانه ، وترخيم الداخل يكون أبدا أحسن من ترخيم الخارج ، وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج جاماته مختلفة الألوان صافية الأصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه » (٣) .

ولم يكتف صلاح الدين بذلك بل « نصب لهم — أي للغرباء — مارستانا(٤) لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم . وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء »(٥) ولما كان بالاسكندرية كثير من الوافدين على مصر من أكابر الناس لذلك رتب صلاح الدين

---

(١) ابن جبير : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ص ٤١ (طبعة جب)
(٢) عاصر عبد اللطيف البغدادي السلطان صلاح الدين وأولاده من بعده .
(٣) عبد اللطيف البغدادي : الافادة والاعتبار ص ٣٩ — ٤٠ .
(٤) المارستان هو بيت المرضى (المقريزي : الخطط جـ ٤ ص ٢٥٨) .
(٥) ابن جبير : تذكرة بالأخبار ٤١ .

بالمارستان المذكور « أقوام برسم الزيادة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة ، وينهون الى الأطباء أحوالهم ، ليتكفلوا بمعالجتهم » (١) وقد أشار ابن جبير أيضا الى أنه شاهد بمدينة القاهرة مارستانا من انشاء صلاح الدين « وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا أبرزه لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا ، وعين قيما من أهل المعرفة . وضع لديه خزائن العقاقير، ومكنه من استعمال شربة وأقامتها على اختلاف أنواعها ، ووضعت فى مقاصر ذلك القصر أسره يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى . وبين يدى ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ، ولهن أيضا من يكفلهن . ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء ، فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد ، اتخذت مجالس للمجانين ، ولهم أيضا من يتفقد فى كل يوم أحوالهم ، ويقابلها بما يصلح لها ، والسلطان — أى صلاح الدين — يتطلع هــذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال، ويؤكد فى الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد. وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه » (٢) ويبدو أن هذا البيمارستان السابق الوصف كان من انشاء أحمد بن طولون وليس من انشاء صلاح الدين كما ذكر ابن جبير . ويتضح لنا ذلك من مطابقة أوصاف ذلك المارستان كما وصفها ابن جبير مع أوصاف مارستان ابن طولون (٣) ، ولكن يكفى صــلاح الدين أنه أولى عنايته بأمر هذا المارستان . والحقيقة أن صلاح الدين اتبع نفس سياسة سيده نور الدين محمود فى الاهتمام بأمر المرضى (٤) . فأمر بأن تصبح خزانة الأشربة التى كانت بالقصر الكبير الفاطمى مارستانا للمرضى .

وقد اهتم ابن جبير بأحوال المغاربة بمصر فوجد «أن السلطان — صلاح الدين —

(١) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤١ .
(٢) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٥٠ ، ٥١ .
(٣) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .
(٤) ابن قاضى شهبه : الدر الثمين فى سيرة نور الدين ، ورقة ٢١ (مخطوط) .

عين لأبنــاء السبيل من المغــاربة ــ المقيمــين بالاسكندرية ــ خبزتين لكل انسان فى كل يوم بالغا ما بلغوا ، ونصب لتفريق ذلك كل يوم انسانا أمينا من قبله ، فقد ينتهى فى اليوم الى ألفى خبزة أوأزيد بحسب القلة والكثرة . وهكذا دائما » [1] . كما جعل السلطان صلاح الدين المسجد الكبير المنسوب الى أبى العباس أحمد ابن طولون ، وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان ، مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه . ويحلقون فيه [2] . وأجرى عليهم الأرزاق فى «كل شهر» [3] . ويبدو أن السلطان صلاح الدين قد جعل لكل جالية أجنبية فى مصر رئيسا منها ، يحتكم اليه أفرادها . من ذلك ما ذكره ابن جبير عن جالية المغاربة التى « جعل السلطان أحكامهم اليهم . ولم يجعل يدا لأحد عليهم . فقدموا من أنفسهم حاكما يمتثلون أمره . ويتحاكمون فى طوارىء أمورهم عنده » [4] .

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر . توفير السلطان صلاح الدين الأمن فى أنحاء البلاد . حتى صار النــاس فى أمن تام . ولم يعد لظلمة الليــل أى أثر على أعمالهم أو أشغالهم وقد أكد ابن جبير هــذه الظاهرة أثناء حــديثه عن كل من الاسكندرية والقاهرة ، فقال متحدثا عن القاهرة : « ومن عدل هــذا السلطان ــ صلاح الدين ــ وتأمينه للسبل ، أن الناس فى بلاده لايخلعون لباس الليل . تصرفا فيما يعنيهم . ولا يستشعرون لسواده هيبة » [5] . كذلك كان الحال فى الاسكندرية «التى تصرف الناس فيه بالليل كتصرفهم بالنهار فى جميع الأحوال» [6]

وقد أخذ اهتمام السلطان صلاح الدين بحياة طالبى العلم الوافدين على مصر قدرا كبيرا من ملاحظات ابن جبير . الذى أشاد بما لصلاح الدين من فضل كبير

---

(١) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤١ .
(٢) أى يحضرون فيه حلقات الدرس والعلم .
(٣) ابن جبير : المصدر السابق ص ٥١ .
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٥) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٥٥ .
(٦) المصدر السابق ص ٤٢ .

فى العمل على تسهيل سبل الاقامة والعيش لهم حيث « يلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه أو مدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعليمه ، واجراء يقوم به فى جميع أحواله» (١) ، غير أن صلاح الدين لم يقتصر فى اهتمامه هذا بطالبى العلم من الغرباء فقط ، بل اهتم أيضا بمختلف أماكن التعليم مثل المدارس والمساجد ، وعمل على توفير حياة اجتماعية سليمة للمقيمين بها فكانت « الاجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان فى كل شهر » ، كذلك من الأعمال الاجتماعية الجليلة التى قام بها صلاح الدين اهتمامه الشديد بأبناء الفقراء والأيتام فأمر « بعمارة محاضر آلزمها معلمين لكتاب الله عز وجل ، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم» (٢) وفى هذا تأكيدا لمحاكاة صلاح الدين لسيده الملك العادل نور الدين محمود الذى عرف عنه الاهتمام الكبير بالأيتام وأبناء الفقراء (٣) .

ويعتبر عصر السلطان صلاح الدين الأيوبى بداية عصر جديد فى تاريخ مصر. اذ أزال هذا السلطان الدولة الفاطمية ومذهبها الشيعى من البلاد . وأحل محلها المذهب السنى والدعوة للخليفة العباسى. وأسس بها دولة تحمل اسمه (٤). وقد تبع هذا التغيير تغير فى مختلف انشطة المجتمع المصرى (٥) . خاصة فى العادات والتقاليد التى اتبعت فى كثير من المناسبات (٦) وقد استرعى انتباه ابن جبير هيئة

---

(١) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٩ - ٥١ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب . جـ ١ ص ٢٨٤ . النويرى : نهاية الارب . جـ ٢٥ ورقة ٦٠. (مخطوط) .

(٤) اسقط اسم الخليفة الفاطمى العاضد من الخطبة . فى أول جمعة من المحرم عام ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) .

(٥) انظر : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ١٥٣ . ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٢١٠ ،

Lane — Poole : A Hist of Egypt in the middle ages, P. 204-205.

(٦) اشار القلقشندى الى ان الدولة الايوبية لما طرات على الدولة الفاطمية وخلفتها الديار المصرية ، خالفتها فى كثير من ترتيب المملكة ، وغيرت غالب =

خطيب الجمعة،الذى اختلفت هيئته عن هيئة خطيب الفاطميين،فوصفه وصفا دقيقا ليظهر مدى التغيير الذى حدث أيام صلاح الدين من ذلك قوله : «ويأخذ الخطيب فيها ــ أى صلاة الجمعة ــ مأخذ سنى ، يجمع فيها الدعاء للصحابة رضى الله عنهم ، وللتابعين ومن سواهم ، ولأمهات المؤمنين زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعميه الكريمين حمزة والعباس رضى الله عنهما . ويلطف الوعظ . ويرقق التذكير حتى تخشع القلوب القاسية ، وتتفجر العيون الجامدة . ويأتى للخطبة لابسا السواد على رسم العباسة . وصفه لباسه بردة سوداء . عليها طيلسان شرب أسود ــ وهو الذى يسمى بالمغرب الاحرام ــ وعمامة سوداء ، متقلدا سيفا ، وعند صعوده المنبر يضرب بنعل سيفه المنبر . فى أول ارتقائه ضربة يسمع بها الحاضرين. كأنها ايذان بالانصات وفى توسطه أخرى ، وفى انتهاء صعوده ثالثة . ثم يسلم على الحاضرين يمينا وشمالا ، ويقف بين رايتين سوداوين فيهما تجزيع بياض قد ركزتا فى أعلى المنبر . ودعاؤه فى هذا التاريخ ــ شهر ذى القعدة عام ٥٧٨ هـ ــ للامام العباسى أبى العباس أحمد الناصر لدين الله بن الامام أبى محمد الحسن المستضىء بالله ابن الامام أبى المظفر يوسف المستنجد بالله ثم نحى دولته أبى المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين . ثم لأخيه ولى عهده أبى بكر سيف الدين» (١).

وقد نتج عن ذلك التغيير الذى أحدثه صلاح الدين بابطال الدعوة للمذهب الشيعى والعودة للمذهب السنى ، الغاء كثير من الاحتفالات الخاصة بالشيعة واحياء ما يخص المذهب السنى ، وتحوير بعض أعياد الشيعة بما يتفق وتحول البلاد الى المذهب السنى . من ذلك مثلا أن يوم العاشر من المحرم ــ وهو يوم عاشوراء ــ كان يمثل يوم حزن وأسى عند الفاطميين ، تغلق فيه الأسواق ، فجعله صلاح الدين « يوم سرور يوسع فيه الناس على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنعون

= معالمها ، وجرت على ما كانت عليه الدولة الاتابكية . (صبح الاعشى : جـ ٤ ص ٥ ــ ٦) .

(١) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤٩ ــ ٥٠ ، انظر ايضا : ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٤٥ .

الحلاوات ـ الحلوى ـ ويتخـذون الأوانى الجـديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام » (١) وظل الحال كما كان سائدا من خروج الناس للاحتفال بمختلف المناسبات ببر الجيزة ، ويبدو أن ابن جبير قد شاهد مثل هـذه الاحتفالات لأنه أشار الى أن الجيزة « مجتمع اللهو والنزهة » (٢) .

وامتلأت مصر بالمشاهد والقبور التى اعتاد الأهالى زيارتها للتبرك والدعاء . وقد زار ابن جبير كثيرا منها . ويبدو أنه افتتن بالمشهد الحسينى فوصفه وصفا رائعا موضحا تهافت سكان مصر على زيارته والتبرك به ، ومما جاء فى وصفه : « ذلك المشهد العظيم الشأن ، الذى بمدينة القاهرة ، حيث رأس الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهما ، وهو فى تابوت فضة . مدفون تحت الأرض . قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنـه ، ولا يحيط الادراك به مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا أبيض ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثرها فى أتوار فضة خالصة . ومنها مذهبه . وعلقت عليه قناديل فضة ... وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك واحداقهم به وانكبابهم عليه . وتمسحهم بالكسوة التى عليه ، وطوافهم حوله ، مزدحمين داعين باكين . متوسلين الى الله سبحانه ببركته التربة المقدسة ومتضرعين مايذيب الأكباد ويصدع الجماد» (٣) ولم يكن السلطان صلاح الدين بعيدا عن شعور أهالى مصر تجاه المشهد الحسينى فأولاه اهتمامه ورعايته وجعل به حلقة تدريس وفقهاء وأجرى عليه النفقـة اللازمة (٤) .

كذلك لعبت القرافة ومابها من مشاهد قبور ومساكن ومساجد دورا كبيرا فى المجتمع المصرى زمن صلاح الدين . فقد قصدها سائر النـاس لزيارة مشاهد

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٨٥ . سعيد عبد الفتاح عاشور : الايوبيون والمماليك ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٢) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٥٣ .
(٣) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤٤ ـ ٤٥ .
(٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٨٤ .

قبورهم والتبرك بما فيها من قبور الأولياء الصالحين (1) ، فى حين قصدها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء لتكون مأوى لهم، أما قاصدى اللهو والطرب فوجدوا بها أيضا مرتعا خصبا . وقد زار ابن جبير القرافة وبات فيها ليلة الاربعاء الحادى عشر من ذى الحجة عام ٥٧٨ هـ (2) ووصفها بقوله : « وهى أيضا احدى عجائب الدنيا لما تحتوى عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم وأهل البيت رضوان الله عليهم، والصحابة التابعين والعلماء والزهاد والأولياء ذوى الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة »، وقد ذكر ابن جبير أسماء معظم مشاهد قبور أهل البيت والشريفات العلويات. وبعض أصحاب رسول الله، والتابعين والأئمة والعلماء والزهاد والأولياء المشتهرين بالكرامات . وأوضح ابن جبير أنه « من العجب أن القرافة المذكورة كلها مساجد مبنية ، ومشاهد معمورة . يأوى اليها الغرباء والعلماء والفقراء والأجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان فى كل شهر » (3) .

وقد شاهد ابن جبير بعض الهياكل التى يعظمها أهالى مصر ويتبركون بزيارتها، منها ذلك الهيكل الذى بمدينة اخميم ــ احدى مدن الصعيد ــ الذى تناوله ابن جبير بالوصف الدقيق . وقد أنهى وصفه لهذا الهيكل بقوله : « وبالجملة فشأن هذا الهيكل عظيم . ومرآه احدى عجائب الدنيا التى لا يبلغها الوصف ،ولا ينتهى اليها الحد » . ومن بين الهياكل التى شاهدها ابن جبير ، ذلك الهيكل الموجود بمدينة دندرة احدى مدن الصعيد (4) .

ومن بين مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر ، ما ذكره ابن جبير عن نساء مصر خاصة فى مدينتى قنا ودشنه وهما من مدن صعيد مصر ، فقد امتدح ابن جبير وضع المرأة فى كلتا المدينتين وخص قنا بقوله : « ومن مآثرها المأثورة صون نساء أهلها ،

---

(1) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٣٦٨ .
(2) ابن جبير : المصدر السابق ص ٤٥ .
(3) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٤٩ .
(4) ابن جبير : تذكرة بالاخبار ص ٦١ ، ٦٢ .

والتزامهن البيوت فلا تظهر فى زقاق من أزقتها امرأة البته » ؛ أما دشنه فقد وجد ابن جبير حال نسائها مثل حال نساء قنا . ويبدو أن الحديث عن صون النساء فى صعيد مصر قد وصل الى أسماع ابن جبير قبل مشاهداته لصعيد مصر (١) .

وقد عاصر ابن جبير مرحلة بناء القلعة (٢) ، التى أمر صلاح الدين ببنائها عام ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) (٣) لتكون «موضع سكناه» (٤) . والمعروف أن مصر كانت قبل مجىء الأيوبين اليها خالية من قلعة تحميها (٥) ؛ فكان على صلاح الدين أن يقيم فى القاهرة قلعة يستند اليها حكمه الذى هدده شيعة الفاطميين (٦)؛ بالاضافة الى تخوفه من سيده نور الدين محمود (٧). وقد اتبع صلاح الدين فى بناء قلعته ما كان متبعا فى بلاد الشام من أنظمة بناء القلاع . وقد أشار ابن جبير الى أن صلاح الدين استعان بأسرى الصليبيين فى عملية بناء القلعة وغيرها من المبانى التى أقامها كالأبراج والسور الكبير المقام حول كل من مصر والقاهرة (٨). غير أن بناء القلعة لم يتم فى حياة صلاح الدين (٩) ؛ وانما الذى تم فى عهده هو هيكلها العام بالاضافة الى البئر الذى حفر بداخلها . وقد أصبحت القلعة بعد أن تم بناؤها

---

(١) ابن جبير : المصدر السابق ص ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ١١ ص ١٩٨ . المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٣ ؛
Lane-Poole : A Hist of Egypt in the middle ages, P 201

(٤) ابن جبير : المصدر السابق ص ٥٠ .

(٥) على بيومى : قيام الدولة الايوبية ص ٢٣٦ .

(٦) المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٣٢٠ . ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٠١ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٢١ ؛ ابو شامة : الروضتين فى اخبار الدولتين جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٨) ابن جبير : المصدر السابق ص ٥٠ ؛ القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٣٦٨ .

(٩) انتهى بناء القلعة ايام الملك الكامل محمد بن الملك العادل . انظر : ابن اياس : تاريخ مصر جـ ١ ص ٧٠ ــ ٧١ .
Lane-Pool : op cit, P 201

مقر النشاط الاجتماعى ، حيث صارت مقر الحكم والسلطان واشتملت على العديد من المساكن والمساجد (١) ، وكانت محور الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية فى العصرين الأيوبى والمملوكى (٢) .

وبعد ، فانه يتضح مما سبق أن اهتمام ابن جبير كان منصبا على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بمصر ، غير أن المدة التى قضاها ابن جبير فى مصر لم تكن كافية للالمام بكل ما فى المجتمع من ظواهر اجتماعية . ذلك أن ابن جبير فى هذه الرحلة لم يقم فى مصر سوى ثلاثة أشهر قضاها فى التنقل بين الاسكندرية والقاهرة ومصر وقوص وعيذاب أى فى الطريق الى جدة حيث كانت وجهته الى بيت الله الحرام كما كان لتدين ابن جبير وتقواه أثر كبير فى نوعية الأماكن التى زارها بمصر ، ومن ذلك أنه تحدث كثيرا عن القرافة وما بها من مشاهد القبور والمشهد الحسينى وما بمصر من هياكل . ومن الملاحظ أيضا أن ابن جبير اهتم كثيرا ببعض المنشآت الاجتماعية التى أنشأها السلطان صلاح الدين اظهارا منه لعظمة صلاح الدين . وقد أعجب كثيرا بصلاح الدين . وتبدو هذه الحقيقة واضحة فى تبرأة ابن جبير لصلاح الدين من أعمال جباة المكوس من حجاج بيت الله الحرام . وفى المدح الكثير الذى كاله لصلاح الدين وفى نفس الوقت خلت ملاحظات ابن جبير من ظواهر اجتماعية أخرى . كنا فى حاجة شديدة اليها ، مثل عادات وتقاليد المجتمع المصرى فى ذلك الحين . من مأكل ومشرب وملبس . وعادات الأفراح والزواج والمآتم والأحزان . كل هذا أهمله ابن جبير. وقد يكون سبب هذا الاهمال راجع الى شخصية ابن جبير نفسه ، بالاضافة الى قصر المدة التى قضاها بمصر . ولكن رغم هذا تعتبر مشاهدات ابن جبير مرآة لكثير من أحوال المجتمع المصرى زمن صلاح الدين الأيوبى .

---

(١) المقريزى : الخطط جـ ٣ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ؛ ابن اياس : تاريخ مصر جـ ١ ص ٧١ ، القلقشندى ، صبح الاعشى جـ ٣ ص ٣٦٨ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٥٨ ـ ٦٦ .

دراسة مقارنة للذكاء الاجتماعي والاستعداد التعليمي بين الأطفال الصم وعاديي السمع

دكتورة سلوى الملا

مدرسة علم النفس ـ جامعة القاهرة

بدأ القياس النفسي الحديث للذكاء بظهور اختبار بينية ـ سيمون ١٩٠٥ ، وقد تضمن السلوك الذي يتصف بالذكاء في رأى بينيه القدرة على استخدام التفكير المجرد في حل المشكلات ، كما أنه افترض أن الذكاء يزداد مع تقدم الطفل في النمو ويتوقف بعد ذلك لتنمو القدرات الخاصة وتتفتح (B. Kuppuswamy, 1974.P. 111)

وربما كانت المحاولة الأولى الكاملة لاستخدام مقياس بينيه مع الأطفال الصم هي التي قام بها بنتر وباترسون اللذان قاما بتقديم أسئلة مكتوبة للطفل الأصم ، وطلبوا منه أن يكتب الإجابة . غير أنه سرعان ما اتضح أن كثيراً من الأطفال لم يفهموا الأسئلة المكتوبة ، لكنهم في نفس الوقت فهموا السؤال حين وجه إليهم بواسطة الأبجدية اليدوية أو بواسطة لغة الإشارات . وقد استخدم الباحث فيما بعد عدة أساليب (الكلام ، الكتابة ، أبجدية اليد . الإشارات) في توجيه الأسئلة . وكما كان التوقع فانه من بين ٢٢ حالة أجرى اختبارها أظهرت جميع الحالات باستثناء واحد تخلفا عقليا . فقد كان متوسط العمر الزمني ١٢,٥ ومتوسط العمر العقلي ٧,٩ . واتضح أن معظم وحدات الاختبار غير مناسبة للصم . وإن كثيرا من الأسئلة بالغ الصعوبة عليهم . ونتيجة لهذا فقد اتجها إلى تطوير اختبار أدائي في عام ١٩١٥ ـ ١٩١٦ ـ وقد استخلصا من دراستهما ما يأتي :

(أ) متوسط مستوى الذكاء للأصم لا يصل إلى ٩٠ .

(ب) السن الذى يحدث عنده الصمم لا يؤثر فى ذكاء الطفل .

(جـ) لا يوجد فرق فى متوسط ذكاء الأطفال الصم بالوراثة أو الصمم المكتسب.

(د) إن متوسط ذكاء الأطفال الذين تعلموا بالطريقة اليدوية أقل من المجموعات الأخرى .

(هـ) لا توجد فروق ذات دلالة فى مستوى ذكاء التلاميذ الذين تعلموا بالطريقة الشفوية أو كلا الطريقتين .

(و) إن الطفل الأصم أقل عشر درجات تقريبا عن الطفل العادى فى نتيجة الاختبارات غير اللفظية أو الأدائية Hiskey Nebraska manual 1966 .

وقد كانت فكرة التعامل مع الأطفال الصم وإمكان قياس قدراتهم هى الأساس عندما قامت أنستازى بوضع اختبارها الأدائى . فى الصورة ٢ المعدلة خفضت التعليمات اللفظية إلى أقصى درجة ممكنة حتى يمكن استخدام هذه الصورة مع الأطفال الصم . ولكن أنستازى تعود فتلفت النظر إلى أنه رغم أن هناك بعض الاختبارات التى تصلح للاستخدام مع الصم ، إلا أن المعايير الأصلية لهذه الاختبارات قد قننت على مجموعات من الأطفال عاديى السمع . ورغم أنه قد يكون من اللازم فى كثير من الأحيان مقارنة ذكاء الأطفال الصم بالمعايير العامة للأطفال العاديين . إلا أن المعايير المستخرجة على الأطفال الصم مفيدة أيضا جدا فى المواقف التعليمية لهؤلاء الأطفال ANASTASI, 1968. P 265 .

وقد استخدم نيولى طريقة مشابهة فى عام ١٩١٩ ، حيث أختبر ٨٥ طفلا أصم فى مدرسة شيكاغو ورفض استنتاجات بنتر وباترسون — وقد استنتج نيولى أن القدرة التعليمية تتوزع توزيعا اعتداليا بين المفحوصين .

وقد لوحظ من البحوث أن عدم كفاية حاسة السمع يؤدى إلى إعاقة النمو العقلى بدرجة أخطر مما تحدثه غير ذلك من الحواس . فالصمم يعوق النمو اللغوى ويمنع الاتصالات الاجتماعية العادية . وفى تصنيف أنستازى لعيوب السمع نجد أن هناك ثلاث مستويات للاعاقة السمعية . أولا الأطفال الذين يعانون من قصور

فى السمع وتمثل هذه المجموعة الحالات البسيطة . وكثير من هذه الحالات لا يمكن ملاحظتها ، وقد يفسر سلوك الطفل بالتالى تفسيرا خاطئا باعتباره ناشىء عن عدم العناية أو عدم الاهتمام أو الغباء . ومن بين الآثار التى تحدثها هذه العاهة على الطفل يمكن أن نذكر سوء التحصيل الدراسى ، صعوبات النطق . فقد الاهتمام ، العزلة الاجتماعية والشك .

وأما ثقيلى السمع Hard of hearing فهم هؤلاء الذين تكون العاهة لديهم واضحة ملحوظة ولكنهم بالرغم من ذلك قادرون على استخدام حاسة السمع فى اكتساب القدرة على فهم الكلام . وفيما يتعلق بالذكاء العام والنمو اللغوى والتقدم التعليمى فانهم يكونون وسطا بين من يعانون من نقص بسيط فى السمع وبين حالات الصمم التام . وهناك من الدلائل ما يوحى بأن استجابات ثقيلى السمع من أطفال المدارس على بعض الاختبارات الأدائية لا تقل عنها لدى زملائهم فى الفصل من الأسوياء . وبالرغم من أن ثقيلى السمع من الأطفال يتكافئون مع زملائهم الأسوياء فى درجات الاختبارات غير اللفظية إلا أن أدائهم فى اختبارات التحصيل الدراسى أقل من مستوى الأسوياء .

أما مجموعة الصم فهى تتضمن الأفراد الذين يكون القصور السمعى لديهم خطيرا بدرجة تمنعهم من اكتساب اللغة فى البيئة العادية . وهؤلاء الأفراد الذين يقال عنهم بكم — خرس ، يكونون صورة واضحة لأثر الحوافز البيئية على نمو إحدى الوظائف السلوكية الهامة . فلأن هذا الأصم — الأبكم لم يسمع مطلقا الصوت البشرى لهذا نجده غير قادر على الكلام ، ولو أن أعضاء الكلام لديه سوية وطبيعية تماما . فوجود أعضاء الكلام لدى الانسان لا تؤدى فى ذاتها إلى نمو اللغة البشرية بدرجة أكبر مما يؤدى إليه أى تكوين جسمى إلى وظيفة مرتبطة به ؛ فوجود أعضاء الكلام من نمط معين أمر ضرورى ولكنه غير كاف لاكتساب اللغة . وقد تبين أنه يمكن لهؤلاء الصم — البكم أن يتعلموا بطريقة عادية باستخدام الوسائل الحديثة فى التعلم المؤسسة على الاستعانة بمهديات حسية أخرى . وهذا يبرهن على أن العجز لدى الأصم — الأبكم إنما هو ناشىء عن عجز فى استخدام المؤثرات أو الحوافز البيئية ANASTASI I. Folley. 1959, P.542.

وفى عام ١٩٣٠ طبق باترسون اختبار جودانف على عينة عشوائية من التلاميذ ٤٦٦ تلميذا من خمس مدارس داخلية للصم تقع أعمارهم بين ٤,٩ سنة و ٢١ سنة وقد قرر أن منحنى التوزيع لا يعتبر توزيعا اعتداليا . فقد تجمع العدد الأكبر من العينة عند الحد الأدنى من المنحنى . وكان متوسط التخلف للصم ٢٢ شهرا . وقد كان هناك احساس بأن هذا التخلف يرجع فى جزء كبير منه إلى التأخر فى بدء التعلم وإلى عدم القدرة على تمثل اللغة Hiskey Nebraska manual,1966.

وفى عدد من الدراسات الكثيرة التى أجريت فى مدارس الصم وجد أنهم متخلفون أربع أو خمس سنوات دراسية . وأما بالنسبة لاختبارات الذكاء التى تعتمد على اللغة فان الصم يعانون فيها صعوبة كبيرة بسبب العجز فى اللغة وفى المفهومات اللفظية لديهم . فهذه العاهة يصل أثرها لدرجة يمكن معها اعتبار الاختبارات اللفظية غير ممكنة التطبيق ، حتى بالنسبة للاختبارات التى لا تتضمن لغة منطوقة .

وفى أحد البحوث الشاملة على الأطفال طبق اختبار بنتر غير اللفظى على ٤٤٣٢ طفلا يتراوح أعمارهم بين ١٢ سنة وأكثر فى ٤١ مدرسة من مدارس الصم . وكان متوسط العمر العقلى ونسبة الذكاء بين الأطفال فى كل سنة من سنوات العمر الزمنى من الأعمار ١٢ — ١٥ سنة كالآتى :

م. العمر الزمنى	م. العمر العقلى	م. نسبة الذكاء
	سنة — شهر	
١٢	١٠ — ٩	٨٦
١٣	١١ — ٢	٨٤
١٤	١١ — ٨	٨٣
١٥	١٢ — ١	٨٢

وكان متوسط نسبة ذكاء الأطفال فى الاختبارات العملية يتراوح من أقل قليلا من ٩٠ إلى أكثر قليلا من ١٠٠ تبعا لطبيعة الاختبار . ومن المحتمل أن تتوقف هذه الفروض إلى حد كبير على درجة مساعدة مفهومات اللغة فى أداء الاختبارات

فيما أن اللغة تودى وظيفة هامة فى هذا القدر من عملية التفكير فان التأخر اللغوى الذى يحدثه الصمم يعوق مجالا كبيرا من النشاط العقلى للفرد . ولم توجد أية علاقة بين العمر الذى بدأ عنده الصمم والدرجات على الاختبارات العملية أو الغير لفظية . ومن ناحية أخرى فان مستوى التحصيل الدراسى يكون أعلى بوضوح عندما يحدث فقد السمع فى سن الرابعة من العمر أو بعد ذلك . أى بعد الاكتساب الطبيعى للغة .

وبالنسبة لنمو الشخصية لاحظت انستازى أن الصم وثقيلى السمع يميلون لأن يعانوا من عدم الاستقرار الانفعالى . الانطواء . الخجل . عدم الشعور بالأمن بدرجة أكثر مما لدى الأسوياء من ذوى السمع العادى . ويميل الأطفال الصم لأن يكونوا دون المعدل من حيث النضج الاجتماعى ، كما أنهم يحدثون مشكلات سلوكية أكثر من الأطفال العاديين (السيد خيرى وآخرون ، ١٩٥٩ ، ص ٥٤٣) .

وقد اهتم ماك كان فى عام ١٩٣٣ بهذه الأنواع من المتناقضات فى نتائج الاختبارات النفسية المختلفة وأكد حقيقة أن نسبة ذكاء الفرد هى محصلة نوع الاختبار المستخدم . وقد أظهر أن الطفل الأصم الذى يظهر تخلفا مقداره سنتين أو أكثر فى اختبار غير أدائى يظهر تخلفا أقل من سنة فى الاختبار الأدائى .

وقد رأينا من خلال هذه الدراسات المختلفة أن المقارنة بين الأطفال الصم وعاديى السمع تستحق المزيد من المقارنة والدراسة . وقد اخترنا أن نقارن بينهما من حيث النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى باعتبار أن هذين المتغيرين من المتغيرات التى تتأثر إلى حد كبير بالصمم أو بعدم القدرة على استخدام اللغة .

« اجراءات البحث »

الأدوات : استخدمنا فى هذه الدراسة اختبارين لقياس ذكاء الأطفال ، أحدهما يقيس الذكاء الاجتماعى أو مستوى النضج الاجتماعى ، والثانى يقيس الذكاء التعليمى أو الاستعداد التعليمى .

اولا : مقياس الفانيلاند للنضج الاجتماعى :

Vienland : The Social Maturity Scale

قد يكون من الصعب إلى حد كبير تحديد المقصود بالنضج الاجتماعى . ولكن

رغم أن مقاييس النضج الاجتماعى لم تصل إلى مستوى اختبارات الذكاء المعروفة ، إلا أنها قد تطورت إلى حد كبير الآن موفرة قدرا من التراث ومن المادة النظرية ما أتاح لنا أن نزداد استبصارا بنمو وتطور العلاقات الاجتماعية ، وبأساليب قياس النضج عند الأطفال .

وقد وضع ادجار دول ١٩٤٦ مقياس الفاينلاند للنضج الاجتماعى ليحدد أولا مستوى نضج الأطفال المتخلفين عقليا حتى يمكن مساعدتهم ولصعوبة استخدام أدوات القياس العادية معهم . ورغم أن المقياس يغطى مدى الأعمار من الميلاد حتى سن ٢٥ سنة إلا أنه قد وجد أن هذا المقياس أكثر فائدة فى المستويات الصغيرة من الأعمار وخاصة مع المتخلفين عقليا . ويتكون المقياس الكلى من ١١٧ فقرة مجمعة فى مستويات للأعمار . وقد تم الحصول على البيانات اللازمة لكل فقرة لا من خلال موقف الاختبار ولكن من خلال مقابلة شخصية مع ملاحظين أو مع المفحوص نفسه . والفكرة الأساسية له قائمة على ما يفعله الفرد فى حياته اليومية ، وتغطى الفقرات ثمانى فئات أساسية هى (الاعتماد على النفس بصفة عامة ، الاعتماد على النفس فى الأكل ، والملبس ، القدرة على توجيه الذات ، الاشتغال بأعمال ، الاتصال ، التحرك ، والتطبيع الاجتماعى) . ويمكن الحصول على درجات فرعية لكل طفل على كل مقياس من هذه المقاييس الفرعية على حدة . كما يمكن الحصول على درجة كلية للمقياس تمثل العمر الاجتماعى للطفل ونسبة ذكائه الاجتماعى .

تكونت عينة التقنين الأصلية للمقياس من ٦٢٠ فردا متضمنة ١٠ ذكور و ١٠ إناث فى كل سنة من الميلاد حتى سن الثلاثين . ويتحدد صدق المقياس على أساس قدرته على التمييز بين الأعمار والمقارنات التى تمت بين الأطفال المتخلفين والأسوياء، والارتباطات بين درجات المقياس ودرجات محكمين يعرفون الأطفال جيدا . كما حسب الثبات بطريقة إعادة الاختبار على ١٢٣ حالة وكانت قيمة المعامل ٩٢, ، هذا وقد تراوح المدى الزمنى للاعادة بين يوم و ٩ شهور : وقد تفاوتت الارتباطات إلى حد كبير بين النضج الاجتماعى وبين استانفورد بينيه لقياس ذكاء الأطفال ، كما كانت المعاملات الارتباطية الناتجة منخفضة :

وقد اتضحت قيمة مقياس الفاينلاند للنضج الاجتماعى للمعالجين الاكلينيكيين

فى الوصول إلى قرارات مع الأطفال المتخلفين عقليا ، فمثلا قد يكون فى إمكان الطفل الذى يظهر تخلفا على اختبار بينيه أن يتكيف بشكل مرضى خارج المؤسسة إذا كانت درجته مرتفعة نسبيا على مقياس الفاينلاند .

والصورة المستخدمة فى هذا البحث مكونة من ٨٩ فقرة مقسمة فى مستويات للأعمار من سن الميلاد حتى سن ١٢ — ١٥ سنة توضح درجة النضج الاجتماعى للطفل حسب مرحلة العمر التى ينتمى إليها . ويمكن بهذه الصورة الحصول على درجة كلية توضح النضج الاجتماعى بصفة عامة . كما يمكن الحصول على درجات توضح النضج الاجتماعى فى الجوانب الأساسية التى ذكرناها الآن . ويستخرج العمر الاجتماعى للطفل . ثم تحسب نسبة الذكاء الاجتماعى بنفس الطريقة المتبعة فى مقياس بينيه .

ثانيا : اختبار الهسكى بنراسكا للاستعداد التعليمى :

Hiskey Nebraska of Learning Aptitude :

وضع هذا الاختبار مارشال هسكى فى عام ١٩٤١ لسد الثغرات الموجودة فى عملية قياس ذكاء الأطفال الصم . وقد ذاع انتشاره بعد الحرب العالمية الثانية مما أوجب استخراج معايير للأطفال العاديين قائمة على أساس التوجيهات اللفظية المنطوقة عند إجراء الاختبار . وقد ظهرت هذه المعايير فى عام ١٩٥٥ . وقد جرب الاختبار بصورته الأولى مع ٤٦٦ طفلا فى السن من ٤ : ١٠ فى مدارس الصم التابعة لولايات ، أيوا ، بنراسكا ، كانساس ، ميسورى ، الينويس ، انديانا ، وأوهايو حيث كانت هذه العينة ممثلة للأفراد فى العمر الزمنى المطلوب والمقيدين بمدارس الصم فى بعض هذه الولايات .

ولقد ساد الاعتقاد بأن استخدام فكرة العمر العقلى سيقود إلى مقارنات خاطئة بين الأطفال الصم وعاديى السمع ، ولهذا السبب ولأن معظم عناصر الاختبار قد اختيرت لتماثل القدرات التى يجب أن يظهرها الطفل الأصم فى المدرسة ، فان اصطلاح العمر التعليمى قد استخدم مع الأطفال الصم ، فمثلا العمر التعليمى لطفل فى الخامسة من عمره يعنى أنه تبعا لنتائج الاختبار فان هذا الطفل يستطيع أن يقوم بتلك الواجبات التى يمكن لطفل أصم متوسط فى عمر خمس سنوات أن يقوم

بها أو أنه سيكون قادرا على حل المشكلات بنفس متوسط الكفاءة لطفل أصم فى سن الخامسة . وعند اعداد معايير الاختبار للأطفال العاديين (١٩٥٤ — ١٩٥٥) طبق الاختبار على الأطفال الذين طبق عليهم اختبار استانفورد بينيه وكان متوسط نسب ذكائهم من ٩٠ — ١١٠ . وطبق الاختبار على أكثر من ٤٠٠ طفل بين سن ٤ : ١٠ سنوات . وحين استخدم الاختبار مع الأطفال العاديين كان معامل الارتباط بين متوسطات نسب الذكاء فى اختبار بينيه ونسب الذكاء فى نبراسكا لكل مجموعة عمريه ٠٫٨٣ وهذا دليل على درجة عالية من الصدق إذا ما قبل اختبار استانفورد بينيه طبعة ١٩٣٧ كمقياس شائع الاستخدام ، ودليل أيضا على أن اختبار نبراسكا للاستعداد التعليمى يمكن استخدامه بثقة كمقياس للذكاء . كما حسب الثبات النصفى مع استخدام معادلة سبيرمان براون لتصحيح الطول . وكان معامل الثبات للأطفال الصم ٠٫٩٦٣ وللأطفال العاديين ٠٫٩٣٦ .

ثم عدل المقياس وزيدت فقراته إلى ١٦٣ موقف رتبت فى اثنى عشر اختبارا فرعيا وفقا للدرجة صعوبتها . وقد استخدم هذا المقياس المعدل مع كل الأطفال الصم وعاديي السمع بغية الحصول على معايير له . وقد قنن على مدى عمرى يتراوح من ٢٫٦ إلى ١٧ سنة وخمسة شهور . وتكونت عينة التقنين من ١٠٧٩ طفلا أصم و ١٠٧٤ عادى السمع . وقد روعى تكافؤ المجموعتين من حيث المستوى الاجتماعى الاقتصادى بمراعاة مهنة الأب . وقد خفضت فيه السرعة إلى أقصى درجة ممكنة لأنه قد لوحظ صعوبة نقلها إلى الطفل الأصم . كما بذلت فيه المحاولات ليشمل العديد من الوظائف العقلية التى قد لا تتوافر فى غيره من الاختبارات الأدائية . ويستخدم البانتومايم وتمرينات الأداء أمام الطفل . وقد اختيرت كل فقرات الاختبار بمراعاة حدود الطفل الأصم . كما اختيرت أيضا على أساس قدرتها على التمييز بين الأعمار .

حسبت الارتباطات الداخلية لفقرات الاختبار ، وقد كانت كل المعاملات مرتفعة بصورة مقبولة ودالة إحصائيا . ويوضح مارشال نبرا سكا أن من أحسن الشواهد على صدق الاختبار هو أن يستمر مستخدما بنجاح لعدة سنوات ، حيث دلت تقارير البحوث خلال العشرين سنة الأخيرة أن المقياس يعتبر وسيلة صادقة .

كما قام مصمم الاختبار بمحاولة ثانية لحساب الارتباطات فى الاختبار المعدل مع اختبار بينيه وكان الارتباط بين استانفورد بنيه والهسكى نبراسكا ٨٦, فى فئة السن من ٣ : ١٠ و ٧٨, فى فئة السن من ١١ : ١٧ . كما كان معامل الارتباط ٨٢, مع اختبار وكسلر لذكاء الأطفال WISC . كما حسب الثبات النصفى فى المقياس المعدل واستخدمت معادلة سبيرمان براون لتصحيح طول الاختبار . وكانت معاملات الثبات كالآتى :

٩٤٧, للأطفال الصم فى السن من ٣ : ١٠ سنوات .

٩٣٣, للأطفال العاديين فى السن من ٣ : ١٠ سنوات .

٩١٨, للأطفال الصم فى السن من ١١ : ١٧ سنة .

٩٠٤, للأطفال العاديين فى السن من ١١ : ١٧ سنة .

ويتكون الاختبار من ١٢ فقرة فرعية كالآتى :

١ – أنماط الخرز Bead patterns : للسن من ٣ : ١٠ . ويطلب فيه من الطفل أن يقوم بلضم أنواع مختلفة من الأشكال مباشرة أو من الذاكرة .

٢ – تذكر الألوان . Memonry for color : للسن من ٣ : ١٠ . . ويطلب فيه من الطفل أن يتعرف على مجموعات من الألوان من الذاكرة .

٣ – التعرف على الصور . Picture Identification : للسن من ٣ : ١٠ ويطلب فيه من المفحوص التعرف على مجموعات من الصور .

٤ – ترابط الصور Picture asscoiation : للسن من ٣ : ١٠ ويطلب فيه من المفحوص أن يجمع وحدات من الصور فى وحدات متماثلة .

٥ – تطبيق الورق Paper foldling : للسن من ٣ : ١٠ ويطلب فيه من المفحوص أن يطبق الورق بحسب نماذج معينة يقوم بها الفاحص أمامه .

٦ – مدى الإنتباه البصرى : Visual Attention span : يصلح لكل الأعمار : حيث يطلب فيه من الطفل أن يقوم بتجميع وحدات من الصور من الذاكرة .

٧ – المكعبات : Block Patterns : يصلح لكل الأعمار : ويطلب فيه من الطفل أن يكون مجموعات من المكعبات حسب نماذج مطبوعة على بطاقات .

٨ – تكميل الرسم : Completion of Drawings : يصلح لكل الأعمار ويطلب فيه من الطفل أن يكمل الأجزاء الناقصة من الرسومات بالقلم .

٩ – تذكر الأرقام .Memorny for digits : للسن من ١١ فاكثر . ويطلب فيه من الطفل أن يتعرف من الذاكره على مجموعات من الأرقام تقدم له .

١٠ – الغاز المكعبات : Puzzle Blocks : للسن من ١١ فأكثر . وهى مكونات من المكعبات مقطعة لتماثل شكلا أصليا يقدم للطفل ويطلب منة أن يجمع هذه القطع لتماثل الشكل الأصلى .

١١ – الصور المتناظرة Picture Analogy : للسن من ١١ فأكثر . ويقدم فيه للطفل مجموعات من الصور ويطلب منه أن يختار من بينها الصور المرتبطه معا معنى .

١٢ – الاستدلال المكانى : Spatial Reosoning : للسن من ١١ فاكثر . ويقدم فيه للطفل شكلا هندسيا ويطلب فيه منه أن يستخرج من مجموعات أخرى من الأشكال الشكل المكون للشكل المقدم .

ويعتبر الاختبار بهذه الصورة اختباراً أدائياً ، ويطبق تطبيقا فرديا ، ويغطى مدى العمر من ٣ : ١٧ سنة ، حيث هناك ثمانية اختبارات تصلح للسن من ٣ : ١٠ وأربعة اختبارات للسن من ١١ فأكثر . وتقدم التعليمات للطفل الأصم بالأشارة أو البانتومايم ، أما الطفل العادى فهى تقدم له لفظيا . يحسب بعد ذلك وسيط الدرجات ، ويستخرج العمر التعليمى من جداول المعايير ، وتستخرج نسبة الذكاء التعليمية بنفس الطريقة المستخدمة فى كل من اختبار استانفورد بينه والفاينلاند للنضج الاجتماعى . ويلاحظ أن هناك معايير خاصة للأطفال الصم .

ورغم أن الاختبار يعتبر اختبارا ادائياً . إلا أن الباحثه قد قامت بمحاولة لاختبار صلاحية الاختبار على عدد من الأطفال الصم وعاديي السمع من الأطفال المقيمين فى دار الطفولة للفحص والتاهيل النفس بحلوان ومن خارجها بهدف معرفة ما إذا كان الاختبار يصلح للاستخدام مع عينات مصريه . وقد اتضح من هذه المحاولة أن الاختبار –خاصة فى المستويات الصغيرة من الأعمار– يعتبر اختبارا مناسباً .

حساب الثبات : تم حساب الثبات النصفى لاختبار المسكى بنر اسكا للاستعداد التعليمى على عينتين احداهما من الأطفال الصم والأخرى من الأطفال العادين فى السن من ٣ : ١٠ باستخدام الاختبارات الثمانيه التى تصلح لهذا السن . وتكونت كل عينه من ٣٠ طفلا ١٥ من الذكور و ١٥ من الاناث . وكانت معاملات الارتباط الناتجة كالآتى كما يتضح من الجدول رقم (١) .

جدول رقم (١) يبين الثبات بالنسبة
لاختبار المسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى
للعينتين مع استخدام معادلة سبيرمان براون
لتصحيح الطول .

الثبات / العينة	الثبات قبل التصحيح	الثبات بعد التصحيح
الأطفال الصم	٨٥,	٩٢,
الأطفال عاديى السمع .	٨٣,	٩١,

ولهذه المعاملات دلالة احصائية مرتفعة ومقبوله . هذا وقد روعى تكافؤ المجموعتين بوجه عام من حيث المستوى الاجتماعى الاقتصادى .

كما حسب الثبات لمقياس الڤاينلاند للنضج الاجتماعى على العينتين بالاستعانة بالوالدين معا بطريقة اعادة الأختبار . وقد تراوح المدى الزمنى للاعادة بين يوم واحد وسبعة أيام . وكانت معاملات الثبات الناتجة كالآتى :

٩٣, للأطفال الصم و ٩٦ وللأطفال العايين ولهذا المعاملات دلاله احصائيه مرتفعه ومقبوله .

صدق اختبار الهسكى بنراسكا للاستعداد التعليمى :

و كمحاولة لبيان صدق الاختبار ، طبق اختبار استانفورد . بينية طبعه* ١٩٣٧ على العينة المكونة من ٣٠ طفلا من الأطفال عاديي السمع والتى حسب عليها الثبات ثم حسب معامل الارتباط بين نسب الذكاء للاختبارين . وقد كان معامل الارتباط الناتج ٨٩ و ولهذا المعامل دلالة احصائية مرتفعه ومقبوله .

العينه* (١) تكونت عينه البحث الأولى من ٣٠ طفلا أصم ، ١٥ من البنين و ١٥ من البنات فى السن من ٣ : ٦ وهى مرحلة الحضانة أو قبيل الالتحاق بالمدرسة . وقد فضلنا اختيار هذا السن قبل أن تتدخل مثيرات المدرسة فى عملية التعلم وما يصاحبها من نمو لغوى وتعدد فى الخبرات . وقد روعى ضبط المتغيرات الآتية فى العينة :

(ا) الا تقل درجة الفقد فى السمع عن ٨٠٪ حسب تشخيص الطبيب .

(ب) إلا يكون الطفل الأصم قد مر بأى خبره تدريب على الكلام .

(ح) الا يكون مصابا بأى نوع من الأضطرابات النفسية أو العصبية حسب تشخيص الطبيب .

(د) الا يكون هناك أى درجة من درجات التخلف العقلى .

(هـ) التشابة فى المستوى الأجتماعى الأقتصادى . وذلك حتى لايتدخل أى عامل من هذه العوامل بصورة أو بأخرى بجانب حاله الصمم فيوثر على النتائج .

---

* اعتمدت الباحثة فى حساب الصدق على طبعة ١٩٣٧ من اختبار استانفورد بينية لقياس ذكاء الأطفال ، رغم ظهور طبعة ١٩٦٠ التى عدلت فيها معايير الاختبار فأصبحت معايير مستعرضة بدلا من المعايير الطولية وذلك لصعوبة الحصول عليها .

(*) أخذت هذه العينة (١) من الأطفال الصم أثناء عمل الباحثة فى مشروع البحث فى وسائل تخاطب الصم التابع لوزارة الشئون الاجتماعية باشراف الأستاذ محمد حسن وكيل الوزارة . وقد أجرى فحص السمع فى العيادة الخارجية التابعة لمستشفى الدمرداش باشراف الدكتور صلاح الدين محمود سليمان الأستاذ المساعد بطب عين شمس والباحث الرئيسى بالمشروع . كما قام بفحص المستوى التخاطبى للطفل الدكتور ناصر قطبى الأستاذ المساعد بطب عين شمس والباحث الرئيسى بالمشروع . كما قامت بالفحص السيكياترى الدكتورة زينب بشرى المدرسة بطب عين شمس والباحثة بالمشروع . كما قامت الباحثة بفحص ذكاء الأطفال فى جمعية الصم والبكم مقر المشروع بمصر الجديدة .

العينة (٢) : أخذت عينه ضابطة من الأطفال عاديي السمع . تكونت من ٣٠ طفلا فى السن من ٣ : ٦، ١٥ من البنين و ١٥ من البنات . وقد روعى تكافؤ المجموعتين بصفة عامة من حيث المستوى الأجتماعى الأقتصادى . وقد اعتبرت العينتين من مستوى اجتماعى اقتصادى منخفض بمراعاه مختلف المتغيرات الممكنة مثل : مهنة الأب ، مستوى تعليم الأب ، مهنة الأم ، مستوى تعليم الأم ، الحى السكنى ، متوسط دخل الأسرة فى الشهر .

وكانت المتغيرات فى معظمها متماثلة مثل :

(أ) الحى السكنى : تراوح الحى السكنى للعينتين فى أحياء لا تخرج عن بولاق ، المطرية ، الشرابية ، وبعض العزب التابعة لأحياء .

(ب) مهنة الأب : لم تختلف مهنة الأب فى العينتين عن العمال والحرفيين وما إلى ذلك .

(جـ) مستوى تعليم الأب : يقرأ ويكتب .

(د) مستوى تعليم الأم : تقرأ وتكتب ٨٠ ٪ من الحالات وأميه فى ٢٠ ٪ منها .

(هـ) مهنة الأم : لا تعمل

(و) متوسط دخل الأسرة فى الشهر : تراوح الدخل بين ٢٠ : ٢٥ جنيهاً فى المتوسط .

الأجراء : طبق مقياس الفاينلاند للنضج الأجتماعى بالأستعانه بالوالدين معا. كما طبق على الأطفال أختيار الهسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى .

الفرض (١) : يختلف الأطفال الصم عن الأطفال عاديي السمع من حيث النضج الأجتماعى والأستعداد التعليمى .

النتائج : تم حساب المتوسط الحسابى والأنحراف المعيارى لنسب ذكاء كل أختيار ولدى كل عينه على حدة . كما تم حساب دلاله الفروق بين الأطفال الصم وعاديي السمع .

ويبين الجدول التالى رقم (٢) المتوسطات الحسابية والأنحرافات المعيارية وأختيار دلاله الفرق بين المجموعتين .

جدول رقم (٢) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعياريه للمجموعتين ودلاله للفرق بينها (قيمة ت)

الأختيار المستخدم	الأطفال الصم		الأطفال عاديي السمع		قيمةت
	م	ع	م	ع	
١ ـ الفاينلاند للنضج الأجتماعى	٧٧,٥٤	١٣,٤٦	٨٢,٦٩	٤,٩٨	** ٢,٧٥
٢ ـ الهسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى .	٧٤	١٢,١٢	٨٥	٣,٥٦	** ٦,٧١

** له دلالة احصائية عند مستوى ٠١,٠ .

يتضح من المقارنات السابقة أنه كانت هناك فروق ذات دلالة احصائية بين العينتين الصم وعاديى السمع من حيث النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى فى اتجاه التفوق لعينة الأطفال عاديى السمع ، ويتضح ذلك من الفروق الدالة ومن الفروق بين المتوسطات .

ولقد رأت الباحثة أن تكرر هذه المحاولة مرة أخرى على عينتين من مستوى اجتماعى اقتصادى مختلف لتتبين ما إذا كانت الفروق بين الصم وعاديى السمع فروقا قائمة فعلا مهما اختلفت منبهات البيئة بما تتيحه من فرص وإمكانيات تفوق المستوى المنخفض .

العينة (٣): أخذت عينة من الأطفال الصم ٣٠ طفلا من الأطفال المترددين على العيادات الخاصة . ١٥ من البنين و ١٥ من البنات فى السن من ٣ : ٦ وقد اعتبرت العينة من مستوى اجتماعى اقتصادى متوسط مراعاه نفس المتغيرات السابقة .

العينة (٤) : وفى مقابل ذلك عينة من ٣٠ طفلامن الأطفال عاديى السمع فى السن من ٣ : ٦ ، ١٥ من البنين و١٥ من البنات . وقد روعى تكافؤ المجموعتين من حيث المستوى الاجتماعى الأقتصادى المتوسط ، بضبط نفس المتغيرات التى سبق ضبطها فى العينتين السابقتين .

الأجراء : طبق مقياس الفاينلاند للنضج الأجتماعى بالأستعانة بالوالدين معا كما طبق على الأطفال أختبار الهسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى .

النتائج : حسب المتوسط الحسابى والأنحراف المعيارى بالنسبه لكل أختيار ولدى كل عينة على حدة . كما تم حساب دلالة الفروق بين المجموعتين الصم وعاديي السمع باختيار « ت ». ويبين الجدول رقم (٣) المتوسطات الحسابية والأنحرافات المعيارية وأختيار دلالة الفرق بين المجموعتين .

جلول رقم (٣) يبين المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى
للمجموعتين ، ودلاله الفرق بينهما (أختبار ت)

الأختيار المستخدم	الأطفال الصم من مستوى متوسط		الأطفال العاديين من نفس المستوى		قيمة «ت»
	م	ع	م	ع	
١ـ الفاينلاند للنضج الأجتماعى	٩١.١٢	٣.٧٦	٩٧	٥.٣١	٦.٨٦ **
٢ـ الهسكى نبر اسكا للاستعداد التعليمى	٨٩	٣.٧٠	٩٩	٦.٨١	٩.٩ **

** له دلالة احصائية عند مستوى ١ ٠ و .

تأكد بهذا الفرض الأول وهو أن هناك فروقا دالة احصائيا بين الأطفال الصم وعاديى السمع من حيث النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى فى اتجاه التفوق للأطفال عاديى السمع كما يتضح من المتوسطات الحسابية ، ومن ارتفاع دلالة الفروق فى مستويين من المستويات الاجتماعية الاقتصادية .

ثانيا : قارنا حتى الآن بين الأطفال الصم وعاديي السمع من حيث النضج الاجتماعى ، والاستعداد التعليمى . وقد رأينا كمحاولة لبيان أثر المستوى الاجتماعى الاقتصادى ، والفرق بين البيئات المنبهة والبيئات غير المنبهة أن نقارن داخل العينات.

(أ) الأطفال الصم من مستوى اجتماعى اقتصادى منخفض .

(ب) الأطفال الصم من مستوى اجتماعى اقتصادى متوسط .

كما تم المقارنة داخل عينة الأطفال عادين السمع بين المستويين بنفس الطريقة .

(أ) أطفال عادين من مستوى اجتماعى اقتصادى منخفض .

(ب) أطفال عادين من مستوى اجتماعى اقتصادى متوسط .

الفرض (٢) : يؤثر المستوى الاجتماعى الأقتصادى فى النمو الاجتماعى والأستعداد التعليمى للطفل سواء اكان أصما أم عادى السمع .

النتائج : حسبت قيمة «ت» للمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية الناتجة ويبين الجدولان (٤)، (٥) قيمة «ت» لدلالة الفروق بين المجموعات.

جدول رقم (٤) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجموعتين من الأطفال الصم ودلالة الفرق بينهما.

الاختبار المستخدم	أطفال صم من مستوى منخفض		أطفال صم من مستوى متوسط		قيمة «ت»
	م	ع	م	ع	
١ – الفاينلاند للنضج الاجتماعى	٧٧,٥٤	١٣,٤٦	٩١,٢	٣,٧٦	** ٧,٥١
٢ – الهسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى	٧٤	١٢,١٢	٨٩	٣,٧٠	** ٩,٠٩

** له دلالة احصائية عند مستوى ٠١ر.

جدول رقم (٥) يبين المتوسطات الحسابية

والانحرافات المعيارية للمجموعتين من الأطفال عاديي السمع ودلالة الفرق بينهما

الاختبار المستخدم	الاطفال العاديين من مستوى منخفض		الاطفال العاديين من مستوى متوسط		قيمة ت
	م	ع	م	ع	
١ – الفاينلاندللنضج الاجتماعى	٨٢,٦٩	٤,٩٨	٩٧	٥,٣١	* * ١٥,٢٣
الهسكى نبراسكا للاستعداد التعليمى	٨٥	٣,٥٦	٩٩	٦,٨١	* * ١٤

يتضح من هذه المقارنات أن هناك فروقا داخل المجموعات من حيث النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى فى اتجاه التفوق للمجموعتين من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط. وقد اتضح ذلك من ارتفاع المتوسطات الحسابية ومن ارتفاع دلالة الفروق. وتأكد بهذا الفرض الثانى وهو أن المستوى الحضارى للطفل يؤثر إلى حد كبير فى نموه الاجتماعى واستعداده التعليمى.

ثالثا : تدل الدراسات المختلفة عن التطبيع الاجتماعى فى الدول المتقدمة. والدول النامية أن هذا التطبيع يختلف عند البنت عنه عند الولد متأثرا بنظرة وظروف المجتمع

المتاحة لكل منهما . ولهذا فقد رأت الباحثة أن تختبر الفروق بين الجنسين من حيث النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى كمحاولة استكشافية لبيان هذه الفروق فى حالة وجود عاهة حسية هى الصمم .

الفرض (٣) : يختلف النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى للولد الأصم عن البنت الأصم إذا قورن ذلك بالأطفال العاديين .

النتائج : تم حساب المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى لكل اختبار ولدى كل عينة على حده. كما تم حساب دلالة الفروق باستخدام اختبار « ت » وتبين الجداول من (٦) إلى (١٣) دلالة هذه الفروق .

جدول رقم (٦) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى النضج الاجتماعى داخل عينة الأطفال الصم من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المنخفض .

	م	ع
بنين	٧٥،٤	٢،٧٦
بنات	٧٦،٦٣	٣،٩

قيمة ت = ١،٣٨

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (٧) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى الاستعداد التعليمى داخل عينة الأطفال الصم من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المنخفض .

	م	ع
بنين	٧٥	٣،٢٤
بنات	٧٣،٢٤	٢،٢٦

قيمة ت = ٢،٢١

ولهذه القيمة دلالة احصائية عند مستوى ٠٥،

جدول رقم (٨) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى النضج الاجتماعى داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المنخفض .

	م	ع
بنين	٨٢	٥,١٣
بنات	٨٣,٥	٥,١

قيمة ت = ١,٠٨

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (٩) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى الاستعداد التعليمى داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المنخفض .

	م	ع
بنين	٨٥,٨٨	٢,٩٦
بنات	٨٤,٦	٤,٠٨

قيمة ت = ١,٣٧

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (١٠) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى النضج الاجتماعى داخل عينة الأطفال الصم من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط .

	م	ع
بنين	٨٩,٣٦	٤,٥٩
بنات	٩٠	٢,٠٤

قيمة ت = ,٦٧ .

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (١١) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى الاستعداد التعليمى داخل عينة الأطفال الصم من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط .

	م	ع
بنين	٨٩	٢,٠٨
بنات	٨٨,٤٦	٤,٣٤

قيمة ت = ,٦١

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (١٢) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى النضج الاجتماعى داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط .

	م	ع
بنين	١٠١,٧	٧,١٤
بنات	١٠١,٤٤	٧,١١

قيمة ت = ,١٤

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

جدول رقم (١٣) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للفروق بين الجنسين فى الاستعداد التعليمى داخل عينة الأطفال العاديين من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط .

	م	ع
بنين	١٠١,٤٦	٦,٤٥
بنات	٩٩,٥١	٦,٤٢

قيمة ت = ١,١٥ .

وليس لهذه القيمة دلالة احصائية .

مناقشة النتائج

تحققت فروض البحث فى معظمها إذ تبين أن هناك فروقا بين الأطفال الصم وعاديي السمع فى كل من النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى، كما كانت هناك فروق داخل المجموعات موضحة أثر المستوى الاجتماعى الاقتصادى. بينما لم تتضح أيه فروق بين الجنسين فى عينات البحث الأربع. وسنتناول الآن كل فرض من الفروض الثلاثة بالمناقشة موضحين ارتباط نتائج هذا البحث بالدراسات والبحوث السابقة التى أجريت على الصم والمعوقين بصفة عامة.

أولا : الفرض الأول : تركز الدراسات والبحوث على أهمية اللغة كعامل من العوامل الأساسية التى تتدخل فى النضج الاجتماعى والاستعداد التعليمى للطفل، كما أنها تعتبر من المكونات فى نمو وتطور الذكاء. وقد اتضح من نتائج الفرض الأول أن الفروق بين الأطفال الصم وعاديي السمع فروقا دالة احصائيا فى اتجاه التفوق للأطفال العاديين، وإذا وضعنا فى اعتبارنا العوامل التى استطعنا تثبيتها بين العينات الأربع يتضح أن العامل المتغير الوحيد هو اللغة. فلا شك أن عدم قدرة الطفل الأصم على استخدام اللغة يعوق إلى حد كبير نموه الاجتماعى ويعوق بشكل أوضح استعداده التعليمى. وقد كانت الفروق بين النضج الاجتماعى للعينتين دالة احصائيا. إذ كان متوسط النضج الاجتماعى للأطفال الصم من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المنخفض ٧٧,٥٤ بينما كان لعاديي السمع ٨٢,٦٩ ووصلت قيمة « ت » إلى ٢,٧٥ وقد كان لهذه القيمة دلالة احصائية عند مستوى ٠,٠١ كما اتضح من الجدول رقم (٣) أن الفروق بين العينتين من المستوى الاجتماعى الاقتصادى المتوسط فروقا دالة فقد كان متوسط النضج الاجتماعى للأطفال الصم ٩١,٢ بينما كان ٩٧ لعاديي السمع وكانت قيمة « ت » ٦,٨٦. وهذا ما يؤكد أهمية اللغة كعامل حيوى فى نمو قدرة الطفل على التعامل والتواصل الاجتماعى. فرغم أن المستوى الاجتماعى الاقتصادى قد يتدخل ويتيح للطفل فى البيئة المتوسطة الفرصة على نمو امكاناته يتيح له القدرة على التواصل الاجتماعى، فلا شك أن لعامل السن دخل واضح فى هذه المقارنات، فنلاحظ أن عينات البحث كانت فى السن من ٣ : ٦ وهى مرحلة الحضانة أو قبيل الالتحاق بالمدرسة. وهنا نجد أن الطفل الأصم قد لا تساعده

امكانياته بعد على المحاكاة والاستفادة من البيئة مثل الطفل العادى الذى يتعلم من البيئة كل يوم شيئا جديدا . فالطفل الأصم يعانى فى هذه المرحلة الكثير من المشكلات الاجتماعية والنفسية قبل أن يتاح له التأقلم مع صممه ومحاولة تعويضه بجوانب أخرى من قدراته .

كما كانت الفروق بين الاستعداد التعليمى أكثر ارتفاعا . فقد كان المتوسط الحسابى للاستعداد التعليمى للأطفال الصم من مستوى منخفض ٧٤ بينما كان لعاديى السمع ٨٥ ووصلت قيمة « ت » إلى ٦.٧١ ولهذه القيمة دلالة احصائية عند مستوى ٠١ر. كما اتضحت نفس النتيجة فى المقارنات الموضحة بالحلول رقم (٣) إذ كان المتوسط الحسابى للأطفال الصم ٨٩ فى حين كان ٩٩ لعاديى السمع ووصلت قيمة « ت » إلى ٩,٩ مسجلة دلالة أحصائية عند مستوى ٠١ر. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج البحوث التى أوضحت دائما أن افتقار الصم إلى اللغة يعوق إلى حد كبير النمو الاجتماعى والاستعداد التعليمى. فنجد بحوث أنستازى التى تؤكد على أن الصمم يعوق النمو اللغوى كما أنه يمنع الاتصالات الاجتماعية العادية مما يؤدى إلى تأخر الطفل الأصم بشكل عام عن الطفل عادى السمع (السيد خيرى وآخرون ١٩٥٩ ص ٥٤٢) . كذلك وجد باترسون ١٩٣٠ تخلفا لدى الأصم يصل مقداره إلى ٢٢ شهرا وقد كان هناك احساس بأن هذا التخلف يرجع فى جزء كبير منه إلى التأخر فى بدء التعلم وإلى عدم القدرة على تمثل اللغة Hiskey Nebraska manual. 1966

ووجدت تاون ١٩٦٢ علاقة واضحة بين اللغة والذكاء وبينت نتائجها علاقات واضحة بين مستويات التخلف العقلى قائمة على أساس اختبار بينيه ونمو وتطور اللغة عند الأطفال . مثل فهم الايماءات ، تقليد الآخرين . فهم الكلمات ، ترديد الكلمات ، بداية استخدام الجمل . كما وجدت تقدما واضحا فى الذكاء مع ازدياد المحصول اللغوى فى السن من ٣ : ٦ . A.C. Towen 1962.
كما وجد سيركين ولوين ١٩٤١ علاقه واضحة بين نسب الذكاء عند الأطفال الذين يعانون من عيوب الكلام وبين درجة النقص اللغوى الى يعانون منها N. ELLIS. 1963. P. 526.

وتوضح الدراسة الى قام بها أندرو ١٩٦٩ علاقة اللغة بالذكاء والنمو .فقد

قارن بين مجموعتين من الأطفال أحدهما من الصم ويقيم فى مدرسة خاصة وأخرى من الأطفال العاديين فى أحدى مدارس الحضانة . وقد استخدم اندرو أختبار استانفورد بينيه لقياس الذكاء حيث قد وجد أن هذا الأختبار يصلح للاستخدام فى المستويات الصغيره من الأعمار . وقد وجد علاقة واضحة بين استخدام اللغة وبين نمو الطفل العقلى وقدرته بصفة عامة . E.H.Young. 1955. P. 136.

ثانيا : الفرض الثانى : تحقق أيضا الفرض الثانى إذا اتضح من المقارنات أن هناك فروقاً بين الأطفال فى النضج الأجتماعى والأستعداد التعليمى ،فروقاً مرتبطه بالمستوى الأجتماعى الأقتصادى . وقد اتضح ذلك من مقارنة المتوسطات الحسابية ومن دلالة الفروق التى تظهر من الجدولان ٤، ٥ . ونشير هنا بصفة خاصة إلى الدراسات التى بينت أثر العوامل البيئية على نمو الذكاء بصفة عامة . فقد بينت معظم الدراسات أن نسبة الذكاء تظل ثابتة بعد سن معين ، وأن ثراء البيئة بالخبرات يلعب دورا هاما فى تحسن الذكاء فى حدود معينة وذلك عند أختبار الأطفال فى السن أقل من ٦ . وهذا ما يدل عاده على أن الطفل يكون أكثر مرونة فى المراحل المبكرة من نموه وأنه يمكن أن يتقدم إلى حد كبير إذا ما كانت البيئة التى ينمو فيها بيئة منشطة متعددة المثيرات مما يتيح له نمو الخبره وتعددها .

وتبين الدراسات الحديثة أن هناك فروقاً واضحة فى نمو الطفل تختلف بين الأطفال من الريف والحضر ، والأطفال من المجتمعات الصناعية ، والأطفال من الطبقات المتوسطة . وقد أكدت هذه الدراسات على أهمية العوامل البيئية . فقد إتضح من دراسة كيرك مع الأطفال المتخلفين والمعوقين كيف أدى التدريب فى مرحلة ما قبل المدرسة إلى ازدياد معدل النمو العقلى والاجتماعى . Kuppuswamy 1974. P. 156. كما وجد مكارتى قبل ذلك ١٩٣٠ علاقة بين نمو اللغة عند الطفل وبين المستوى الأجتماعى الأقتصادى فى اتجاه التفوق للاطفال من المستوى الأجتماعى الأقتصادى المتوسط . (سويف ١٩٧٥ص) . كما وجد تمبلين أيضاً ١٩٥٧ أنه فى كل مقاييس النمو المختلفة لدى الأطفال فى السن من ٣ : ٦ تفوق الأطفال من المستوى الأجتماعى الأقتصادى المتوسط ، ذلك أن الوالدين من المستوى المتوسط كما ذكر الباحث يثيران الطفل ذهنياً بما يقدمانه له من خبرات ومن فرص للنمو تفوق إلى حد كبير مثيرات الطفل من المستوى الأقل من المتوسط .

كذلك استخدمت رافال ١٩٧٠ (Kuppuswamy 1974. P. 156) مقياس الفاينلاند للنضج الاجتماعى كنموذج وطورت منه صوره جديدة مقتصرة فقط على العشر سنوات الأولى من عمر الطفل، وقد وصفت النضج الاجتماعى بأنه عملية تطور من (أ) الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس . (ب) من عدم تحمل المسئولية إلى الأحساس بالمسئولية . (ج) من الإحساس بعدم القدرة إلى الإحساس بالقدرة وقد تكون مقياس رافال من ١٧٠ فقرة تتضمن فقرات تغطى نفس البنود الأساسية لمقياس دول . ومن بين الفقرات الـ ١٧٠ تبين أن هناك ١٠٠ فقرة تميز بين الأطفال من الريف والحضر . فلم يتفوق الأطفال الريفيون الا فى ٧ فقرات فقط بينما تفوق الحضريون فى ٩٣ فقره . كما بينت الدراسة أيضاً أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل أهمية بالغة فى نضجه الإجتماعى . أى أن لجو الأسرة وجو الحضارة بصفة عامة أهمية بالغة فى نضج الطفل الأجتماعى .

ويلاحظ أيضاً أن الأطفال من المستوى الإجتماعى الإقتصادى المتوسط ينحدرون من آباء متعلمين ، حصلوا على شهادات جامعية على الأقل ، وهذا ما يعنى انهم من مستوى ذكاء لا يقل عن المتوسط أن لم يزد . ولا شك أن عامل الوراثه يلعب دورا فى نمو الطفل العقلى بصفة عامة كما تؤكد الدراسات ، والإحتمالان مطروحان للاستفسار فى أية دراسة تالية توضح أكثر طبيعة الفروق فى المستويات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة .

ثالثاً : الفرض الثالث : كثيراً ما تختلف نظرة المجتمع وطريقة وأسلوب معاملة الأفراد للبنت إذا ما أصيبت بفقد حاسة من الحواس عن أسلوب معاملتهم للولد ، بشكل قد يؤثر إلى حد ما فى عملية النضج الاجتماعى والإستعداد للتعلم . وقد كان هذا ما دعانا إلى محاولة استكشاف هذه الفروق بين العينات ومقارنة ذلك بالنضج لدى الأطفال العاديين . وقد اتضح من المقارنات أن الفروق لم تصل لحد الدلالة الاحصائية إلا مرة واحدة فقط ، حيث كان لاحدى قيم «ت» دلاله إحصائية عند مستوى ٠٥,٠ وهذه القيمة بمفردها لا توضح طبيعة الفروق المتوقعة . والواقع أن ضعف الفروق ربما يشير إلى أن الصمم لا يؤثر إلى حد كبير فى الفروق بين الجنسين . إلا أن النقاط التى لابد وأن نضعها فى الاعتبار عند النظر

لهذه النتيجة : أولا مرحلة العمر التي اخترناها فى هذا البحث وهى مرحلة الحضانة أو قبيل الألتحاق بالمدرسة ، حيث تراوح المدى الزمنى للاطفال من ٣ : ٦ سنوات . فى هذه المرحلة يكون الطفل غير فعال فى المجتمع بظروفه المختلفة : بل تقتصر الدائره التى يتعامل معها فى أضيق نطاق، فى دائره الأسرة الصغيرة فقط . وقد يحتاج الأمر إلى محاولة أوسع تتناول عينات من الأطفال المعوقين فى مراحل عمر مختلفة لتتبين طبيعة الفروق بين الجنسين ،هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى نلفت النظر إلى أن عينات المقارنة بين الأولاد والبنات كانت صغيرة العدد فقد تمت المقارنات بين ١٥ ولد و ١٥ بنت فى كل فئة من عينات البحث الأربع ، وربما اختلفت هذه النتيجة أو تأكدت بشكل قاطع فى محاولة أخرى بعدد أكثر من الأولاد والبنات .

ونشير أخيراً إلى أنه قد عقدت جامعة الدول العربية عدة مؤتمرات فى الستينات والسبعينات من هذا القرن (حلقة تربية الموهوبين والمعوقين فى البلاد العربية — التقرير النهائى وتوجيهات الحلقة : ١٩٦٩، ١٩٧٤) . تناولت بالداراسة الأطفال المعوقين والموهوبين وكان موضوع دراسة الصم وتأهيلهم من الموضوعات الأساسية التى نوقشت فى هذه المؤتمرات . وقد عرف الطفل الأصم من الناحية الطبية بأنه « ذلك الطفل الذى حرم حاسة السمع منذ ولادته : أو هو الذى فقد القدرة السمعية قبل تعلم الكلام ، أو هو الذى فقدها بمجرد أن تعلم الكلام لدرجة أن آثار التعلم فقدت بسرعة .وقد بين المؤتمران الطفل الأصم يتميز بالصفات البارزه الآتية :

١ — أن الطفل الأصم يميل لأن ينسحب من المجتمع ولذلك فهو غير ناضج اجتماعيا بدرجة كافيه .

٢ — أن الأطفال الصم كمجموعة لديهم مشكلات خاصة بالسلوك ، مثل العدوان ، والسرقة ، والرغبة فى التنكيل ، والكيد بالآخرين وتوقيع الإيذاء .

٣ — أن الأطفال الصم يميلون غالبا إلى الإشباع المباشر لحاجاتهم ، بمعنى أن مطالبهم يجب أن تشبع بسرعة .

٤ ــ أن استجابات الطفل الأصم لاختبارات الذكاء التى تتفق مع نوع إعاقته لا تختلف عن استجابات الطفل العادى .

٥ ــ أن التكيف الإجتماعى غير واضح لدى الأطفال الصم. كما اثبت ذلك أختبار روجرز للشخصية ومقياس براون للشخصية .

٦ ــ أن الأطفال الصم قد أظهروا عجزاً واضحاً فى قدرتهم على تحمل المسئولية !

٧ ــ أثبت أختبار فانيلاند للنضج الإجتماعى انهم غير كاملين من ناحية النضج الإجتماعي وذلك بسبب عجزهم عن التفاعل مع المجتمع لأن التفاعل الذى يتم بين الفرد والمجتمع وأفراده الآخرين يؤدى حتما إلى نضجهم إجتماعياً .

٨ ــ أن المخاوف تظهر بصورة واضحة لدىالبنات الصموأكبر هذه المخاوف ظهورا هى الخوف من المستقبل .

٩ ــ يمكن إجراء الاختبارات والمقاييس النفسية والعقلية على الأطفالالصم بعد إجراء التعديلات الملائمة لها .

ملخص البحث

تمت المقارنه بين أربع مجموعات من الأطفال فى السن من ٣ :٦ من مستويين اجتماعيين إقتصاديين هما المستوى المنخفض والمستوى المتوسط بين الأطفال الصم وعاديي السمع من حيث النضج الإجتماعى والاستعداد التعليمي باستخدام مقياس الفانيلاند للنضج الأجتماعي والهسكى بتراسكا وقد تكونت كل عينه من عينات البحث من ٣٠ طفلا ١٥ من البنين و١٥ من البنات . وقد ضبطت معظم المتغيرات التى تجعل المقارنات ممكنة للاجابة على فروض البحث الثلاثة .وقد تبين باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة أن الفروق بين المجموعات فروقا داله بشكل تسمح بمناقشة النتائج فى إطار الفروق التى ظهرت من الكثير من الدراسات السابقة على الصم والمعوقين بشكل عام .

مراجع البحث

اولا : المراجع العربية :

١ — اسماعيل ، م . ع . ، ابراهيم . ن . أ . ومنصور . ر . ف . كيف نربى أطفالنا ، القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٦٧ .

٢ — الغريب ، رمزية . التقويم والقياس النفسى والتربوى ، القاهرة : الأنجلو ، ١٩٧٠

٣ — خيرى . أ . م . الإحصاء فى البحوث النفسية والتربويه والإجتماعية . القاهرة : الفكر العربى ، ١٩٥٦

٤ — خيرى . أ . م . ، سويف ، م ، أ ، وآخرون . سيكولوجية الفروق بين الأفراد والجماعات . القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ .

٥ — سلامة . أ . غ . جابر ع . ج . سيكولوجية الطفولة والشخصية . القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٧٠ .

٦ — سليمان . ع . المنهج وكتابة تقرير البحث فى العلوم السلوكية . القاهرة : الأنجلو ، ١٩٧٣ .

٧ — سويف . م . أ . مقدمة لعلم النفس الإجتماعى . القاهرة : الأنجلو ، ١٩٧٥ .

٨ — جامعة الدول العربية . الأمانة العامة ، الإدارة الثقافية ، قسم التربية ، حلقة تربية الموهوبين والمعوقين فى البلاد العربية . التقرير النهائى وتوصيات الحلقة مايو ١٩٦٩

ثانيا : المراجع الاجنبية :

9. Andrew. M.C. Rigidity and Isolations : Astudy of the deaf and the blind, canadian psychol. 1948, Vol. 43. pp. 476—494.

10. ANASTASI. A. *Psychological testing*. 3rd. London : MACMillam. 1968.

11. ANASTASI. A.L. Folley : *Differential Psychology*. 3rd. New York : MACmillam, 1958.

12. Frandsen. A.N. *How children hearn*. New York : McGraw-Hill, 1957.

13. Jarecky. K. Identification of the Socially Gifted, in, B. BARBE. L. Rem. Zulli. J. (Eds). *Psychology and education of the gifted*. New York : John-wiley, 1965.

14. Kyppuswamy, *child Behaviar and development*. INDIA : .Bharti-1974.

15. Spradlin. J. E. Language and comunication of mental defectives. in, ELLIS. N. (Ed.) *Hand Book of Mental deficiency*, New York : MCGrew Hill, 1963.

16. Young E.H.L. Hawk. S.S. *MoTo-Kinesthesthetic, speech training*, california : stanford university press. 1955.

17. Special education ; the Handicapped and the gifted. Report of the committee on special classes. white House conference on child health and protection. New York-London, 1931.

الامم المتحدة وقضية اريتريا

١٩٤٥ ـ ١٩٥٢

للدكتور السيد رجب حراز
أستاذ التاريخ الحديث المساعد
كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

تمكنت قوات الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية من انزال الهزيمة بالايطاليين فى شرق أفريقية . وقامت ادارة عسكرية بريطانية بالسيطرة على الصومال واريتريا وأثيوبيا . ولم يثر مصير أثيوبيا أى اشكال بين الحلفاء . فقد عاد الامبراطور هيلاسلاسى الى بلاده مع قوات الحلفاء بعد غياب دام خمس سنوات واستقر فى أديس أبابا منذ ٥ مايو ١٩٤١ . ثم عقد مع بريطانيا اتفاقيات فى ٣١ يناير ١٩٤٢ و ١٩ ديسمبر ١٩٤٤ تم له بموجبها العودة الى السلطة ، وبذا تحقق تصريح أنطونى ايدن Eden وزير خارجية بريطانيا فى ٤ فبراير ١٩٤١ ، والذى جاء به « ان جلالة الملك سوف يرحب بعودة ظهور دولة أثيوبية مستقلة ، وسوف يعترف بحق الامبراطور هيلاسلاسى فى المطالبة بالعرش » (١) .

وكان الاتجاه الغالب بين الحلفاء أثناء الحرب هو أن ايطاليا فقدت امبراطوريتها فى أفريقية ، وأنها لن تعود بعد الحرب الى هذه المستعمرات (٢) .

---

(1) Luther, E. W.: Ethiopia Today, pp 21—22; Greenfield, R.: Ethiopia. A New Political History, pp 273—276; Sandford, C.: Ethiopia under Hailé Selassié, p. 120.

(٢) عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى أفريقية ص ٣٩٣ .

وفى ٨ مايو ١٩٤٥ انتهت الحرب فى أوروبا ، وعقد الثلاثة الكبار : ترومان وتشرشل وستالين فى ١٧ يونية مؤتمرا فى بوتسدام ، حيث تقرر انشاء مجلس وزراء خارجية Council of Foreign Ministers تمثل فيه كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفيتية والصين وفرنسا ، ويكلف هذا المجلس بتحضير مشروع معاهدات الصلح مع ايطاليا ورومانيا وبلغاريا والمجر وفنلندا لعرضها على الأمم المتحدة (٣) .

وقد اجتمع المجلس المذكور لأول مرة فى ١١ سبتمبر ١٩٤٥ فى لندن ووالى اجتماعه حتى ٢ أكتوبر من العام نفسه . وفى هذا الاجتماع وضع المشروع الأول لمعاهدة الصلح مع ايطاليا . ثم عقد وزراء خارجية بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى اجتماعا فى موسكو (١٠ — ٢٤ ديسمبر ١٩٤٥) تقرر فيه أن يوالى نواب وزراء الخارجية اجتماعاتهم فى لندن لاتمام صياغة المشروعات النهائية لمعاهدات الصلح ، وعند اتمام عملهم يدعو مجلس وزراء الخارجية للانعقاد مؤتمرا يضم الدول الخمس الكبرى وجميع الأمم التى ساهمت فى الحرب بقوات وفيرة ضد الدول الأوروبية المعادية ، ويكون من مهمة هذا المؤتمر النظر فى مشروعات المعاهدات المذكورة . وتقرر أن تقوم الدول الموقعة على شروط الهدنة مع ايطاليا ورومانيا والمجر وبلغاريا وفنلندا بتحرير النصوص النهائية لمعاهدات الصلح توطئة للتوقيع عليها من ممثلى الدول الحاضرة فى المؤتمر ، والتى كانت فى حرب مع الدول المعادية المذكورة وتصبح المعاهدات نافذة بمجرد التصديق عليها من الدول الموقعة على شروط الهدنة .

واجتمع نواب وزراء الخارجية فى لندن من يناير الى أبريل ١٩٤٦ للقيام بما طلب منهم . وفى ٢٥ أبريل انعقد مجلس وزراء الخارجية فى باريس وقرر بعد أن تأجل اجتماعه من ١٦ مايو الى ١٥ يونية ١٩٤٦ توجيه الدعوة لمؤتمر باريس ، فاجتمعت أحدى وعشرون دولة فى باريس فى ٢٩ يولية واستمر الاجتماع الى ١٥ أكتوبر ١٩٤٦ . ثم اجتمع مجلس وزراء الخارجية مرة أخرى

---

(٣) Pankhurst, E. S. & Pankhurst, R. K. P.: Ethiopia and Eritrea. The Last Phase of the Reunion Struggle 1941—1952, p. 117.

فى نيويورك فى ٤ نوفمبر أثناء انعقاد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة وأعاد النظر فى توصيات مؤتمر الصلح فى باريس ، وعقد المجلس جلسة ختامية فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٦ واستقر قراره على أن توقع الدول الاحدى والعشرون ودول الأعداء السابقة معاهدات الصلح فى باريس فى ١٠ فبراير ١٩٤٧ (٤) .

معاهدة الصلح مع ايطاليا :

ووقعت بالفعل فى باريس فى ١٠ فبراير ١٩٤٧ معاهدة الصلح مع ايطاليا (٥) وصدر عن الدول الأربع : الاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا تصريح فى اليوم نفسه ألحق بالمعاهدة تحت رقم ١١ . وقد نصت المادة ٢٣ من معاهدة الصلح مع ايطاليا على ما يلى :

١ — تتنازل ايطاليا عن كل حق أو سند فى الممتلكات الايطالية الاقليمية فى أفريقية ، وهى ليبيا واريتريا والصومال الايطالى .

٢ — الى أن يتم تقرير مصيرها نهائيا تستمر هذه الممتلكات تحت الادارة الحالية .

٣ — تقوم حكومات الاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا بالاشتراك فيما بينها بتقرير مصير هذه الممتلكات تقريرا نهائيا فى خلال سنة من تنفيذ المعاهدة الحالية بالطريقة المبينة فى التصريح المشترك الصادر من تلك الحكومات فى ١٠ فبراير ١٩٤٧ برقم ١١ والآتى نصه :

(أ) اتفقت حكومات الاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على أن تبت نهائيا بالاشتراك فيما بينها فى مصير الممتلكات الاقليمية الايطالية فى أفريقية التى تنازلت ايطاليا عن أى حق أو سند فيها طبقا للمادة ٢٣ من معاهدة الصلح مع ايطاليا المؤرخة فى ١٠ فبراير ١٩٤٧ وذلك فى خلال سنة من تنفيذها .

(ب) تقوم الدول الأربع بتقرير مصير الأقاليم المنوه عنها تقريرا نهائيا ، وبتعديل حدودها التعديل المناسب على ضوء رغبات الأهالى ، ومما

---

(٤) مذكرة عن « نظام الوصاية الدولى وعلاقته بمصير المستعمرات الايطالية » بقلم عمر لطفى . اغسطس ١٩٤٧ .

(٥) صودق عليها فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ .

يحقق رفاهيتهم ويصون مصلحة السلام والأمن ، مع مراعاة وجهات نظر الدول الأخرى التى يعنيها الأمر .

(جـ) اذا لم تتمكن الدول الأربع من الاتفاق فى خلال سنة من تنفيذ معاهدة الصلح مع ايطاليا على تقرير مصير أى اقليم من هذه الأقاليم ، رفع الأمر الى الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة لتصدر توصية (بشأنه) وتتعهد الدول الأربع بأن تقبل التوصية وأن تتخذ الاجراءات المناسبة لتنفيذها .

(د) يقوم نواب وزراء الخارجية بموالاة النظر فى مسألة تقرير مصير المستعمرات الايطالية السابقة ، بقصد التوصل الى توصيات خاصة بالموضوع تعرض على مجلس وزراء الخارجية ، كذلك يرسل نواب وزراء الخارجية الى أى مستعمرة من المستعمرات الايطالية السابقة لجانا تقوم ببحث حالتها والتيقن من آراء السكان المحليين ولتزويد وزراء الخارجية بالمعلومات اللازمة فى الموضوع (٦) .

موقف مصر من مسألة اريتريا :

وكانت الحكومة المصرية قد اهتمت منذ أوائل الحرب العالمية الثانية بتأمين اشتراكها فى أية تسوية تمس مصالحها . وقد أرسل السفير البريطانى فى ١٦ نوفمبر ١٩٤٢ يبلغها أن الحكومة البريطانية ستبذل خير معاونتها لتحقق لمصر تمثيلها على قدم المساواة فى أية مفاوضة للصلح تمس مصالحها المباشرة . وانتهزت الحكومة المصرية فرصة انعقاد مجلس وزراء خارجية الدول الخمس فى لندن ، فوجهت فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٥ الى الدول المشتركة فى هذا المجلس مذكرة تبين ارتباط مصالحها ارتباطا مباشرا بمصير ليبيا واريتريا . وأما بخصوص اريتريا ، فقد جاء بالمذكرة المصرية أن مصر تجد « أن من الواجب عليها أن تذكر بحقوقها فى تلك المناطق ، وأن تشير الى أن من العدل وحسن التصرف أن يلحق بالسودان الذى تديره الآن مصر وبريطانيا العظمى ما يكون تكملة طبيعية له من هذه المناطق » .

---

(٦) United Nations : Treaty Series, Vol. 49 (1950), pp 139, 214-215.

غير أنه لما كان قرار موسكو فى ديسمبر ١٩٤٥ قد جاء قاصرا الاشتراك فى مؤتمر الصلح على الدول التى وصفها بأنها ساهمت بقوات وفيرة فى الحرب ضد الدول الأوروبية ؛ فقد وجهت الحكومة المصرية فى يناير ١٩٤٦ مذكرة الى الدول الخمس تؤيد فيها وجهة نظرها بضرورة اشتراكها فى مؤتمر الصلح وتشير الى مساهمتها الجدية فى المجهود الحربى . وبذلت وزارة الخارجية المصرية وهيئاتها التمثيلية فى الخارج مساع متواصلة للاشتراك فى مؤتمر الصلح ، وأخيرا وافق المؤتمر فى ١٢ أغسطس ١٩٤٦ على ارسال الدعوة الى مصر وألبانيا وكوبا والمكسيك للاشتراك فى المؤتمر .

وفى ٣٠ أغسطس ١٩٤٦ قدم الوفد المصرى الى مؤتمر الصلح بباريس مذكرة تضمنت بيانا بحقوق مصر التاريخية فى مصوع وطابع هذه المدينة العربى وتبعيتها للحكم العثمانى ، ثم انتقالها للحكم المصرى فى عهد محمد على . وأشارت المذكرة الى الصعوبات التى واجهتها مصر أثناء الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ والجلاء عن السودان ؛ وكيف نبتت مطامع ايطاليا الاستعمارية ، وانزال الجنود الايطاليين على سواحل شرق افريقيا فى أواخر عام ١٨٨٢ ودخول الايطاليين مصوع عام ١٨٨٥ ؛ وأن الايطاليين أعلنوا فى مناسبات عديدة عدم مساس احتلالهم بالسيادة العثمانية المصرية . وقد احتجت الحكومة المصرية كما احتج الباب العالى على وجود الايطاليين غير الشرعى فى ذلك الركن من العالم . وخلصت المذكرة من ذلك الى القول : « أما وقد انتهى سلطان ايطاليا فى شرق افريقية ، فمن الحق والعدل اعادة مصوع الى الدولة التى اغتصبتها ايطاليا منها » .

ولقد وجد الوفد المصرى نفسه بطلبه هذا معارضا مطالب أثيوبيا فى اريتريا . فقد قدم الوفد الاثيوبى مذكرة للمؤتمر بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٤٦ تبين الأسباب التى استند عليها فى المطالبة باستيلاء اثيوبيا على اريتريا . وتضمنت هذه المذكرة شرح الروابط العنصرية والتاريخية والثقافية واللغوية التى تجمع بين اريتريا وأثيوبيا ، وأن الحكومة الأثيوبية توالى تعليم أبناء اريتريا فى الخارج ، لأن الايطاليين لم يتجاوزوا بالنسبة للأهالى نطاق التعليم الابتدائى فى أضيق مجال ، « فأثيوبيا قبلة أنظار شباب أريتريا الطموح الى العلم والثقافة » ، ثم ان اريتريا اتخذها الايطاليون قاعدة للهجوم على اثيوبيا

مرتين فى أربعين سنة • وأشارت المذكرة الاثيوبية الى أن وزير الخارجية البريطانية مستر ارنست بيفن Ernest Bevin قد صرح بأن « ارتريا وحدة مصطنعة لا تستطيع أن تعيش » ، اذ أن ارتريا ــ كما قالت المذكرة ــ تعتمد اقتصاديا على اثيوبيا ، ونوهت باستعداد اثيوبيا لتولى أية وصاية تفرض على ارتريا ، بحجة أنها جزء من أثيوبيا يجب أن يعود اليها •

وقدم الوفد الاثيوبى اقتراحا بالنص على تنازل ايطاليا تنازلا تاما عن ليبيا والصومال الايطالى ؛ واقترح تعديل النص الخاص بارتريا ؛ بحيث يتضمن الحكم باعادة ارتريا الى اثيوبيا • وطالب بعدم تأجيل البت فى مصير أرتريا ، أذ أن أثيوبيا لديها مشروعات لانهاض الاقتصاد الارترى المكمل للاقتصاد الاثيوبى ، وللنهوض بطرق المواصلات والموانى الارترية والتعليم والمرافق العامة • وطالب بضرورة سماع صوت اثيوبيا عند البت فى مصير الصومال الايطالى •

ولما احيلت مسألة المستعمرات الايطالية السابقة على اللجنة السياسية والاقليمية من لجان المؤتمر لبحثها ؛ ألقى مندوب اثيوبيا خطابا استهله بقوله : « ان المطروح للبحث هو اجتثاب أسباب العدوان الايطالى فى افريقية ، وليس لايطاليا من سند على ارتريا سوى عدوان حديث العهد ؛ فليس لها رعايا ايطاليون ولا مصالح اقتصادية هامة • ومهما بلغ المؤرخون الايطاليون من مهارة ، فليسوا يبالغى حد اثبات أن الشعب الارترى من أصل ايطالى ، انما المبرر الوحيد لبقاء ايطاليا فى ارتريا كان اتخاذها قاعدة للهجوم على اثيوبيا • ولا يخفى أن الشعب الاثيوبى والشعب الارترى شعب واحد جاء من الجزء الجنوبى من جزيرة العرب منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد • وادعى أن ارتريا ظلت حتى عام ١٨٨٥ مقاطعة اثيوبية ، وأن عددا كبيرا من موظفى حكومة اثيوبيا من أصل ارترى ؛ وأن ارتريا تعتمد على موارد اثيوبيا من الوجهة الاقتصادية ، اذ أنها عاجزة عن سد مطالبها حتى الزراعة منها ، ثم اشار الى معاهدة ١٨٨٤ بين اثيوبيا ومصر وبريطانيا والى معاهدة ١٨٩٦ بين ايطاليا

واثيوبيا (٧) ، وقال انه نص فى المعاهدة الأخيرة على عودة اريتريا الى اثيوبيا اذا تنازلت ايطاليا عنها .

وحينما ألقى واصف غالى خطابه أمام اللجنة السياسية والاقليمية شارحا طلب مصر الخاص بمصوع ، انبرى مندوب اثيوبيا للرد عليه ، فقال : « انه يؤسفه أن يقف للرد على بعض ملاحظات ذكرها مندوب مصر ، اذ أن العلاقات المصرية الاثيوبية ودية على الدوام . وتجمع بين البلدين عدة روابط تجعل من الضرورى ازالة سوء التفاهم الذى يمكن أن ينشأ بخصوص مصوع . لقد عزا الوفد المصرى فى مذكرته عن مصوع أهمية خاصة الى نفوذ العرب على طول شواطىء البحر الأحمر الافريقية ؛ ويمكن التأكيد أيضا بأن اثيوبيا هى من أصل عربى ، فسكان اثيوبيا وارتريا انتظموا شعوبا وهاجروا من بلاد العرب قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة . وظلت اثيوبيا قرونا عديدة تسيطر على ضفة البحر الأحمر الغربية ، وهى لا تزال الى اليوم تحتفظ بالعلاقات الثقافية واللغوية مع سكان جنوب بلاد العرب ، فمن الخطأ التاريخى القول بأن شعب اثيوبيا غير شعب ارتريا » .

واستمر المندوب الاثيوبى يقول : « ولا أريد أن أدخل فى تفاصيل التاريخ القديم ، ولكن يهمنى التنوية ببعض الحوادث التاريخية التى تتعلق باستيلاء الأتراك والمصريين على مصوع . فقد لاحظت أول بعثة أوروبية وصلت الى أثيوبيا من البرتغال فى أوائل القرن السادس عشر أن العرب يحتلون الجزيرة المواجهة لمصوع ، ولكن الشواطىء وداخل البلاد يسيطر عليها امبراطور اثيوبيا . ومن الثابت أن الأتراك احتلوا هذه الجزيرة عام ١٥٥٧ ، ولكن حكمهم لم يمتد الى الشواطىء ، ولم تقم ولاية تركية فى هذه المنطقة كما جاء فى المذكرة المصرية . فطوال مدة الاحتلال التركى كان زعماء مصوع يدفعون الضريبة لامبراطور اثيوبيا وينفذون أوامره . ومن الثابت أيضا أن مصر فى

---

(٧) بخصوص هاتين المعاهدتين ، انظر :
السيد رجب حراز : التوسع الايطالى فى شرق افريقية وتأسيس مستعمرتى ارتريا والصومال ص ١٦٤ و ٤٦٤ و ٤٦٥ وكذلك :
Rossetti, C. : Storia Diplomatica dell'Etiopia durante il regno di Menelik, pp 25-26; 181-183; Bentwich, N. : Ethiopia, Eritrea, Somaliland, pp 23-24; Hertslet, E : The Map of Africa by Treaty, vol 2, pp 422-423.

القرن التاسع عشر احتلت سواكن ومصوع خلال بضع سنوات ، وحاولت جيوشها مرتين اجتياح شمال اثيوبيا ، ولكنها عدلت عن ذلك بعد أن انتصرت عليها قوات الامبراطور يوحنا فى معركتين فاصلتين وقعتا فى اريتريا فى عامى ١٨٧٥ و ١٨٧٦ . ولما عهد الى الجنرال غوردون حاكم عام السودان أن يعقد الصلح مع اثيوبيا ، نصح بسحب القوات المصرية . وأخيرا عقدت فى عام ١٨٨٤ معاهدة بين اثيوبيا ومصر وبريطانيا اعترفت فيها مصر بسيادة اثيوبيا على هذه المنطقة . ولم يذكر مندوب مصر هذه المعاهدة المعقودة فى عام ١٨٨٤ على وجهها الصحيح ؛ لأنها تنص على اعادة جميع بلاد بوغوص الى امبراطور اثيوبيا ؛ لا على التخلى له عن هذه البلاد . وقد جلا المصريون عن ميناء مصوع بعد مضى بضعة أشهر على توقيع المعاهدة واحتلها الايطاليون بدورهم . وقد احتجت الحكومة الاثيوبية على هذا الاحتلال وقاومت التوغل الايطالى فى البلاد » . واستطرد قائلا : « وقد أشار مندوب مصر الى احتجاجات تركيا ومصر على أعمال الايطاليين ونوه بالمجهود السياسى الذى بذل ، فى عام ١٨٨٥ ؛ ولكنه لم يقم الدليل على أن هذه الاحتجاجات قد تكررت فى خلال الخمسين سنة التى سبقت الحرب العالمية الثانية ، فكيف يمكن القول بأن وجود حامية أجنبية فى مدينة تحيط بها البلاد الاثيوبية يكسب مصر حقا فيما طالبت به ؟ » .

ورد واصف غالى على رئيس الوفد الاثيوبى ، فقال : « لقد سمع الوفد المصرى بكل اهتمام الخطاب الذى القاه رئيس الوفد الاثيوبى بشأن مصوع ؛ ورأى من الضرورى تصحيح بعض المسائل الواردة فيه . فقد قلنا ونكرر الآن القول بأن مصوع ظلت فى أيدى المصريين الى أن دخلها الايطاليون فى عام ١٨٨٥ ؛ اذ أن الخديوى رأى على أثر ثورة المهدى أن يحتفظ بقواته المبعثرة فى أماكن متباعدة ؛ فاضطر الى التخلى عن مقاطعة بوغوص لامبراطور اثيوبيا فى مقابل سماحه للحاميات المصرية فى جنوب شرق السودان باجتياز الأراضى الاثيوبية الى مصوع . وقد عقد اتفاق بين مصر واثيوبيا وبريطانيا فى عام ١٨٨٤ ؛ ذكرت فيه المدن التى أراد الخديوى التخلى عنها ، وحددت المساعدة التى وعد بها النجاشى فى سبيل هذا الجلاء » ، ثم قال : « ان الجيوش الايطالية لما دخلت مصوع فى عام ١٨٨٥ خاطبت فى موضوعها القائد المصرى عزت بك الذى تلقى مع القائد الايطالى تصريحا بأن ايطاليا لا تنوى بعملها هذا أن تمس

السيادة المصرية (٨) ... أن مصوع ظلت مصرية الى سنة ١٨٨٥ ، ولم تتخل مصر عن سيادتها عليها فى يوم من الأيام » . واختتم واصف غالى بيانه قائلا :

« ان الايطاليين انتزعوا مصوع من مصر ، وان مصر هى التى يجب أن تعاد اليها مصوع ، وهذا بطبيعة الحال لا يؤثر فى الصداقة التقليدية القائمة بين مصر واثيوبيا . فنحن نرجو للشعب الاثيوبى السعادة والرخاء ، ونعتقد بأن حكومتى أديس أبابا والقاهرة ستعرفان فى خلال هذه السنة ــ التى يجب أن يقرر فيها مصير المستعمرات الايطالية ــ أن تتفاهما أخويا على هذه المسائل التى يبدو الآن أنها تفرق بينهما » (٩) .

وهكذا وبرغم أنه كان من خطة الحكومة المصرية فى أول الأمر الاقتصار على طلب انضمام مصوع الى اقليم السودان الشرقى ، لأهمية مصوع كمنفذ للتجارة لا غنى عنه ليس لهذا الاقليم الشرقى فحسب ، بل وللسودانين الأوسط والغربى كذلك ، فقد تشبث الوفد الاثيوبى فى مؤتمر الصلح بباريس وأمام لجنة المؤتمر السياسية والاقليمية فى أغسطس وسبتمبر ١٩٤٦ بضرورة انضمام اريتريا بأجمعها ــ بما فى ذلك مصوع ــ الى اثيوبيا . واعتمد فى هذه المطالبة ومعارضة وجهة نظر الحكومة المصرية على معاهدة ٣ يونية ١٨٨٤ المبرمة بين مصر واثيوبيا وبريطانيا .

ولم يلبث أن استمع مؤتمر وزراء الخارجية فى لندن الى آراء وأقوال الحكومات ذات المصلحة فى تقرير مصير المستعمرات الايطالية السابقة ، ومنها الحكومة المصرية . وكان عبد الفتاح عمرو سفير مصر فى لندن ورئيس الوفد المصرى فى مؤتمر وزراء الخارجية قد حاول أن يتفاهم مع رئيس الوفد الاثيوبى فى مسألة مصوع على وجه الخصوص قبل تقديم مذكرة الحكومة المصرية الى مؤتمر وزراء الخارجية ، ولكن الاثيوبيين رفضوا كل تفاهم اعتمادا على

---

(٨) انظر بهذا الصدد نص تصريح الأميرال كايمى الذى سلمه الى القائد المصرى عزت بك :

Documenti Diplomatici presentati al Parlamento italiano, N. XVIII, Roma 1888, Il Commandante delle forze navali nel Mar Rosso al ministro della Marina, Massaua, 6 Febbrajo 1885, Doc. N. 15, pp 16-18.

(٩) محمد على نشأت : « تقرير عن مؤتمر الصلح بباريس » . وكان محمد على نشأت وقتئذ سكرتيرا ثالثا بوزارة الخارجية المصرية ، الى جانب انه كان سكرتير وفد مصر فى مؤتمر الصلح بباريس .

معاهدة ١٨٨٤ المذكورة • وعلى ذلك ، قر الرأى عندما بحث وفد مصر هذه المسألة فى لندن على عدم اقتصار الحكومة المصرية على المطالبة بمصوع ، بل توسيع دائرة هذه المطالب حتى تشمل جميع اريتريا ، طالما أنه فى وسع الوفد أن يدحض الحجج التى اعتمدت عليها حكومة اثيوبيا ، وفى مقدمة هذه ورود كلمة « تسترد » فى معاهدة ٣ يونية ١٨٨٤ ، ذلك بأن حكومة اثيوبيا ذهبت فى تفسير هذه « الكلمة » الى أنها كانت ذات حقوق ثابتة فى هذا الاقليم اغتصبت منها فيما مضى حتى « استردتها » أخيرا بفضل المعاهدة المذكورة •

وكان رأى وفد مصر وقتئذ أنه لا مناص من المطالبة بجميع اريتريا ، حتى اذا وجد الاثيوبيون أن دعاويهم لا تقوم على أساس صحيح ، غدوا أكثر ميلا للتفاهم مع الحكومة المصرية • وبناء على ذلك ، فقد أدخل الوفد المصرى على صلب مذكرته (التى تقدم بها فى ١٧ نوفمبر ١٩٤٧) تعديلا أسفر عن المطالبة بكل اريتريا ، ثم ألقى رئيس الوفد فى جلسة المؤتمر فى ٢١ نوفمبر بيانا ناقش فيه تمسك الاثيوبيين بمعاهدة ٣ يونية ١٨٨٤ ؛ كما وزع على أعضاء المؤتمر مذكرة وافية لهدم حجج الاثيوبيين فى التمسك بهذه المعاهدة من جهة ولبيان حقوق مصر الثابتة على اريتريا بأجمعها من جهة أخرى [١٠] •

التيارات السياسية والأحزاب :

تعرض مصير المستعمرات الايطالية السابقة : ليبيا واريتريا والصومال لتيارات عديدة ، دولية ومحلية واقليمية ؛ وتعددت الآراء والمقترحات بهذا الصدد •

فعلى الصعيد الدولى ؛ بدأت آراء ووجهات نظر الدول الأربع (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وفرنسا) تبرز تدريجيا خلال المباحثات التى دارت عموما حول معاهدة الصلح مع ايطاليا ، وهى المباحثات

---

(١٠) مذكرة عن « تمسك الحكومة المصرية بموقفها من مسألة اريتريا » بقلم الدكتور محمد فؤاد شكرى مستشار الوفد المصرى فى مؤتمر وزراء الخارجية بلندن . وكان الوفد برئاسة عبد الفتاح عمرو سفير مصر وقتئذ فى لندن ، ويتألف من حسين محمد سعيد وزير مصر المفوض بها والبير منصور القنصل المصرى العام ، وعمر لطفى ومحمد عوض القونى ، وكلاهما من رجال وزارة الخارجية المصرية .

التى دارت فى المؤتمرات التى عقدت فى لندن (سبتمبر ١٩٤٥) وباريس (أبريل ١٩٤٦) ونيويورك (نوفمبر — ديسمبر ١٩٤٦) وسيطرت عليها مصالح الدول الأربع الكبرى • ومن خلال هذه المباحثات ؛ ظهرت الآراء والمقترحات التالية : اما أن توضع المستعمرات تحت الوصاية . سواء كانت هذه دولية أم وصاية دولة واحدة ، واما ان تعطى المستعمرات قدرا من الاستقلال . واما أن تعاد جميعها أو بعضها الى ايطاليا •

وتحدث الايطاليون أمام اللجنة الاقليمية والسياسية بمؤتمر الصلح ، فطالبوا باعطائهم الوصـــاية على « أقاليمهم الافريقيـــة » • وانبرى بعض الأعضـــاء (البرازيل خصوصا) للدفاع عن مصلحة ايطاليا والتنبيه الى ضرورة مراعاتها عند تقرير مستقبل هذه الأقاليم الأفريقية • وقام الوفد الهندى بتقديم حجج الايطاليين والمنـــدوب البرازيلى بصـــدد عودة الايطاليين الى مســـتعمراتهم السابقة •

وبذلت فرنسا قصارى جهدها لبيان أن المستعمرات الايطالية السابقة ليست سوى أقاليم « متأخرة » لا غنى عن البحث عن مرشد لها ليساعد على الســـير فى طـــريق التقـــدم والنمو . وخلصت من ذلك كله الى ضرورة فرض نظـــام « الوصاية » على تلك المستعمرات مع عدم اغفال مصالح ايطاليا عند الوصول الى قرار نهائى بشأنها • والحقيقة أن فرنسا كانت من بين الدول الأربع التى اتخذت موقفا ثابتا من مسألة المستعمرات الايطالية السابقة ؛ وأيدت على طول الخط مطاب ايطاليا أن تكون لها الوصاية على مستعمراتها السابقة ، على أن تعطى أثيوبيا منفذا الى البحر الأحمـــر عن طـــريق ميناء عصب • وكان موقف فرنسا هذا مثار تعليقات المراقبين والصحفيين ؛ فقال المراسل الخاص لصحيفة « الأهرام » فى لندن : « لفرنسا وحدها أن تفخر بالثبات على المبدأ ، اذا كان الثبات على المبدأ مفخرة فى طلب الحل لمشكلة المستعمرات الايطالية السابقة • فما برحت فرنسا منـــذ دار النقاش حـــول المسألة لأول مرة ، أى منذ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، تؤيد طلب ايطاليا الوصاية على هذه المستعمرات باستثناء فزان ، فقد احتفظ الفرنسيون بالحق فى بسط سلطانهم عليها » (١١) •

---

(١١) الاهرام بتاريخ ١٩٤٧/٦/١٥

فقد ظلت فرنسا تعارض فى استقلال المستعمرات الايطالية السابقة وبخاصة ليبيا ، لخوفها مما سيكون لاستقلال ليبيا من أثر فى الممتلكات الفرنسية بشمال افريقية ، فقد صرح أحد المسئولين الأمريكيين بأن « الفرنسيين يخشون أن يكون لاستقلال ليبيا أثر مباشر فى تونس ، وربما فى غيرها من شمال افريقية الخاضعة للنفوذ الفرنسى » (١٢) .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تميل اجمالا الى الحل الفرنسى : أى منح ايطاليا الوصاية على مستعمراتها السابقة . ولو أنها فى المراحل الأولى لقضية المستعمرات الايطالية كانت ترى غير ذلك : ففى ١٣ سبتمبر ١٩٤٥ اقترح الوفد الأمريكى وضع المستعمرات الايطالية السابقة تحت « الوصاية الدولية أو الجماعية » «Collective Trusteeship» فتمنح السلطة التنفيذية الى محايد يتولى الادارة ويكون مسئولا أمام مجلس الوصاية : على أن تعاونه لجنة استشارية تضم ممثلين للدول الأربع وايطاليا واثنين من المقيمين فى الاقليم » : كما رأت أن تعطى أثيوبيا منفذا الى البحر عن طريق عصب ، وأن تمنح ليبيا واريتريا الاستقلال بعد عشر سنوات ، وأن تظل الوصاية على الصومال لفترة غير محدودة . ولكن مولوتوف Molotov وزير خارجية الاتحاد السوفيتى رفض تلك المقترحات باعتبارها غير عملية (١٣) .

أما بريطانيا فقد كانت مقيدة بالتصريح المحدد الذى أعلنته أيام الحرب : وهو البيان الذى أدلى به وزير خارجيتها وقتئذ المستر أنطونى ايدن فى مجلس العموم فى ٨ يناير ١٩٤٢ ردا على سؤال وجهه اليه أحد النواب . فقال : « انى أصرح بأن السيد ادريس السنوسى اتصل بالهيئات البريطانية المسئولة بمصر فى خلال شهر من انهيار فرنسا فى وقت لم يكن فيه الموقف العسكرى فى افريقيا ملائما لنا على الاطلاق . فتألف فيما بعد جيش سنوسى يضم أتباعه الذين قد تخلصوا من نير الظلم الايطالى بين حين وآخر فى خلال العشرين سنة الماضية . وقام هذا الجيش بمساعدات قيمة أثناء القيام بتلك العمليات الحربية الموفقة فى الصحراء الغربية فى شتاء ١٩٤٠ و ١٩٤١ : وهو الآن يقوم أيضا بنصيب قيم فى

---

(١٢) الاهرام بتاريخ ١٩٤٩/٨/١٢

(١٣) Trevaskis, G.K.N. : Eritrea. A Colony in Transition 1941-52, p. 85.

الحملة العسكرية الحالية • فأنتهز هذه الفرصة لأعبر عن التقدير التام الـذى تحمله حكومة صاحب الجلالة البريطانية للنصيب الذى قام به وما زال يقوم به السيد ادريس السنوسى وأتباعه فى المجهود البريطانى الحربى • وانتا نـرحب بتعاونهم مع قوات صاحب الجلالة البريطانية فى مهمة سحق العدو المشترك • وقد وطدت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عزمها على أنه متى انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين فى برقة تحت النير الايطالى مرة أخرى بأى حال من الأحوال (١٤) • ومن ثم فقد اقترح المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا فى حكومة العمال بعد انتهاء الحرب أن تنال ليبيا استقلالها ، وأن توضع بـلاد الصومال بعد توحيدها تحت الوصـاية البريطانيـة ، على أن تشمل اوجادين Ogaden ، وحبذا نوعا من التقسيم بصدد ارتريا . فتكون عصب ــ ومن المحتمل كذلك بعض أجزاء أخرى من ارتريا ــ من نصيب أثيوبيا ، ثم حدث بعد ذلك أن أشار المستر بيفن الى أن بريطانيا قد توافق على وضع أقليم طرابلس الغرب تحت وصاية ايطاليا ، ولكن بريطانيا يجب أن تصـمد فى رفضها لأى سيطرة للايطاليين على برقة (١٥) •

وأما الاتحاد السوفييتى فقد طالب فى سبتمبر ١٩٤٥ بأن تكون له الوصاية على طرابلس الغرب . كما أنه أظهر اهتمامه بساحل ارتريا على البحر الأحمر • وفى محاولة للتوفيق بين مبدأ « الوصاية الدولية أو الجماعية » الـذى تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية وبين الحل الفرنسى الذى يرفض استبعاد ايطاليا من أى مشروع للوصاية على مستعمراتها السابقة ، تقدم الوفد السوفييتى فى ٢٩ أبريل ١٩٤٦ الى مجلس الوزراء باقتراح يرمى الى انشاء وصاية جماعية من قبل دولتين على كل واحدة من المستعمرات الايطالية السابقة ، بحيث تكون هى احدى هاتين الدولتين ، وتكون الدولة الأخرى واحدة من دول الحلفاء الأربع • وتقدم الاتحـاد السوفييتى باقتراحـات أخـرى الى مجلس وزراء

---

(١٤) House of Commons Debates, vol. 377 (1942), Cols. 77-82; Khadduri, M. : Modern Libya. A study in Political Development, p. 35.
وانظر ايضا محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٣٨٧ ــ ٣٨٨ .

(١٥) محمد فؤاد شكرى : ليبيا الحديثة . وثائق تحريرها واستقلالها الجزء الأول (١٩٤٥ ــ ١٩٤٧) المجلد الأول ص ٣١ •

الخارجية ، ولكنها جميعا لم تلق قبولا من الدول الثلاث الأخـرى ، فتحول الاتحاد السوفييتى فى آخر الأمر الى الاشتراك مع الفرنسيين فى تحبيذ وضع كل المستعمرات الايطالية السابقة تحت وصاية ايطاليا منفردة . وفى مايو ١٩٤٦ لفت مولوتوف انتباه مجلس وزراء الخارجية الى حقيقة أن اقتراح الاتحاد السوفييتى الأخير بوضع المستعمرات الايطالية السابقة تحت وصاية ايطاليا ، انما يتفق مع وجهة النظر الفرنسية ويلقى تأييدا من جانب الولايات المتحـدة الأمريكية . ولكن حدث فى الاجتماع التالى لمجلس وزراء الخارجية أن سحب الاقتراح الأمريكى ، وعزا المندوب السوفييتى عدم التوصل الى اتفاق بشأن المستعمرات الايطالية السابقة الى رغبة بريطانيا أساسا فى التوسع فى هـذه المناطق (١٦) .

وعلى الصعيد المحلى ، ظهرت فى اريتريا عدة أحزاب ومنظمات سياسية :

١ ـ حزب الوحدة الارترية الأثيوبية Eritean-Ethiopian Union Party أو الحـزب الاتحـادى Unionist Party ، وسـكرتيره العـام آتو تدلابايرو Ato Tedla Bairu ، وهو شاب أثيوبى مسيحى كان يعمل بالادارة البريطانية باريتريا . وقد أسس هـذا الحزب فى أبريل ١٩٤١ وأتخذ مقره فى أسمرة ، ولم يتخذ شكلا منظما الا فى عام ١٩٤٦ (١٧) . ويبدو أن رابطة حب الوطن Mahaber Fekri Hager أو Love of Country Association قد أندمجت فى الحزب الاتحادى . وكانت هذه الرابطة قد تشكلت خلال عام ١٩٤٢ برئاسـة جبرمسكال ولدو Gebremaskal Woldu وصارت تدعو للوحدة الارترية الاثيوبية .

وكان برنامج الحزب الاتحادى يدعو للوحدة غير المشروطة لكل من اريتريا مع أثيوبيا ، ويعارض معارضة مطلقة عودة الحكم الايطالى ، ويرفض الوصاية الأجنبية .

ووجد الحزب تأييدا كبيرا من جانب الحكومة الأثيوبية ورجال الـدين المسيحيين فى اريتريا ، وعلى رأسهم أبونا مرقص Abuna Morqos بطريرك

---

(١٦) United Nations, A/C.1/SR. 240.

(١٧) United Nations, A/C.1/SC. 14/5.

الكنيسة القبطية فى اريتريا ، والذى بدأ أواخر عام ١٩٤٣ تقريبا يجمع توقيعات على « ملتمس » يطالب بالوحدة الفورية مع أثيوبيا (١٨) • وقد حاولت الادارة البريطانية — على قول جرينفيلد — اقناع رجال الدين المسيحيين فى اريتريا بعدم التدخل فى السياسة . ولكن دون جدوى (١٩) •

٢ — الرابطة الاسلامية Moslem League وتألفت فى ٤ ديسمبر ١٩٤٦ برئاسة السيد بابكر بن عثمان الميرغنى زعيم الفرع الاريترى للطريقة الختمية ؛ على حين تولى الشيخ ابراهيم سلطان على منصب سكرتير الرابطة العام . وأتخذت مقرها فى كرن (٢٠) •

وكان برنامج الرابطة يدعو لوحدة اريتريا واستقلالها ؛ واذا لم يتحقق استقلال اريتريا فورا . فالوصاية البريطانية لمدة عشر سنوات • وفضلا عن ذلك . كانت الرابطة تطالب باستعادة بعض لأراضى السودانية والأثيوبية الى اريتريا ؛ وتعارض الوحدة مع أثيوبيا •

٣ — الحزب التقدمى الحر Liberal. Progressive Party وتشكل فى فبراير ١٩٤٧ وأتخذ مقره فى عدى كايى Adi Caieh • وكان برنامجه يدعو لوحدة اريتريا ؛ ويعارض الوحدة مع أثيوبيا ؛ ويطالب باستقلال اريتريا التدريجى تحت اشراف الأمم المتحدة ؛ واستعادة بعض أراضى تيجراى Tigrai والسودان الى اريتريا (٢١) •

٤ — الحزب الوطنى الاسلامى لمصوع National Moslem Party of Massaw وتشكل فى مارس — أبريل ١٩٧٤ ؛ وأتخذ مقره فى مصوع • ويتكون أعضاءوه من عناصر منشقة على الرابطة الاسلامية ، ويدعو برنامجه الى وحدة اريتريا ، والوصاية البريطانية لمدة عشر سنوات ، يتبعها استقلال اريتريا التام (٢٢) •

---

(١٨) Trevaskis, G. K. N. : Op. cit, pp 60-64.

(١٩) Greenfield, R. : Op. cit, p. 284.

(٢٠) United Nations, A/C. 1/SC. 14/1.

(٢١) United Nations, A/C.1/SC. 14/8.

(٢٢) United Nations, A/C.1/442.

٥ — رابطة المحاربين القدماء الارترية Eritrean Old Soliders' Association وقد أسست فى أبريل ١٩٤٧ ، وتتألف من الجنود الارتريين السابقين (مسلمون ومسيحيون) • وليس لها أغراض سياسية ، ولكن أغلبية أعضائها تطلب بالوصاية الايطالية (٢٣) •

٦ — الحزب الموالى لايطاليا Pro-Italia Party ، وتشكل فى سبتمبر ١٩٤٧ ، وأتخذ مقره فى أسمرة • ويدعو برنامجه الى وحدة ارتريا ، ووضع البلاد تحت الوصاية الايطالية التى تؤدى الى الاستقلال فى أقصر فترة ممكنة (٢٤) •

٧ — الرابطة الايطالية الارترية Ita'o-Erit.ean Association وتضم الايطاليين الذين ولدوا فى ارتيريا أو الذين عاشوا هناك لفترة طويلة ، فضلا عن المولدين والزوجات الوطنيات للايطاليين أو للمولدين وكذلك أمهات المولدين • وكانت الرابطة تطالب بالوصاية الايطالية ، واذا تعذر هذا الحل ، فالاستقلال الفورى لارتريا تحت حماية حكومة تختارها الدول الأربع الكبرى أو هيئة الأمم المتحدة (٢٥) •

٨ — اللجنة الممثلة للايطاليين فى ارتريا The Representative Committe for Italians in Eritrea ومقرها أسمرة ، وليس من المعروف تاريخ تأسيسها • وهى تزعم أنها تمثل جميع الايطاليين فى ارتريا وتسهر على حماية مصالحهم المعنوية والمادية ، وتؤيد الوصاية الايطالية على ارتريا غير المجزأة (٢٦) •

٩ — الأحزاب السياسية الايطالية : وكانت هناك أحزاب سياسية ايطالية معترف بها رسميا ، وهى الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى والحزب الليبرالى والحزب الجمهورى والحزب الديموقراطى المسيحى وحزب العمال الديموقراطى وحزب العمال الاشتراكى • وكانت جميعها تؤيد الوصاية الايطالية على ارتريا غير المجزأة (٢٧) •

---

(٢٣) United Nations, A/C.1/442.

(٢٤) Uuited Nations, A/C.1/SC.14/8.

(٢٥) United Nations, A/C.1/SC./14/9;A/C.1/442.

(٢٦) United Nations, A/C.1/SC.14/8.

(٢٧) United Nations, A/C.1/442.

والى جانب هذه الأحزب التى طالب بعضها كالحزب الاتحادى بالوحدة مع أثيوبيا والبعض الآخر بالاستقلال أو الوصاية البريطانية أو الايطالية ، كانت السلطات البريطانية سواء فى ارتريا أو السودان ترى أن أفضل حل للمسألة الارترية هو تقسيم البلاد بين أثيوبيا والسودان . ففى غضون عام ١٩٤٣ ، قام سير دوجلاس نيوبولد Douglas Newbold السكرتير المدنى للسودان بزيارة ارتريا ، وترتب على هذه الزيارة أن صار يدعو الى ضم القبائل الاسلامية فى غرب ارتريا الى السودان ، وضم « المقاطعات المسيحية » فى ارتريا والتى يتكلم سكانها لغة التيجرنيا (٢٨) Tigrinya الى أثيوبيا (٢٩) .

وفى عام ١٩٤٥ كتب البريجادير لونجريج الحاكم البريطانى لارتريا (١٩٤٢ — ١٩٤٤) يقول ان مناطق القبائل الارترية الاسلامية المجاورة للسودان المصرى الانجليزى يجب أن تدخل فى نطاق هذه البلاد أى السودان ، وأن مرتفعات ارتريا المسيحية الوسطى ومعها ميناء مصوع وقبائل السمهر Samhar والساهو Sano ، يجب أن تؤلف جزءا من دولة أو اقليم متحد تيجرنى اللغة ، يوضع تحت السيادة الأسمية ، لامبراطور أثيوبيا ، وتتولى دولة أوربية ادارته لمدة محدودة أو غير محدودة ، كما يجب أن تعطى بلاد الدناكل Danakils أو العفر Afar وميناء عصب للامبراطور دون أية شروط (٣٠) .

وقد عبر آخرون من الانجليز عن آراء من هذا النوع ، واقترح كذلك رسميا تقسيم ارتريا من قبل ممثلى بريطانيا فى المؤتمرات التى عقدت فى لندن وباريس خلال عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٦ .

ولكن حتى أكتوبر ١٩٤٧ لم يكن مجلس وزراء الخارجية قد وصل الى حل بشأن المستعمرات الايطالية السابقة ، فلم ينفذ شىء من الوعود التى قطعتها

---

(٢٨) لغة سامية حية مكتوبة ، تمثل مزيجا من اللغة السامية القديمة المعروفة بالجعزية Ceez ولغة الأجاو Agau أو الحاميين من سكان المرتفعات الشمالية .

(٢٩) Henderson, K.D.D. : The Making of Modern Sudan, p. 335, quoted by Trevaskis, G. K. N. : Op. Cit, p 69.

(٣٠) Longrigg, S. : A Short History of Eritrea (Oxitrea (Oxfird 1945), pp. 174-175.

الولايات المتحدة الأمريكية على نفسها لايطاليا ، أو من الرغبات التى أبدتها فرنسا خصوصا من حيث وضع المستعمرات السابقة تحت الوصاية الايطالية .

لجنة التحقيق الرباعية :

وازاء تضارب آراء ووجهات نظر الدول الأربع بشأن مصير اريتريا ، وتنفيذا لما جاء فى معاهدة الصلح مع ايطاليا فى ١٠ فبراير ١٩٤٧ ، والتصريح الملحق بهذه المعاهدة فى التاريخ نفسه بأن لنواب وزراء خارجية الدول الأربع أن يرسلوا لجانا الى أية مستعمرة من المستعمرات الايطالية السابقة لتزويدهم بالمعلومات التى يريدونها عنها وللوقوف على رغبات سكان هذه المستعمرات فى مصيرهم ، فقد شكل نواب وزراء الخارجية لهذا الغرض فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤٧ لجنة تحقيق رباعية ، أى تضم وفودا من الدول الأربع التى يمثلها مجلس نواب وزراء خارجية هذه الدول .

وكان رئيس الوفد الأمريكى جون ارلنجتون أتر John Erlington Utter
ورئيس الوفد السوفييتى أرتيمى فيودوروفيتش فيودورف
Artemy Feodorovitch Feodorof
ورئيس الوفد البريطانى فرانك ادموند ستافورد Frank Edmond Stafford
ورئيس الوفد الفرنسى ايتين بوران دى روزييه Etienne Burin des Roziers

ومما يجدر الاشارة اليه أنه باستثناء ستافورد رئيس الوفد البريطانى الذى عمل فى افريقيا بوصفه مستشارا فى الحكومة الأثيوبية ، لم يكن رؤساء الوفود الأخرى على خبرة أو معرفة بالأقاليم الافريقية مثل اريتريا . فقد كان أتر رئيس الوفد الامريكى من رجال البنوك وقضى بضعة شهور فقط فى شمال افريقيا ، كما كان دى روزييه رئيس الوفد الفرنسى دبلوماسيا محترفا وعمل فقط فى البلاد الغربية . أما فيودورف رئيس الوفد السوفييتى فكان عسكريا ، وجاء مؤخرا من منشوريا (٣١) .

وحسب التعليمات الصادرة الى اللجنة ، كانت مهمتها هى جمع المعلومات اللازمة عن مسألة ما يجرى بشأن المستعمرات الايطالية السابقة وتزويد نواب

---

(٣١) Trevaskis, G.K.N. : Op. cit, p. 86.

وزراء الخارجية بهذه المعلومات ، والوقوف على آراء السكان المحليين : على أن يشمل ما يجمعونه من معلومات الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى كل مستعمرة . وكذلك رغبات السكان . وما يحقق رفاهيتهم ويحفظ صالح السلام والأمن . ولتأدية هذا الغرض تزور اللجنة كل واحدة من المستعمرات الايطالية السابقة . وتقوم بتحقيقاتها فى المكان الذى تزوره . ولها الحق فى المداولة مع الادارة والموظفين والهيئات المنظمة والسكان فى المستعمرات دون نظر الى جنسياتهم . كما أن لها أن تستقى معلومات من أى مصدر فى المستعمرات ترى أنه ضرورى لتزويدها بالبيانات المتصلة بتحقيقها . على أنه يجب بأوسع قدرة ممكنة اعطاء كل أقسام السكان المحليين الفرصة ليعبروا عن آرائهم . وحتى تتأكد اللجنة من ذلك عليها أن تزور المراكز التى يسهل كثيرا تجمع الناس فيها عن غيرها . وتقوم بالتعاون مع السلطات المحلية باعداد جدول مواعيد الانتقالات وخط للسير المحلى والترتيبات الفنية . وعلى اللجنة أن تنتهى أعمالها — بما فى ذلك تقديم تقاريرها الى نواب وزراء الخارجية — فى مدة لا تقل عن ستة شهور ولا تزيد على سبعة . وذلك من وقت مغادرة اللجنة لندن .

وفى ٢١ أكتوبر ١٩٤٧ عقدت لجنة التحقيق أول اجتماعاتها فى لندن لدراسة المهمة المكلفة بها ، ثم غادرت لندن فى ٨ نوفمبر بطريق الجو الى اريتريا واتخذت مقرها فى أسمرة منذ ١٢ نوفمبر : وأنشأت لجنة سياسية واجتماعية تتألف من ممثلين عن كل وفد من الوفود الأربعة . لجمع المعلومات عن الأحوال السياسية والاجتماعية فى اريتريا وتقديم تقرير عنها الى لجنة التحقيق . وكان بفضل الوثائق التى قدمت الى أعضاء اللجنة السياسية والاجتماعية أن حصلت لجنة التحقيق على المعلومات التى تضمنها تقريرها عن اريتريا : كما حصلت على معلوماتها من البيانات التى قدمتها اليها المنظمات والهيئات المختلفة (الأحزاب) والأفراد كذلك ، ثم من اجابات الادارة — العسكرية البريطانية على قائمة الأسئلة التى قدمت اليها ، ومن مقابلات مع الموظفين البريطانيين وأفراد غيرهم للاستماع الى ما لديهم من معلومات . وفى ٣ يناير ١٩٤٨ غادرت لجنة التحقيق أسمرة بطريق الجو ، ووصلت فى ٦ يناير الى مقديشيو فى الصومال حيث جعلت

مقرها ، وكان فى مقديشيو أن أتمت تقريرها عن اريتريا (٣٢) .

والجدير بالذكر أنه منذ أن تشكلت لجنة التحقيق وتبين أنها تعتزم زيارة المستعمرات الايطالية السابقة لمعرفة رغبات الأهالى قبل تقرير مصيرهم ، بذلت كل من الحكومة الأثيوبية والادارة البريطانية العسكرية فى اريتريا ، كما بذل الايطاليون الموجودون بها (حوالى ٣٠٫٠٠٠) نشاطا عظيما من أجل التأثير على الرأى العام فى اريتريا وتوجيهه بمختلف الوسائل والطرق نحو الانضمام الى أثيوبيا أو طلب الوصاية البريطانية أو الوصاية الايطالية . وذلك حتى فى الحالات التى تمسك فيها فريق من الشعب الارترى بالاستقلال . وقد تحدثت لجنة التحقيق الرباعية باسهاب عن هـذا النشاط فى ملحق رقم ٢٠ المـرفق بتقريرها ، كما ورد ذكر شىء من ذلك فى صلب التقرير نفسه (٣٣) .

ولقد عكس تقرير اللجنة خـلافا حـادا فى وجهات النظـر بين الوفدين البريطانى والأمريكى من جهة وبين الوفدين السوفييتى والفرنسى من جهـة أخرى بشأن مصير اريتريا . وفيما يتعلق بتقييم قوة الأحزاب ومدى تأييـد السكان لها . أعد الوفدان البريطانى والأمريكى احصائيـة تعبر عن وجهة نظرهما . وحسب الاحصائية الأنجلو أمريكية . فان ٤٤٫٨٪ من السـكان يؤيدون الحزب الاتحادى . مقابل ٤٠٫٥٪ للعصبة الاسلامية و ٤٫٤٪ للحزب التقـدمى الحـر و ٩٫٢٪ للحزب الموالى لايطاليا و ١٫١٪ للحزب الوطنى الاسلامى الذى يؤيد قيـام ادارة بريطانية بالبلاد . أما الاحصائية الفرنسيه السوفييتية فانها تحدد النسبة المئوية لتأييد السكان للأحزاب فى اريتريا على النحو التالى : الحزب الاتحادى ٤٧٫٨٪ ، والعصـبة الاسلامية ٣٠٫٩٪ ، والحزب التقدمى الحر ٩٫٣٪ ، والحزب الموالى لايطاليا ١٠٫٧٪ والحـزب الوطنى الاسلامى حوالى ١٪ (٣٤) .

وفضلا عن ذلك ، فقد دلت التحقيقات التى قامت بها لجنة التحقيق على أنه باستثناء العصبة الاسلامية والحزب الاتحادى ، لم يكن لأى تنظيم سياسى سند

---

(٣٢) محمد فؤاد شكرى : ليبيا الحديثة ، الجزء الأول (١٩٤٥ ــ ١٩٤٧) المجلد الاول . ص ٢٤٥ ــ ٢٥٠ .

(٣٣) Four Power Commission of Investigation for the Former Italian Colonies, vol 1, Report on Eritrea, section II (Polities); Appendix No. 20.

(٣٤) Pankhurst, E. S. & Pankhurst R.K.P. : Op. cit, p. 158.

كاف ، وأن الشعب كان تأييده للفريقين منبعثـا من الاعتبـارات الجغرافية والدينية (٣٥) •

وأعقب زيارة لجنة التحقيق الرباعية لاريتريا (١٢ نوفمبر ١٩٤٧ — ٣ يناير ١٩٤٨) ظهور حركة سرية أرهابية فى البلاد . هى حـركة الشفتا Shifta أو الاندينيت Andinet (ومعناها الوحدة) . وهى تعبير عن نشاط سرى لأنصار الوحدة الارترية الأثيوبية ووسيلتهم فى هذا التعبير هى الاغتيـالات والتهـديد والحرائق (٣٦) • ويقول تريفاسكيس أنه لم يمض أسـبوعان على مغادرة لجنة التحقيق الرباعية لاريتريا حتى شرعت عصابات مسلحة من الأحباش المسيحيين — أو الشفتا كما يعرفون عـادة — بشن سلسلة من الهجمات على حياة الايطاليين والمسلحين وممتلكاتهم . واستمرت هذه الهجمات حتى اجتماع مجلس وزراء خارجية الدول الأربع فى سبتمبر ١٩٤٩ . وأدت الى اغتيال ستة من الايطاليين وخمسة عشر من المسلمين • وقد قيد خمسة من الأخيرين وقطعت رؤوسهم بالسيوف فى وجود نسائهم وأطفالهم • وقامت هذه العصابات بالاغارة على مزارع الايطاليين ومناجم الذهب واتلافها . بالاضافة الى سلب أعـداد كبيرة من دواب القبائل الاسـلامية بغرب اريتريا • وكان الضـحايا اما من المعارضين للوحدة مع أثيوبيا أو من المتصـلين بهم • وكان الشفتا يتركون فى أماكن عملياتهم خطابـات يعلنون فيها عن ولائهم للامبراطـور هيلاسـلاسى ويهددون أعداءهم بالموت • وفى الوقت نفســه كانت الصحف الأثيوبية مثل « نيوتيمز New Times » و « اثيوبيان نيـوز Ethiopian News » تصف الشفتا « بالوطنيين Patriots » . كما أن السلطات الأثيوبية كانت تمنحهم علنا حق اللجوء الى مقاطعة عدى أبو Addi Abo فى تيجراى (٣٧) •

وتقول سيلفيا بانكرست والدكتور ريتشارد بانكرست المؤيدان لوجهـة النظر الأثيوبية ، أن الادارة البريطانية حاولت أن تقمع حركة « الاندينيت » ، الا أنها فشلت فى ذلك ، وأستمر نشاط الحركة الارهابى دون توقف • ويفسر

---

(٣٥) Treaskis. G.K.N. : Op. cit.. p. 89.
وانظر كذلك راشد البراوى : الحبشة بين الاقطاع والعصر الحديث ص ٨٢

(٣٦) عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى أفريقيا ص ٤٢٦ .

(٣٧) Trevaskis, G.K.N. : Op. cit, pp 91-92.

هذان الكاتبان الفارق بين هذه الحركة الارهابية وبين نشاط الحزب الاتحادى ، بأن الحزب الأخير كان يعمل فى حدود القانون بوسائل شرعية ، على حين أن حركة « الاندينيت » لم تكن ترتبط بالقانون ، وأتخذت مثلها الأعلى من نجاح الحركة السرية الارهابية اليهودية فى فلسطين أواخر عهد الانتدا بـالبريطانى ، اذ كان شباب « الاندينيت » قد راقبوا باهتمام بالغ خـروج البريطانيين من فلسطين وتأسيس دولة اسرائيل ، وكان كذلك لنمو حركة النضـال التحررى فى أندونيسيا تأثيراته عليهم . كما أنهم قد صمموا على أن يحذوا حذو الوطنيين الأثيوبيين الذين كانوا قد حاربوا فى أثيوبيا بعد الغزو الايطالى لها ، والذين لم يستسلموا أبدا (٣٨) .

ويعزو تريفاسكيس تلك الحركة الارهابية الى الرغبة فى جذب انتباه الدول الأربع والتأثير على مداولاتها . اذ أن نتائج استقصاء لجنة التحقيق الرباعية قد صدمت دون شك زعماء الاتحاديين . الذين كانوا حتى هذا الوقت يعتقدون أنهم لا يلقون مقاومة الا من حفنة من الرؤساء « الأحباش » ذوى الطموح ومجموعة حائرة من المسلمين . وصدمتهم كذلك حقيقة أن لايطاليا وزن فى العالم يفوق بكثير ما لأثيوبيا فحاولوا الآن التأثير على الدول الأربع والرأى العام العالمى باظهار قوة الاتحاديين وتصميمهم على تحقيق أغراضهم . ولكنهم بدلا من ذلك أظهروا ضغينة بدأت تفرق بين الاريترى وأخيه الاريترى (٣٩) .

احالة قضية المستعمرات الايطالية الى الأمم المتحدة :

وعرض تقريرا للجنة الرباعية على مؤتمر وزراء الخارجية بباريس فى سبتمبر ١٩٤٨ ، وعكست مناقشات المجلس الخلافات بين الدول الأربع بصدد مصير المستعمرات الايطالية (٤٠) ، وهى الخلافات التى مهد لها تقرير اللجنة نفسه . وفيما يتعلق بارتريا ، فقد أتضحت من خلال المناقشات مواقف الوفود الأربعة على النحو التالى :

---

(٣٨) Trevaskist, E. S. Q Pankhurst, R. I. P. : Op. cit., p. 181

(٣٩) Trevaskis, G.K.N. : Op. cit, p. 92

(٤٠) United Nations, Department of Public Information, Press and Public Bureau, Press Release GA/454, Rev. 1

١ ـ وضع الوفد البريطانى مقترحاته السابقة (٤١) على الرف ، واقترح الآن وضع اريتريا تحت ادارة أثيوبيا لمدة عشر سنوات . على أن يشكل مجلس استشارى لمساعدة تلك الادارة ، ويضم ممثلين عن ايطاليا واحدى الدول الاسلامية ودول أخرى غير استعمارية . وذلك لبث الطمأنينة فى نفوس المسلمين والأقلية الايطالية هناك .

٢ ـ اقترح الوفد الأمريكى ضم جنوب اريتريا (أى دنكاليا Dankalia وسراى Serai واكلى قوزاى (Akelli Guzai) الى أثيوبيا فورا ، على أن يبت فى مصير بقية المستعمرة بعد عام واحد .

٣ ـ أيد الوفد الفرنسى الاقتراح الأمريكى بضم جنوب اريتريا الى أثيوبيا ، ليصبح لاثيوبيا منفذ الى البحر الأحمر عن طريق عصب . ولكنه حبذ اقامة وصاية ايطالية على شمال اريتريا . بشرط ضم روقاته Rukata الى الصومال الفرنسى .

٤ ـ أما الوفد السوفييتى فبعد أن جدد فى بادىء الأمر اقتراحه السابق بوضع اريتريا تحت الوصاية الايطالية ، عاد فأيد اقتراح الولايات المتحدة الأصلى بشأن وضع المستعمرات الايطالية السابقة تحت الوصاية الجماعية للأمم المتحدة (٤٢) .

وازاء تعذر التوصل الى اتفاق بشأن مصير المستعمرات الايطالية السابقة ومنها اريتريا ، فقد قرر مجلس وزراء الخارجية فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ احالة الموضوع الى هيئة الأمم المتحدة .

---

(٤١) كان جوهر هذه المقترحات هو تقسيم اريتريا بين أثيوبيا والسودان، فيضم القسم الشرقى الى أثيوبيا والقسم الغربى الى السودان . ويقال ان حزب الأمة فى السودان الموالى للطائفة المهدية قد اعترض على ضم أجزاء من اريتريا الى شرقى السودان ، بحجة أن اضافة قبائل غرب اريتريا الموالية للطائفة الختمية سيرجح كفة الختمية فى السودان ، ولذا ضغط حزب الأمة على بريطانيا لالغاء مشروع التقسيم المقترح .

(٤٢) United Nations, General Assembly, First Committe, Third Session, part II, Sumary Record of the two hundred and fortieth meeting held at Lake Success, New York, Gromyko's speech on 9 April 1949; A/C.1/SR. 240; Trevaskis, G.K.N. : Op. cit., pp 90-91.

تجدد الاهتمام بمشكلة المستعمرات الايطالية :

وما كاد يحل شهر أبريل عام ١٩٤٩ حتى تجدد الاهتمام بمشكلة المستعمرات الايطالية السابقة ، فأرسلت الحكومة الايطالية الى هيئة الأمم المتحدة مذكرة أشارت فيها الى أن اريتريا لم تكن فى يوم من الأيام ملكا لأثيوبيا ، وأنه لم يسكنها أثيوبيون من قبل ، وقالت ان ٧٠ ألف ايطالى كانوا يقيمون فى اريتريا عام ١٩٣٩ ، ويرجع اليهم الفضل فى كثير من المنشآت التى تمت فى مصوع وأسمرة وأغردات وكرن حتى أصبحت هذه البلاد مدنا أوروبيه تماما ، ثم تحدثت المذكرة عن خطر تقسيم اريتريا ، وخلصت الى القول بأن اخضاع هذه المستعمرة لاثيوبيا التى تقل عنها فى المدنية وأسباب التقدم يعتبر رجوعا الى الوراء وقضاء على ما قدمته المدنية من أعمال فى تلك البلاد [٤٣] .

وصرح الكونت كارلو سفورتزا Carlo Sforza وزير خارجية ايطاليا فى مؤتمر صحفى عقده فى واشنطن بأن من الخطر منح أثيوبيا الوصاية على جزء من اريتريا لأن مثل هذه الوصاية عبء قد تنوء به أكتافها ومسئولية أكبر من أن تتحملها ، فضلا عن أنه ليس من العدل أن يحرم الايطاليون من أسمرة ومصوع ، وهم الذين بنوهما ، فى سبيل ارضاء أثيوبيا ، ثم قال : « لقد اعترفت مرة بأن لامبراطور أثيوبيا حقوقا أدبية تزيد على حقوق حاكم اريتريا . ولكنى لا أعتقد أن من صالح أثيوبيا أن تحمل على كتفيها عبئا قد لا تستطيع أن تحمله ، كما لا أعتقد أن ارضاء أثيوبيا يجب أن يكون على حساب أبناء الايطاليين وأحفادهم . الذين ينتمون الآن لافريقيا تماما كما ينتمى اليها سكان رأس الرجاء الصالح والترنسفال [٦١] .

غير أن الرأس أمرو Ameru وزير اثيوبيا المفوض فى واشنطن لم يلبث أن أدلى بتصريح أكد فيه أن بسط الوصاية الايطالية على أى جزء من أريتريا سيكون بمثابة « خطر مباشر على السلم فى الشرق الأوسط » تضطر أثيوبيا من جرائه الى اتخاذ التدابير الفورية لدفع « الغزو الايطالى الذى لا مفر منه » . وحمل على ايطاليا لمطالبها بالهيمنة على اريتريا ، كما حمل على الكونت

---

(٤٣) المصرى فى ١٩٤٩/٤/٥ .
(٤٤) المصرى ١٩٤٩/٤/٣ .

كارلو سفورتزا لقوله ان الايطاليين أقدر من الاثيوبيين على اقامة حكومة رشيدة فى ارتريا ، وأنه لا يستبعد أن ينوء الاثيوبيون بحمل تبعة الحكم فى ارتريا (٤٥) .

وفى الوقت نفسه كانت الأحزاب الارترية المعارضة للوحدة مع أثيوبيا أو المؤيدة لها قد رأت أن تسمع صوتها للامم المتحدة . فقررت الرابطة الاسلامية والحزب الارترى الموالى لايطاليا والحزب الاتحادى والرابطة الايطالية الارترية أن ترسل كل منها لهذا الغرض وفدا الى الامم المتحدة .

وكان وفد الرابطة الاسلامية مؤلفا من سكرتيرها العام الشيخ ابراهيم سلطان على رئيسا والشيخ السيد محمد عثمان الحيونى والحاج ابراهيم محمد على . وعندما وصل هذا الوفد الى القاهرة بالطائرة فى طريقه الى نيويورك . اجتمع بعبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية . وطلب اليه تعيين «ضابط اتصال» لينقل الى الجامعة أنباء ارتريا ويكون خير دليل على رغبتها فى تخليصها من المصير الذى يراد بها . وقد رحب أمين الجامعة بهذا الاقتراح ووعد بتحقيقه فى الوقت المناسب . كما أبلغ وفد الرابطة الاسلامية أن الجامعة العربية أرسلت تعليماتها الى الوفود العربية فى هيئة الامم ليقفوا الى جانب شعب ارتريا فى تحقيق أمانيه .

وقد انتهز وفد الرابطة الاسلامية فرصة وجوده بالقاهرة . فصرح رئيسه بأن حزب الرابطة ينطق بلسان أغلبية السكان . وهم مسلمون . يطالبون باستقلال ارتريا الناجز ويعارضون الاندماج فى أثيوبيا أو الانضمام اليها . وأشار الى ان فى ارتريا صحيفة الرابطة الاسلامية التى تصدر بالعربية أسبوعية . وصحيفة أسبوعية حكومية تصدر بالعربية والانجليزية . وصحيفتين أسبوعيتين أخريين احداهما للدعاية الايطالية بالعربية والايطالية ، والأخرى للدعاية لاثيوبيا بالعربية والأمهرية ، ثم قال : « انهم يرجون ان تؤيد الجامعة العربية والأقطار الاسلامية مطالب أغلبية سكان ارتريا المسلمون ، وانهم يذهبون الى الأمم المتحدة ليكونوا على مقربة منها ، ويطلعوا أعضاءها على

---

(٤٥) الاهرام فى ١٩٤٩/٤/٦ .

حقيقة الأحوال فى بلادهم ، ويعربوا عن رغبات أهلها فى الوقت الذى تعتزم فيه هذه المؤسسة الدولية أن تبت فى مصير المستعمرات الايطالية (٤٦) .

اللجنة السياسية ومشكلة المستعمرات الايطالية :

والواقع أن مشكلة المستعمرات الايطالية السابقة كانت وقتئذ موضع مناقشات اللجنة السياسية بالجمعية العامة للأمم المتحدة ، حيث أخذت وفود الدول تعرض وجهات نظرها المختلفة بشأن مصير تلك المستعمرات .

وقد اتفقت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على اعادة الحكم الايطالى الى طرابلس والصومال وشرق اريتريا ، وطالبت بريطانيا بأن تنفصل برقة عن طرابلس .

وفى ٩ أبريل ١٩٤٩ ألقى جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى خطابا أمام اللجنة السياسية استعرض فيه موقف الاتحاد السوفيتى من مشكلة المستعمرات الايطالية السابقة منذ سبتمبر ١٩٤٥ ، ثم راح يهاجم الدول الغربية الثلاث بأنها دول أستعمارية تسعى الى انشاء قواعد عسكرية فى شمال افريقية للاعتداء على الاتحاد السوفيتى ، وأنها اتفقت على تقسيم المستعمرات الايطالية السابقة فيما بينها . واستشهد على ذلك بأن مسترهكتور مكنيل Hector McNeil وزير الدولة والمندوب البريطانى فى اللجنة السياسية قد أعلن بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٤٩ فى مجلس العموم بأن ادارة طرابلس وبرقة سوف تنتقل من وزارة الحربية الى وزارة الخارجية .

واقترح جروميكو أن توضع ليبيا واريتريا والصومال الايطالى تحت وصاية الأمم المتحدة ، ويقوم مجلس الوصاية بتعيين حاكم أو مدير Administrator لكل مستعمرة على حدة ، بحيث يكون مسئولا أمامه ، وأن يشكل مجلس استشارى لمساعدته ، ويضم ممثلين لبريطانيا والاتحاد السوفيتى وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية . وفيما يتعلق باريتريا ، طالب بضرورة حصول تنازلات اقليمية لصالح اثيوبيا ، مما

---

(٤٦) الاهرام فى ١٩٤٩/٤/٦ .

يمكنها من أن يكون لها منفذ الى البحر عن طريق عصب . وقد رد هكتور مكنيل على خطاب جروميكو بأنه ينطوى على هجوم دعائى عنيف (٤٧) .

وأصدرت اللجنة السياسية فى ١١ أبريل ١٩٤٩ قرارا باحالة مطالب ممثلى الأحزاب السياسية والمنظمات فى المستعمرات الايطالية السابقة لبحثها فى لجنة فرعية من البرازيل ومصر وفرنسا وهايتى والهند ونيوزيلنده والنرويج وبولندا والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. على أن يقدم ممثلو الأحزاب السياسية مطالبهم فى موعد لايتجاوز ٢٣ أبريل ١٩٤٩ (٤٨) .

واجتمعت اللجنة الفرعية فى أيام ١٢ - ١٣ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦ أبريل ، وشكلت فى اجتماعها بتاريخ ١٢ أبريل « مجموعة عمل » «Working group» من النرويج والبرازيل وهايتى . لفحص أوراق اعتماد ممثلى الأحزاب والمنظمات ، والحصول منهم على معلومات جديدة لتضاف الى ما ورد بتقرير لجنة التحقيق الرباعية . ومن ثم سألت « مجموعة العمل » كل وفد من الوفود التى التقت بها عددا من الأسئلة تتعلق بعضوية المنظمة التى يمثلها ونشاطها وتقييم أهميتها بالنسبة للأحزاب الأخرى . وعرض تقرير « مجموعة العمل » المبدئى (٤٩) على اللجنة الفرعية فى ١٩ أبريل . مما كان من نتيجته أن أوصت اللجنة الفرعية بأن تستمع اللجنة السياسية لوفدى الرابطة الاسلامية الارترية والحزب الارترى الموالى لايطاليا .

بيانات الأحزاب الارترية أمام اللجنة السياسية :

وفى ٢٠ أبريل ١٩٤٩ أدلى رئيسا وفدى الرابطة الاسلامية والحزب الارترى الموالى لايطاليا ببيانهما أمام اللجنة السياسية . فقال ابراهيم سلطان على رئيس وفد الرابطة الاسلامية وسكرتيرها العام أن المنظمة السياسية التى يمثلها تدافع عن مصالح المسلمين ، أى عن أغلبية الارتريين ، اذ أن سكان ارتريا يبلغون مليونا ومائتى وخمسين ألف نسمة ، وأن خمسة وسبعين فى

(٤٧) United Nations, A/C.1/SR. 240.
(٤٨) United Nations, A/C.1/435.
(٤٩) United Nations, A/C.1/SC. 14/6.

المائة منهم مسلمون . وقال ان سكان اريتريا غير المسلمين ليسوا متجانسين عرقيا ولغويا أو دينيا ، ولو أن الأقباط المسيحيين أنفسهم مختلطون بالمسلمين .

واستطرد ابراهيم سلطان قائلا : وفيما يختص بتـاريخ اريتريا ، فمع ان البلاد قد حكمتها دول مختلفة لقرون ، الا أنها لم تكن على الاطلاق جزءا من اثيوبيا . واذا نفذ اقتراح ضم اريتريا الى اثيوبيـا ، فان ذلك سيكون دون شك منافيا لمبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، الذى يضمن حق الشعوب فى اختيار حكوماتها . ان اريتريا ليست لها مصالح اقتصادية كبيرة مع اثيوبيا . ومن الناحية الجغرافية ، فان ميناءى مصوع وعصب لن يمنحا اثيوبيا منفذا الى البحر ، بسبب النفقات الباهظة التى يتكلفها النقل عبر الطرق الممتدة اليهما . وذلك عكس المزايا التى يمكن أن تجنيها التجارة الأثيوبية من ميناء جيبوتى بالصومال الفرنسى . ونظرا لعدم وجود أية روابط عرقية ودينية وتاريخية أو اقتصادية مع اثيوبيا ، فان المسلمين الاريتريين يعارضـون بشـدة ضـم اريتريا الى أثيوبيا ، ويناشدون الأمم المتحدة أن تمنح بلادهم الاستقـلال . اذ أن ضم اريتريا الى أثيوبيا سيؤدى الى صراعات دامية . ولسـوف تتبـع أثيوبيا سياسة القمع هناك وترتكب أعمـال العنف ضـد أعضـاء الرابطـة الاسلامية ، ينهض دليلا على ذلك اغتيال الشيخ عبد القـادر محمد صـالح كبيرى ، وهو على أهبة السفر الى الجمعية العامة للأمم المتحدة بوصفه عضوا فى الرابطة الاسلامية باريتريا .

ثم ألقى ممثل الرابطة الاسلامية ملخصا للأحـوال العامة فى اريتريا من النواحى الاقتصادية والجغرافية والعرقية . وهى ـــ فى رأيه ـــ تبرر المطالبة بالاستقلال ورفض السماح بضم اريتريا الى اثيوبيا . ذلك الرفض الذى طالب به وأكده أربعة أو خمسة من الأحزاب السياسية الاريترية . وقال أن اريتريا تتألف من ٢٩٣ قبيلة ، منها ١٩٧ قبيلة اسلامية صرفة ، على حين أن ٩٥ قبيلة أخرى تقيم بالهضبة المرتفعة تضم مسلمين ومسيحيين . وعلى عكس ما يقال عادة أن أغلبية سكان اريتريا مسـيحيون ، فان الجـزء الشرقى من اريتريا لا يوجد فيه حقيقة مسيحى واحد ، كما أن أحدا من السكان لن يقبل الاندماج مع اثيوبيا . ان تسعة أعشار اريتريا يقطنها مسلمون كما يبدو من الخريطـة التى سـوف توزع فيما بعـد ، بل ان المسـيحيين الأقبـاط الذى ينزلون

بالهضبة المرتفعة المتاخمة لاثيوبيا يرفضون فكرة ضم ارتريا الى هذه البلاد .
والحقيقة أن الرغبة فى الاستقلال قد أعرب عنها ثمانون فى المائة من السكان :
الذين يعارضون أيضا أى تقسيم لارتريا . وبمجرد أن تمنح ارتريا
الاستقلال ، فان الرابطة الاسلامية تحدوها الرغبة فى السلام واقامة علاقات
ودية مع جيرانها ، سوف تكون على استعداد لمنح كل الضمانات الضرورية
للجاليات الأخرى المقيمة بالبلاد : ومنها الجالية الايطالية (٥٠) .

وسأل ميدهين Medhen (اثيوبيا) ممثل الرابطة الاسلامية :
على أى أساس يقدر عدد سكان ارتريا بمليون ومائتى وخمسين ألف نسمة ،
وان خمسة وسبعين فى المائة منهم مسلمون ؟ واذا كانت هذه الاحصائية
صحيحة ، فما هى النسبة المئوية التى يضعها لكل مقاطعة من مقاطعات ارتريا :
وبخاصة أكلى قوزاى وسراى والحماسين ومصوع والمقاطعة الغربية ؟ فأجاب
ابراهيم سلطان أن رقم المليون ومائتى وخمسين ألف نسمة قد ذكرته لجنة
التحقيق الرباعية . وأن تقرير اللجنة اشار الى أن ثلاثمائة وخمسين ألف
ارترى مسيحى يرغبون فى الاندماج مع اثيوبيا . والحقيقة أن أقلية ضئيلة فقط
من المسيحيين الارتريين هى التى أعربت عن مثل هذه الرغبة . وقال ان معظم
سكان مقاطعات الحماسين وسراى وأكلى قوزاى ليسوا من المسلمين . أما
أعداد أعضاء الرابطة الاسلامية فى ارتريا ، فهى كالتالى : كرن : ١٨٨ر٦٤٠ .
أغردات : ٨٧ر٥٧٥ ، تسنى : ٤٦٤ر٤٤٥ . برتتو : ٤٦ر٠٠٠ . عدى وقرى :
٢٧ر٨٥٠ ، عدى قوالا : ١٦ر٥٢٠ . مصوع والقسم الشمالى من دنكاليا
١١٠ر٠٠٠ ، جنوب دنكاليا : ٢٨ر٠٠٠ ؛ أسمرة والمناطق المجاورة لها :
٦٧ر٣٧٠ . وذكر أن هذه المعلومات قد استمدت من لجنة التحقيق الرباعية .
ولما سأل ريكمانز Ryckmans (بلجيكا) ابراهيم سلطان عما
يفضله سكان ارتريا اذا اتخذت الجمعية العامة قرارا بوضع ارتريا تحت
الوصاية بدلا من منحها الاستقلال فورا ، أجابه بأن الرابطة الاسلامية فى هذه
الحالة سوف تؤيد وصاية الأمم المتحدة (٥١) .

وأدلى بعد ذلك بلاته محمد عبد الله ممثل الحزب الارترى الموالى لايطاليا

(٥٠) United Nations, A/C.1/SR. 247 .
(٥١) United Nations, A/C.1/SR. 247.

بيانه أمام اللجنة السياسية ، واستهله بقوله : ان حزبه يرغب فى منح اريتريا الاستقلال بعد فترة معقولة من الوصاية الايطالية ، ونظرا للأحوال العامة فى اريتريا ، فان هذه البلاد لا تستطيع بعد أن تمارس الاستقلال ، ولذا يجب أن تحصل خلال فترة الانتقال على مساعدة دولة أوروبية ، وأن ايطاليا فى رأيه هى الدولة المؤهلة للقيام بهذه المهمة الصعبة . وبنى اختياره لايطاليا على الأسباب التالية .

١ — ان اللغة الايطالية — كما تأكدت لجنة التحقيق الرباعية — هى اللغة الأوروبية الوحيدة المستخدمة حتى الآن فى اريتريا . الأمر الذى سوف ييسر تدريس هذه اللغة واستخدامها من جانب السكان .

٢ — ان الالمام باللغة الايطالية سوف يمكن الشعب الاريترى تحت الوصاية الايطالية من أن يتولى قسما كبيرا من ادارة البلاد . على حين أن الاريتريين تحت الادارة البريطانية لا يمكنهم أن يشاركوا الا فى الوظائف الادارية الصغيرة فقط .

٣ — ان الشعب الايطالى قد يسر الى حد كبير تطور اريتريا ، وان خروجهم منها سوف يعيق نموها الاقتصادى .

ثم قال ان مشروعات ضم اريتريا الى اثيوبيا غير مقبولة بسبب الخصومات العنصرية العميقة التى تفصل الشعبين الاريترى والاثيوبى عن بعضهم بعضا . ان مثل هذا الحل سوف يكون أمرا مؤسفا ، لأن الاثيوبيين ينظرون الى الاريتريين باعتبارهم عنصرا وضيعا وغير جدير بتولى الوظائف العامة الهامة . كما أن فكرة تقسيم اريتريا يجب أن ترفض ، لأن تطور اريتريا خلال ستين عاما من الحكم الايطالى . قد جعل لها كيانا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . مما يؤهلها للسير فى طريق الاستقلال . وأشار الى أن شعورا بالتعاطف مع ايطاليا منتشر بين جميع قطاعات السكان ، وان نتائج استقصاء لجنة التحقيق الرباعية نفسها لم تضعف هذا الرأى . وفضلا عن ذلك ، فان تقرير اللجنة لم يكن واضحا بالنسبة لاتجاه السكان ، لأن وسائل اللجنة فى الاستقصاء كانت قاصرة .

وأضاف بلاته محمد عبد الله ان تأسيس الحزب الاريترى الموالى لايطاليا

لم يسمح به الا قبل وصول لجنة التحقيق الرباعية بأربعين يوما فقط . كما أنه أبلغ اللجنة بالنتائج المؤسفة للدعاية الرسمية ضد النفوذ الايطالى فى البلاد ، وقد اشار تقرير لجنة التحقيق الى ميل السكان للتاثر بالزعماء السياسيين والدينيين الذين استخدمتهم سلطات الاحتلال . واستطرد يقول : وفى أثناء قيام لجنة التحقيق بعملهـا فى أريتريا ، أوضحت الرابطة الاسـلامية تفضيلها للوصاية البريطانية ، ولكن فى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٨ غيرت موقفها وقالت انه اذا لم تمنح اريتريا الاستقلال ، فانها سوف تؤيد وضع اريتريا تحت وصاية الأمم المتحدة . وعلى ذلك ، فان الرابطة الاسلامية قد اتخذت بادىء ذى بدء موقفا سياسيا معينا بسبب الضغط الواقع عليها من الادارة البريطانية . ثم قامت بعد ذلك بتعديل موقفها حين استعادت قدرا من حرية التعبير . وخلص من ذلك كله الى القول بأن الحزب الاريترى الموالى لايطاليـا يرى أن وضع اريتريا تحت الوصاية الايطالية سوف يخدم قضية العدل والحضارة .

ووجه توفيق السويدى (العراق) اليه سؤالا عن النسبة المئوية التى يمثلها الحزب الاريترى الموالى لايطاليا بالنسبة لسكان اريتريا . فأجاب بلاته محمد عبد الله أن حزبه يمثل جميع السكان المسيحيين والمسلمين على السواء . وسأله السويدى مرة أخـرى عن تفسيره للتناقض بين ما يقـوله وما جاء فى تقرير « مجموعة العمل » بأن حزبه لا يمثل الا ٥٪ فقط من السكان . فأجاب أن حزبه قد شكل فقط قبل وصول لجنة التحقيق بأربعين يوما . ولكن منذ هذا الوقت بلغ عدد أعضائه رقما يزيد على أربعمائة ألف عضو .

وسأله كوبر Cooper (ليبريا) عن عدد الايطاليين فى الحزب . فأجاب أنه لا يوجد ايطالى واحد فى حزبه ؛ وأن أعضاءه جميعا من الاريتريين . وعندئذ علق كوبر قائلا : ان اجابته هذه لا تتفق مع قوله أن حـزبه يمثـل سكان اريتريا . وسأله من جديد : هل لا يوجد ايطاليون فى اريتريا ؟ فأجاب ان حزبه لا يضم فى الحقيقة الا اريتريين فقط . نظرا لاهتمامه بمستقبل اريتريا . ولكنه مع ذلك يؤيد الوصاية الايطالية .

وسأله لانونج Lannung (الدانمرك) عن الحل الآخر الذى يفضله حزبه اذا لم تقرر الأمم المتحدة اقامة وصاية ايطالية على اريتريا . فرد قائلا انه لا يستطيع الاجابة على هذا السؤال ، وانه يعول بهذا الشأن على

حكمة الأمم المتحدة ، وأضاف : ان حزبه يؤيد الوصاية الايطالية ولا يعتبر نفسه مؤهلا لصياغة أية رغبة أخرى .

وسأله سنت لوت Saint — Lot (هايتى) : ما هو رد فعل أعضاء الحزب الارترى الموالى لايطاليا اذا حصلت البلاد على الاستقلال ؟ . فقال ان الارتريين لا يزالوا بحاجة الى التعليم وأنهم غير مستعدين لممارسة الاستقلال التام ، ولذلك فلا بد أن يحصلوا على مساعدة من بعض الدول الأوروبية ، وهذا هو السبب الذى يجعل حزبه يؤيد الوصاية الايطالية . ولفت مندوب هايتى نظره الى أنه لم يجب على سؤاله ، فهل يرفض حزبه الاستقلال أم يقبله ؟ فأجاب أن ارتريا ليست مستعدة للاستقلال التام . ومع أن حزبه يدعو الى استقلال البلاد مستقبلا ، الا أنه يطالب بمساعدة دولة أوروبية فى الفترة السابقة على الاستقلال (٥٢) .

وفى ٢٥ أبريل ١٩٤٩ درست اللجنة الفرعية تقريرا ثانيا مقدما من « مجموعة العمل » (٥٣) ، وأصدرت فى اليوم نفسه توصية بأن تستمع اللجنة السياسية لبيانات الحزب الاتحادى فى ارتريا (٥٤) .

وأدلى آتوتدلا بايرو سكرتير عام الحزب الاتحادى ورئيس وفد الحزب ببيانه فى ٢٦ أبريل أمام اللجنة السياسية ، فذكر أن حزبه قد قدم فى نوفمبر ١٩٤٧ الى لجنة التحقيق الرباعية جميع الوثائق المتعلقة بمطالب الحزب ورغباته . وبمطالب الشعب الارترى بوجه عام ، وأن حركة الوحدة الارترية الاثيوبية قد قامت قبل فترة طويلة من تحرير البلاد عام ١٩٤١ ، وأنها تؤلف أقدم حركة سياسية فى ارتريا . وقال انه مهما كانت خلفية الارتريين . فانهم مثل شعوب جميع المستعمرات الايطالية السابقة فى افريقية ، يعارضون بشدة عودة الحكم الايطالى تحت أية صورة الى بلادهم ، وأن الحزب الاتحادى قد تشكل فى ٥ مايو ١٩٤١ لتحقيق آمانى الشعب الارترى ، وأنه يضم حاليا زهاء ٧٠٠٫٠٠٠ عضو ، ويصدر مجلته الأسبوعية بأسم « اثيوبيا » .

(٥٢) United Nations, A/C.1/SR. 247.
(٥٣) United Nations, A/C.1/SC. 14/10.
(٥٤) United Nations, A/C.1/442.

وبعد أن وصف الروابط العرقية واللغوية والدينية التى تربط ارتريا باثيوبيا ، أضاف بايرو أن ارتريا كانت تؤلف أهم جـزء فى اثيوبيا لآلاف السنين ، وأن المقاطعات الثلاث الوسطى : أكلى قوزاى وسراى والحماسين تشتمل على ٥٦٪ من كل سكان ارتريا ، وأ ننسبة كبيرة من سكان هـذه المقاطعات الثلا ثقد أعلنت تأييدها للوحدة مع اثيوبيا ، وقال ان الحـزب الاتحادى ليس مقصورا على المسيحيين . وعدد أسماء المسلمين البارزين الذين يشكلون عنصرا هاما مؤيدا للوحدة مع اثيوبيا ، واستطرد قائلا : ان الرابطة الاسلامية التى تقتصر عضويتها على المسلمين ولا تمثل رغبات أغلبية الشعب الارترى ، قد بالغت كثيرا فيما يتعلق بعدد أنصارها • ان المتحـدث باسم الرابطة الاسلامية كان من أبرز زعماء الحزب الاتحـادى حتى أواخر عام ١٩٤٦ ، الا أنه غير ولاءه ، لأسباب شخصية ، وادعى بايرو أن الاتهامات التى وجهها ابراهيم سلطان الى الحزب الاتحادى عن أعمال الارهاب والاغتيالات لا أساس لها من الصحة ، ثم قال : ان رئيس ما يسـمى بالحـزب الموالى لايطاليا قد قضى ستة شهور فى روما قبل أن يمثل أمام اللجنة السياسية ويدلى ببيانه . وأن عضوا آخر بوفد هذا الحزب قد استخدمه الايطاليون فى ليبيا ثم بعد ذلك فى ارتريا •

وبالاضافة الى الروابط العرقية واللغوية والدينية التى تحدث عنها من قبل ، أشار بايرو الى أن ارتريا ترتبط باثيوبيا اقتصاديا ، اذ تصـدر اثيوبيا اليها الحبوب ، كما ان الارتريين ينزحون الى مناطق فى تيجراى وغـوندار لاستخدامها كمراعى لمواشيهم خلال شهور عديدة من العام • وخـلص من ذلك الى القول بأن الحركة التى يمثلها حـزبه انما تعبر تلقائيا عن جميـع قطاعات المجتمع الارترى •

وفى رده على سؤال لكوبر (ليبريا) ذكر بايرو أن المسلمين يؤلفون ثلث أعضاء الحزب الاتحادى ، الذى يلقى تأييدا من جميع جهات ارتريا ومن كل قطاعات السكان (٥٥) •

وفى ٣ مايو ١٩٤٩ استمعت اللجنة السـياسية الى بيـان فلبو كشيانى

---

(٥٥) United Rations, A/C.1/SR 25/..

Filippo Casciani ممثل الرابطة الايطالية الاريترية ، والذى قدم مشروع الرابطة من أجل « حرية اريتريا واستقلالها » ، فقال ان الأحزاب السياسية فى اريتريا قد أجمعت رأيها على دعم تكامل اريتريا الاقليمى داخل الحدود الجغرافية القائمة فى أول يناير ١٩٣٥ . وأيد وضع اريتريا تحت الوصاية الايطالية كخطوة على طريق الاستقلال وأساس لتعاون نشيط ووثيق مع أثيوبيا الجديدة الخالية من المطامح القومية (٥٦) .

مشروع اتفاقية بيفن ــ سفورتزا :

وكانت بريطانيا وايطاليا قد توصلتا حينئذ الى ما يعرف باسم اتفاقية بيفن ــ سفورتزا Bevin-Sforza Agreement ، نسبة الى مستر ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا والكونت كارلو سفورتزا وزير خارجية ايطاليا . وتقضى الاتفاقية بوضع الصومال الايطالى وطرابلس تحت وصاية ايطاليا ، وبوضع فزان تحت وصاية فرنسا ، وبرقة تحت وصاية بريطانيا ، وأن تقسم اريتريا بين اثيوبيا والسودان ، فيضم القسم الشرقى من اريتريا الى اثيوبيا ، ويضم القسم الغربى منها الى السودان . وفى ٣ مايو ١٩٤٩ ــ وهو اليوم الذى أدلى فيه فلبو كشيانى ممثل الرابطة الايطالية الاريترية ببيانه الذى سبقت الاشارة اليه ــ تقدم الوفد البريطانى الى اللجنة السياسية بالجمعية العامة للأمم المتحدة باتفاقية بيفن ــ سفورتزا فى صورة مشروع قرار (٥٧) .

وهاجمت عدد من الدول هذا المشروع ، ووصف الدكتور جوزى أرتشى Jose Arce (الارجنتين) ما جاء به بصدد اريتريا بأنه « رجعى » . وقال : ان كل شخص يميل الى الاعتراف بحقوق اثيوبيا واحترامها ، ولكن ذلك لا يعنى الموافقة على أن توضع تحت السيادة الاثيوبية أراض وسكان يقاومون مثل هذا الضم . وأكثر من ذلك صعوبة أن نبتلع دون احتجاج اقتراح ضم غرب اريتريا الى السودان ، اذ لا ننسى أن السودان ليس « سوذانا مصريا » ، ولكنه فى الحقيقة « سودان انجليزى مصرى » . ومن ثم ، فان ما جاء بمشروع القرار البريطانى بخصوص المقاطعة الغربية باريتريا

---

(٥٦) United Nations, Press Release GA/PS/205.

(٥٧) United Nations, A/C.1/446; Press Relase GA/PS/206.

ليس الا محاولة لضم « اقليم اريترى واسع الأرجاء » الى « مستعمرة تحكمها بريطانيا العظمى » (٥٨) . ومع ذلك ، فقد أيدت الكتلة اللاتينية مشروع القرار البريطاني فى جملته عندما تقدمت ثمانى عشرة دولة لاتينية بمشروع قرار مشترك بهذا المعنى فى ٤ مايو (٥٩) .

وقدمت وفود الهند والاتحاد السوفيتى والباكستان والعراق ومصر وكوستاريكا وكوبا والدومنيكان مشروعات قرارات تبغى منها اما تخفيف وطأة المقترحات البريطانية واما ازالة أثرها والقضاء عليها . ولكن دون جدوى . وكان مشروعا القرارين الهندى (٦٠) والسوفيتى (٦١) يدعوان الى وضع المستعمرات الايطالية السابقة تحت الوصاية الجماعية للأمم المتحدة . على حين دعا مشروع القرار الباكستانى (٦٢) الى تعيين لجنة خاصة لدراسة المشكلة وتقديم تقرير عنها الى الدورة التالية للجمعية العامة . ومشروع القرار العراقى (٦٣) الى ارسال لجنة دولية خماسية للتحقق من الرغبات الحقيقية لسكان اريتريا ازاء مستقبل بلادهم السياسى . ومشروع القرار المصرى (٦٤) الى اقامة وصاية مشتركة من قبل خمس دول على ليبيا الموحدة . واقامة وصاية مشتركة من قبل سبع دول على الصومال . وادماج اقليم غرب اريتريا فى السودان . أما مشروع القرار المشترك الذى تقدمت به كوستاريكا وكوبا والدومنيكان (٦٥) فكان يدعو الى وضع غرب اريتريا تحت الوصاية البريطانية المصرية المشتركة .

وفى ٩ مايو أحالت اللجنة السياسية موضوع المستعمرات الايطالية

---

(٥٨) United Nations, Pren Release GA/PS/207

(٥٩) United Nations, A/C.1/449

والدول اللاتينية الثمانى عشرة هى : الارجنتين وبوليفيا والبرازيل وشيلى وكولمبيا وكوستاريكا وكوبا والدومنيكان واكوادور وجواتيمالا وهندوراس والمكسيك ونيكارجوا وبنما وبرجواى وبيرو وأورجواى فنزويلا .

(٦٠) United Nations, A/C.1/448.

(٦١) United Nations. A/881.

(٦٢) United Nations, A/889.

(٦٣) United Nations, A/C.1/457.

(٦٤) United Nations, A/885.

(٦٥) United Nations, A/C.1/47/..

السابقة لبحثه على لجنة فرعية من مندوبى ست عشرة دولة (٦٦) • وبعد أن عقدت اللجنة الفرعية اربعة اجتماعات فقط فى يومى ١٠ و ١١ مايو ١٩٤٩ ، ما لبثت حتى وصلت الى قرار سريع فى مساء ١١ مايو ، يتناول البت فى مصير المستعمرات الايطالية السابقة على أساس اتفاقية بيفن ــ سفورتزا (٦٧) • وأبرق الامبراطور هيلاسلاسى فى ١٤ مايو الى السكرتير العام للأمم المتحدة مطالبا بأن « يعاد الى اثيوبيا اقليم اريتريا ، الذى كان يشكل لآلاف السنين جزءا لا يتجزأ من بلادنا » ، وقال « ان اثيوبيا بمطالبتها باعادة اريتريا اليها . لا تسعى لضم شعوب وأراض لا تخصها ، ولا تفعل أكثر مما فعلته فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى ، حينما طالبت باعادة الألزاس واللورين اليها ؛ أو اليونان حينما طالبت بأن تعاد اليها جزر الدوديكانيز » (٦٨) •

واتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدتها للاقتراع على مشروع القرار البريطانى القائم على اتفاقية بيفن ــ سفورتزا ، وتحدد يوم ١٧ مايو لذلك • ولكن المظاهرات الصاخبة العنيفة المعادية لايطاليا التى اندلعت فى طرابلس (٦٩)، والتى نقلت الصحف الأمريكية وصحف العالم أجمع أنباءها . كان لها أثرها على الموقف فى نيويورك • وعندما عرض مشروع القرار البريطانى للاقتراع فى ١٧ مايو ، وافقت الجمعية العامة على المشروع فى فقرته الخاصة ببرقة بأغلبية ٣٦ صوتا ضد ١٧ وامتناع ٦ من الاقتراع ، وفى فقرته الخاصة بطرابلس بأغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٧ وامتناع ٨ عن الاقتراع ؛ وفى فقرته الخاصة بالصومال بأغلبية ٣٥ صوتا ضد ١٩ وامتناع أربعة عن الاقتراع . وفى فقرته

---

(٦٦) United Nations, A/C.1/459

والدول الست عشرة هى : الارجنتين واستراليا والبرازيل وشيلى والدانمرك ومصر وأثيوبيا وفرنسا والهند والعراق والمكسيك وبولندا وجنوب افريقية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية .

(٦٧) United Nations, A/C.1/466.

(٦٨) United Nations, A/C.1/459.

(٦٩) كانت هذه المظاهرات بتدبير هيئة تحرير ليبيا ، وذلك كما يستنتج مما كتبه الدكتور محمد فؤاد شكرى (مستشار الهيئة والوفد الليبى فى الأمم المتحدة) فى مذكراته غير المنشورة بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤٩ ، حيث يقول : « ووصلنا تلغراف من الطاهر المريض (عضو هيئة تحرير ليبيا) باشعال الثورة وحوادث فى سوق الجمعة . وقد نشرت الهيرالد تريبيون والنيويورك تايمز هذه الأخبار » .

الخاصة باريتريا (باستثناء المقاطعة الغربية) بأغلبية ٣٧ صوتا ضد ١١ وامتناع ١٠ عن الاقتراع • ولكن المشروع كله ما لبث أن سقط بأغلبية ٣٧ صوتا مقابل ١٤ فى جـانبه وامتنـاع سـبعة أصـوات عن الاقـتراع (٧٠) • وفى ١٨ مايو صدر قرار الجمعية العامة رقم ٢٨٧ بتأجيل النظر فى مسألة المستعمرات الايطالية السابقة حتى دورة الانعقاد الرابعة (٧١) •

وأعلن ارنست بيفن فى ٦ يولية ١٩٤٩ فى مجلس العموم أن الحـكومة البريطانية قد تخلت عن مشروع سفورتزا ــ بيفن للمستعمرات الايطالية • وكانت هذه أول مرة تعلن فيها الحكومة البريطانية هذا التحول فى سياستها منذ أن خرج المشروع المذكور الى حيز الوجود • وقد قال بيفن ان الحكومة البريطانية تدرس فى الوقت الحاضر سياسة جديدة بشأن المستعمرات الايطالية السابقة على ضوء المناقشات التى جرت فى الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى دورتها الأخيرة . وأضاف « ان تأييد الحكومة البريطانية للاتفاقية الانجليزية الايطالية المعروفة باسم مشروع سفورتزا ــ بيفن قد انتهى ومات » (٧٢) •

ومن جهة أخرى . فقد كتب جفرى هور مراسل صحيفة « نيوزكرونكيل » فى ١٨ يولية ١٩٤٩ يقول : « ان جـلالة الامبراطور هيلاسـلاسى امبراطور اثيوبيا قد صرح له فى حديث خاص بأن اثيوبيا ستعارض معارضة شديدة فى

---

(٧٠) يذكر مجيد خدورى أن على العنيزى عضو الوفد الليبى قد نجح فى حث أميل سنت لوت مندوب هايتى على التصويت ضد مشروع بيفن سفورتزا (انظر Khadduri. M.: Modern libya, p. 132, f. n.35) والواقع أن خدورى قد نسب الى العنيزى شيئا لم يقم به ؛ فقد سجل الدكتور شكرى فى مذكراته غير المنشورة بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٩ ما يلى : « تكلمت مع سفير ليبريا حتى أقنعه بأن يصوت ضد الفقرة المتعلقة بطرابلس .. وتكلمت مع مندوب هايتى ؛ والعرب يائسون منه . واخيرا طلب هو من منصور قداره ٣٠ دولارا ثمن مكالمة تليفونية مع رئيس الجمهورية . وكان قد قال لى انه سيتصل به تليفونيا ؛ فدفعهـا منصور . وقال الرجل انه حذف اسمه من قائمـة الخطباء وسيصوت ضـد المشروع فى الفقرة المتعلقة بطرابلس . وفعلا هذا حدث .. وقد وعدناه بزيارة مصر والاحتفاء به . ومما يجدر ذكره أن هذه المناورة (اى اسقاط مشروع بيفن سفورتزا) هى من عمل الروس ، واظهروا فى الجلسة نشـاطا عظيما . وصار العرب يجلسون معهم والتفاهم كامل بينهم . أما الانجليز والامريكان ، فهم فى شدة المضايقة » .

(٧١) United Nations, Press Relase GA/511 ; Official Records of the Third Session of the General Assembly, part II, 5 April-18 May 1949, p. 36.

(٧٢) المصرى فى ١٩٤٩/٧/٧

أى اقتراح يقرر مصير المستعمرات الايطالية السابقة دون أن ينص على عودة اريتريا الى اثيوبيا » • واستطرد الامبراطور قائلا : « أن من الواضح أن المضى فى فصل شعب اثيوبيا عن شعب اريتريا فصلا غير طبيعى لن يكون فى مصلحة السلام ولا فى مصلحة الشعب الاريترى من الناحية الاقتصادية » • وأضاف هور الى ذلك قوله : « ان اثيوبيا تنفق الآن مبلغا كبيرا من ميزانيتها الصغيرة على تعليم شبابها الذين سيكلفون لا بادارة الامبراطورية الاثيوبية الحاضرة فحسب ، بل المناطق الأخرى كاريتريا والصومال الايطالى وكل المناطق التى ينتظر من هيئة الأمم المتحدة أن تضمها الى اثيوبيا وتنهى الادارة البريطانية المؤقتة فيها » (٧٣) •

تشكيل الجبهة المستقلة وانشقاق الرابطة الاسلامية :

وكان فشل مشروع بيفن ـ سفورتزا مؤذنا بتغيير موقف ايطاليا ازاء القضية الاريترية لمحاولة كسب التأييد الدولى ، فصارت تدعو منذ هذا الوقت الى استقلال اريتريا فورا • ويقول تريفا سكيس ان هذا الاقتراح قد تقدمت به الرابطة الايطالية الاريترية ، التى كانت فكرة أقطابها أنه فى حالة منح اريتريا الاستقلال ، فان ايطاليا تستطيع أن تطويها تحت جناحها ، بأن تقدم اليها المساعدات المالية والاقتصادية ، وأن تمنحها الحماية العسكرية اذا كان ذلك ضروريا • ومن الناحية السياسية ، أعتقد زعماء الرابطة ان بوسعهم التحكم فى التوازن بين الطوائف والآحزاب الاسلامية والمسيحية ، وأنه بسبب مؤهلاتهم المتفوقة يستطيعون السيطرة على جهاز الحكومة (٧٤) •

ولقد كان بعد هزيمة مشروع بيفن ـ سفورتزا أن اجتمعت فى نيويورك وفود حزب الرابطة الاسلامية والرابطة الايطالية الاريترية والحزب الموالى لايطاليا ، وطالبوا باستقلال اريتريا فورا • وبعد عودتهم الى اريتريا ، عملوا على التقرب من الحزب التقدمى الحر حليف الرابطة الاسلامية القديم ، وسرعان ما اتحدت رسميا الأحزاب السياسية الاريترية الثلاثة المعارضة للوحدة مع اثيوبيا ، حزب الرابطة الاسلامية ، والحزب الموالى لايطاليا ، والحزب التقدمى الحر ، وكونت «كتلة الاستقلال » Independence Bloc أو « الجبهة المستقلة » Independent Front

---

(٧٣) المصرى فى ١٩٤٩/٧/١٩ .

(٧٤) Trevaskis, G.K.N. : Op. cit, pp 93-94.

غير أنه لم تمض فترة وجيزة على تشــكيل الجبهة المستقلة حتى حــدث انشقاق فى صفوف الرابطة الاسلامية والحزب التقدمى الحر ، بسبب الخلافات والأحقاد الشخصية من جهة ، ولأن الأجنحة المتطرفة والمعادية لايطاليا فى هذين الحزبين كانت ساخطة على صلات الجبهة المستقلة بايطاليا من جهة أخرى •

وفى داخل الرابطة الاسلامية ، قاد الجناح المتمرد الشــيخ على موسى راضى ، وهو أحد أقطاب الرابطة وزعيم غير رسمى لمجموعة من القبائل كانت تنظر بعين الشك الى صلات ابراهيم ســلطان ســكرتير عام الجبهة المستقلة بايطاليا وتعارض مطامحه القبلية ، كما كانت تعارض الادعاءات الايطاليــة والاثيوبية ، وتطالب بمنح غرب ارتريا الاستقلال بعــد فترة من الوصــاية البريطانية (٧٥) • ويرى بعض الباحثين أن الادارة البريطانية والأموال الاثيوبية قد لعبت دورا فى احداث الشقاق بين صفوف الاستقلاليين (٧٦) • وأيا ما كان الأمر ، فقد نجم عن هذا الشقاق أن انسلخ من الرابطة الاسلامية بعض أقطابها المعارضين لابراهيم سلطان ، وعلى رأسهم الشيخان راضى وحمودى ، وكونوا الرابطة الاسلامية المستقلة Independent Moslem League أو الحزب الاسلامى المستقل لمصوع Independent Moslem Party of Massawa

قرار ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ :

وافتتحت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة انعقــادها الرابعــة فى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٩ ، وأعلن كوف دى مرفيل Couve de Murville (فرنسا) فى أول أكتوبر أمام اللجنــة الســياسية أن التركيب الديموجــرافى لارتريا واقتصادها غير المتوازن يثيران مشكلة معقدة ، الا أن من الممكن ايجــاد حل لهذه المشكلة يأخذ بعين الاعتبار مطالب اثيوبيا الاقليمية ورغبات ســكان ارتريا ، ومن بينهم الأقلية الايطالية ، ثم قال : « ان أى قرار بناء لا بد أن يحصل على موافقة كل من الحكومتين الأثيوبية والايطالية » • وأعلن الكونت سفورتزا (ايطاليا) أن حكومته تقترح منح ارتريا الاستقلال ، وترى ان استقلال ارتريا هو فى صالح اثيوبيا نفســها • وأيد السير ظفر الله خان

---

(٧٥) Trevaskis, G. K. N. : Op. cit, p. 97:

(٧٦) راشد البراوى : الحبشة بين الاقطاع والعصر الحديث ص ٨٥ •

(الباكستان) منح اريتريا الاستقلال ، وقال ان ضم اريتريا الى اثيوبيا قد يهدد بالخطر اثيوبيا ذاتها ، وأضاف : انه قد يبدو مما وصفت به ارتيريا — أنها بلاد ميئوس منها اقتصاديا ، وتساءل : وفى هذه الحالة ، أليس من غير العدل أن تحمل اثيوبيا بمثل هذا العبء الثقيل ؟ (٧٧) • وفى ٦ أكتوبر أعلن شارل مالك (لبنان) أن حكومته تؤيد منح اريتريا الاستقلال ، على أن تعطى أثيوبيا منفذا الى البحر (٧٨) •

وأعلن ميدهين (اثيوبيا) فى اليــوم التالى أن اقتراح عــودة ايطاليا الى الصومال ورفض حق اثيوبيا فى المطالبة باريتريا ، لا يأخذان بعين الاعتبــار رغبات السكان ومصالحهم فحسب ، بل أيضا صالح السلام والأمن ، ويوجهان تهديدا مباشرا لاستقلال اثيوبيا • واستطرد قائلا : « ان اثيوبيا لن تسمح بأن يضحى بها على مذبح الأمم المتحدة لارضاء ايطاليا كما فعلت عصبة الأمم • ولكنها سوف تتخذ كل الوسائل الشرعية للدفاع عن النفس المنصوص عليها فى ميثاق الأمم المتحدة » (٧٩) •

وفى ١٠ أكتوبر أدلى بايرو ممثل الحزب الاتحادى (اريتريا) ببيانه أمام اللجنة السياسية ، فذكر أن الاريتريين — المسيحيين والمسلمين — قد شكلوا فى ٥ مايو ١٩٤١ أول منظماتهم السياسية الرسمية ، وهى التى عرفت باسم الحزب الاتحادى ، وأن هذا الحزب يعبر عن الرأى الغالب لسكان الهضبة الوسطى ، ويلقى تأييد ٥٦٪ من كل الشعب الاريترى طبقا لتقرير لجنــة التحقيق الرباعية ، وقال : « ان سكان الهضبة الوســطى قد قرروا الاتحاد مع اثيوبيا • ويؤيد هذا القرار نسبة كبيرة من الســكان تصل الى ٩٦٪ فى أسمرة العاصمة • والى جانب ذلك ، فان الحزب الاتحادى يلقى مساندة هامة من أهل المقاطعة الغربية ومقاطعة مصوع وساحل الدناكل » •

وأكد بايرو أن اريتريا كانت دائما تشكل جزءا من اثيوبيا ، ثم راح يهاجم الأحزاب والجماعات المعارضة للوحدة مع اثيوبيا • فقال ان رابطة المثقفين الاريتريين Association of Eritrean Intellectuals

---

(٧٧) United Nations, A/C.1/SR. 279.

(٧٨) United Nations, Press Release GA/PS/243.

(٧٩) United Nations, A/C.1/SR. 286.

لا يتجاوز عدد أعضائها ١٤٥ شخصا ، وأن أحدا منهم لم يحصل على أية دبلومات • وفضلا عن ذلك ، فان الحزب الارترى الموالى لايطاليا ورابطة المحاربين القدماء والرابطة الايطالية الارترية قد ادعت فى الدورة السابقة للجمعية العامة أنها تمثل ١٠٠٪ من السكان ، وبخصوص الحزب الوطنى الاسلامى لمصوع ، فمن الواضح أن دعاوية لا يمكن أن تمر دون اعتراض ـ لسبب بسيط ، وهو أن وفد الحزب الاسلامى المستقبل لمصوع (الرابطة الاسلامية المستقلة) يوجد فى الوقت الحاضر بليك سكس لتقديم وجهات نظره • ولا يمثل الحزب التقدمى الحر الا مجموعة ذات أهمية ضئيلة نسبيا من سكان الهضبة ، كما أن هذا الحزب قد تفكك فى أعقاب أحداث مايو الماضى (٨٠) ، ولم يعد يؤيده سوى ٢٠٫٠٠٠ شخص فقط • وأما حزب الرابطة الاسلامية ، فان أعضاءه طبقا لتقرير لجنة التحقيق الرباعية يمثلون ٤٠٪ من السكان . كما أن عددا من رؤساء القبائل المهمين وذو النفوذ قد انفصلوا مؤخرا مع أتباعهم عن هذا الحزب •

وأضاف بايرو : أن كتلة الاستقلال قد تشكلت فجأة فى مايو الماضى عندما تحققت ايطاليا من أن وضع اريتريا تحت الوصاية سوف يصيب الضمير العالمى بالغثيان ، كما أن ايطاليا تمد الحركة الاستقلالية بالأموال والنصائح ،حيث أن المثقفين الايطاليين الذين يعشون فى اريتريا سوف يسيطرون على ادارة الدولة المستقلة المقترح انشاؤها ، ويسمحون بالهجرة الايطالية الى اريتريا على نطاق واسع ، ثم قال : ان رئيس الكتلة الاستقلالية عند عودته من ليك سكس فى الربيع الماضى قد مر بروما للتشاور مع السنيور دى جاسبرى de Gospri وخلص بايرو من ذلك كله الى الاعراب عن أمله فى التوصل الى حل صائب ، حيث أن التأخير من جانب الأمم المتحدة سوف يفسر بأنه محاولة لاعاقة تسوية المشكلة •

وعندما سأل كوبر (ليبريا) ممثل الحزب الاتحادى عما اذا كان بعض أعضاء الحزب قد هجروه وأنضموا الى الكتلة الاستقلالية بعد تكوينها ، رد

---

(٨٠) يقصد الشقاق الذى حدث فى صفوف الرابطة الاسلامية والحزب الحر فى أعقاب تشكيل الجبهة الاستقلالية .

بايرو بالايجاب . ولما كرر ميدهين (أثيوبيا) سؤال كوبر السابق ، رد بايرو بالايجاب مرة أخرى . وفى رده على سؤال للسير ظفر الله خان (الباكستان) عما اذا كان الحزب الاتحادى سيترك سكان السهل الساحلى أحرارا فى تقرير مستقبلهم بمعزل عن سكان الهضبة الوسطى ، قال بايرو ان وفدا يمثل السهل الساحلى موجود فى ليك سكس ، وأنه بالتأكيد سوف يطلب الوحدة مع أثيوبيا (٨١) .

ثم أدلى الشيخ حمودى (ممثل الرابطة الاسلامية المستقلة) ببيانه أمام اللجنة السياسية . واستهله بقوله : « ان الظروف السياسية والأحوال الاقتصادية الناتجة من الحرب الأخيرة ومن احتلال القوات العسكرية البريطانية لارتريا بعد الاعتداء الايطالى على أثيوبيا وهزيمة الفاشست . قد حفزت الارتريين على أن يشكلوا فى ٥ مايو ١٩٤١ حزبا سياسيا واجتماعيا يهدف الى وحدة ارتريا مع أثيوبيا . وقد اعترفت قوات الاحتلال العسكرية بالحزب على الفور . مما كان من نتيجته أن تعاون الحزب مع الادارة البريطانية لصالح البلاد العام . وعند نهاية الحرب . اجتمع زعماء ارتريا ورؤساؤها فى أسمرة وكتبوا مذكرة مفصلة التمسوا فيها من صاحب الجلالة امبراطور أثيوبيا ان يدافع عن أمانى ارتريا الوطنية بادماج هذه البلاد فى أثيوبيا » . ثم قال « وعندما علم الارتريون فى ١٠ فبراير ١٩٤٦ بموافقة ايطاليا على التنازل عن حقوقها فى المستعمرات الايطالية السابقة . أصبح واضحا للشعب الارترى أنه سوف يتحرر تماما من السيطرة الأجنبية . ومن ثم ، فقد قرر زعماء ارتريا أن يعبروا عن آمالهم الوطنية فى مذكرة أرسلوها الى سلطات الاحتلال ، وناشدوها فيها أن تؤيد وحدة ارتريا مع أثيوبيا ، وأن تيسر التبادل الاقتصادى بين البلدين . ومنذ ٣٠ مارس ١٩٤٦ عقد زعماء ارتريا ورؤساؤها — بالتعاون مع ممثلى الأقاليم — سلسلة من المؤتمرات . نوقشت فيها مشكلات البلاد ، وانتهت بارسال ملتمس الى الحكومة الاثيوبية لتأييد مطلب وحدة ارتريا مع أثيوبيا وحماية الحقوق الانسانية والتقاليد الاسلامية لشعب ارتريا » .

واستطرد الشيخ حمودى قائلا : « غير أن القطاع المسيحى من الشعب الارترى لم يوافق على هذه الشروط وأصر على الوحدة غير المشروطة مع أثيوبيا . وكان هذا هو السبب الرئيسى لعدم التوصل الى اتفاق موحد بشأن

(٨١) United Nations, A/C.1/SR. 289.

خطة العمل مستقبلا . وفى أثنــاء ذلك ، قــرر القطاع الاسلامى من الشعب الاريترى أن يشكل جبهة اسلامية لتحقيق آمانى المسلمين الوطنية . وتولى رئاسة المنظمة الاسلامية الشيخ ابراهيم سلطان الــذى يرأس حاليــا الكتلة الاستقلالية . وفى ٢١ يناير ١٩٤٧ عقد مؤتمر اسلامى عام وقرر تشكيل الرابطة الاسلامية لاريتريا ، بهدف التعبير عن رغبــات السكان المسلمين أمام لجنة التحقيق الدولية الرباعية » .

وذكر الشيخ حمودى اللجنة السياسية بأن وفدا يمثل الرابطة الاسلامية قد أدلى ببيانه خلال دورة الجمعية العامة السابقة . وقال « أنــه تلا فشل الأمم المتحدة فى اتخاذ قرار بصــدد المشــكلة الاريترية أن اجتمع ممثلو الرابطة الاسلامية فى ليك سكس بالوفود الاريترية الأخرى . التى سبق أن أيدت الوصاية الايطالية . واتفقوا على برنامج يطالب باستقلال اريتريا ووحدتها . وقد قدمت هذه الآراء ووجهات النظر الى اللجنة السياسية فى أعقاب نبــذ ايطاليا المفاجىء لمطالبها بالوصاية على اريتريا المبنية على أساس مشروع بيفن ــ سفورتزا . ولقد كان من الواضــح حينئــذ أن ايطاليا ستــؤكد الحركة الاستقلالية فى مقابل حصول المهاجرين الايطاليين على المواطنة الاريترية . وتلا ذلك أن تشكلت منظمة جديدة باسم الرابطة الاسلامية المستقلة تمييزا لها عن الرابطة الأم التى أندمجت مع الأحزاب الموالية لايطاليا » . وحــدد أهداف حزبه ، أى الرابطة الاسلامية المستقلة ، بأنها : الوحدة مع أثيوبيا على أساس المساواة فى الحقوق والواجبــات . والاعتــراف باللغة العربيــة ، والحقوق الشخصية للمسلمين مع الضمانات الملائمة لحمايتهم ، وقال « ان مثل هذا الحل يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان » .

وفى رده على أسئلة السير ظفر الله خان (الباكستان) قال الشيخ راضى (الرابطة الاسلامية المستقلة) أن حزبه قد أسس فى مصوع فى سبتمبر ١٩٤٩ ، وأنه ليس حزبا جديدا ، لأن معظم أعضــائه انفصلوا عن الرابطــة الاسلامية المؤسسة بالذكل فى ٢١ يناير ١٩٤٧ ، وأنه يعتقد أن معظم الشعب الاريترى يريد الوحدة مع أثيوبيا ، وأن المنظمة التى يمثلها قد حصلت من وزير الخارجية الأثيوبية على تأكيدات بأن الحكومة الأثيوبية ستضمن حقوق المسلمين .

ولما سأله بيلر Bebler (يوغوسلافيا) عما اذا كانت المشاعر التى أعرب

عنها وفد الرابطة الاسلامية المستقلة أكثرا انتشــارا فى الأقاليم الغربية أم فى أقليم مصوع أم أقليم عصب ، أجاب الشيخ راضى بأنه ولو أن حزبه قد أسس فى مصوع ، الا أن له أنصــارا فى أقاليم أسمرة وأكلى قــوزاى وفى مقاطعة الدناكل ، وأنه يعتبر أن الآراء التى عبر عنها وفده يشاركه فيها غالبية المسلمين فى هذه المناطق (٨٢) .

وتنوعت وتعددت مشروعات القرارات التى قدمتها الوفود المختلفة منذ ٢٠ سبتمبر ١٩٤٩ من أجل التوصــل الى حل مقبول لمسألة المستعمرات الايطالية السابقة (٨٣) وفى ١١ أكتوبر بلغ عدد مشروعات القرارات ستة ، وكانت مقدمة من الهنــد (٨٤) والعــراق (٨٥) ، وليبــريا (٨٦) والباكســتان (٨٧) والاتحاد السوفييتى (٨٨) والولايات المتحدة الامريكية (٨٩) ، وتضمنت ثلاثة مشروعات منها توصيات معينة بشأن مستقبل اريتريا :

١ ــ مشروع القرار الباكستانى ويقضى بمنح اريتريا استقلالها بعد ثلاث سنوات مع اعطاء أثيوبيا منفذا الى البحر عن طريق عصب .

٢ ــ مشروع القرار السوفييتى ويقضى بمنح اريتريا استقلالها بعد خمس سنوات تكون خلالها تحت وصاية الأمم المتحدة . وأن تمنح أثيوبيا منفذا الى البحر عن طريق عصب .

٣ ــ مشروع القرار الأمريكى ويقضى بضم اريتريا ــ فيما عدا المقاطعة الغربية ــ الى أثيوبيا ، وضم المقاطعة الغربية الى السودان .

وفى ١١ أكتوبر تألفت لجنة فرعية (رقم ١٧) للجنة السياسية من احدى وعشرين دولة (٩٠) ، لكى تبحث المشروعات المقدمة أو التى تقدم ، وأن تقترح

---

(٨٢) United Nations, A/C.1/SR. 289.

(٨٣) United Nations, A/C.1/487

(٨٤) United Nations, A/C.1/491

(٨٥) United Nations, A/C.1fl489.

(٨٦) United Nations, A/C.1/490.

(٨٧) United Nations, A/C.1/49

(٨٨) ...United Nations, A/C.1/487/Rev. 1.

(٨٩) United Nations, A/C.1/497.

(٩٠) من الأرجنتــين واســـتراليا والبــرازيل وشــيلى والصــين وتشيكوسلوفاكيا والدانمرك ومصر واثيوبيا وفرنسا وجواتيمالا والهند والعراق وليبريا والمكسيك والباكســتان وبولنــدا واتحاد جنــوب افــريقيا والاتحاد السوفيتى وبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية .

مشروع قرار أو مشروعات قرارات ــ لتسوية مسألة المستعمرات الايطاليــة السابقة فى افريقيا (٩١) • وعقدت اللجنة الفرعية ١٢٩ اجتماعا ، ثم تقدمت فى أول نوفمبر ١٩٤٦ بمشروع قرارها الى اللجنة السياسية ، والذى أوصى فيما يتعلق باريتريا « بتأليف لجنة لا يزيد أعضاؤها على خمسة من الدول (دون تحديدها) للتثبت بصورة أوسع من رغبات سكان اريتريا وللتحقق من أفضل الطرق لترقية مصالحهم ؛ ودرس مسألة تقرير مصيرهم ، ثم اعداد تقرير للجمعية العامة يتضمن توصيات قد تراها اللجنة ملائمة لحل مشكلة اريتريا » (٩٢) •

وفى ٥ نوفمبر أعلن الدكتور أرتشى (الارجنتين) أمام اللجنة السياسية ان وفد بلاده يؤيد استقلال أريتريا . وأنه قدم اقتراحا بهذا المعنى الى اللجنة الفرعية رقم (١٧) وقال أنه لما كانت هناك بعض الشكوك ازاء الرغبات الحقيقية للشعب الاريترى . فان الوفد الأرجنتينى يؤيــد ارسال لجنة استقصاء الى اريتريا • وأعرب جوست Jooste (جنوب أفريقيا) عن اعتقاده بأن مشكلة اريتريا تحتاج الى مزيد من الدراسة . وأشار أكليلو Aklilou (أثيوبيا) الى أن التوصل الى حل للمسألة الاريترية أمر جوهرى بالنسبة للسلام والأمن فى هذا الجزء من افريقيا . وقال ان من الحقائق المعروفة أن ٦٨٪ على الأقل من الشعب الاريترى . وبخاصة سكان القسم الشرقى من اريتريا . يؤيدون الوحدة مع أثيوبيا •

وذكر الدكتور فلادميــر هوديك Houdek (تشيكوسلوفاكيا) أن حكومته لم تغير رأيها الذى أعلنته فى الدورة السابقة للجمعية العامة . وهو أن المستعمرات الايطالية السابقة الثلاث : ليبيا واريتريا والصومال يجب أن تحصل على استقلالها اما فورا أو بأسرع ما يمكن (٩٣) •

وفى ٧ نوفمبر أعلن الدكتور محمود فوزى (مصر) أنه لما كان من غــير المحتمل أن يحصل أى حل من الحلول المقترحة بشأن اريتريا على ثلثى الأصوات لاقراره ؛ فان الوفد المصرى يرى أن الحل المقترح من قبل اللجنة الفرعية رقم (١٧) يقــدم تسوية مقبولة • وذكر تسيون شى يو Tsune-chi-Yu

(٩١) United Nations, A/C.1/493.
(٩٢) United Nations, A/C.1/522
(٩٣) United Nations, A/C.1/SR. 315.

(الصين) أن الوفد الصيني يؤيد مطالب أثيوبيا فى الحصول على منفذ الى البحر ، ولكنه يعارض ضم أى جزء من اريتريا الى أثيوبيا اذا كان هذا الضم متعارضا مع رغبة السكان (٩٤) •

وأشار تاركياني (ايطاليا) فى ٩ نوفمبر الى أن حكومته اقترحت منح اريتريا الاستقلال كخطوة أولية نحو اقامة علاقات تتسم بالود والتعاون بين الشعب الأثيوبي والايطالي ، وقال ان الحكومة الايطالية قد وافقت على اقتراح تشكيل لجنة استقصاء من الأمم المتحدة للتثبت من رغبات الشعب الاريتري ولاعداد تقرير يتضمن توصياتها الى الجمعية العامة . وان ايطاليا ستقبل القرار النهائي للجمعية العامة ، ويجب أن تكون أثيوبيا مستعدة لكى تفعل الشيء نفسه (٩٥) •

وطالب فيربلوفسكي Wierblowski (بولندا) فى نوفمبر بمنح اريتريا الاستقلال فورا . وقال أنه اذا تعذر لبعض الأسباب منح اريتريا الاستقلال الفوري ، فلا بد من تحديد فترة زمنية معينة تحصل اريتريا بعدها على الاستقلال (٩٦) •

وتقدمت اللجنة السياسية فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ بمشروع قرارها النهائي الى الجمعية العامة • وجاء فى ديباجته « ان الجمعية العامة بناء على الفقرة الثالثة من الملحق الحادى عشر من معاهدة الصلح المبرمة مع ايطاليا فى عام ١٩٤٧ والتي بموجبها أتفقت الدول ذات الشأن على قبول توصيات الجمعية العامة بصدد مصير مستعمرات ايطاليا السابقة وعلى اتخاذ التدابير المناسبة لتنفيذها • ولما كانت قد وقفت على تقرير لجنة التحقيق الرباعية ، واستمعت الى الناطقين باسم هيئات تمثل جزءا لا يستهان به من الرأى العام فى الأراضي التى يدور بشأنها البحث وبعد أن أخذت بعين الاعتبار مصالح سكان هذه الأقاليم ورغباتها ومصلحة السلم والأمن وآراء الحكومات التى يعنيها الأمر والأحكام المختصة الواردة فى الميثاق » • ثم أوصى مشروع القرار بأن تكون ليبيا المشتملة على برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة ، ويصبح هذا الاستقلال

---

(٩٤) United Nations, Press Release GA/PS/302.

(٩٥) United Nations, A/C1/SR. 318

(٩٦) United Nations, A/C.1/SR. 322

نافذا بعد عشر سنوات من تاريخ موافقة الجمعية العامة على اتفاقية الوصاية .

أما فيما يتعلق باريتريا ، فقد نص مشروع القرار على ما يلي :

١ ـ تتألف لجنة لا يزيد أعضاؤها على خمسة من الدول . هي بورما وجواتيمالا والنرويج والباكستان واتحاد جنوب افريقيا . وذلك للتثبت بصورة أوسع من رغبات سكان اريتريا وللتحقق من أفضل الطرق لترقية مصالحهم ، ودرس مسألة تقرير مصيرهم ، ثم اعداد تقرير للجمعية العامة يتضمن توصيات قد تراها اللجنة ملائمة لحل مشكلة اريتريا .

٢ ـ تتثبت اللجنة عند قيامها بأعباء مسئولياتها من جميع الحقائق المتعلقة بالموضوع بما فى ذلك المعلومات الخطية والشفوية ، من السلطة الحالية القائمة بالادارة ومن ممثلى سكان الأقليم بما فيهم الأقليات ومن الحكومات والهيئات والأفراد اذا رأت الضرورة لذلك .

وعلى اللجنة أن تأخذ بعين الأعتبار :

(أ) رغبات سكان اريتريا ومصالحهم . بما فى ذلك وجهات نظر الفئات الجنسية والمذهبية والسياسية المختلفة فى جميع قطاعات الأقليم وأهلية الشعب للحكم الذاتى .

(ب) مصلحة السلم والأمن فى شرق افريقيا .

(ج) حقوق أثيوبيا ومطالبها المبنية على أسس جغرافيــة وتاريخية وعنصرية واقتصادية بما فى ذلك حاجة أثيوبيا الشرعية الى منفذ الى البحر .

٣ ـ تأخذ اللجنة بعين الاعتبار عندما تضع توصياتها جميع الاقتراحات التى قدمت الدورة الرابعة للجمعية العامة عند بحث قضية اريتريا .

٤ ـ تجتمع اللجنة فى المركز الرئيسى للأمم المتحدة بأسرع ما يمكن . ومن ثم عليها أن تسافر الى اريتريا ، ولعلها أن تزور أماكن أخرى قد تراها ضرورية لأداء مهمتها .

وتضع اللجنة لائحة اجراءاتها وتقــدم تقريرها ومقترحاتها الى السكرتير العام فى مدة لا تتجاوز اليوم الخامس عشر من شهر يونيو عام ١٩٥٠ ليصير توزيعها على الدول الأعضاء ، ليستطاع النظر فيها نهائيا أثناء الدورة الخامسة للجمعية العامة (٩٧) .

---

(٩٧) United Nations, A/1089 & A/1089/Corr. 1.

وفى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ وافقت الجمعيـــة العامة على مشروع قرار اللجنة السياسية بأغلبية ٤٨ صوتا ضد صـــوت واحد وامتناع تسعة أصـــوات عن الاقتراع (٩٨) .

لجنة التحقيق الخماسية :

ولم تلبث أن تكونت لجنة التحقيق الخماسية المقترحة من ممثلى بورما وجواتيمالا والنرويج والباكستان واتحاد جنوب افريقيا . واجتمع أعضاؤها فى ليك سكس فى ١٠ يناير ١٩٥٠ لوضع برنامج عملها (٩٩) .

وكان قرار الجمعية العامة للأمم المتحـــدة الصادر فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩، والذى قضى باستقلال ليبيا والصومال قد سبب ازعاجـــا لدعاة الاتحاد مع أثيوبيا ، فعمد هؤلاء الى التنكيل بأنصار الاستقلال ، ويقول تريفا سكيس أنه بمجرد انتهاء الدورة الرابعة للجمعية العامة ، شنت حملة منظمة من الأرهـــاب والتهديد ضد الكتلة الاســـتقلالية . وفيما بين أكتوبر ١٩٤٩ ووصول لجنة الأمم المتحدة فى فبراير ١٩٥٠ : اغتيل ثمانية عشر شخصا من المعارضين للوحدة مع أثيوبيا (تسعة ايطاليين وهندى ويونانى وثلاثة مسيحيين من أنصار الكتلة الاستقلالية وأربعة مسلمين من رجـــال القبائل) وكانت المقاهى الايطالية فى أسمرة وعدى وقرى تهاجم بالأسلحة النارية والقنابل اليدوية ؛ كما كانت القنابل اليدوية تلقى على الايطاليين والارتريين من أنصار الاستقلال فى أسمرة ومصوع ودكامرى Decamere ، وشن هجوم علنى على قرية أحد الرؤساء فى أكلى قوزاى من مؤيدى الكتلة الاستقلالية . ووصلت حملة الارهاب الى ذروتها فى فبراير بوصول لجنة الأمم المتحدة ،اذ اندلع قتال عنيف فى أسمرة بين المسلمين والمسيحيين وأستمر خمسة أيام وأدى الى مقتل الكثيرين وأصابة العديدين بجراح .

وأضاف تريفا سكيس أن هذا الارهاب والعنف قد صحبته حملة تهديد ضد الايطاليين والارتريين من أنصار كتلة الاستقلال . وفى حالات كثيرة كانت عصابات الشفتا تترك خطابات فى مواقع عملياتها تهدد فيها الايطاليين بالموت اذا

---

(٩٨) United Nations, A/1251; Official Records of the Fourth Senion of the General Assembly, Resolution 289 (iv), p. ll.

(٩٩) Ponkhurst, E. E. & Pankhurst, P.K.P. : Op. cit, p. 226.

أيدوا كتلة الاستقلال ، وتحذر الارتريين وعائلاتهم من سوء المصير الـذى ينتظرهم اذا لم يتركوا تلك الكتلة .

وعلاوة على ذلك ، فان الكنيسة القبطية الارترية (بضغط من الحكومة الاثيوبية على ما يبدو) قد نشرت فى صحيفة « أثيوبيا » انذارا بأنها لن تجرى مراسيم التعميد أو الزواج أو الدفن أو الغفران لأى من أعضاء كتلة الاستقلال أو لأفراد عائلاتهم . وخلص تريفا سكيس من ذلك الى القول بأن حملة التهديد العنيفة والمباشرة هذه كانت لها تأثيراتها العميقة على أولئك الذين كانوا قـد تركوا بالفعل الحزب الاتحادى وانضموا الى صفوف الاستقلاليين أو الذين كانوا يعتزمون ترك الحزب الاتحادى . فقد وجد الارتريون أنفسهم الآن أمام أحد خيارين : أما الاحتفاظ بعضويتهم فى الكتلة الاستقلالية بما ينطوى عليه ذلك من مخاطرة أو العودة بسلام الى صفوف الاتحاديين (١٠٠) .

ولم يكن ذلك هو الضربة الوحيدة التى وجهت للكتلة الاستقلالية . فبعد بضعة أيام من وصول لجنة التحقيق الخماسية الى ارتريا . تمزقت أوصال الكتلة الاستقلالية وفقدت أكثر من نصف أعضائها كنتيجة للانشقاقات الخطيرة التى حدثت فى صفوف الرابطة الاسلامية والحزب التقدمى الحـر ، مما أدى الى ظهور « الرابطة الاسـلامية للمقاطعة الغربية »
Moslem League of the Western Province ويقول تريفا سكيس أن زعماء هذه الرابطة الجديدة كانوا يرون أن مبعث الاعتراض على الوحدة مع أثيوبيا ، هو تسلط شوا على مقدرات أثيوبيا . فاذا أمكن التوصل الى شكل من أشكال الوحدة مع أثيوبيا . بحيث تترك شئون ارتريا فى أيـدى الارتريين . ويتم الحفاظ على لغات ارتريا وعاداتها ، فان الوحدة بين البلدين فى هذه الحالة ستكون أكثر اغراء من استقلال ارتريا الممول من جانب ايطاليا . واستطاع الحزب الاتحادى أن يعقد مع الرابطة الاسـلامية للمقاطعة الغربية « اتفاقية جنتلمان » Gentleman's agreement فحواها أن يمتنع كلاهما عن مهاجمة الآخر ، وأن يتعاونا سويا فى معارضـة الكتلة الاستقلالية . ووافق الاتحاديون كذلك على عـدم الاصرار على تأيـيد ادعاءات أثيوبيا بالنسبة للمقاطعة الغربية ، وذلك « اذا أبدى أغلبية سكان غرب ارتريا الرغبة فى عدم

---

(١٠٠) Trevaskis, G. K. N. : Op. cit., pp 96 — 97

الوحدة مع أثيوبيا » (١٠١) .

تلك اذن كانت الحالة العامة فى اريتريا عندما وصلت اليها لجنة التحقيق الخماسية . وقد بقيت هذه اللجنة هناك من ١٤ فبراير الى ٦ أبريل ١٩٥٠ ؛ واستقت خلال هذه المدة معلوماتها من الادارة البريطانيـة كما فعلت اللجنة الرباعية السابقة ، وقابلت ممثلى الأحزاب السياسـية والمنظمات والهيئـات الثقافية والتجارية والمهنية ، وأستمعت الى وجهات نظرهم . وغادرت اللجنة أسمرة لزيارة بعض المراكز الهامة فى البلاد ، وبعد أن تشاورت مع الحكومات المهتمة بالقضية (أثيوبيا ومصر وايطاليا وبريطانيا) كتبت تقريرها ورفعته الى السكرتير العام للأمم المتحدة فى يونيو ١٩٥٠ (١٠٢) .

وكما حدث بالنسبة للجنة الرباعية السـابقة ، فقد اختلفت آراء أعضاء اللجنة الخماسية ؛ مما استلزم تقديم مذكرتين منفصلتين وما لا يقل عن ثلاث مجموعات من الاقتراحات . فقد ذكر مندوبو النرويج وجنوب افريقيا وبورما أن أقلية من السكان تطلب الاسـتقلال ، وفى رأيهما أن امكانيـات اريتريا الاقتصادية لا تؤهلها للاستقلال ، على حين قال مندوبا الباكستان وجواتيمالا أن الارهاب وسوء استخدام الكنيسة القبطية الارترية لنفوذها وسلطانها قد حال دون أن يعبر الشعب الاريترى عن رأيه تعبيرا حرا . ومع ذلك ، فلم يتطرق اليهما أدنى شك فى أن أغلبية الاريتريين تريد الاستقلال .

ومع أن مندوبى النرويج وجنوب افريقيا وبورما قد اتفقوا على أن استقلال اريتريا ليس اجراءا عمليا أو مرغوبا فيه من جانب غالبية الاريتريين ، فقـد أختلفت مقترحاتهم بصدد حل المشكلة الارترية . اذ أصر مندوب النرويج على أن الاتحاد مع أثيوبيا هو الحل العملى الوحيد . ولو أنه أوصى بأن تظل المقاطعة الغربية تحت الادارة البريطانية الحالية لفترة محـدودة ، يقرر بعدها سكان المقاطعة الاتحاد مع أثيوبيا أو السدان . واقترح مندوبا جنوب افريقيا وبورما أن تصبح اريتريا وحدة ذات استقلال ذاتى فى نطاق اتحاد فيدرالى مع أثيوبيا تحت سيادة التاج الأثيوبى ، وأن يكون لكل وحدة فى هذا الاتحاد الفيدرالى

(١٠١) Trevaskis, G. K. N. : Op. cit., pp 97 -- 98.

(١٠٢) United Nations, A/1285, Poport of the United Nations Commission for Eritrea; Trevaskis, G. K. N. : Op. cit, pp99-100; Pankhurst, E.S. & Pankhurst, R.K.P. : Op. cit, pp 231 -- 235.

استقلال تشريعي وتنفيذي محلي ، وتتركز في أيدي الحكومة الفيدرالية سلطات شئون الدفاع والخارجية والمالية والمواصلات وحماية حقوق الأقليات ، وأن يقوم اتحاد جمركي بين وحـدتي الاتحاد ، وأن تكون هناك مواطنة مشتركة للاتحاد .

غير أن مندوبي الباكستان وجواتيمالا ذكرا أنه من غير المتوقع أن تقبل الأغلبية الاسلامية والأقلية الايطالية هذه المقترحات ، ورفضا فصل المقاطعة الغربية عن بقية اريتريا ، على أساس أن هذا الفصل سيؤدي الى تقطيع أوصال المسلمين الارتريين . وأكدا أنه ولو أن هناك بعض الصلات بين سكان الهضبة الارترية وبين سكان أقليم تيجراى الأثيوبي . الا أنه ليست هناك صلات عامة أو مهمة بين اريتريا وأثيوبيا ، بل على العكس فان الارتريين يضمرون الكراهية والبغضاء ـ وحتى العداء ـ لجيرانهم الأثيوبيين . ورغم أن الاقتراح الخاص باقامة اتحاد فيدرالى جدير بالنظر . الا أنهما لا يجـدان سببا يدعوهما الى تأييده . ويفضلان منح اريتريا الاستقلال أولا . ولها بعد ذلك أن تظل كذلك ، أو تتحد مع أثيوبيا . أو تنضم معها في اتحاد فيـدرالى . وأبديا استعدادهما للموافقة على منح اريتريا الاستقلال بعد عشر سنوات من الوصاية الدولية ، يتولى الادارة خلالها مجلس يضم ممثلين للولايات المتحدة الأمريكية وأثيوبيا وايطاليا واحدى الدول الاسلامية واحدى دول أمريكا اللاتينية .

قرار ٢ ديسمبر ١٩٥٠ :

ولما أفتتحت الدورة الخامسـة للجمعية العامة للأمم المتحـدة في سبتمبر ١٩٥٠ . أبرق الامبراطور هيلاسلاسى الى السكرتير العام معربا عن أمل بلاده في التوصل الى « تسوية سريعة وعادلة » بالنسبة للوضع « على حدود أثيوبيا الشمالية » أى أريتريا . وفي الخطب الافتتاحية التى ألقيت بالجمعية العامة ، طالب المندوب الأثيوبي بتسوية عاجلة « لنتائج حرب واعتـداءات استمرت نصف قرن » على أثيوبيا ، بينما أصر المندوب البريطاني على مشروع بلاده القديم بصدد تقسيم اريتريا ، فتضـم الى أثيوبيـا أقاليم الهضبة الارترية الثلاثة ، بالاضافة الى أقليم البحر الأحمر ، ويضم غرب اريتريا الى السودان . أما المندوب الايطالى ، فقد أعلن أن حكومته تؤيد استقلال اريتريا (١٠٣) .

(١٠٣) Pankhurst, E.S. & Pankhurst, R. K.P. : Op. cit, pp 237-244.

ولم يلبث أن عرض تقرير لجنة التحقيق الخماسية على اللجنة السياسية بالجمعية العامة للأمم المتحدة ، واستغرقت مناقشته عدة جلسات ما بين ٨ و ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ ، وقدمت الوفود المختلفة مشروعات قرارات ، أهمها ما يلى :

١ ــ مشروع قرار سوفييتى ويقضى بمنح اريتريا الاستقلال فورا ، وأن تنسحب القوات البريطانية من اريتريا فى خلال ثلاثة شهور من اقرار الجمعية العامة لمشروع القرار هذا ، وأن تتنازل اريتريا عن جزء من أراضيها أو « ممر » ليكون بمثابة منفذ لاثيوبيا الى البحر عن طريق عصب (١٠٤) .

٢ ــ مشروع قرار بولندى ويوصى بأن تمنح اريتريا الاستقلال بعد ثلاث سنوات ، تحكم خلالها بواسطة مجلس من ستة أعضاء : عضو اثيوبى ، وعضوين اثنين من الدول العربية ، وثلاث أعضاء من الاريتريين ، بحيث يكون اثنان منهم من الوطنيين ، والثالث من المستوطنين الأوروبيين فى أريتريا (١٠٥).

٣ ــ مشروع قرار عراقى ويوصى بأن تطرح للبت على جمعية وطنية اريترية مسألة ما اذا كانت اريتريا يجب أن تدخل فى شكل من أشكال الاتحاد الفيدرالى مع اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى ، أو تصبح دولة مستقلة ذات سيادة ، مع منح أثيوبيا منفذا مناسبا الى البحر : وعلى ألا يتجاوز البت فى هذه المسألة أول يولية ١٩٥١ . وفضلا عن ذلك ، تقوم الأمم المتحدة بتعيين مندوب لها فى أريتريا ، بالاضافة الى مجلس يتولى مساعدته وارشاده. وذلك من أجل معاونة شعب اريتريا على اتخاذ قرار بصدد المسألة السالفة الذكر (١٠٦) .

٤ ــ مشروع قرار باكستانى ويوصى بأن تكون اريتريا دولة مستقلة ذات سيادة فى موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٣ . وأن تدعى جمعية وطنية اريترية فى موعد لا يتجاوز أول أكتوبر ١٩٥١ . لتضع دستورا للبلاد وتقيم حكومة مؤقتة ، تنتقل اليها تدريجيا سلطات الادارة البريطانية الحالية ، على أن يتم انتقال هذه السلطات فى موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٣ . ويوصى مشروع القرار الباكستانى كذلك بتعيين مندوب من قبل الأمم المتحدة ، لكى

(١٠٤) United Nations, A/C. 38/L. 47.

(١٠٥) United Nations, A/C. 38/L. 31.

(١٠٦) United Nations, A/C. 38/L. 32/Rev. 1.

يساعد شعب اريتريا فى تكوين جمعية وطنية وصياغة دستور واقامة حكومة اريترية مستقلة . ويؤلف مجلس من ممثلين عن خمس دول وثلاثة ممثلين عن الشعب الارىترى ، ليتولى هذا المجلس نصح وارشاد مندوب الأمم المتحدة فى تأدية وظيفته (١٠٧) .

٥ ــ مشروع قرار مشترك من بوليفيا والبرازيل وبورما وكندا والدانمرك واكوادور واليونان وليبريا والمكسيك وبنما وبرجواى وبيرو وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية ، ويوصى باقامة اتحاد فيدرالى بين ارىتريا واثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى ، على أن تسبق ذلك فترة انتقال لا تتجاوز ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ ، تنظم خلالها الحكومة الارىترية ويعد الدستور الارىترى ويوضع موضع التنفيذ . وعلاوة على ذلك ، تعين الجمعية العامة مندوبا يمثل الأمم المتحدة فى ارىتريا ، على أن يعاونه خبراء يتولى السكرتير العام للأمم المتحدة تعيينهم (١٠٨) .

وفى ٢٤ نوفمبر بدأت اللجنة السياسية التصويت على مشروعات القرارات المقدمة ، ورفضت جميعها باستثناء مشروع القرار المشترك المقدم من الأربع عشرة دولة السالفة الذكر . والذى تم اقراره بأغلبية ٣٨ صوتا مقابل ١٤ صوتا ، وامتناع ثمانية أصوات عن الاقتراع . وكان مشروع القرار هذا هو الأساس الذى قام عليه مشروع قرار الأمم المتحدة بشأن ارىتريا الصادر فى ٣ ديسمبر ١٩٥٠ ، والذى تم اقراره بأغلبية ٤٦ صوتا مقابل عشرة اصوات . ونص هذا القرار الأخير على ما يلى (١٠٩) :

١ ــ تؤلف ارىتريا وحدة تتمتع بحكم ذاتى فى اتحاد فيدرالى مع اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى .

٢ ــ يكون للحكومة الارىترية سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية فى ميدان الشئون الداخلية .

٣ ــ يمتد اختصاص الحكومة الفيدرالية الى شئون الدفاع والشئون

---

(١٠٧) United Nations, A/C. 38/L.48

(١٠٨) United Nations, A/C.38/L 37 & Corr. 1.

(١٠٩) Pankhurst, E. S. & Pankhurst, R. K P. : Op. cit., pp 254–256; Trevaskis,, G.K.N. : Op. cit., p. 101; Greenfield, R. : Op. cit., p. 299.

الخارجيـة والعملة والماليـة والتجـارة الخارجيـة والتجارة بين الاقليمين والمواصلات الخارجية والمواصلات بين الاقليمين بما فى ذلك الموانى • ويمتد اختصاص حكومة اريتريا الى جميع المسائل غير الداخلة فى اختصاص الحكومة الفيدرالية ، بما فى ذلك سلطة الاحتفاظ ببوليس محلى وجمع الضرائب لمواجهة نفقات الوظائف والخدمات المحلية واتخاذ ميزانية خاصة بها •

٤ ــ يتكون اتحاد جمركى بين الوحدتين الفيدراليتين •

٥ ــ يقام مجلس فيدرالى امبراطورى من عدد متساو من الأعضاء عن كل من أثيوبيا واريتريا ، ويجتمع على الأقل مرة واحدة كل عام ، وعليه أن يسدى النصح فى الشئون المشتركة للاتحاد •

٦ ــ تكون هناك جنسية واحدة فى الاتحاد كله : (أ) ــ فيكون جميع سكان اريتريا ــ باستثناء الأشخاص الذين يحملون جنسية أجنبية ــ مواطنين فى الاتحاد • (ب) ــ ويكون جميع الأشخاص المولودون فى اريتريا . ولهم أب أو أم أو جد أريترى ، مواطنين فى الاتحاد • أما الأشخاص الذين يحملون جنسية أجنبية ، فلهم الحرية فى غضون ستة شهور ــ من وقت أن يصبح الدستور الاريترى نافذ المفعـول ــ فى أن يختاروا بين جنسـية الاتحاد أو الاحتفاظ بجنسيتهم • وفى حالة عدم اختيارهم ، يفقدون جنسيتهم الأجنبية • (جـ) ــ يكون لجميع الأشخاص الحاملين لجنسية أجنبية ، والذين أقاموا فى اريتريا لمدة عشر سـنوات قبل تاريخ اقرار مشروع القرار هذا ، الحق فى التقدم بطلب للحصول على جنسية الاتحاد طبقا للقوانين الاتحادية دون حاجة الى أية مستلزمات أخرى للاقامة ، ويسمح للأشخاص الذين لا يحصلون على جنسية الاتحاد بالاقامة فى اريتريا وممارسـة نشاطهم المهنى فى ظـل الأمن والقانون •

٧ ــ تكفل الحكومة الفيدالية ، وكذلك الحكومة الاريترية ، للمقيمين فى اريتريا ، دون تمييز من حيث الجنسية والعنصر والجنس واللغة أو الدين . التمتع بالحقـوق الانسـانية والحريات الأسـاسـية ، بما فى ذلك : (أ) حق المساواة أمام القانون (ب) الحق فى الحيـاة والحرية والأمن الشـخصى (جـ) حق تملك الأراضى والتصرف فيها (د) الحق فى حرية الرأى والتعبير

وحق اعتناق أى دين أو ملة وممارستها • (هـ) الحق فى التعليم (و) الحق فى حرية التجمع السلمى (ز) الحق فى صيانة حرية المراسلات وأماكن السكن ، الا فى الحالات التى يقرها القانون (ح) حق ممارسة أى مهنة فى حدود القانون (ط) عدم اعتقال أو احتجاز أى فرد بدون أمر صادر من سلطة مختصة ، الا فى حالة حدوث خرق صارخ للقانون المعمول به • ولا يجوز أبعاد أى شخص الا طبقا للقانون (ى) الحق فى محاكمة عادلة ، والحق فى تقديم الالتماسات للامبراطور والاستئناف اليه من أجل تخفيف أحكام الاعدام •

٨ — تؤلف الفقرات من ١ الى ٧ من مشروع القرار هذا ، القانون الفيدرالى الذى يقدم للامبراطور للتصديق عليه •

٩ — تكون هناك فترة انتقال لا تتجاوز ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ • ويتم خلالها تنظيم الحكومة الارترية واعداد الدستور الارترى ووضعه موضع التنفيذ •

١٠ — يكون هناك مندوب للأمم المتحدة فى ارتريا ، تعينه الجمعية العامة ، ويساعده خبراء ، يعينهم السكرتير العام للأمم المتحدة •

١١ — فى خلال فترة الانتقال ، تواصل السلطة القائمة ادارة شئون ارتريا ، وعليها أن تعد — بالتشاور مع مندوب الأمم المتحدة ، وبأسرع وقت ممكن — تنظيم الادارة الارترية ، وتهيئة واعداد الارتريين لتقلد المناصب على جميع مستويات الادارة ، وتتخذ الترتيبات لتشكيل جمعية تشريعية يتولى الشعب الارترى انتخاب أعضائها ، ثم تدعوها للانعقاد • ويجوز لهذه الجمعية ، بالاتفاق مع مندوب الأمم المتحدة ، وبالنيابة عن الارتريين ، أن تتفاوض من أجل اقامة اتحاد جمركى مؤقت مع اثيوبيا ووضعه موضع التنفيذ ، حالما يكون ذلك عمليا •

١٢ — على مندوب الأمم المتحدة أن يقوم ، بعد استشارة السلطة القائمة بالادارة وحكومة اثيوبيا وسكان ارتريا ، بأعداد مشروع الدستور الارترى وعرضه على الجمعية التشريعية الارترية للنظر فيه ، وعليه أن يسدى النصح والمشورة لهذه الجمعية ويساعدها فى بحث الدستور • ويجب أن يقوم الدستور الارترى على أسس ديمقراطية ، ويحتوى على الضمانات المنصوص

عليها فى الفقرة السابعة من القانون الفيدرالى .

١٣ - يصبح القانون الفيدرالى ودستور اريتريا نافذى المفعول فور التصديق عليهما من الامبراطور بالنسبة للقانون الفيدرالى ومن الجمعية التشريعية الاريترية بالنسبة للدستور .

١٤ - على حكومة المملكة المتحدة بوصفها السلطة القائمة بالادارة أن تتخذ الترتيبات لنقل السلطة الى السلطات المناسبة ، على أن يتم نقل السلطة حالما يصبح الدستور الاريترى والقانون الفيدرالى نافذى المفعول طبقا لشروط الفقرة الثالثة عشرة الآنفة الذكر .

١٥ - يحتفظ مندوب الأمم المتحدة بمقره فى اريتريا الى أن يتم نقل السلطة ، وعليه أن يضع التقارير المناسبة ويرفعها للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن التصرف فى وظائفه فى ضوء التطورات وفى اطار شروط مشروع القرار الحالى . وعندما يتم تحويل السلطة ، عليه أن يرفع تقريرا بذلك الى الجمعية ويقدم لها نص مشروع الدستور الاريترى .

تنفيذ قرار الأمم المتحدة :

وفى ١٤ ديسمبر ١٩٥٠ عين السنيور ادواردو أنزى ماتينزو Eduardo Anze Matienzo من بوليفيا مندوبا للأمم المتحدة فى اريتريا ولتنفيذ قرارها بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٥٠ ، ولكنه لم يصل الى أسمرة الا فى ٩ فبراير ١٩٥١ ، حيث بدأ عمله باصدار بيان ، أعلن فيه أن قرار الأمم المتحدة الخاص باريتريا هو قرار وسط أرضى هؤلاء الذين يرغبون فى الاتحاد مع أثيوبيا ، وأولئك الذين يطلبون الاستقلال ، فضلا عن أن هذا القرار أرضى أثيوبيا باعترافه بحاجتها الى منفذ للبحر (١١٠) .

وكان زعماء الكتلة الاستقلالية الذين قبلوا قرار الأمم المتحدة وقرروا تأييد مندوبها ومعاونته فى تنفيذ مهمته ، قد دعوا الى اجتماع لممثلى جميع الأحزاب السياسية وقتذاك لدراسة الموقف الجديد الذى نشأ نتيجة لقرار الأمم المتحدة . ونظم لهذا الغرض اجتماع عام ، عقد فى أسمرة فى أواخر ديسمبر ١٩٥٠ ، وقرر زعماء الكتلة الاستقلالية تغيير اسم حزبهم الى

---

(١١٠) Ponkhurst, E.S.&Pankhurst, R.K.P. : Op. cit, p. 273

« الجبهة الديموقراطية » Democratic Front ، التى أصبح ابراهيم سلطان سكرتيرها العام ، وبذلك قدمــوا الدليل على اســتعدادهم للالتزام بمشروع قرار الأمم المتحدة الفيدرالى • أما زعماء الحزب الاتحادى فقد استمروا فى التمسك بموقفهم القديم وطالبوا « بالاتحاد غير المشروط مع اثيوبيا » •

وبدأ مندوب الأمم المتحدة فى أبريل ١٩٥١ يجرى مشاوراته مع الزعماء الارتريين ، الا أنه ما لبث أن اضطر الى تأجيل هذه المشاورات بسبب نشاط عصابات الشفتا ، والذى كان قد توقف بعض الوقت على أثر مغادرة لجنة التحقيق الخماسية البلاد ، ثم عادت هذه العصابات تمارس الارهاب السياسى بصورة أشد عنفا وضرواة ، لدرجة أن ما تينزو عقد فى أول مايو ١٩٥١ مؤتمرا صحفيا قال فيه : « أننى لا أعتقد بأن من الصواب أن أبدأ هذه المشاورات فى وقت يتعرض فيه الشعب الارترى للخطر ، وهو شعب يرغب فى السلام والأمن قبــل أى شىء آخر • وأكثر من ذلك ، فاننى أعتقــد بأنه ليس من المناسب أن أجول فى البلاد ، عبر طرق مخضبة بدماء ضحايا الارهابيين ، رافعا علم الأمم المتحدة (١١١) •

ولقد كان من أجل انهاء نشاط الشفتا الارهابى ، أن أصــدرت الادارة البريطانية بموافقة مندوب الأمم المتحدة ــ عفوا عاما عنهم فى ١٩ يونيــة ١٩٥١ ، ولم تحل نهاية أغسطس حتى كان ما لا يقل عن ٩٠٪ من الشفتا قــد استسلموا ، مما مكن مندوب الأمم المتحدة من اجراء مشاوراته مع زعماء الأحزاب الارترية ، ثم مع الادارة البريطانية والحكومة الأثيوبيــة ، حــول انتقال السلطة واصدار الدستور •

وفى ١٦ نوفمبر ١٩٥١ رفع مندوب الأمم المتحدة تقــريرا الى الجمعيــة فى دورة انعقادها السادسة (١١٢) • وذكر فيه أنه خلال الشهور الثلاثة الأولى من تواجده فى أرتريا تجول فى أنحاء البــلاد ، وقابل الســكان لكى يفسر ويشرح لهم قرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢ ديسمبر ١٩٥٠ من جهــة ، ولكى

---

(١١١) Trevaskis. G. K. N. : Op. cit., p 103.

(١١٢) United Nations, A/1959, Progress Report of the United Nations Commissioner, dated 16 November 1951.

يتعرف من جهة أخرى على آرائهم ووجهات نظرهم بصدد الاتحاد الفيدرالى مع أثيوبيا . وقال أن هذه الجولة قد أبانت له أن الأغلبية الساحقة من سكان أريتريا يقبلون الاتحاد الفيدرالى مع أثيوبيا ، بشرط أن تتمتع أريتريا باستقلال ذاتى ، وأنهم على استعداد للتعاون معه ومع الادارة البريطانية فى تنفيذ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة . ومع ذلك ، فانه يشعر بأن عددا من الاريتريين لا يعتقدون تماما بجدوى الحل الفيدرالى أو بامكانية تطبيقه . وأشار ماتينزو الى الخلافات العديدة التى نشبت بينه وبين الحكومة الأثيوبية بشأن صياغة الدستور الاريترى ، ومحاولات الحكومة الأثيوبية المستمرة لتوسيع سلطاتها وحقوقها على حساب القانون الفيدرالى والدستور والشعب الاريترى .

وفى ٢٩ يناير ١٩٥٢ صدر اعلان باجراء الانتخابات للجمعية التشريعية وشغل مقاعدها الثمانية والستين خلال شهر مارس ، وهى أول انتخابات من نوعها فى تاريخ اريتريا . وكانت هذه الانتخابات على مرحلتين ، الأولى اقتراع سرى مباشر ، والثانية اقتراع سرى غير مباشر . وجرت المرحلة الأولى للانتخابات فى المناطق الريفية فى أوائل شهر مارس ، ثم المرحلة الثانية فى أواخره ، وتمت خلال هذه المرحلة الثانية كذلك الانتخابات بالمدن ، وكانت انتخابات مباشرة على درجتين . أما فى مدينتى أسمرة ومصوع وحدهما ، فقد جرت الانتخابات بهما قبل ذلك خلال شهر فبراير ، وكانت على مرحلة واحدة مباشرة .

وطبقا لما جاء فى تقرير مندوب الأمم المتحدة الى الجمعية العامة فى دورة انعقادها السابعة ، كانت نتائج الانتخابات على النحو التالى :

حصل الحزب الاتحادى على ٣٢ مقعدا ، وحصلت الجبهة الديمقراطيه على ١٨ مقعدا ، على حين حصلت العصبة الاسلامية للمقاطعة الغربية على ١٥ مقعدا . أما المقاعد الثلاثة المتبقية فقد تقاسمتها الرابطة الاسلامية المستقلة ، والحزب الوطنى ، ومرشح مستقل (١١٣) .

---

(١١٣) United Nations, A/2188, Final Report of the United Nations Commissioner, dated 17 October 1952.

ويلاحظ تريفاسكيس أن الحزب الاتحادى قد حصل على معظم مقاعد الهضبة الأريترية ، كما حصلت العصبة الاسلامية للمقاطعة الغربية على غالبية مقاعد غرب اريتريا ، بينما حصلت الجبهة الديمقراطية على بضعة مقاعد فى المقاطعة الغربية ، الا أنها استمدت قوتها بصفة رئيسية من قبائل الساحل والساهو ، الى جانب السكان المسلمين فى أسمرة ومصوع (١١٤) .

وأجريت انتخابات رئاسة الجمعية التشريعية ، فتم انتخاب أتوتيدلا بايرو السكرتير العام للحزب الاتحادى رئيسا للجمعية والشيخ على موسى راضى نائبا للرئيس .

الدستور الاريتيرى :

وبدأت الجمعية التشريعية فى مناقشة مشروع الدستور الايترى ، وأدخلت بعض التعديلات عليه ، وتمت موافقة الجمعية على الدستور المعدل فى ١٠ يوليه ١٩٥٢ ، ووقعه مندوب الأمم المتحدة فى ٦ أغسطس ، ثم صادق الامبراطور عليه فى ١١ أغسطس ، أى قبل أن يصادق على القانون الفيدرالى فى ١١ سبتمبر (١١٥) . ويحتوى الدستور الاريترى على ٩٩ مادة ، وفيما يلى أهم ما اشتمل عليه (١١٦) .

١ — حدد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لحكومة اريتريا ، بأنها المسائل التى ليست من اختصاص الحكومة الفيدرالية ، ومن هذه السلطات الاحتفاظ بقوات الأمن الداخلى وجباية الضرائب لسد النفقات المحلية وأن تكون للاقليم ميزانيته الخاصة به .

٢ — يتكون المجلس الفيدرالى الامبراطورى Imperial Federal Council من عدد متساو من الأثيوبيين والاريتريين ، والأخيرون يعينهم رئيس السلطة التنفيذية Chief Executive ، وتصادق الجمعية التشريعية الارترية Assembly على تعيينهم .

---

(١١٤) Trevaskis, G. K. N. : Op. cit., p. 120.

(١١٥) Greenfield, R. : Op. cit., p. 303; Trevaskis, G.K.N. : Op. cit.,

(١١٦) Pankhurst, E.S.& Pankhurst, R.K.P. : Op. cit., pp 330--347.

وانظر كذلك عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى أفريقيا ص ٤٣٠ — ٤٣٣ .

٣ — للامبراطور ممثل Representative فى اريتريا ، يحاط علما بانتخاب رئيس السلطة التنفيذية ، والأخير مسئول أمام الجمعية التشريعية .

٤ — يقوم دستور اريتريا على مبادىء الحكم الديمقراطى ، وللجميع التمتع بالحقوق الانسانية والحريات الأساسية الواردة فى الفقرة السابعة من القانون الفيدرالى ، وهى جزء متمم للدستور .

٥ — لاريتريا علم خاص وخاتم وشارات .

٦ — اللغتان الرسميتان هما التيجرينيا والعربية .

٧ — عندما تصدر الجمعية التشريعية قانونا يقدم الى ممثل الامبراطور ، الذى له أن يطلب فى غضون عشرين يوما اعادة النظر فيه اذا تعدى الاختصاصات الفيدرالية .

٨ — تتكون الجمعية التشريعية من عدد لا يقل عن خمسين عضوا ولا يزيد على سبعين عضوا . وتختص بالاقتراع على القوانين والميزانية وانتخاب رئيس السلطة التنفيذية والاشراف على أعمال السلطة الأخيرة .

٩ — تتكون السلطة التنفيذية من رئيس Chief Executive يعاونه وزراء Secretaries مسئولون أمامه ، وله حق اقالتهم .

١٠ — تتولى السلطة القضائية محكمة عليا Supreme Court وعدد من المحاكم الأخرى . وتختص المحكمة العليا بالنظر فى طلبات النقض والاستئناف والمنازعات بشأن دستورية أعمال الحكومة والقضايا المرفوعة ضدها أو ضد الهيئات العامة .

وفى مساء ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ أنزل العلم البريطانى من فوق قصر الحاكم بأسمرة ، ورفع مكانه العلم الأثيوبى ، الذى أعتبر وقتئذ العلم الفيدرالى . وفى ١٦ سبتمبر وقع سير دنكان كمينج Duncan Cumming — آخر حاكم بريطانى لاريتريا — على الاعلان الرسمى بانهاء الحكم البريطانى فى اريتريا ، والذى استمر من عام ١٩٤١ الى ١٩٥٢ . وبذلك بدأت اريتريا مرحلة جديدة فى تاريخها المعاصر .

المحافظـة التسـلطية

تقرير من واقع البحوث التى انجزت من ١٩٦٨ : ١٩٧٣

الدكتور عبد الستار ابراهيم

مدرس علم النفس بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة

لعل أول المحاولات العلمية المنظمة فى دراسة السلوك التسلطى قد نشأت مرتبطة ببحوث علم النفس الاجتماعى فى الثلاثينات • ويبدو أن اهتمـام كيرت ليفين Lewin وليبيت Lippitt وهوايت white بدراسة المناخ الاجتماعى على سلوك الأطفال من أولى المبادرات العلمية التى وجهت البحث فى السلوك التسلطى • ففى هذه التجارب اتجه الاهتمام لدراسة تأثير ثلاثة أنماط من القيادة فى توجيه عملية التفاعل الاجتماعى هى : النمط الديمقراطى ، والنمط الفوضوى ، والنمط الفردى (أو التسلطى) • وفى جزء من هذه التجارب اتجه اهتمام « ليفين » وزملائه الى تعريف كل نمط من الأنمـاط الثـلاثة • ويعتـبر تعريفهم للنمط التسلطى من الارهاصات المبكرة التى ساعدت على وضع تصور دقيق لابعاد الشخصية التسلطية ففى النمط التسلطى من القيادة يتركز الدور الأساسى ــ فيما يرى ليفين وزملاؤه ــ فى شخصية القائد • فهو الذى يقوم بوضع سياسة المجموعة ، وهو الذى يوجه نشاط أهدافها ، ويحدد الاجراءات المطلوبة لتحقيق الهدف ، أو مجموعة الأهداف التى يتوسمها لأعضاء الجماعة (٢٨) •

ولم تنتقل بحوث التسلطية من مجال عملية التفاعل بين الفرد والجماعة الى مجال الشخصية الا فى فترة متأخرة نسبيا [١] ، عنـدما تصور أدورنو Adorno وزملاؤه أن هناك ميلا متسقا لدى بعض الأفراد للتصرف وفق مفاهيم السيطرة والخضوع ، أو القوة والضعف • وقد وضع أدورنو وزملاؤه عام ١٩٥٠ مقياس الميول التسلطية Fascism Scale فى محاولة طموحة لتحديد نظام الشخصية المسؤول عن التعصب القومى ، والتعصب ضد الأقليات وقد تبنوا افتراضا رئيسيا مؤداه

أن التعصب جزء من ميول عامة لها أصول متماسكة فى الشخصية تتبـدى أكثر ما تبدى فى مجاراة المعايير التى تنبع من أصحاب القوة أى معايير السلطة بشكل عام (١٢) •

وفى منتصف الخمسينات قدم ميلتون روكتش Rokeach معالجة جـديدة للتسلطية قامت على موقف نقدى من بحث الشخصية التسلطية لأدورنو وزملائه• فقد رأى « روكتش » (٢٦) أن مفهوم « أدورنو » وزملائه يقوم على تصـور جزئى للتسلطية ، يرتكز على الاهتمام بالمضمون الايديولوجى ، وبزاوية محددة من ذلك المضمون وهى الايديولوجية الفاشية لخبرة الاعتماد على السلطة دون الاهتمام بالبناء المعرفى • والفكرة وراء هذا الرأى أن مضمون أى أيديولوجية ، أو أى مجموعة من المعتقدات انما يتوقف على طريقة الشخص المعرفية فى تعامله معها من حيث ــ مثلا ــ مرونته أو تصلبه العقلى فى هذا التناول • وبناءا على هذا التصور فان الايديولوجية الواحدة قد تكتسب دلالات مختلفة بحسب الأسلوب المعرفى الذى يبرز عند شخص ولا يبرز عند الشخص الآخر • وبهذا المعنى أيضا قد تتشابه بعض الايديولوجيات التى قد تبدو متنافرة اذا ما تشابه البناء المعرفى للأشخاص • فأكثر الايديولوجيات تفتحا قد تتحول الى نظام متصلب مغلق اذا كان الشخص يتناولها بطريقة متصلبة مغلقة • وقـد افترض « روكتش » مفهوم « الدجماطيقية » (١) (الجمود العقائدى) ، للاشارة بهـا الى الأسلوب المعرفى الذى تتحول بمقتضاه أى مجموعة من المعتقدات الى معتقدات ايديولوجية مغلقة أو تسلطية • ويعرف « روكتش » الجمود العقائدى بأنه نظام من المعتقدات ينتظم فى ميول سلوكية ، أو اتجاهات ثابتة تتميز بالعناصر الثلاثة الآتية :

١ ــ انغلاق معرفى فى نظام المعتقدات •

٢ ــ الاعتقاد فى السلطة المطلقة •

٣ ــ النفور العام (٢) من الاختلاف (١٣ ، ١٤) •

وقد وضع «روكتش» مقياسه المعروف باسم مقياس D. scale بهدف تقدير الفروق الفردية فى الخصائص السابقة • وضمنه ستة وستين عبارة لتقدير الجوانب المختلفة من الجمود العقائدى (١١) •

---

(1) Dogmatism. (2) Intolerence.

ويتوازى مع هذا النشاط وضعنا لمقيــاس المحافظة التسلطية ســنة ١٩٦٨ (١ ، ٢ ، ٣) • وقد تم وضع هذا المقياس بناءا على مالاحظناه عند تطبيق مقياس الميول التسلطية لأدورنو وزملائه من عيوب نظرية وموضوعية تطلبت أن نعيد النظــر فى المفهو مالذى تبناه أدورنو وزملائه (٣) • فلقد تبنى أدورنو وزملائه مفهوما للتسلطية لا يساعد على ابراز الفروق الحضارية فى المجتمعات التى لاتشكو من التعصب ، أو التى تشكو من التصب ولكن لأسباب ايديولوجية واجتماعية مختلفة • وبهــذا فقد ترتفــع درجات بعض المجتمعات (من غــير المجتمعات الانجلو أمريكية) أو تنخفض على مقياس الميول التسلطية دون أن يعكس هذا ارتفاعا أو انخفاضا حقيقا فى التسلطية •

ومن الطريف أن البحوث الحضارية المقارنة قد بينت أن بعض المجتمعات قد تتشابه فى درجة التعصب واتجاهاته • ففى دراسة مقارنة بين أربع مجموعات من الطلاب فى جنوب افريقيا ، والولايات الشمالية فى أمريكا والولايات الجنوبية ، لم يتبين بوجود فروق تذكر فى مقياس التسلطية ، ولكن الطلاب فى جنوب افريقيا والولايات الجنوبية كشفوا عن درجات مرتفعة على مقاييس التعصب ضد الزنوج اذا قورنوا بالطلاب فى الولايات الشمالية • مما يدل على أن التعصب يعتبر وظيفية لمعايير المجتمع وبناء الشخصية كليهما • وأن شكل التعبير السلوكى الظاهرى عن التسلطية يتوقف على معايير المجتمع (٢٤) •

وبناءا على هذا ، قمنا بوضع مقياس المحافظة التسلطية فى ضوء التصور بأن التسلطية مفهوم افتراضى يجمع بين عناصر من السلوك،والآراء والأحكام الاعتقادية التى تقوم على التعلق بالموروث ، والتقليدى ، ولا يقوم على صحتها أى دليــل منطقى وتأخذ وجهه تعبيرية قوامها التصلب والانغلاق ، والتبعية • وتسمى هذه العناصر تسلطية لأنها تعبر عن قوة الخضوع للجوانب الايديولوجية والمعرفية التى تنشأ من مصادر غير ذاتية أو عقلية أى السلطة بشكل عام •

ويلاحظ أن هذا التعريف الذى تبيناه يجمع بين خصائص التصور العام لدى كل من « أدورنو » و « روكتش » أى الاهتمام بالبناء والمضمون معا • وهــذا يعنى أن مضمون أى ايديولوجية أو خبرة دائما ما ينتهى الى اطار معرفى ما هو الذى يعطيه شكله ويوجهه فى المواقف العملية والعــامة • كما يعنى أن العناصر الرئيسية للبناء المعرفى المغلق تتراجع من اطارها الى نوع من المعتقدات أو الأفكار الايديولوجية الملائمة •

ويعبر التعلق بالموروث والمحافظة فى النظرة للواقع والحياة عن أهم جوانب الاعتقاد فى مجتمعنا التى يتراجع اليها تفكير ذوى الأساليب المعرفية المغلقة .

ويشير التعلق بالموروث والمحافظة التسلطية بهذا المعنى الى الفلسفة الاعتقادية العامة ، ومجموعة التصورات والأفكار التى يعتنقها المغلقون والمتصلبون لتبرير موقفهم من الواقع . ولهذا فان أى محاولة لوضع مقياس للتسلطية يجب ـ فى تصورنا ـ أن تتضمن تقـديرا للفروق الفردية فى تبنى آراء ، وأفكار تعسفية ترسم للشخص خطوطا من التوجيهات الثابتة التى لا يستطيع تخطيهـا . وهذا ما تضمنه مقياس المحافظة التسلطية .

وقد تكون المقياس فى صورته النهائية من ٣٨ عبارة ، يجاب على كل عبارة منها وفق مقياس لشدة الموافقة أو المعارضة يبدأ من (+ ٣) فى حالات شـدة الموافقة وينتهى الى (ـ ٣) فى حالة شدة المعارضة . وتتوزع عبارات المقياس على جزئين : أحدهما يختص بالمضمون (أى المحافظة) التسلطية والتعلق بالموروث ، والآخر بالبناء المعرفى المغلق (أى التصلب ، والقطع والتطرف ، والتنميط) . وقد بدأت الكتابة للمقياس منذ سنة ١٩٦٨ ضمن مقتضيات الحصول على الماجستير . ومنذ هذه الفترة قام الكاتب بسلسلة ن البحوث يلخصها هذا المقال .

ويمكن بشكل عام أن تقسم مجموعة البحوث فى هذا المجال الى ثلاثة أطر هى:

١ ـ بحوث فى مجال تحليل الخصائص العامة للسلوك التسلطى (أى بحوث فى العملية (١) التسلطية ذاتها) .

٢ ـ بحوث فى مجال الشخصية .

٣ ـ بحوث فى مجال التفاعل الاجتماعى (٢) .

اولا : العملية التسلطية

اعتمدت الـدراسة الوحيدة فى هذا الموضوع على التحليـل العاملى (٣) لبنود مقياس المحافظة التسلطية لتحديد ما اذا كانت التسلطية ذات بعد واحد أم

(1) Process.
(2) Social interaction.
(3) Factor analycis.

أنها ذات ابعاد متعددة . فالمطلع على بحوث « أدورنو » وزملائه « وروكيتش » يدرك أن هناك ميلا لديهم لتبنى الرأى الأخير وهو أن التسلطية ذات أبعـاد متعددة . ومن الجلى أن نتائج هذا الرأى قد انعكست فى وضعهم لمقياس الميول التسلطية والجمود العقائدى . وقد أيدت الدراسات التى اعتمدت على التحليل العاملى لبنود مقاييس التسلطية أن هنـاك ثلاثة عوامل نقيـة تستوعبها وهى : المحافظة الدينيـة ، والخضوع التسلطى ، والتظاهر بقوة الذكورة (٣٣) . وفى دراسة أخرى أجرى تحليل عاملى لبنود مقياسى الميول التسلطية « لأدورنو » ، ومقياس الجمود العقائدى «لروكتش» معافتبينوجود عامل مشترك بين المقاسين لكنه تبين بالرغم من اشتراك المقياسين فى التعبير عن عامل عام ـ أن كليهما تميز ببناء مستقل . وعلى سبيل المثال فقد تبين أن مقياس الجمود العقائدى قد انتظمه عامل للتسلطية العامة،يستقل فى نفس الوقت عن أى مضمون ايديولوجى (٣٤) .

وقد أجريت الدراسة الحالية على ١٣١ طالب جامعى طبق عليهم جميعـا مقياس المحافظة التسلطية ، وعدد آخر من مقاييس الشخصية اجرى عليها جميعا التحليل العاملى بطريقة «هوتلنج» Hotelling حيث تم استخلاص خمسة عشر عاملا ، استوعبب حوالى ٦٦ر٧٨٧ من نسبة تباين المصفوفة الارتباطية . وأجرى بعد هذا تدوير متعامد للمحاور بطريقة «الفاريماكس» لكايزر Kaiser ، بهدف الوصول الى شكل أكثر بساطة ، وانتظاما للعوامل المستخلصة . وقد أمكن فى هذه الدراسة تفسير أربعة عوامل أمكن تحديدها على الوجه الآتى :

١ ـ عامل عام للميل للمحافظة والتعلق بالموروث ، وقد تشبعت عليه كل البنود تشبعا ايجابيا وقد وصلت هذه التشبعات درجة الدلالة فى حالة ٢٣ بندا من الاختبار ، فضلا عن التشبعات الايجابية للدرجة الكلية على المقياس ، والميل الى التبسيط والتطرف .

٢ ـ عامل للنفور التسلطى من الواقع ، وتتشبع عليه مجموعة من العبارات تشير الى رفض الواقع والحاضر ، وانكاره ، مع التحمس للتغيير التسلطى بالعودة الى طاعة كبار السن ، وأساليب السلف ، والتقليد . وتعكس التشبعات المتناقضة على هذا المقياس جزءا من التناقض السلوكى نفسه لدى التسلطيين من حيث تقبل الواقع ورفضه . فهم يتقبلون جوانب من الواقع هى الجوانب التسلطية كطاعة كبار السن ، وضرورة العودة ـ الى أساليب السلف لمعالجة الانهيارات الخلقية ،

وتبنى التقاليد الاجتماعية فى السلوك اليومى ، وعدم التحمس للجديد ، ومناهضة أفكار الأجيال الصغيرة ، وضرورة الخضوع للقوى الطبيعية والكونية • ولكنهم فى نفس الوقت يرفضون الواقـع ، ومن مظاهر هـذا الرفض دعوتهم للتغيير ، والمجازفة وضرورة اتخاذ موقف معارض ، وانكار التقاليد ، ومناهضة القوانين السائدة • ويبدو أن عملية التقبل والرفض سواء فى دلالة كل منهما لدى التسلطيين فهم لا يقبلون من الواقـع الا الجوانب التى تتسق مـع تصوراتهم وأفكارهم ويرفضون الواقع بمقدار ما تختلف مظاهر الواقع عن هذه التصورات والافكار المتصلبـة •

وتوضح بعض التشبعات الايجابية المشتركة على العاملين الاول والثانى بأن التقبل والرفض التسلطيين ما هما الا مظهرين لوظيفية واحدة هى التصلب (٧) •

٣ ــ عامل الميل للخشونة (١) والصرامة ، وهو يجمع بين مظاهر السلوك التى تتعلق بتأييد التمسك بحرفية القوانين ، وتفضيل العلوم الطبيعية على الانسانية ، ووضع الحدود حادة بين الشخص والآخرين •

٤ ــ الادانة والعدوان (٢) : فى هذا العامل تتبلور مظاهر من السلـوك تتعلق بأدانة الحاضر ، وأدانة المختلفين عن النظام العقائدى ، وادانة التعلق بالآراء الجديدة لعدم جداوها • ويبدو أن شيوع الميل للأدانة والعدوان لدى التسلطيين هو الذى يجعل من صورة الحاضر هدفا لعدوانهم ، فضلا عن عدائهم للآخرين بتصورهم أنهم على درجة ضعيفة من فهم الأمور والجدية •

ومن مظاهر التعبير عن ذلك استهانتهم أيضا بالأفكار الجديدة ، وتصورها على أنها مجهود ضائع • ولاشك أن هذا الميل العام للأدانة والعدوان لدى التسلطيين يتمشى مع منطقهم فى بنـاء تصوراتهم ، وأفكارهم • كما يفسر جزءا كبـيرا من متنوعات السلوك التسلطى • فالشخص الذى يعيش بنظام عقـلى متصلب من المحظورات ، والقواعد الخارجية تزعجه أى بادرة من بوادر الخروج عن هـذا النظام ، كما تزعجه أى صورة مخالفة له •

ثانيا : الشخصية التسلطية

لقيت بحوث هذا الجزء قدرا وافرا من نشاط الباحث • فمنـذ عام ١٩٦٨ وهناك اهتمام موسع بتحديد الأسس الشخصية الفعالة فى نمو الخلق التسلطى •

(1) Tough-mindedness. (2) aggression.

وقد تباينت الأساليب المستخدمة فى استخلاص النتائج . وقد اعتمدت بعض هذه الأساليب على معاملات الارتباط والتحليل العاملى ، والبعض الآخر على أساليب تقدير الفروق باستخدام اختبارات الدلالة ، وتنوعت كذلك أساليب الاستجابة .

وقد توزعت دراسات هذا الجزء على المجالات الآتية :

١ ــ دراسات عن قوة الأنا .

٢ ــ تصلب الشخصية والتطرف .

٣ ــ الابداع والتفتح العقلى .

٤ ــ أسلوب الشخصية .

١ ــ التسلطية وقوة الأنا :

تبين بعض البحوث (٢٢) أن التسلطية تعبر عن التدهور فى ادارك الواقع ، ويزداد هذا التدهور بزيادة أوجه النقص عند الشخص وضعف الأنا . ويميل أدورنو وزملائه (١٢) لتبنى نفس الرأى عندما يقولون بأن المنخفضين فى التسلطية يميلون غالبا الى التوفيق الناجح بين مختلف مستويات الشخصية، ويظهرون نضجا أكثر ، وبعدا عن النزعات الطفلية لهذا فهم أقدر على التحمل وتأجيل اللذة والتكفل بالمسؤولية والنضج الوجدانى . وغياب أو ظهور هذه السمات هو مايمكن التعبير عنه بضعف الأنا ، أو قوته .

ويرى «لفنسون» Levinson (٢٢) أنه بالرغم من مظاهر الضعف والتشويش ، وعدم التنظيم التى قد تظهر عند بعض المنخفضين جدا فى التسلطية ، فان الانطباع العام يوحى بأن المنخفضين يتميزون عموما بقدر أكبر من قوة الأنا بالمقارنة بالتسلطيين وهناك من الدلائل ما يبين أن ازدياد ضعف الأنا لدى التسلطيين انما هو تعبير عن طريقة تفكيرهم بالمقارنة بغيرهم فهم أميل للتفكير الانفعالى (١) دون المنطقى (٢) (المرجع السابق) .

وبناءاً على هذه الفروض العامة قمنا بدراسة (١ ، ٢) على ١٥٠ طالبا جامعيا

(1) emotional. (2) rational.

للتحقق من العلاقة بين ارتفاع التسليطة ومظاهر ضعف الأنا • وقد أمكن تحديد مظاهر ضعف الأنا فى ضوء المتغيرات الآتية :

١ ــ التقلب الوجدانى وضعف ضبط الذات ، والعجز عن التحــكم فى التقلبات الانفعالية •

٢ ــ تضخيم الذات •

٣ ــ الدقة فى ادراك الدلالات المعقولة للأشياء فى المواقف الخارجية وقد اتخذنا لكل متغير مقياسا من مقاييس الشخصية لتقديره وهى :

(١) مقياس « ك » المستخرج من مقياس الشخصية المتعدد الأوجه (١) لقياس القدرة على ضبط النفس والتحكم فى التقلبات الوجدانية •

(٢) مقياس للتقدير الذاتى من اعداد الباحث لقياس القدرة على تقدير الذات تقديرا موضوعيا ، كما يتكشف ذلك فى عدم الميل الى المبالغة فى تقدير الذات أو تضخيمها •

(٣) مقياس التقدير الواقعى ، لقياس القدرة على تحديد الجوانب المعقولة ، واللامعقولة فى موقف خارجى وهو من اعداد الباحث أيضا •

وقد أكدت النتائج بعد تطبيق هذه المقاييس الثلاثة لقوة الأنا مع مقياس المحافظة التسلطية أن هناك ما يشير الى وجود علاقة ارتباطية سلبية بين المحافظة التسلطية وقوة الأنا • ومن مظاهر هذا وجــود علاقة ايجابية دالة جوهريا بين التسلطية ، والعجز عن التحكم فى التقلبات الوجدانية ، مما يؤكد بالفعل ميل التسلطين الى التصرف انفعاليا وليس منطقيا • ومن مظاهر هذا التعبير أيضا أنه تبين وجود علاقة ايجابية دالة بين مقياس المحافظة التسلطية ، ومقياس التقدير الذاتى مما يشير الى ارتباط التسلطية بتضخيم الذات • ويبدو أن هذا المظهر اما جزء من الوظيفة العامة من سيطــرة الأحكــام والتصرفات الانفعالية على التسلطين واما انعكاس لارتفاع المركز الاجتماعى الذى يحصل عليه التسلطيون فى الجماعة التسلطية • وقد تأكد هذا الترجيح عندما تبينا فى أحد أجزاء هــذه الدراسة أن أصحاب الدرجات المرتفعة فى التسلطية (فوق المتوسط) يحصلون

(1) M.M.P.I.

على اختبارات تفضيل أكثر من بين الزملاء بالمقارنة بأصحاب الدرجات المنخفضة فى نفس الجماعة . وعلى أية حال فان الأخذ بأحد التفسيرين دون الآخر يرتهن بمستقبل البحث فى هذه النقطة .

ولكن لم تظهر علاقة ذات دلالة بين مقياس المحافظة التسلطيـــة والتقدير الواقعى ويبدو أن الجوانب القيمية ، أو الخلقية للمحافظة التسلطية (كما تنعكس فى بنود المقياس) تقترب من المعايير التى تتبناها مجموعة البحث . ومن ثم فان ارتفاع الاداء على المقياس لا يعبر عن تشوية ما فى ادراك الجوانب المعقولة من الأشياء ، وتقديرها تقديرا واقعيا .

٢ ـ تصلب الشخصية والتطرف :

أجرى الباحث فى هذا الاطار بحثين الأول سنة ١٩٧٠ ونشرت نتائجة سنة ١٩٧٢ والثانى سنة ١٩٧٣ (٤) . وقد تكونت عينة البحث فى الدراسة الأولى من ١٣١ طالب جامعى (٧١ طالبا و ٦٠ طالبة). وتكونت عينة البحث الثانى من ٤٠٥ شخص (٢١٠ اناث و ١٩٥ ذكور) . ونظرا لتشابه النتائج فى البحثين فسنعلق على نتائجهما مجتمعين معا .

يقصد بتصلب الشخصية عجز الشخصية عن التشكل ، والتكيف للمواقف الجديدة أى العجز عن القيام بالسلوك الملائم . ويستخــدم باحثون آخرون للاشارة به الى ضيق، وفقر الاستجابات العقلية التوافقية، فيواجة الشخص المواقف المختلفة بأسلوب عقلى أو سلوكى محدد . ويبدو لنا بالفعل أن تصلب الشخصية «بعد» Dimension عام من أبعادها، وأنه يلعب دورا نشطا فى تحديد أنماط الاستجابة، وأساليب التكيف فى المواقف المختلفة سواء كان ذلك فى ميدان حل المشكلات العقلية أو المعتقدات الايديولوجية والاتجاهات ، أو عند تفاعل الشخصية فى المواقف الاجتماعية .

وفى الدراستين الحاليتين محاولة للتثبت من بعض الحقائق الخاصة بنظام الشخصية التسلطية ، والتصلب . فهل التسلطية دالة على تصلب الشخص فى مواقف التفاعل الاجتماعى ؟

---

(1) M.M.P.I.

(2) Rigidiy.

(3) Extremeness.

ويتضح من الدراسات السابقة أن الباحثـين يجمعون على أن التسلطيين يعجزون عن تغيير أنماط تفكيرهم بتغير الموقف وأنهم يميلون الى مواجهة التنوع فى المواقف الاجتماعية بضيق فى مقدار القوالب العقلية الملائمة للتكيف (١٣ ، ١٤ ، ٢٦) • ويتضح من دراسة أجراها هارولد اندرسون H. Anderson أن السيطرة فى مواقف التفاعل بين سلوك المدرس وبين سلوك الطفل فى مواقف التدريس تعبر عن درجة كبيرة من التصلب من حيث أنها تحاول أن تضيق نطاق الخبرة التى على أساسها تتحدد نتيجة التفاعل بين شخصين أو أكثر ، فبدلا من أن أسعى الى تحديد النتيجة على أساس أن أدخل فى حسابى أكبر عدد من مميزات السلوك الشخصية عندى وعند الطرف الآخر فى التفاعل ، أجدنى مندفعا الى تقليل عدد العناصر الداخلة فى تحديدها (٨) • ويتبين القارىء من وصف « هارولداندرسون» للسلوك المسيطر أنه لا فرق بينه وبين السلوك التسلطى ، وأن التسلطية ما هى الا ترجمة لعناصر السيطرة فى مجال التفاعل الاجتماعى الى بعد من أبعاد الشخصية •

ولعل من أهم المحاولات التى تكشف عن طبيعة العلاقة بين التسلطية،وتصلب الشخصية هى محاولةروكيتش التى تظر بمقتضاها للتسلطية علىأنهاشكل منأشكال الجمود العقيدى ، أى العجز عن التعامل مع النظم العقلية الجـديدة ، والعجز عن تنظيم معتقدات جديدة لمواجهة المواقف أو المشكلات الاجتماعية المتغيرة (٢٦) •

وللتحقق من أمر هذه العلاقة استخدمنا مقياس المحافظة التسلطية ومجموعة من مقاييس الشخصية من بينها :

مقياسى التصلب Rigidity ،والنفور من الغموض (١) لكاولتر Coulter (١٦) فضلا عن بعض المقاييس لقياس متغيرات من الشخصية ثبت أنها ترتبط بالتصلب وذلك مثل الميل للتبسيط (٢) (٣) ، والتطرف (٨) ، وقد أجريت معـاملات الارتباط بين المقاييس السابقة بالنسبة للعينة الكلية فى كلتا الدراستين ، وللذكور والأناث كل على حده • كما استخدمت مقاييس الدلالة الاحصائية للمقارنة بين الذكور والأناث على مجموعة المقاييس المستخدمة •

ويهمنا من نتائج الدراستين ما يتعلق بالارتباط بين مقياس المحافظة التسلطية من ناحية والتصلب والتطرف من ناحية أخرى • ومن أهم النتائج فى هذه الزاوية

---

(1) Intolerance of ambiguity. (2) Simplicity.

التثبت من وجود نسق من الشخصية ينتظم المحافظة التسلطية اذ تبين وجود معاملات ارتباط مرتفعة بالتصلب والنفور من الغموض ، والميل الى التطرف فى الاستجابة على مقياس المحافظة التسلطية (مجموع استجابات (+ ٣) على المقياس) • وهذه النتيجة يجب اضافتها كدليل على الحقائق ـ المرتبطة بصدق المقياس ، وبأن هناك نسق من الشخصية تنتظم من خلاله المحافظة التسلطية وأن هـذا النسق يتفق مع التوقعات النظرية لتنظيم هـذه السمة من حيث تعبيرها عن التصلب •

٣ ـ الابداع والأصالة :(١)

يمكن القول كفرض عام أن علاقة المحافظة التسلطية بالاصالة والابداع علاقة سلبية ، أى أن الشخصية التسلطية يصحبها دائما انخفاض فى القدرات الابداعية والأصالة ، أو العكس بالعكس ، وهناك من النتائج ما يبرر هذا فالبحثان اللذان أشرنا اليهما فى الفقرة السابقة واللذان كشفا عن وجود نسق من التصلب ينتظم الشخصية التسلطية ، يمكن اتخاذهما كدليل على ارتباط التسلطية ارتباطا سالبا بالابداع والاصالة،أى أن كل عملية منهما تسير فى اتجاه معارض للعملية الأخرى• ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير الى وجود عدد كاف من الدلائل على أن الابداع والاصالة يعبران عن الخلو من التصلب والجمود (٥ ، ١٩ ، ٣٢ ، ٣٥) •

ومن ناحية أخرى فاذا نظرنا الى الشخصية المحافظة تسلطيا فى ضوء مفاهيم كالقدرة على التعلم ، واكتساب الخبرة فاننا نجدها أيضا تعبر عن عملية معارضة للاصالة والابداع اذا تناولناهما بنفس المفاهيم • فالمحافظة التسلطية كشكل ايديولوجى تشير الى عجز الفرد عن التعامل مع الخبرات العقلية ، أو الاجتماعية الجديدة ، وعجزه عن تكوين اتجاهات جديدة لمجابهة مواقف ومشكلات متغيرة • وتؤيد بحوث « روكيتش » وغيره (٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣) هذه الحقيقة فى مقارنة بين المرتفعين والمنخفضين على مقياس الجمود العقائدى من حيث أداء بعض المشكلات العقلية اذ تفوق المنخفضون عن المرتفعين (٣٣) • كما تبين بحوث أخرى أن المرتفعين فى الجمود العقائدى تقل قدرتهم على تنظيم وتكامل المعتقدات الجديدة وادماجها فى المعتقدات الراهنة عند القيام بحل مشكلة عقلية (Ibid) • لكننا اذا

---

(1) Creativity & originality.

نظرنا الى الأصالة والابداع بنفس الضوء أى القدرة على التعلم واكتساب الخبرة فاننا تتبين من خلال المعطيات الجزئية ، والتحليلات النظرية أنهما يشكلان بالفعل عملية معارضة للتسلطية • فالمرتفعون فى الابداع والاصالة من أكثر الاشخاص قدرة على التفكير فى نسق مفتوح (١٨ ، ١٩) وتشكيل المعطيات فى أشكال جديدة ، والانفصال عن الحلول التقليدية التى قد تعوق حل المشكلات العقلية الجديدة ، والارتباط تبعا لهذا بواقع المشكلة ، وما تتطلبه وغنى عن الذكر افتقار التسلطيين الواضح لهذه الخصائص •

وقد أوحت لنا هذه النتائج القيام بدراسة (٤٥) أجريت سنة ١٩٧٢ على عينة مكونة من ٤٠٥ طالب جامعى (أناث = ٢١٠ ذكور = ١٩٥) • وقد أولينا فيها اهتماما خاصا لعلاقة التسلطية لجانب واحد من العملية الابداعية • وهو الاصالة بصفتها من أكثر الجوانب تعبيرا عن الخصائص التى ينبغى التنبه لها عند تناول العملية الابداعية بالوصف والتحليل • وقد استخدمنا الاصالة فى هذا البحث للاشارة بها الى جوانب السلوك العقلى المتصفة بالتميز ، والمهارة ، والجدة (١) ، والطرافة وعدم الشيوع ، والتى تظهر فى سلوك فرد من الأفراد عند القيام بعمليات من التفكير فى نسق مفتوح (أى اختبارات الابداع) •

وقد طبق مقياس المحافظة التسلطية على عينة البحث مع عدد من مقاييس الاصالة الابداعية والتى منها :

(١) استنتاج الأشياء : وهو من المقاييس التى قام باعدادها الكاتب لتقدير الفروق الفردية فى سرعة التأليف بين مجموعة من العناصر المتنافرة تأليفا صحيحا وجديدا ، بصفتها مقياس للاصالة وفق كثير من التطورات التى ترى أن الاصالة ما هى الا قدرة على استيعاب الجديد اعتمادا على العناصر الراهنة أو القديمة(١٠) والمقياس مكون من عدد من الاستعمالات لأشياء غير معلومة موزعة على خمسة عشر بندا ، فى كل بند ثلاثة استعمالات •

ويطلب من الشخص أن يقرأ الاستعمالات الموجودة فى كل بند وأن يستنتج اسم الشىء الذى يصلح للاستخدام فى هذه الاستعمالات الثلاثة مجتمعة (مثال : ما هو الشىء (أو الأشياء) التى تصلح للاستخدام فى هذه الاستعمالات الثلاثة

(1) Novelty.

مجتمعة : لطرد الذباب ـ للضرب ـ للوضع على الورق لحمايتـه من التطاير)
ودرجات الفرد على هذا الاختبار هى مجموعة الاشياء الصحيحة التى يذكرها فى كل بند فى الوحدة الزمنية المحددة لأداء الاختبار وهى سبع دقائق .

(ب) النتائج البعيدة (١) : وهو من الاختبارات التى وصفها « جيلفورد » Guilford لتقدير الاصالة بصفتها قدرة على التداعى البعيد . وفى هذا الاختبار يطلب من الشخص أن يكتب النتائج التى يمكن أن تحدث اذا حدثت بعض المواقف غير العادية فى مكان أو زمان معين (مثال ماذا يحدث لو استطاع الانسان فهم لغـة الطيور والحيوان) ودرجات الفرد على هذا الاختبار هى مجموع النتائج التى يصفها عندما يحدث أى ـ موقف غير عادى من تلك المواقف .

(جـ) عناوين القصص (٢) : وهو من الاختبارات التى وضعها جيلفورد وفيه تعطى للفرد قصة قصيرة طريفة ويطلب منه أن يكتب أكبر قدر من العناوين التى تصلح لهذه القصة . ودرجة الفرد هى عبارة عن مجموع العناوين الطريفة التى يضعها لكل قصة :

(د) الاستعمالات غير المعتادة (٣) : وهو مأخوذ من اختبارات «جيلفورد» ، ويتكون من مجموعة من الأشياء العادية ، ويطلب من الشخص أن يذكر فى وحدة زمنية محددة الاستعمالات المختلفة التى يمكن أن يصلح لها أى شىء من تلك الأشياء (مثال : اذكر أهم الاستعمالات للجريدة اليومية غير قراءتها) .

(هـ) تكميل الأشكال (٤) : وهو مأخوذ عن « تورانس» E. P. Torrance ويحتوى الشكل الذى استخدم فى البحث الراهن على جزئين ا ، ب . ويتكون كل جزء من ستة من أشكال ناقصة التكوين . ويطلب من الشخص اضافة أكبر قدر ممكن من التفاصيل بحيث تصبح هذه الأشكال الناقصة أشكالا لها معنى . ودرجة الفرد فى هـذا الاختبار هى عبارة عن مجموع الأشكال التى ينجح فى تكوينها بحيث لا تكون من الأشكال الشائعة فى داخـل مجموعته . وتتحدد درجة الشيوع من خلال احصاء الأشكال التى ينتجها الأفراد جميعهم . وتصحح

(1) Consequences.
(2) Plot titles.
(3) Unusnal Uses.
(4) incomplete figures.

استجابة الفرد للأصالة اذ بعدت استجابته الشكلية عن الاستجابات الشائعة .

وقد تضمنت مجموعة الاختبارات فضلا عن مقاييس الأصالة الابداعية والمحافظة التسلطية عددا آخر من مقاييس الشخصية ، وأساليب الاستجابة . ومن مقاييس الشخصية التى استخدمت : مقياس التصلب لكاولتر ، والميل الى التبسيط والنفور من الغموض . وقد سبق الاشارة الى تلك المقاييس عند الحديث عن تصلب الشخصية والتطرف . أما مقاييس أساليب الاستجابة فهى عبارة عن الأساليب التى يستخدمها بعض الأشخاص فى الاجابات عن استخبارات الشخصية أو الاتجاهات مستقلة عن المضمون . ومن تلك الأساليب التى وجد أنها ذات دلالة فارقة أساليب الاستجابة المتطرفة على مقياس الصداقة لسويف (٧) . وأساليب الاستجابة على نفس مقياس المحافظة التسلطية وذلك مثل عدد مرات الاجابة بـ + ٣ (أى أؤيد تأييدا كاملا) كمقياس لتطرف التأييد التسلطى ، وعدد مرات الاجابة بـ ــ ٣ (أى أعارض معارضة شديدة) كمقياس لتطرف المعارضة .

وقد أجرى التحليل عن مصفوفة الارتباطات بين المتغيرات المختلفة للبحث بما فيها مقاييس المحافظة التسلطية . وقد استخدمت طريقة «هوتلنج» Hotelling للتحليل العاملى . كما أجرى على الصفوفة العاملية تدوير بطريقة الفاريماكس Varimax لكايزر Kaiser فى عينة الذكور والاناث كل على حدة .

وقد أبدت نتائج البحث فى مجموعة الذكور أن المحافظة التسلطية تتشبع تشبعا دالا فى اتجاه مختلف لتشبعات اختبارات الأصالة ، وفى نفس اتجاه تشبعات تطرف التأييد التسلطى ، واستجابتى التطرف الايجابى والسلبى على مقياس سويف ، ودرجة التصلب على مقياس التصلب لكاولتر .

ومن الطريف أن هذه النتيجة لم تظهر فى عينة الاناث ، مما يدل على عدم وجود علاقة مستقيمة من أى نوع بين المحافظة التسلطية والقدرات الابداعية لدى الاناث .

وقد أمكن تفسير نمط تشبعات اختبار المحافظة التسلطية واختبارات الأصالة

الابداعية بالشكل السابق فى عينة الذكور على أساس وجود عامل يمتد من الاصالة الى الانغلاق الذهنى ، هو المسئول عن هذا النمط من التشبع .

ومعنى هذا أن هناك خاصية مشتركة تجمع بين التطرف والتصلب ، والمحافظة التسلطية هى الانغلاق على الخبرة (٦) وهذه الخاصية هى المسئولة فيما يبدو عن ارتباط تلك الخصائص سلبيا باختبارات الاصالة الابداعية .

ولأن الانغلاق على الخبرة ــ فيما توضح تصورات كارل روجرز K. Rogers (٢٥) ــ يعتبر دافعا أساسيا من دوافع السلوك الانسانى ، فان هذا يلقى ضوءا آخر على أسباب التعارض ما بين عمليتى الأصالة الابداعية والمحافظة التسلطية.

فعلى ضوء هذه النتيجة وعلى ضوء التحليلات النظرية التى يقدمها «روجرز» للشخصية الابداعية نجد أن من أهم دوافع الشخصية الابداعية : الدافع للاتساع والامتداد ، والنمو ، والنضوج والميل الى التعبير عن الامكانيات ، واثارتها . ودوافع من هذا النوع تتعارض تماما مع الانغلاق على الخبرة الذى يبدو أنه يقوم بدور أساسى فى تشكيل الخلق التسلطى القائم على الانغلاق العقيدى ، والاجتماعى وتبنى اتجاهات «عبادية» لمجموعة من التصورات والقواعد الموروثة دون تمثيلها فى عالم الخبرة .

ومن الأسباب التى يبدو أيضا أنها مسئولة عن ضيق الخبرة ، وانغلاقها لدى التسلطيين : اعتماد الأحكام لديهم على المصادر الخارجيــة . فهم يستمدون مصادر حكمهم من خــلال الاعتماد غير الواعى على أشكال الثواب والعقاب الخارجية .

بل أن هذا الاعتماد يبرز فى تعريف كل الباحثين والعلماء من أمثال «أدورنو» وزملائه و «روكيتش» للشخصية التسلطية . فبالرغم من جوانب الاختلاف المتعددة فى تناول الشخصية التسلطية فانه لم يحدث خلاف ما فى أن التسلطية هى فى أساسها مظهر من مظاهر اعتماد الأحــكام والآراء على المعايير الخارجية (السلطة) فى مواقف الحياة المختلفة . والمتغيرات المختلفة التى تبين أنها تميز التسلطيين ما هى الا تعبير عن هذا المظهر من الانصياع لمعايير السلطة الخارجية ، والقواعد التى تساهم فى تحديدها القوى الاجتماعية الخارجية . من ذلك مثلا :

الاعجاب الشكلى ، والفخر بالآباء ، وتبنى مفهوم تقليدى عن الأدوار الجنسية وادانة الحاضر .... وغيرها .

أما بالنسبة للابداع ، فان من أهم شروط الابداع : اعتماد الحكم على المصادر الداخلية . لأن قيمة الفعل الابداعى لا تحددها المصادر الخارجية كتقريظ الآخرين ، أو تقدهم ، ولكن تحددها المصادر الذاتية الداخلية أى رضاء الشخص عن العمل ، واحساسه بقدرة هذا العمل على التعبير عن أجزاء من نفسه كشعوره أو تفكيره ، أمله أو لذته (٢٥) .

٤ ــ اسلوب الشخصية : (١)

يشير مفهوم أسلوب الشخصية الى أنماط الادراك والاستجابة التى تظهر فى سلوك الفرد ، مستقلة عن ادراكاته الخاصة واستجاباته النوعية (٢٩) . ويمكن تقدير أساليب الشخصية فى علم النفس الحديث من خلال ثلاث طرق هى:

(ا) الحركات التعبيرية (٢) : كطريقة المشى أو الكلام ، أو الخط أو الصوت . ومن المفيد أن نشير الى أن الحركات أو السلوك التعبيرى يختلف عن السلوك التكيفى . فالسلوك الأخير هو السلوك الذى يعبر عن استجابات الفرد فى المواقف الخاصة . حيث يتجه الاهتمام الى ما يفعله الفرد ولماذا يفعله . أى أهدافه وآماله . أما فى حالة السلوك التعبيرى فان الاهتمام يتجه الى كيفية الاستجابة ، دون النظر الى محتوى هذا ــ السلوك ومضمونه . ومن الطبيعى أن السلوك التعبيرى والسلوك التكيفى يتداخلان ويتبادلان التأثير ، وأننا نحتاج عند الحكم على الشخصية الى أن نعتمد على محتوى السلوك والأسلوب ولكن ليس من العسير فيما يرى «ڤيرنون» P. Vernon أن نفصل بينهما من أجل تيسير البحث فحسب (٣٦) .

(ب) الأنماط الادراكية (٣) : وهى عبارة عن الأساليب الشائعة فى التعامل مع الأشكال الادراكية كالميل الى التسطيح (٤) أو التحديد (٥) فى الشكل

(1) Personality style.
(2) expressive movements.
(3) Perceptual styles.
(4) Levelling.
(5) Sharpening

الادراكى ، أو النفور من عدم الثبات والغموض أو الاستقلال عن المجـال فى مقابل الاعتماد على المجال .

(جـ) أساليب الاستجابة (1) : وهى تظهر فى الطريقة التى يجيب بها الشخص على استخبارات الشخصية دون النظر الى مضمون الاختبار ، أى الأساليب التى تظهر مستقلة عن المضمون . فقد وجد مثلا أن هناك ميــلا متسقا لدى بعض الأشخاص للاستجابة على استخبارات الشخصية بطريقة محددة دون النظر الى مضمون العبــارات . ومن أكثر هــذه الأساليب شيوعا الميــل الى استخدام الاستجابات المتطرفة فى الاجابة ، أو استجابات عــدم الجسم (لا أعرف) ، أو المداومة على أسلوب معين فى الاجابة .. الى غير ذلك . وقد وجد من خــلال البحوث أن شيوع هذه الأساليب يرتبط ببناء محدد من الشخصية . فالميل الى الاستجابات المتطرفة يرتبط بالتصلب والنفور من الغموض ، (٨) والميــل الى الاجابة بلا أعرف يرتبط بعدم الحسم والتشكك (١٠) والمداومة ترتبط بالقصور الذاتى والتسلطية (١) ... وهكذا .

ومن الحقائق الهــامة فى دراســة الشخصية التسلطية ، ما تبينه بحــوث « الزابرونشفيك » (١٣) من أن التسلطيين لهم أساليبهم الادراكيــة والمعرفية الخاصة والتى تميزهم عن غيرهم وتميل تلك البحوث الى تأكيد أن التسلطية (من حيث هى اشــارة الى الاعتماد المغلق على قيم السلطة ، وايديولوجياتها) تكون لدى البعض تعبيرا عن شيوع هذه الأساليب . وتبنت « برونشفيك »فى هــذا الصدد مفهوم النفور من الغموض الادراكى للاشارة به الى الأسلوب ــ الأساسى للشخصية التسلطية . ويعــبر مفهوم النفور من الغموض عن العجز عن ادراك التغير فى الأشكال الادراكية . وهناك عدة أساليب لقياس النفــور من الغموض الادراكى منها الأسلوب الذى استخدمه « كاولتر » وهو عبارة عن اختبار يتكون من ثمانية أشكال لصورة كلب يتحول بالتدريج من كلب كامل ابتداءا من الصورة الأولى الى قط كامل فى الصورة الأخيرة ويطلب من الشخص أن يقرر اللحظة التى يتحول فيها الكلب الى قط . والافتراض الكامن فى ذلك أن المرتفعين فى النفور من الغموض يتعلقون بالرسم الاصلى للكلب ولا يستطيعون ادراك التحول الا فى الرسوم الاخيرة (١٦) .

---

(1) Response styles

وترى « بروتشفيك » أن هذا الأسلوب الادراكى يشيع بين التسلطيين والمتعصبين كتعبير عن العجز عن التعامل مع المواقف ذات الدرجة الكبيرة من التنوع والتعقيد . وهى ترى أن كثيرا من وظائف الشخصية التسلطية كالمجاراة والجمود ، والبحث عن اليقين التام والالتصاق ببعض المنبهات الادراكيـة ، أو الاجتماعية ، والميل الى التكرارات الآلية والتمسك بمجموعة من الآراء الشخصية المفرطة فى التعميم ، والعيانية ، والقصور الذاتى .. كلها مظاهر تعبيرية لهـذا الأسلوب : النفور من الغموض الادراكى (١٤) .

وتوضح دراسة أخرى قام بها الكاتب أن المحافظة التسلطية ترتبط بأسلوب آخر من أساليب الشخصية وهو التطرف (٤ ، ٢٠) . وقد استخـدم مقياسا للتطرف هو شيوع استجابات التأييد أو المعارضة التامة على مقياس المحافظة فتبين وجود علاقة ايجابية مرتفعة بين الدرجة على مقياس المحافظة التسلطية وشـيوع استجابات التطرف ، ولو أن ارتباط المحافظة التسلطية بتطرف التأييد كان أكبر بكثير من ارتباطها بتطرف المعارضة (٤) .

ويهتم البحث الذى سنشير الى نتائجه باستخلاص أساليب الشخصية المختلفة التى تشيع بين التسلطيين باستخدام أساليب الاستجابة . وهذه الدراسة جزء من البحث السابق الذى أشرنا الى نتائجه عند الحديث عن الاصالة والابداع . والجزء الذى سنناقشه هنا يتركز على مناقشة نتائج العلاقة بين المحافظة التسلطية وأساليب الاستجـابة .

تضمن البحث ما يقرب من ٢٥ أسلوبا مختلفا من أسـاليب الاستجابة على عدد من مقاييس الشخصية لتقدير الوظائف الشخصية الآتيـة :

(ا) المجاراة فى مقابل المخالفة : ولتقدير هذا الاسلوب ، وضـع الباحث استخبارا مكونا من ٤٠ فعلا تحتوى مجموعة من القيم ، والاهتمامات وبعض التصرفات اليومية مثل : تدخين السجاير ، الاستماع للموسيقى ، الحديث بصوت عال ـ مشاهدة المباريات الرياضية ... الخ ويطلب من المتطوع التعبير عن راحته أو عدم راحته فى حالة اختلافه مع الناس فى هذه الأفعال أو التصرفات ، ومقتضيات مواجهة هذا الاختلاف بمجاراة الناس ، أو تأكيـد الاختلاف . وذلك بوضـع احدى العلامات الآتية أمام كل تصرف أو فعل :

+ ٢ اذا كان الشعور هو عدم الراحة فى حالة الاختلاف مع الناس فى هذا الفعل ، وأنه قد توقف عن القيام بهذا الفعل مجاراة الناس .

+ ١ اذا كان الشعور هو القليل من عدم الراحة فى حالة الاختلاف مع الناس فى هذا الفعل ، لكن دون أن أتوقف عن القيام به .

ـــ ١ اذا كان الشعور هو عدم الاهتمام بالاختلاف أو الاتفاق مع الناس فى هذا الفعل .

ـــ ٢ اذا كان الشعور هو الراحة لذلك ، وأننى قد اندفع نحو الاكثار من القيام بهذا الفعل للتعبير عن راحتى فى مخالفة الناس .

وتعبر الاجابة + ٢ و + ١ عن ازدياد مجاراة الضغط الاجتماعى ، لأن شيوع الاستجابة بهما يعبر بشكل ما عن الاحساس بالتوتر نتيجة الشعور بالاختلاف عن الناس . أما شيوع الاستجابة بـ ـــ ١ فيعبر عن الرغبة فى الاستقلال . ويعبر شيوع الاستجابة بـ ـــ ٢ عن الميل الى المخالفة .

(ب) التطرف والاعتدال : ولتقدير هذا الاسلوب استخدمنا العدد الكلى للاستجابات المتطرفة الايجابية (+ ٢) والعدد الكلى للاستجابات المتطرفة السلبية (ـــ ٢) على مقياس الصداقة لسويف . وهو عبارة عن ٧٠ صفة يمكن أن تتوافر فى بعض الناس ويطلب من الأشخاص المتطوعين أن يعبروا عن شدة رغبتهم أو عدم رغبتهم فى وجود هذه الصفات لدى أصدقائهم . وتعبر شيوع الأحكام بأن هناك صفات لابد من توافرها لقيام الصداقة بحيث لا يمكن قيام الصداقة بدونها تعبر عن التطرف الايجابى . أما شيوع الاحكام بأن هناك صفات يجب ألا توجد ، واذا وجدت فلا يمكن قيام الصداقة فيعبر عن التطرف السلبى . أما استجابات الاعتدال فيعبر عنها شيوع الأحكام بتحمل الصفات التى لا نرغب فى وجودها بين أصدقائنا . وتدل بحوث « سويف » وتلامذته والباحثين فى الخارج على أن هذا المقياس مقياس جيد للتطرف من حيث المواصفات السيكومترية من ثبات وصدق (٨ ، ٩) .

ومن الاستجابات المتطرفة التى استخدمت استجابتها تطرف التأييد (+ ٣) وتطرف المعارضة (ـــ ٣) على مقياس المحافظة التسلطية وتدلنا بحوثنا على أن

هناك قدر لا بأس به من الاتساق فى شيوع الاستجابة بهذين الاسلوبين ، كما تشير الى وجود نسق معتدل من الشخصية ينتظم هاتين الاستجابتين (٤). كذلك استخدمت استجابتا + ٢ و — ٢ على نفس المقياس كاستجابتين للاعتدال الايجابى والاعتدال السلبى على التوالى .

(جـ) عدم الحسم : ولقياس أسلوب الميل الى عدم الحسم استخدمنا عدد المرات التى يجب بها الشخص على مجموعة من مقاييس الشخصية بلا أعرف . وتشير النتائج الى وجود اتساق فى الاجابة بلا أعرف على مقاييس الشخصية لدى البعض كعلامة على عدم الحسم (١) .

(د) تطرف الحكم وتطرف الثقة فى الحكم : لتقدير التطرف فى الحكم استخدم الباحث مقياس « الاحتمالات » لبريم (٢١) ويتكون المقياس من ٥٠ عبارة تتضمن كل عبارة حكما غامضا ويطلب من الشخص أن يقدر احتمال حدوث هذا الحكم بنسبة مئوية تتراوح من صفر ٪ الى ١٠٠٪ وكلما ازدادت النسبة التى يتصورها الشخص كلما كان ذلك دليلا على تطرف الحكم .

وفيما يلى مثال من احد عبارات المقياس :

— ان الاحتمالات أن يمكن اشتغال النساء فى القضاء فى فترة قريبة فى مصر هى بنسبة ......٪

ويطلب من الشخص بعد وضع الاستجابة الملائمة كما يتصورها أن يحدد مدى ثقته فى حكمه على أساس الثقة الآتية :

— متأكد جدا من هذا الحكم — متأكد — بين بين — غير متأكد — غير متأكد بالمرة .

وتعبر الاستجابة « بمتأكد جدا » عن تطرف الثقة فى الحكم ، أما استجابة « غير متأكد بالمرة » فتعبر عن التطرف السلبى فى الثقة . وقد استخدمت استجابة « بين بين » كتعبيرا عن الاعتدال . وتوضح معاملات ثبات هذا الأساليب عن وجود درجة لا بأس بها من الاتساق فى استخدام هذه الاستجابات بشكل يساعد على القيام بالمقارنات الواعية الملائمة لأغراض البحث .

(هـ) اتساع مدى الحكم : يوضح بيتيجرو أن هناك ميلا متسقا بين وجوده لدى بعض الأشخاص فى استخدام مدى متسع من الحكم فى مقابل البعض الآخر ممن يميل مدى حكمهم الى الضيق والاقتراب من المتوسط . وقد وضع « بيتيجرو » (د) مقياس اتساع فئة الحكم Category width (C.W.) لتحديد الفروق الفردية فى هذا الأسلوب . وهو يتكون من عشرين عبارة ، كل عبارة منها تبدأ بمتوسط عام لعدد أو مجموعة من الظواهر أو الأشياء ، ويطلب من الشخص أن يختار من بين مجموعة من الأحكام : أكبر قدر ممكن أن ترد به الحالات الفردية التى يجمعها هـذا المتوسط . وأقل قدر ممكن أن ترد به هذه الحالات .

مثـال :

يقدر علماء الطيور سرعة طيران الطيور ١٧ مترا فى الساعة فما هو فى تقديرك:

(ا) سرعة أسرع طائر (بالمتر فى الساعة) :

٣٤ — ٧٣ — ١٠٥ — ٢٥

(ب) سرعة أبطأ طائر (بالمتر فى الساعة) :

٥ — ١٢ — ٢ — ١٠

ويعطى المقياس درجتين : الأولى لتقدير اتساع الفئة ويكون بتحويل الأحكام فى الجزء (ا) من كل عبارة الى درجات موزونة تبدأ من (٤) وتنتهى الى (١) فيحصل الحكم الأكثر اتساعا على ٤ درجات ... وهكذا بالتدريج التنازلى حتى ١ بحيث يشير ارتفاع الدرجة الى اتساع مدى الحكم . أما الدرجة الثانية فلتقدير ضيق مدى الحكم وتكون بتحويل الأحكام فى الجزء «ب» من كل عبارة الى درجات موزونة أيضا من ٤ : ١ فيحصل الحـكم القليل جدا على ٤ درجات وتتناقص الدرجة الموزونة تدريجيا بزيادة مدى الحكم بحيث يشـير ارتفاع الدرجـة الى ضيق مدى الحكم .

وتوضح الدراسات أن الميل الى استخدام مدى واسع من الحكم (اتساع الفئة) أو استخدام مدى ضيق (ضيق الفئة) كلاهما يعبر عن وظيفة واحدة هى المجازفة (بالاستبعاد فى حالة ضيق الفئـة ، وبالتضمين فى حالة اتساع الفئة)

وذلك فى بحثى « كوجان » و « والاش » Kogan & Wallach عن السلوك المجازف[1] (٢١) . وقد وضح جانب من دراستنا للشخصية الابداعية (ه) أن استجابتى ضيق الفئة ، واتساع الفئة يرتبطان معا ارتباطا ايجابيا فضلا عن تشبعهما معا وفى اتجاه واحد على عامل للمجازفة بالحكم . وتتفق هذه النتيجة مع نفس التصور الذى وضعه كل من « كوجان » و « والاش » ، وتتفق كذلك مع تصور « بيتيجرو » من أن كلا السلوكين يعبر عن المجازفة بالتسامح مع أخطاء الحكم (Ibid) . لهذا يبدو لنا معقولا أن اتساع الفئة أو ضيقها يعبران عن المجازفة فى تقدير الفرد لتسامحه الخاص مع موقف غير يقينى (أى موقف لا يوجد فيه من اليقين ما يساعد على اتخاذ قرار خاص) .

(و) أسلوب الأصالة الظاهرة[2] : وضع الباحث مقياس الأصالة الظاهرة وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة يجاب عنها بـ « نعم » أو « لا » ، وتعبر الدرجة المرتفعة لمضمون هذا المقياس عن اتجاه السلوك الابداعى الظاهرى للفرد فى الميل الى التحرر من التقليدى ، والشائع وتأكيد الذات والاختلاف والتميز والبعد عن المحاكاة ، والنفور من الخضوع للضغط الاجتماعى ، وتقديره بين الآخرين ... الخ .

هذا عن درجة المضمون ، وهناك درجة أخرى يمكن الحصول عليها من هذا المقياس وهى التى تهمنا بصدد الحديث عن أسلوب الاستجابة فبعد اجابة كل بند من الاستخبار ، يطلب من الشخص أن يحدد النسبة المئوية (من نفس جماعته) ممن يعتقد أنهم سيجيبون بنفس اجابته على العبارة ، وذلك بأن يختار نسبة من النسب الموضوعة تحت كل عبارة يعتقد أنها أقرب ما تكون تعبيرا عن هذا الاتفاق :

مثـال :

اذا كونت رأيا عن شىء من الأشياء ... فانه لا يزعجنى أن أجد أن الغالبية العظمى من الناس على رأى مختلف .

نعم   لا   لا أعرف

---

(1) Maderator analyses   (2) Risk behavior.

بعد الاجابة على العبارة يطلب من الشخص أن يقدر النسبة المئوية المتوقعة للأشخاص الذين سيجيبون نفس اجابته باختيار نسبة من النسب الآتية :

١ ـ من صفر : ٢٠٪

٢ ـ ٢٠ : ٤٠٪

٣ ـ ٤٠ : ٦٠٪

٤ ـ ٦٠ : ٨٠٪

٥ ـ ٨٠ : ١٠٠٪

وبالطبع لا يتجه اهتمامنا بالنسبة للجزء الأخير من التقدير الفعلى للنسبة المئوية لمن سيتفقون معه فى الاجابة ، بل يتجه الى أسلوب الشخص فى تصور هذا الاتفاق . اذ يبدو أن هناك ميلا متسقا لدى بعض الأشخاص للبحث عن تأييد الآخرين ، أو عن احتوائهم ، أو الرغبة فى الانتماء اليهم ، ويبدو أن هذا الميل ينعكس فى تصور أن نسبة كبيرة من الأشخاص يتفقون معنا فى أحكامنا .

ولتصحيح هذا الجزء تحول اجابة الشخص باختيار احدى فئات النسب السابقة الى درجة موزونة تتراوح من ١ : ٥ فيحصل الشخص على درجة واحدة اذا اختار الفئة الخامسة (٨٠ : ١٠٠٪) وعلى ٢ اذا اختار الفئة الثانية (٦٠: ٨٠٪) وعلى ٣ اذا اختار الفئة الثالثة (٤٠ : ٦٠٪) وعلى ٤ اذا اختار الفئة الثانية (٢٠ : ٤٠٪) وعلى ٥ اذا اختار الفئة الأولى (صفر : ٢٠٪) ومن الواضح أن زيادة الدرجة فى هذا الأسلوب تعبر عن تحمل اختلاف الآخرين ، أو تحمل عدم اتفاقهم معنا . وتوضح التشبعات العاملية لهذا الأسلوب أن شيوع الميل بتصور وجود نسب ضئيلة من الناس تتفق معنا يعتبر أكثر تعبيرا عن الاستعداد للأصالة فى اتجاه تحمل الاختلاف : استقلال الآخرين دون تضمينهم فى الذات .

نعود فنوجز القول بصدد اختيارنا لمقاييس أساليب الاستجابة . فلقد اخترنا تلك المقاييس بهدف تحديد أساليب التفاعل الشخصية الأساسية لدى التسلطيين كما تتكشف فى أساليب الاستجابة السابقة . وسنرى ما اذا كان شيوع هذه الأساليب له منطق عام ينتظمه . وللتحقق من ذلك اخضعت البطارية الكلية فى البحث للتحليل العاملى بهدف الوصول الى العوامل التى تنظم العلاقات المستقيمة

بين المقياس ومقاييس أساليب الاستجابة . وكذلك أجريت تحليلات أخرى بهدف تتبع العلاقة فيما بعد العلاقات المستقيمة . فهل تحتفظ التسلطية بعلاقاتها بأساليب محددة من الاستجابات مهما تغيرت الشروط ، أم أن أساليبها تختلف باختلاف تلك الشروط . لهذا قمنا بعدد من التحليــلات الصبغية Maderator analyses ويقصد بالتحليلات الصبغية فى هذا السياق دراسة العلاقات الارتباطية المستقيمة فى ضوء عدد من الشروط المختلفة لملاحظة جوانب التشابه أو الاختلاف التى تطرأ على تلك الارتباطات . وبالطبع فان التغيرات التى قد تطرأ ستكون وظيفة لتلك الشروط الجديدة التى تم فى ضوئها التحليل . وتسمى تلك الشروط الجــديدة شروطا صبغية للاشارة الى جوانب التــأثر التى تطرأ على العــلاقات المستقيمة نتيجة لاقامة تلك الشروط .

وقد أوضحت نتائج التحليل العاملى أن مقياس المحافظة التسلطية قد تشبع فى عينة الذكور (ن = ١٩٥) على عامل تشبعت عليه أيضا الأساليب الآتيــة فى نفس الاتجاه :

١ ــ أسلوب تطرف التأييد على مقياس المحافظة (+ ٣) .

٢ ــ التطرف الايجابى على مقياس الصداقة (+ ٢) .

٣ ــ التطرف السلبى على نفس مقياس الصداقة (ــ ٢) .

وتشبعت ــ فى اتجاه مختلف للمقياس ــ على هذا العامل ، الأساليب الآتية:

١ ــ الاعتدال السلبى على مقياس الصداقة (ــ ١) وشيوع هذه الاستجابة يعبر فيما يبدو عن تقبل صفات وخصائص موجودة لدى الأصــدقاء بالرغم من رفضنا لها) .

٢ ــ استجابات عدم الحسم (أى شيوع الاستجابة بلا أعرف على عدد من استخبارات الشخصية) .

٣ ــ أسلوب الاستجابة على مقياس الاصالة الظاهرة كمقياس لتحمــل اختلاف الآخرين .

ويشير المنطق العام لهذه التشبعات ــ فيما هو واضح ــ الى تأكيد شيوع عدد من أساليب الاستجابة بصورة متسقة لدى التسلطيين . واذا ما أعدنا النظر

الى نمط ــ تشبعات تلك الاستجابات لكى نحاول أن تتبين ما اذا كان هناك منطق خاص ينتظمها ، فاننا من اليسير أن نلاحظ أن الأســاليب التى تشبعت فى اتجاه مقياس المحافظة التسلطية تتضمن التعبير عن شدة مقاومه التغيــير ، والعجز عن ادراك التغير ، أو التعامل معه بينما تعبر الاساليب التى تشبعت فى اتجاه مختلف عن غياب نسبى لهذه الوظائف • وتتفق هذه التنمية مع ما تصورته «برونشفيك» من شيوع بعض الاساليب المحددة لدى التسلطين ، ومن أهمها النفور من الغموض الادراكى كتعبير عن العجز فى ادراك ــ التغير فى الأشكال الادراكية •

أما كيف تبدو استجابات الاعتدال ، وعدم الحسم ، وأسلوب الاستجابة على مقياس الاصالة الظاهرة معبرة عن عملية معارضة للاسلوب التسلطى القائم على مقاومة التغيير والعجز عن ادراكه أو التعامل معه فيحتاج لقدر من امعان النظر•

فارتفاع الدرجة فى الاعتدال السلبى على مقياس الصداقة يشير ظاهريا الى أن ــ الشخص لا يستحسن وجود بعض الصفات أو الخصائص فيمن يعاشر، ولكنه يستطيع فى نفس الوقت تحملهــا فيهم ؛ أى أنه شخص قادر على التعايش مــع الاختلاف ، واحتماله دون الانغلاق على مجموعة خبراته أو تصوراته •

ومن المرجح أن أساليب عدم الحسم تعبر فى جزء من أجزائها عن نفس التصور ولكن فى تصور الذات • أى قدرة الشخص على مواجهة بعض خصائصه الشخصية بموقف من الشك وعدم اليقين ، وتحمل أجزاء كبيرة من الذات بشكلها الغامض، دون غلق [1] قهرى • هذا الغلق الذى توضح بحوث «برونشفيك» أنه أساس فى وصف العملية التسلطية بما يتركه من آثار تحد من التعقد المطلوب للتكيف•

أما ارتفاع أسلوب الاستجابة على مقياس الأصالة الظاهرة فهو يعبر أيضا عن نفس الوظيفة المعارضة للتسلط • ذلك لأن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تعنى ــ بحسب التصور الذى وضعت له ــ ان الشخص يميــل الى تصور ان نسبة ضئيلة من الناس هى التى تتفق معه فى الرأى ، وأن النسبة الكبيرة لا تتفق • واذا صحت الوظيفة السيكلوجية التى نسبناها لهذا الاسلوب فان ارتفاع هذه الدرجة يعبر بالفعل عن تحمل الاختلاف فى الآخرين والتشجيع عليــه ••• وهى عملية

(1) Closure.

تتعارض مع التصور التسلطى للواقع • ولعل هذا ما يبرر التشبع المختلف لهذه الدرجة على هذا العامل •

أما بالنسبة للاناث (ن = ٢١٠) فقد بين التحليل العاملى أن مقياس المحافظة التسلطية يتشبع على عاملين :

العامل الأول : يتشبع فيه المقياس تشبعا ايجابيا فى اتجاه الأساليب الآتية :

١ ــ اعتدال التأييد التسلطى •

٢ ــ التطرف الايجابى على مقياس الصداقة •

٣ ــ تطرف التأييد على مقياس التسلطية •

٤ ــ استجابة المجاراة على مقياس المجاراة •

ويتشبع فى اتجاه معارض للاستجابات الآتية :

١ ــ اعتدال المعارضة على مقياس المحافظة •

٢ ــ استجابة عدم الاهتمام على مقياس المجاراة •

٣ ــ استجابة الاعتدال الايجابى على مقياس الصداقة •

٤ ــ استجابة عدم الاهتمام على مقياس الصداقة أيضا •

وقد أطلقنا على هذا العامل : عامل تأكيد الجمود الاجتماعى •

أما بالنسبة للعامل الثانى ، فان تشبع الدرجة على المقياس يسير فى نفس اتجاه تشبع الأساليب الآتية :

١ ــ تطرف التأييد •

٢ ــ تطرف الثقة فى الحكم (على مقياس الاحتمالات) • وفى اتجـاه معارض للاستجابات الآتية :

١ ــ الاعتدال السلبى على مقياس الصداقة •

٢ ــ بين بين (على مقياس الاحتمالات) •

٣ ــ استجابة المجاراة على مقياس المجاراة •

وعلى أية حال ، فمن الجلى أن نمط التشبعات على العاملين الأول والثانى يشير الى أن هناك أسلوبا من الشخصية تنتظم المحافظة التسلطية من خلاله لدى الاناث وهو يختلف جزئيا عن الذكور وهو تطرف المحافظـة • أى التطرف فى المواقف الخضوعية ، ومواقف الضغط الاجتماعى • أما نقيض هذا الأسلوب فهو الاتجاه للاعتدال • فأساليب اعتدال الشخصية لدى الاناث بهذا المعنى تشكل عملية معارضة للخلق التسلطى •

ثالثا : التفاعل الاجتماعى والشخصية

من أحد المنظورات التى يمكن بها النظر الى المحافظة التسلطية أنها تنظيم معقد من تنظيمات الشخصية ساعدت على تشكيله مواقف من التفاعل الاجتماعى ببيئة لها خصائصها المتميزة • وبالرغم من عدم وجود ما يشير الى تحديد تلك الخصائص أو أنماط التفاعل التى تساعد على تشكيل الخلق التسلطى ، فان الدراسات القليلة التى قام بها الباحث فى هذا المجال يميل الى تأكيد تلك الحقيقة بشكل عام •

وقد بدأ تنبهنا لتأثير التفاعل الاجتماعى فى بحث عام ١٩٦٨ (١) عندما لاحظنا وجود علاقة ايجابية بين المحافظة التسلطية ، وتضخيم الذات • وكان الغرض الذى قدم لتفسير ذلك أن المبالغة فى تقدير الذات تكون نتيجة لارتفاع المركز الاجتماعى الذى تقيمه الجماعة التسلطية لأفرادها خاصة عندما يزداد تمسكهم الايجابى بالقيم التسلطية للجماعة • وقد تأكد هذا الفرض بدراسة تجريبية [1] تمت من خلالها المقارنة بين الجماعة التسلطية (أى الجماعة التى يرتفع متوسط درجات أفرادها فى المقياس) والجماعة غير التسلطية من حيث تقبلهم أو رفضهم للأفراد التسلطيين فيهما • فقارنا بين مجموعة من طلاب احدى الفرق الدراسية فى جامعة الأزهر ممن يرتفع متوسط درجاتهم على مقياس المحافظة التسلطية ومجموعة مماثلة من طلاب كلية الآداب ، من حيث خضوعهم للاختبارات الايجابية كأصدقاء من بين زملائهم (باستخدام مقياس سوسيومترى) • فتبين أن ذوى الدرجات المرتفعة قد حصلوا على اختبارات ايجابية أكثر من أصحاب الدرجات المنخفضة فى العينة التسلطية • وبهذا أمكن تفسير ميل التسلطيين فى الجماعات التسلطية لتضخيم الذات بأنه وظيفة المركز الاجتماعى الذى تضفيه الجماعة التسلطية على أفرادها •

ويمكن ربط هذه النتيجة باطار عام آخر من النتائج التى ظهرت فى الولايات المتحدة عن العلاقة بين التسلطية والتوافق (٢٣) •

فقد تضاربت النتائج فى اتجــاه يكشف عن غموض العــلاقة بين التسلطية والتوافق • بصورة جعلت «ماكلاند» ينصح بأنه يحسن لعالم النفس الا يستخدم مفاهيم كعدم التوافق ، أو المرض فى وصف قيم الاشخاص من هذا النمط • أى أن الأشخاص فى جماعة دينية مثــلا عندما يتبنون اتجاها دينيــا محافظا فانهم متمركزين ـــ حول الواقع •

وفى هذا الاطار أجرى الباحث دراسة للتحقق من الفرض بأن الدرجة على مقياس المحافظة التسلطية تزداد فى الجماعات المتخصصة فى الدراسات الدينية ، وتقل أو تعتدل فى الجماعات الأخرى (١) ، وعلى هــذا فقد قمنا بالمقــارنة بين درجات خمسين طالبا من طلاب احدى الفرق الدراســية بجامعة الأزهر ، وعينه ضابطة مساوية من طلبة احدى الفرق الدراسية المشابهة فى كلية الأداب بجامعة القاهرة • وقد روعى التكافؤ بين الجماعتين من حيث الفرقة الدراسية والعمر ، والجنس •• فتأيد الفرض فى اتجاه يشير الى ارتفاع طلاب الأزهر بدرجــة دالة احصائيا عند مستوى ٠٠١ر٠ ولو أن ـــ الجماعتين كانتا ترتفعان معا عن المتوسط المطلق للاختيار • وقد لوحظ أيضا ان الانحراف المعيارى لعينة الاداب يرتفع عن عينة الازهر • وقد امكن تفسير هذا فى ضوء ديناميات الجماعة التسلطية • فالجماعة التسلطية لاتسمح فيما يبدو بتطرفات كثيرة فى الرأى • أى أنها تقوم بدور ضاغط فى تحديد اتجاهات افرادها لكى يتبنوا فيما تدور حول الاتجاة العام للجماعة فى وهو مالايمكن ملاحظته فى مجموعة منخفضة كمجموعة الاداب حيث لاتوجد اتجاهات شائعة لها تدفعها الى تأكيد التجانس : أو الضغط • وبهذا يرتفع التشتت الاحصائى فى جماعة من هذا النوع •

ويزداد ارتفاع طــلاب الازهر فى المضمون الايديولوجى ، ولا يرتفعون الا ارتفاعا ضئيلا فى البناء المعرفى ، ربما لأن المضمون الايديولوجى أقرب تعبيرا عن المعايير الدينية لطلبة الأزهر •

ويشكل العامل الجنسى عنصرا آخر يجب التنبه له فى بحــوث الاتجاهات

والشخصية لهذا احتلت الفروق الجنسية فى المحافظة التسلطية اهتمام الباحث بناءا على الفرض الآتي :

« ان الموقف الاجتماعى ، أو الظروف الاجتماعية لأي من الجنسين فى مجتمعنا تؤدى الى تشكيل نمط مختلف من أنماط التفاعل الاجتماعى » يؤدي بدوره الى فروق عامة فى السمات الشخصية واتجاهات كل من الجنسين . ومن أحد مظاهر هذا الاختلاف الفروق فى الشخصية التسلطية . ومن المرجح أن تكون عمليات التطبيع الاجتماعى هى المسئولة عن الفروق الأساسية بين الذكور والاناث فى مقاييس الشخصية أو الاتجاهات . أما الحديث عن أسباب بيولوجية فنعتقد أنه أمر سابق على أوانه ، طالما أنه لم يمكن بعد ضبط عامل التطبيع الاجتماعى . ولما كانت أساليب التطبيع الاجتماعى تشجع الذكور على الاختلاف والتميز ، ولا تشجعها لدى الاناث (٢٧) ، فاننا نتوقع ارتفاع الاناث عن الذكور فى المحافظة التسلطية . ومن احدى الدلائل على هذا ما تبينه بعض البحوث المحلية من أن الاناث فى مجتمعنا يرتفعن عن الذكور فى بعض المتغيرات المماثلة كالتوتر وتطرف الشخصية (٨ ، ٩) ويبدو لنا بالرغم من عدم وجود دلائل مباشرة سابقة لتفسير الفرق بين الذكور والاناث فى مجتمعاتنا فى المحافظة التسلطية يبدو لنا أن مجتمعاتنا الشرقية تقدم فرصا أكبر للذكور من الاناث لتنمية الاستقلال، وتأكيد الذات ، وتشجيع الاختلاف ويمكن أن ينعكس هذا فى الأداء على اختبارات المحافظة التسلطية .

وقد أجرينا بهذا الصدد بحثين ، بهدف المقارنة بين الذكور والاناث على مقياس المحافظة التسلطية ، من ناحية والفروق بينهما فى تنظيم الشخصية التسلطية .

وقد تبين بالفعل فى احدى هذه الدراسات أن متوسط الاناث أعلى دائما من الذكور على مقاييس المحافظة التسلطية ، والتصلب ، والنفور من الغموض . وقد بلغ الفرق بين الجنسين فى احدى الدراسات (٢٠) درجة الدلالة الاحصائية عند مستوى ٠٫٠٥ أو أقل على مقياس المحافظة التسلطية .

كما لوحظ بالنظر الى نتائج الدراستين أن المحافظة التسلطية تختلف دلالاتها الشخصية بين الذكور عن دلالاتها بين الاناث . ففى مجموعة الاناث وجدنا أن المقياس يرتبط ارتباطا ايجابيا دالا عند مستوى ٠٫٠١ مع مقاييس التصلب ،

والنفور من الغموض ، والتطرف التسلطى (تطرف التأييد باستخدام + ٣) ، وسلبيا بتطرف المعارضة (باستخدام ـ ٣) • أما فى عينة الذكور ، فان هذه الخصائص النموذجية للمحافظة التسلطية قد أخذت شكلا مختلفا فظهرت العلاقة بالتصلب عند درجة دلالة أقل (عند مستوى ٠٥ر٠ فقط) فى الدراسة الأولى (٤) واختفت العلاقة بالتصلب فى الدراسة الثانية (٢٠) ، وكذلك اختفت العلاقة الدالة بالنفور من الغموض •

وتكشف هذه الحقيقة عن أن الوظيفة السيكلوجية للمحافظة تختلف باختلاف الجنسين فهى عند الاناث تكون تأكيدا أكثر لعوامل التصلب ، والنفور من الغموض ، ولا تكون لها هذه الدلالة بنفس القوة فى عينة الذكور •

وقد تدعمت هذه الحقيقة فى دراسة ثالثة (٢٠) • ويبدو أن ارتباط المحافظة التسلطية بتصلب الشخصية لدى الاناث له ما يبرره فى ضوء التوقعات ، والتصورات الاجتماعية عن دور المرأة فى مجتمعنا • فالمحافظة والتصلب كليهما يتسق مع التصورات عن دور المرأة لهذا يكون ارتباطهما مرتفعا • أما بالنسبة للذكور فان تصلب الشخصية يتبلور كوظيفة مستقلة عن المحافظة •

وقد أدت هذه الحقيقة بنا الى استنتاج عدد من التصورات عن طبيعة الفروق بين الجنسين ومنشؤها • وقد خضعت هذه التصورات للبحث التجريبى • من هذه التصورات أن المحافظة التسلطية وتصلب الشخصية عند الاناث ما هما الا مسايرة للدور الاجتماعى ، والتوقعات التى يرسمها المجتمع لتصرفات المرأة ، لهذا فمن المتوقع أن تكون التسلطية لدى المرأة ذات منشأ اجتماعى • أما بين الذكور ، فان الدور الاجتماعى لا يكون ضاغطا فى اتجاه التسلطية والتصلب بل ان عمليات التطبيع الاجتماعى للذكور ـ كما أوضحنا ـ تشجع على الاستقلال النسبى ، وتشجعهم أيضا على الاختلاف والتميز ، لهذا فان من المتوقع أن تكون تسلطية الذكور أكثر تعبيرا عن دور العوامل السيكلوجية ، أى أنها تكون ذات منشأ نفسى •

ومن الدلائل التجريبية الاضافية على هذا أن بعض نتائج بحث لنا عن الفروق الجنسية فى علاقة المحافظة التسلطية بالشخصية والابداع (٥) قد بينت

أن المحافظة التسلطية ترتبط ارتباطا سلبيا بعدد من اختبارات الأصالة ، وتصل الارتباطات الى درجة الدلالة الاحصائية فى بعضها ، أما بين الاناث فان هذه العلاقة قد اختفت أى ان الابداع يمكن أن يظهر لدى الاناث مستقلا عن عوامل التصلب والمحافظة ، بينما تشكل المحافظة التسلطية لدى الذكور عملية معارضة للابداع . ومثل هذه النتيجة تعتبر برهانا غير مباشر على المنشأ الاجتماعى للتسلطية لدى الاناث . فاختفاء عامل الشخصية (كما يظهر فى غياب العلاقة الارتباطية بالابداع) يشير الى زيادة فى وزن العوامل الاجتماعية .

ومن جهة أخرى تبين فى جزء من نفس الدراسة ، أن المحافظة التسلطية لدى الاناث لا ترتبط بالتوتر « كما ينعكس فى مقدار الاستجابات المتطرفة » وذلك بعكس ما هو وارد بين الذكور أى أن ظهور المحافظة التسلطية لدى الاناث يستقل عن المتغيرات الشخصية الحاسمة فى تشكيل الخلق التسلطى لدى الذكور ، ولا تكون الا تعبيرا عن مسايرة الدور الاجتماعى الذى تحكمه التوقعات الاجتماعية الضاغطة .

وتساعد هذه النتيجة على تفسير بعض الظواهر المتناقضة التى لاحظناها عند تطبيق مقاييس الاصالة الابداعية والتصلب والمحافظة لدى الذكور ولدى الاناث . ولقد كان من المنطقى مع توقعاتنا النظرية ونتائج البحوث السابقة أن نجد تعارضا بين الأصالة الابداعية والمحافظة . فقد وجدنا أن هذا التعارض يظهر بين الذكور ولا يظهر بين الاناث . وقد بدا لنا عدم ظهور هذا بين الاناث فى البداية نوع من التناقض ، غير أن من المنطقى بناءا على التوسم السابق أن يستقل ظهور المحافظة التسلطية لدى الاناث عن العوامل الشخصية ، طالما أنها تعبر عن مسايرة الدور الاجتماعى .

خلاصة بالنتائج العامة

تم وضع مقياس المحافظة التسلطية لتقدير الفروق الفردية فى اتجاهات التعلق المتصلب بالمورث ، والفروق فى قوة هذه الاتجاهات • ويعبر شيوع هذا النوع من الاتجاهات عن ارتفاع المظاهر الايديولوجية والمعرفة والمعيارية المختلفة لبعض المعايير العامة المتصلبة للمجتمع أى السلطة الاجتماعية بشكل عام •

وقد بين التحليل العاملى ان هناك أربعة عوامل تنتظم الاتجاهات التسلطية هى : الميل العام للمحافظة ، والرفض التسلطى للواقع ، والخشونة ، والميل للادانة والعدوان •

أما دراسة المتعلقات الشخصية للاتجاهات التسلطية فقد كشفت عن وجود منطق من الشخصية ينتظم الاتجاهات • وقد أمكن تحديد ثلاثة جوانب من الشخصية تساعد على تحليل الفروق فى الاتجاهات التسلطية هى :

١ ـ جوانب مزاجية واقعية تشير الى الوظيفة الانفعالية للتسلطية •

٢ ـ جوانب معرفية تشير الى الأساليب الخاصة بنظم الادراك والمعرفة ، والحكم ، والتفكير المميزة للتسلطين •

٣ ـ جوانب أسلوبية تشير الى الطريقة التى يتم بها التعبير عن الجوانب المزاجية والمعرفية •

وقد بينت نتائج البحوث فى النقاط السابقة عن وجود مظاهر من السلوك تنظم الخلق التسلطى من أهمها :

١ ـ من الناحية المزاجية الدافعية ارتبطت التسلطية بالتصلب الوجدانى ، وتضخيم الذات ، والعجز عن التحكم فى التقلبات الوجدانية •

٢ ـ من الناحية المعرفية ارتبطت التسلطية بكثير من عناصر التصلب كتعبير عن عجز التسلطين عن التشكل ، والتكيف للمواقف العقلية الجديدة • كذلك

تشبعت التسلطية تشبعا سلبيا على عدد من العوامل الخاصة بالاصالة والتفتح الابداعى • وقد أضافت هذه النتيجة بعدا آخر من أبعاد تحليلنا للبناء المعرفى التسلطى فقد بينت لنا أن التسلطين يعجزون عن التعامل مع المواقف العقلية الجديدة كما أنهم يعجزون عن تنظيم عناصر المعرفة المتاحة، لمواجهة المواقف العقلية بشىء من الكفاءة والنجاح •

٣ — من ناحية الأسلوب ، تبين شيوع كثير من أساليب الاستجابة لدى التسلطين من أهمها التطرف ، وعدم تحمل الاختلاف فى الآخرين ، وقد كشف أسلوب التطرف بشكل خاص عن أهميته فى فهم أسلوب الشخصية لدى التسلطين فقد تبين أن هناك نوعا من التطرف هو الذى يسود لدى التسلطين دون غيره من أنواع التطرف الأخرى وهو تطرف التأييد كمقياس للتقبل الشديد للأشكال التسلطية من السلوك ، وكذلك استجابات التطرف على مقياس الصداقة كمقياس لتوتر الشخصية ولم تتبين أى نتائج دالة فيما يتعلق بأسلوب تطرف الرفض ، أو تطرف الحكم •

وقد عبر شيوع الاساليب السابقة لدى التسلطين ، عبر مرة أخرى عن عجزهم فى ادراك التغير ، أو تقبله •

ويهتم الجزء الأخير من التقرير ببعض النتائج الخاصة بتأثير التفاعل الاجتماعى على السلوك التسلطى ، وتبين بصدد هذه النقطة أن هناك بعض أنماط التفاعل تساعد على زيادة السلوك التسلطى • فالجماعات الدينية تزداد فيها الميول التسلطية عن الجماعات غير الدينية ، كما انها تضفى مركزا اجتماعيا على افرادها التسلطين أكثر من غير التسلطين ، مما يؤدى الى زيادة تضخم الذات لدى الأفراد التسلطين فى الجماعة التسلطية : كما تبين أن الجماعة التسلطية تقوم بدور ضاغط فى تحديد اتجاهات أفرادها ، أى أنها لا تسمح بتطرفات كبيرة فى الرأى •

ويؤثر التفاعل الاجتماعى على السلوك التسلطى بطريقة أخرى تتبدى فى الفروق الجنسية فى التسلطية • فقد تبين أن الاناث يرتفعن عن الذكور فى المحافظة التسلطية ، وقد اتخذنا هذه النتيجة كعلامة على أن التوقعات الاجتماعية عن الدور الانثوى ، والظروف الحضارية العامة تساعد على تشكيل نمط من التفاعل يؤدى

بدوره الى تلك الفروق العـامة فى الشخصية . وتبين كذلك أنّ التسلطية لدى الاناث يزداد ارتباطها بالتصلب والنفور من الغموض كتعبير أيضا عن دور العوامل الاجتماعية لا فى الارتفاع أو الانخفاض العام على مقياس المحافظة التسلطية بل وأيضا فى الوظيفة التى تقوم باشباعها .

ويوحى مستقبل البحث فى هذا المجال بامكانيات ثرية على المستويين النظرى والتطبيقى . ولاتزال بعض الجوانب تحتاج لمزيد من الدراسة قبل القيام بوضع نظرية متكاملة عن الشخصية المحافظة ، دينامياتها وتشكلها . ولعل أهم الجوانب التى تحتاج لمزيد من البحث : أساليب التنشئة ، والآثار العـامة التى يتركها شـيوع التسلطية على أنماط التفاعل الاجتماعى . ويبدو هذان الجانبان على أهمية خاصة بالرغم من أنه قد تتكشف جوانب أخرى كثيرة .

المراجع

أولا : المراجع العربية

١ ـ ابراهيم ، عبد الستار ، **ديناميات العلاقة بين التسلطية وقوة الأنا** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ١٩٦٨ (غير منشورة).

٢ ـ ــــــــ ، التسلطية وقوة الأنا . في **قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية** ، اشراف لويس كامل مليكة ، القاهرة : دار الكتاب العربي ، المجلد الثاني ١٩٦٨ .

٣ ـ ــــــــ ، البناء العرفي والمضمون الايدولوجي للتسلطية : نحو مقياس جديد للتسلطية ، **المجلة الاجتماعية القومية** ، ١٩٧٢ ، مجلد ٩ ، ص ٦٧ : ٩٤ .

٤ ـ ــــــــ ، بعض متعلقات الجمود العقائدى ، **مجلة الصحة النفسية** ، مجلد ١٣ ، عدد ٧ ، العدد السنوى ١٩٧٢ .

٥ ـ ــــــــ ، **الاصالة وعلاقتها بأسلوب الشخصية : كما يتكشف في عدد من أساليب الاستجابة** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .

٦ ـ ــــــــ ، الدوافع الشخصية للابداع ، في **السلوك الانساني : نظرة علمية** ، تأليف عبد الستار ابراهيم وآخرين ، القاهرة : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٤ .

٧ ـ ــــــــ ، البناء العاملي لمقياس التسلطية (غير منشور) .

٨ ـ سويف ، مصطفى ، اطار أساس للشخصية : دراسة حضارية مقارنة على نتائج التحليل العاملي ، **المجلة الجنائية القومية** ، مجلد ٥ عدد ١ ، ١٩٧٢ .

٩ ـ ــــــــ ، **التطرف كأسلوب للاستجابة** ، القاهرة : الانجلو ، ١٩٦٧ .

١٠ ـ فرغلي ، محمد ، **سمات الشخصية وعلاقتها بأساليب الاستجابة** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ .

١١ ـ ماكوبى ، اليانورا ، القدرة العقلية للمرأة ومتطلبات العلم ، ترجمة ملاك جرجس ، مجلة **العلم والمجتمع** ، الطبعة العربية اليونسكو ، العدد الخامس ١٩٧٢ .

(ب) المراجع الانجليزية

12. Adorno, T.W. et al., *The Authoritarian Personality*, New York : Harper, 1950.

13. Brunswik, E.F., Dynamic and Cognitive Personality organisation as seen through the interviews, In T.W. Andorno *et al The Authoritarian Personality*, New York : Harper, 1950.

14. ——— ———, Further Explorations by a contributor to the "authoritarian Personality", In R. Christie *et al.* (eds). *Studies in the scope and Method of the "Authoritarian Personality"*, Illinois : Free Press, 1954.

15. Cattll, R.B., *The Scientific Analysis of Personality*. London : Penguin, 1970.

16. Eysenck, H.J., *The Psychology of Politics*, London : Kegan Paul, 1968.

17. Festinger, L., The Motivating Effect of Gognitive dissonance, In R.J.C. Harper *et al.* (eds.) *The Cognitive Processes*, New Jersey : Prentice Hall, 1964.

18. Guilford, J.P., Traits of creativity, in H.H. Anderson (ed.) *creativity and its cultivation*, New York : Harper, 1959.

19. ———— ; Creative ability in the arts, in M.T. Mednick and S. Mednick (eds.), *Research in Personality*, New York : Holt, 1963.

20. Ibrahim A., Some Personality Correlates of Authoritarian Conservatism, *The National Jour. of Social Science*, 1973, 10, 489-498.

21. Kogan, N., and Wallach, M., *Risk Taking*, New York : Holt, 1964.

22. Levinson, M.H., Psychological Ill Health in Relation to Potential Fascism in T.W. Adorno *et al. The Authoritarian Personality*, New York : Harper, 1950.

23. McClelland, D.C., Personality, in P.R. Fransworth *et al.* (Eds.) *The Annual Review of Psychology*, Annual Review Inc. Vol. 7, 1956.

24. McKeachie, W.J., & Doyle, C.L., *Psychology*, Palo Alto : addison-Wesley, 1966.

25 Ro.gers C.R., Towards a theory of creativity in H.H. Anderson (Ed.) *Creativity and its cultivation*, New York : Harper, 1959.

26. Rakeach, M. *The open and closed mind.* New York : Basic Books, 1960.

27. Soliman, A.,

28. Sherif M. & Sherif, *An outline of social psychology*, New York : Harper, 1956.

29. Stagner, R., *Psychology of Personality*, New York ; McGraw Hill, 1961.

30. Torrance, E.P., The Minnesotta Studies of creative thinking, in C.W. Taylor (Ed.) *Widening Horizons in creativity* New York : Jhon Wiely, 1964

31. ——— ; *Torrance Tests of creative Thinking*, New Jersey : Personal Press, 1966..

32. Uhes, M.J. & Schafer, J.P., Dogmatism and Divergent *Convergent* Abilities, *The Journal of Psychology*, 1970, 75.

33. Vacchiano, R.B., Strauss, P.S., & Schiffman, D.C., Personality correlates of Dogmatism, *Journal of Consulting and clinical Psychology*, 1968, 32, 83-85.

34. ——— ; Factor Structure of the dogmatism scale, *Psychological Reports*, 1967, 20. 847-852.

35. Vacchiano, R.B.,Strauss, P.S., & Hochman L., The open and closed Mind : a review of dogmatism, *Psychological Bulletin*, 71 4, 1969.

36. Vernon P.E., *Prsonality Tests and Assessment*, *London* : Methuen, 1962.

....

مصر وبريطانيا قبل الحرب العالمية الثانية

للدكتور محمد جمال الدين على المسدى

اولا ـ الموقف الدولى حتى قيام الحرب :

حين أنطلقت شرارت الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كان ذلك بداية لفترة عاصفة فى تاريخ البشرية ، كما كان نهاية لفترة أخذت تتجمع فيها تيارات الرياح وتتدافع السحب السوداء المكونة للعاصفة .

بدأت تلك الفترة بعام ١٩٣٥ حين أخذت المانيا النازية تتحلل علنا من القيود التى كبلها بها المنتصرون فى معاهدة فرساى ، عقب هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى . ففى مارس ١٩٣٥ اعلنت عن أنشاء سلاح الجـو الألمانى ، كما أخذت تستعد لزيادة عدد جيشها بفرض التجنيد الأجبارى فى نفس الشهر ، وشرعت فى نفس الوقت فى بناء قوتها البحرية بتعدى الحد المسرح لها به فى المعاهدة لبناء المدمرات والبـوارج الحـربية ، ولم تلبث بريطـانيا أن أضطرت فى نفس العام الى أن تعقد معها معاهدة تعطيها الحق فى بناء الغوصات ، وفى زيادة قوة الأسطول الألمانى ليصل الى ثلث قوة الأسطول البريطانى .

وفى أواخر عام ١٩٣٥ افتتحت كلية أركان الحرب الألمانية من جديد ، فاكتمل بعث العسكرية الالمانية . وفى أغسطس ١٩٣٦ رفعت مدة الخـدمة العسكرية فى المانيا الى سنتين حتى يتمكن هتلر ، الذى أصبح القائد الاعلى للجيش ، من زيادة عدده .(١)

فى فترة السنتين التاليتين،حتى استولت المانيا على النمسا فى أغسطس ١٩٣٨، استولى هتلر على منطقة الراين المنزوعة السلاح بمقضى المعاهدة وحصنها ، وبذلك أقام على حدوده الغربية ما عرف بالجدار الغربى (خط سيجفريد) وعمل

---

(١) ونستون تشرشل ، مذكرات تشرشل ، تعريب خيرى حماد ، القسم الاول ١٩٦١ ، ص ١٢٠ ـ ١٣٤ .

على زيادة قوة ألمانيا الحربية ، وبدأ مشروعا للسنوات الخمس لتقوية الاقتصاد الألماني وتنظيمه واعدادة لمرحلة الاكتفاء الذاتي فى حالة قيام الحرب (١) • يضاف الى ذلك أن ايطاليا قامت بغزو الحبشة فى أكتوبر ١٩٣٥وتصدت بريطانيا لقيادة عصبة الامم ضد العدوان الايطالى بما ادى فى النهاية الىفرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، ولم تحل تلك العقوبات المتراخية دون نجاح ايطاليا فى القضاء على مقاومة الاحباش وضم الحبشة فى أبريل ١٩٣٦ الى الامبراطورية الايطالية لكن تلك العقوبات ، والدور الذى قامت به بريطانيا ، نجحا على أية حال فى دفع ايطاليا الى انتهاج سياسة جديدة قامت على مقاطعة العصبة والانسحاب منها نهائيا عام ١٩٣٧ ، واتسمت بالجفاء تجاه بريطانيا والانحياز الى جانب ألمانيا وتكوين المحور ١٩٣٦ (٢) •

وهكذا شهدت فترة ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦ صحوة العسكرية الألمانية وعملها على التحلل من قيود معاهدة فرساى وبداية بناء قوة ألمانيا العسكرية والاقتصادية فى اتجاه الحرب ، واقامة الجدار الغربى بينها وبين أعداء الأمس ، وقيام المحور ليضم ألمانيا وايطاليا فى مواجهة كل من بريطانيا وفرنسا ، أو جبهة الدكتاتوريات فى مواجهة جبهة الديمقراطيات • لذلك فان تلك الفترة تعتبر بداية لمرحلة جديدة تنطوى على مقدمات الحرب العالمية الثانية •

وفى الفترة بين سنتى ١٩٣٦ و ١٩٣٨ عملت كل من ألمانيا وايطاليا على زيادة قواتهما العسكرية والاستعداد للحرب رغبة فى تحقيق سياسة المجال الحيوى لكل منهما • وكان ذلك واضحا للديمقراطيتين الغربيتين ، فكانت بريطانيا على سبيل المثال تدرك فى عام ١٩٣٦ أن ألمانيا تنفق ألف مليون جنيه استرلينى على أمور الحرب سنويا ، وكانت تدرك فى العام التالى أطماع ألمانيا فى جعل شرق أوروبا مجالا حيويا لها (٣) • ومع ذلك تراخت الدولتان ولم تتبعا فى التسلح سياسة تكفل لهما تفوقا يحول دون قيام الدولتين الدكتاتوريتين

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٥ ، ١٤٩ . دكتور صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٧٦ ــ ٨١ .

(٣) مذكرات تشرشل ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ . صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ٩٠ .

بمغامرات عسكرية اتضح منذ ١٩٣٦ استعدادهما للقيام بها . ويرجع هذا التراخى الى أسباب داخلية ، كما يرجع الى سيطرة فكرة نزع السلاح فى أوائل الثلاثينات (١) ، لذلك فحين بدأ هتلر يتحرك فى عام ١٩٣٨ كان عدوانه مدعما بالقوة ، وحين بدأت الدولتان تدركان التحول الذى تم فى ميزان القوة كان عليهما أن تتبعا سياسة التهدئة والتنازلات بهدف كسب فسحة من الوقت للاستعداد للصراع المحتوم .

ذلك أن تحلل هتلر من أحكام معاهدة فرساى الخاصة بتسليح ألمانيا وبمنطقة الراين لم يكن منطقيا ليكون هدفا فى حد ذاته ، بل كان وسيلة لتحدى الدول المنتصرة التى فرضت تلك المعاهدة بنقض أحكامها واعادة رسم خريطة أوروبا من جديد بما يحقق مصالح ألمانيا وأطماعها .

كان استيلاء ألمانيا على النمسا فى ١٢مارس١٩٣٨ وضعها نقضا لمعاهدةفرساى لكن سياسة التهدئة جعلت بريطانيا وفرنسا تغضا الطرف عن ذلك حين أجرى هتلر — بعد الاحتلال — استفتاء وافق فيه النمساويون على الانضمام الى ألمانيا (٢) .

وتشيكوسلوفاكيا دولة جديدة أقامتها معاهدة فرساى ، وارتبطت مع كل من فرنسا والاتحاد السوفيتى بمعاهدة تحالف ، ومع ذلك فحين قامت فى سبتمبر سنة ١٩٣٨ أزمة الألمان الذين يكونون أغلبية فى أراضى السوديت فى تشكوسلوفاكيا ، وانعقد فى ٢٩ سبتمبر مؤتمر ميونيخ لايجاد حل سلمى لهذه الأزمة تحت التهديد الألمانى ، سادت سياسة التهدئة وتقرر أن تضم ألمانيا منطقة السوديت بأغلبيتها الألمانية ، وان يجرى استفتاء على الانضمام الى ألمانيا فى مناطق أخرى . وهكذا بدأ تقطيع أوصال تشيكوسلوفاكيا (٣) .

لكن عندما انتهز هتلر فرصة مشاكل تعدد الجنسيات التى ثارت فيما بقى من تشيكوسلوفاكيا وأجهزة عليها ، بوضعها تحت حماية الرايخ الألمانى فى ١٥

---

(١) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ٨٤ — ٨٨ . مذكرات تشرشل ص ٧٤ ، ٧٧ ، ٩١ .
(٢) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ٩٨ — ١٠٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ — ١١٧ .

مارس ١٩٣٩ كان الأمر يختلف • لقد كان يمكن تبرير التساهل مع الألمان فيما يختص بالنمسا واقليم السوديت بحجة احترام رغبات القوميات وحق تقرير المصير • لكن ضم بوهيميا ومورافيا كان عدوانا وتطبيقا لسياسة المجال الحيوى لا يخفف منه عذر أو شبهه عذر (١) •

لذلك فان بريطانيا ، وهى التى قادت سياسة التساهل تجاه ألمانيا ، بدأت سياسة التشدد أزاءها بعد ضم بوهيميا ومورافيا • وقد يكون من العوامل الأخرى التى ساعدت على ذلك أن سياسة التسلح التى بدأتها بريطانيا عام ١٩٣٦ أيام وزارة بولدوين قد أوصلتها فى مارس ١٩٣٩ الى قدر من القوة تطمئن اليه ، خاصة فى سلاح الطيران الذى كانت قد أخذت تتضح أهميته الكبرى فى الحروب ، اذ كانت بريطانيا قد بدأت عملية استبدال طائراتها القديمة بطائرات أخرى أحدث منذ عام ١٩٣٨ فتحسن الوضع فى هذا السلاح عام ١٩٣٩ (٢) •

يضاف الى ذلك أنه فى مارس وابريل ١٩٣٩ تأكد بما لا يدع مجالا للشك تصميم دولتى المحور على العدوان والتوسع • تأكد ذلك بالنسبة لألمانيا بضم بوهيميا ومورافيا ، وتأكد بالنسبة لايطاليا فى فشل سياسة نيفل تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا فى العمل على استرضاء ايطاليا والتفريق بينها وبين ألمانيا • تمثلت تلك السياسة فى اتفاقية روما بين ايطاليا وبريطانيا التى عقدت فى ١٦ أبريل ١٩٣٨ ، تلك الاتفاقية التى سوت الخلافات بين البلدين فى الشرق الأوسط على أساس اعتراف بريطانيا بضم ايطاليا للحبشة فى مقابل تعهد ايطاليا بعدم انشاء تحصينات جديدة فى ليبيا ، وسحب قواتها على مراحل من أسبانيا • ثم قام تشمبرلين بزيارة لروما فى أوائل ١٩٣٩ • ومع ذلك ففى آخر ١٩٣٨ جدد موسولينى حملاته على فرنسا واثار خلافات ايطاليا القديمة معها بشأن تونس وكوزسيكا وجيبوتى ، وقامت المظاهرات فى ايطاليا تطالب بالاستيلاء عليها ، ثم ألغى الاتفاقية المعقودة مع فرنسا عام ١٩٣٥ والتى تناولت موضوعات وسط أوروبا والمستعمرات الافريقية • ثم لم يلبث موسولينى أن قام بعدوانه

---

(١) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ . مذكرات تشرشل ، ص ٢٤٤ .

على ألبانيا فى ٧ أبريل ١٩٣٩ ٠ وقد أخل ذلك بالتوازن فى البحر المتوسط ، ذلك التوازن الذى حاولت بريطانيا أن توفره باتفاقية روما ١٩٣٨ ٠

لذلك ، فبعد أن كانت سياسة بريطانيا اجتذاب ايطاليا الى نطاق الصداقة معها ومع فرنسا ، أصبح هدفها مجرد ابقاء ايطاليا على الحياد فى حالة قيام الصراع مع ألمانيا ، وذلك بالابقاء على اتفاقية روما [1] ٠

تشجع هتلر بنجاحه فى ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا فتتابعت مطالبة ، من لتوانيا طلب ميناء ممل وحصل عليه ، ثم تقدم فى ٢٦ مارس ١٩٣٩ الى بولندا بطلباته فيما يختص بميناء دانزج والممر البولندى ، وحين رفضتها ألغى فى ٢٨ أبريل ميثاق عدم الاعتداء الذى عقد معها عام ١٩٣٤ ، كما ألغى الاتفاقية البحرية التى عقدت مع بريطانيا عام ١٩٣٥ وبذلك أصبح فى حل من زيادة أسطوله كما يشاء ٠ وفى ٢٢ مايو عقد حلفا عسكريا مع ايطاليا عرف بميثاق الفولاذ [2] ، ثم عقد فى ٢٣ أغسطس ميثاق عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفيتى ٠ وقد قصد بذلك الميثاق من جهة تحقيق أطماعه فى بولندا ودويلات البلطيق دون معارضة من الاتحاد السوفيتى ٠ ومن جهة أخرى تأمين حدوده الشرقية حتى يتفرغ لجبهته الغربيـة [3] ٠

وتبعا لسياسة التشدد الجديدة مع ألمانيا لم تتوان بريطانيـا عن الرد على السياسة الألمانية ، ففى آخر مارس ١٩٣٩ أعطت بولندا ضمانا بتقديم المساعدة لها ضد أى عدوان خارجى دون تحفظ ، وشاركتها فرنسا فى هذا الضمان ، ثم أعلنت التجنيد الاجبارى فى ٢٦ أبريل ٠ وحين علمت بالميثاق الألمانى السوفيتى قررت تعبئة الأسطول وعقدت مع بولندا حلفا يؤكد تعهداتها السابق لها على أن تشمل ضاناتها دانزج والممر البولندى [4] ٠

---

(١) وقد اعتذر موسولينى فى ٢٥ اغسطس عن تنفيذ تعهداته فى هذا الميثاق بحجة عدم استكمال استعداداته العسكرية ، وقد احله هتلر من التزامه على الا يعلن حياده الا حين تقع الحرب فعلا . صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ٠

(٢) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٣٢ ، ١٤٥ — ١٤٧ . مذكرات تشرشل ، ص ٢٧٦ — ٢٧٨ ٠

(٣) صلاح العقاد المرجع المذكور، ص ١٢٥ و ١٢٦ و ١٤٩ . مذكرات تشرشل ص ٢٥٣ ، ٢٧٩ ٠

(٤) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ٠

كان طبيعيا أيضا ، وقد أخذت حدة الصراع تتصاعد بتشـدد بريطانيا أن يصبح البلقان ميدانا للتسابق بين المعسكرين ، فانحازت بلغـاريا والمجر الى جانب المحور ، بينما دخلت تركيا فى تحالف مع كل من بريطانيا وفرنسا ، وقد مالت يوغوسلافيا الى صداقة ايطاليا ، أما رومانيا فمع ميلهـا الى استرضـاء المحور كانت تحاول أيضا ارضاء بريطانيا (١) .

تلك كانت الأوضاع حين أشعلت ألمانيا النازية نيران الحرب العالمية الثانية بهجومها على بولندا فى أول سبتمبر عام ١٩٣٩ ، وردت كل من بريطانيا وفرنسا على ذلك باعلان الحرب على ألمانيا فى الثالث من سبتمبر .

ثانيا ــ الموقف الدولى وتسوية العلاقات المصرية البريطانية :

كان لابد من هذا الاستعراض السريع للتطورات التى سبقت قيام الحرب وأدت اليها ، فالموقف الدولى ــ وبخاصة فى ظروف الحرب ــ له أثره البالغ فى العلاقات المصرية البريطانية ، وبالتالى فى تطور الأحوال فى مصر .

لم يكن البريطانيون وحدهم هم الذين أصابهم القلق لما استجد على الموقف الدولى عامى ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ نتيجة سياسة هتلر الجديدة والغزو الايطـالى للحبشة ، فقد شعر المصريون بالقلق أيضـا . كانوا يدركون أن مصر ، بحكم مركزها الجغرافى ، معرضة الى أن تساق أو تنساق الى الاشـتراك من قريب أو من بعيد فى كل نزاع مسلح بين دول أوروبا (٢) وهذا هو ما حدث فعلا فى الحرب العالمية الأولى . يزيد من خطورة الوضع الأزمة الايطالية الحبشيـة ، وأطماع ايطاليا المعروفة فى المناطق المجاورة لمستعمـراتها القائمـة فى ليبيـا والصومال وأرتريا .

وكان المصريون لا يريدون أن يعانوا فى حرب قادمة ما عانوه فى الحـرب العالمية الأولى نتيجة عدم حسم موضوع العلاقات المصرية البريطانية ، وزاد من

---

(٢) محمـد حسين هيكل مذكرات فى السياسـة المصرية ، الجـزء الأول ص ٤١٤ .
(٣) المرجع السابق ، الجزء الأول ص ٤١٤ .

تعقيد الوضع أن مصر كانت تحكم ، بعد انهيار نظام اسماعيل صدقي ، دون دستور من أواخر ١٩٣٤ وطوال عام ١٩٣٥ .

وكان علاج هذا الوضع فى رأى زعماء مصر العودة الي طريق المفاوضات الذى أوصلهم مع بريطانيا الى مشروع ١٩٣٠ فى مفاوضات النحاس ــ هندرسن وذلك بالاتفاق على نقاط الخلاف التى عاقت توقيع ذلك المشروع . وكان هدفهم من ذلك ، كما قالوا كجبهة وطنية فى المذكرة التي تقدموا بها الى السفير البريطانى فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ لاستئناف المفاوضات ، تسوية العلاقات المصرية البريطانية باجابة أمانى مصر الوطنية ، واستقرار الأوضاع فى مصر لتزول العقبات من طريق تقدمها ورقيها . وتنسيق التعاون بين مصر وبريطانيا على أساس من التحالف فى الأزمات الدولية ، وبخاصة فى ظروف الأزمة الايطالية الحبشية القائمة (١) . وكذلك فى ظروف ضعف مصر العسكرى الواضح حينئذ من جهة أخرى (٢) .

أما على الجانب البريطانى فمع أهمية مصر وقناة السويس للامبراطورية البريطانية ومع تطور الوضع الأوربى نحو الأزمة فى عامي ١٩٣٤ ــ ١٩٣٥ ، والأزمة الايطالية الحبشية وما صحبها من استعدادات ايطالية عسكرية فى ليبيا وشرق افريقية مما هدد مصر والملاحة فى قناة السويس ، أصبح من اللازم الاعداد لما قد تحمله السنوات القادمة من مخاطر وذلك بالعمل على أن يسود الهدوء والاستقرار فى مصر وكسب صداقة المصريين وتعاونهم ، فصداقة مصر ــ كما كتب محرر الشئون الخارجية لجريدة التايمس حينئذ « أعظم نفعا للقيادة البريطانية من أورط عديدة فى حالة حدوث حرب فى البحر المتوسط » (٣) .

كان ذلك يعنى وضع حد للتأثر المتبادل بين الأوضاع الداخلية فى مصر والعلاقات المصرية البريطانية،ذلك التأثير الذى تحدث عنه المندوب السامي البريطاني فى مصر سير برسى لورين فى خطابه السرى رقم ١١٢٨ بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٣٢

(١) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، الجزء الأول ، ص ٢٦٩ ــ ٢٧١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ . هيكل ، المرجع المذكور ، ص ٣٦٨ ، ٤١٠ ، ٤١٣ .

الى وزير الخارجية البريطانية سير جون سيمون واصفا اياه بأنه حلقة مفرغة « لا معاهدة اذن لا استقرار داخلى ، ولا استقرار داخلى اذن لا معاهدة » (١) ويكون كسر هذه الحلقة المفرغة بالعمل على اقامة حكم مستقر فى مصر وتوقيع معاهدة توافق عليها مختلف القوى السياسة القائمة فيها ، معاهدة تحقق للمصريين ما يمكن أن تقبله بريطانيا من أمانيهم ، وتحتفظ فيها بريطانيا بكل ما يمكنها أن تستبقية من مزايا وسيطرة . وهكذا تم التخلص من نظام اسماعيل صدقى وجاءت وزارة محمد توفيق نسيم كوزارة انتقال محايدة ، وتكونت الجبهة الوطنية من زعماء الأحزاب ، وأعيد دستور ١٩٢٣ الذى جاء كما كان متوقعا بوزارة وفدية يقبلها الشعب ، ثم دارت المفاوضات ووقعت معاهدة ١٩٣٦ مع تلك الجبهة الوطنية .

ثالثا — علاقات الحليفين وأهدافها من التحالف :

هكذا كانت الأخطار الكامنة فى الموقف الدولى هى العامل الأساسى فى دفع الطرفين الى الاتفاق ، ولهذا كانت للبنود العسكرية أهميتها فى المعاهدة . وقد رفض الجانب البريطانى التقيد بالبنود العسكرية فى مشروع ١٩٣٠ محتجا بالتطورات الدولية التى حدثت بعد ذلك التاريخ ، فطلب فى بداية المفاوضات أن تبقى القوات البريطانية فى القطر المصرى كما هى دون تحديد لمكان أو لوقت باعتبارها قوات حليفة،واحتج بحالة الطرق فى مصر ممايعوق تنقلاتها لو حدد مكانها ، بل أنه طالب أيضا بوجود تلك القوات فى منطقة القناة بصفة دائمة حتى بعد اكتمال استعداد الجيش المصرى ، على أن يحدد عددها حينئذ ، وذلك لمساعدة الجيش فى الدفاع عن القناة ، أى أن يكون لبريطانيا حق دائم فى مشاركة الجيش المصرى فى الدفاع عن القناة . لكن الجانب البريطانى وافق فى النهاية على تحديد عدد القوات البريطانية بعشرة آلاف جندى فى وقت السلم ، وهو عدد يزيد عن العدد الذى تم الاتفاق عليه فى مشروع ١٩٣٠ (٨ آلاف) ، وأن تنتقل تلك القوات الى منطقة تقع غربى قناة السويس أكبر مساحة من تلك التى تم تحديدها فى ذلك المشروع . وفى مقابل هذا تعهدت

(١) Sir P. Loraine to Sir J. Simons, No. 1128 confidential, 29 December 1933, F.O. 401/217.

الحكومة المصرية بأن تبنى على نفقتها ، مع مساهمة مالية بسيطة من الحكومة البريطانية ، ثكنات للقوات البريطانية فى منطقة القناة ؛ وأن تمد طرقا تصلح للأغراض العسكرية معظمها بين تلك المنطقة وبين كل من الدلتا والاسكندرية والحدود الغربية ، وأن تقوم بتحسين وسائل المواصلات بالسكة الحديدية مع تلك الجهات • وعلى الجانب البريطانى نقل قواته الى منطقة القناة باكمال تلك المشروعات ، على أن تسحب تلك القوات من مصر حين يصبح الجيش المصرى قادرا وحده على الدفاع عن القناة •

وقد نصت المعاهدة أيضا على قيام تحالف بين الطرفين،فيسرع أى من الطرفين الى نجدة حليفه فى حالة اشتباكه فى حرب مع طرف ثالث ، على أن تنحصر مساعدة مصر لبريطانيا فى حالة الحرب ، أو خطر الحرب ؛ أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها ، فى أن تقدم الى حليفتها داخل الأراضى المصرية ؛ ومع مراعاة النظام المصرى للادارة والتشريع ، جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعها ؛ بما فى ذلك استخدام موانيها ومطاراتها وطرق مواصلاتها (١) •

بهذا النص الأخير تحددت التزامات الطرفين المتحالفين ؛ ففى حالة اشتباك بريطانيا فى حرب تقدم لها مصر كل ما يمكنها من مساعدات وتسهيلات داخل أراضيها فقط • أما فى حالة اشتباك مصر فى حرب مع طرف ثالث — وهذا فى حالتها لن يكون الا اذا هوجمت — فتنجدها بريطانيا بقواتها ، وتقوم مصر بواجب الدفاع عن نفسها (٢) وكذلك فقد نصت المعاهدة أيضا على أن تساعدها بريطانيا على بناء قواتها العسكرية عن طريق بعثة عسكرية بريطانية لتدريب الجيش المصرى ، وأن تساعد فى امداد مصر بالأسلحة والمهمات اللازمة التى يشترط ألا تختلف عن تلك التى تستعملها القوات البريطانية ، كما تقبل للتدريب فى بريطانيا من ترسلهم مصر لهذا الغرض من أفراد قواتها المسلحة ، وألا يرسل هؤلاء الأفراد الى بلاد أخرى لأغراض التدريب • وتلك

---

(١) شفيق غربال ، المرجع المذكور ، ص ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، للنص الكامل للمعاهدة وملحقاتها . انظر
Mahmoud Y. Zayid, Egypt's struggle for indepenedance, pp. 189-228.,

(٢) هذا هو تفسير مصطفى النحاس رئيس وفد المفاوضات لنصوص المعاهدة . انظر شفيق غبريال ، المرجع المذكور ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ •

نقاط ، بطبيعة الحال ، لها أهميتها نظرا لاحتمال قيام تعاون بين قوات البلدين في عمل مشترك نتيجة التحالف (١) لكنها يمكن أيضـا أن تكون ضوابط في يد بريطانيا تسيطر بها على نمو وكفاءة الجيش المصرى •

هذا يسوقنا الى أن نتساءل عن الأهداف الحقيقة التى كان يبتغيها كل من الطرفين من التحالف والتزاماته فى المعاهدة ، ومن النصوص العسكرية حينئذ •

لا شك أن الأخطار الكامنة فى الموقف الدولى ، والتهديد الايطالى فى شرق البحر المتوسط والبحر الأحمر ، الذى بدا محيطا بمصر والسودان من كل جانب، قد جعل بريطانيا تتجه الى اتخاذ مصر قاعدة عسـكرية لها فى الشرق الأدنى • هذا واضح من اصرار الجانب البريطانى فى بداية المفاوضات على عدم تحـديد مكان أو عدد للقوات البريطانية فى مصر ، وعدم تحديد مدة زمنية لوجودها ، وأن يكون لتلك القوات حق أبدى فى الدفاع عن مصر والقناة بمعاونة بمصر • وحين تزحزحوا عن تلك المطالب أصروا على البقاء فى منطقة القناة والاسكندرية والصحراء الغربية وذأ تكون لهم قاعدة بحرية فى مصر • ولم يتزحزحوا عن تلك المطالب الا بعد أن سافر السفير البريطانى (رئيس وفد المفاوضات) الى لندن لاقناع الحكومة البريطانية وللحصول على تعليمات جديدة •

وكان البديل فى النهاية هو زيادة عدد القوات البريطانية فى وقت السلم وزيادة مساحة القاعدة البريطانية فى منطقة القناة عما كان محددا فى مشروع ١٩٣٠ ، وانشاء طرق المعاهدة التى تربط تلك القاعـدة بنقط الارتكاز التى طلبوها فى الاسكندرية والقاهرة والحدود الغربية والوجه القبلى فى اتجـاه سفاجة والقصير (٢) • بل أن مركز قيادة الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط تحول خلال الأزمة الايطالية الحبشية ــ قبل المعاهدة ــ من مالطة الى الاسكندرية التى أصبحت بذلك قاعدة ذلك الأسطول حينئذ وطوال سنين الحرب (٣) •

---

(١) Zayid, op. cit., pp. 223, 224.

(٢) شفيق غربال ، المرجع المذكور ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٧ ، ٢٩٥ •

(٣) R.I.I.A., Great Britain and Egypt 1914- 1951, p. 34; Wilson, H. M. Eight years overseas, p. 17.

ويغلب أن بريطانيا لم تكن تعتزم سرعة سحب قواتها الى منطقة القناة كما تنص المعاهدة ، وهذا هو اتجاهها الأصيل . ذلك أنه كان واضحا أن اطلاق يد مصر فى شئونها بعد المعاهدة سيضع على كاهلها أعباء يستدعيها اعادة تنظيم شئونها الداخلية ، ومن أهم هذه الأعباء اعادة بناء القوات المسلحة المصرية . وقد أضافت المعاهدة الى ذلك بناء ثكنات ومنشئات للقوات البريطانية فى منطقة القناة ، وتنفيذ طرق المواصلات التى نصت عليها ، سواء أكانت طرقا أو خطوطا للسكك الحديدية . وأثناء المفاوضات قدرت تكاليف تلك الثكنات بخمسة ملايين من الجنيهات تدفع مصر ثلاثة أرباعها . تلك كلها أعباء تبهظ ميزانية كانت حينئذ حوالى ٣٥ مليون جنيه . لذلك ثار فى مصر كثير من النقاش حول ضخامة تكاليف بناء الثكنات . وبخاصة بعد أن اتضح أن التكاليف الفعلية ستصل الى حوالى ١٢ مليون جنيه ، وبعد أن عقد محمد محمود باشا رئيس الوزراء اتفاقا مع بريطانيا فى صيف ١٩٣٨ بتقسيم تلك التكاليف مناصفة بين مصر وبريطانيا . كان طبيعيا ، ومنتظرا ، لذلك أن يتأجل انشاء الثكنات ويتأخر تنفيذ برنامج الطرق . وأخيرا عندما اقترب خطر الحرب بعد ضم ألمانيا ما تبقى من تشيكوسلوفاكيا فى مارس ١٩٣٩ طلبت الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية العدول مؤقتا عن انشاء ثكنات قرب السويس ، لأن تجمع القوات فيها يجعلها هدفا للغارات الجوية . وهكذا احتفظت بريطانيا لقواتها بحرية الحركة فى مصر ، وهذا ما يحتاجه أى جيش فى قاعدته العسكرية .

أما الجيش المصرى فحقيقة الدور الذى قدرته بريطانيا له حينئذ داخل نطاق التحالف المصرى البريطانى غير واضحة تماما . لقد ضمنت بعض السيطرة على الجيش المصرى عن طريق البعثة العسكرية واحتكار تسليحه وتدريبه . كما أنها ضنت عليه بالطائرات والسلاح المناسب حين طلب منها ، فسوفت وأرسلت أنواعا قديمة بطل استعمالها ويريد الجيش البريطانى التخلص منها لظهور ما هو أحدث وأفضل (١) . يضاف الى ذلك أن معاهدة ١٩٣٦ اشترطت لجلاء القوات البريطانية عن مصر مقدرة الجيش المصرى على الدفاع بمفرده

---

(١) البلاغ ١٩٣٨/٩/٢٦ مقال بعنوان « درس لبريطانيا فى مصر » انظر أيضا : عبد العظيم رمضان ، الحركة الوطنية فى مصر بين ١٩٣٦ — ١٩٤٥ رسالته للدكتوراه غير منشورة ص ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣٠٢ .

عن القناة . تلك كلها عوامل تجعل الرأى يميل الى اتهام بريطانيا بعرقلة نمو قدرة مصر العسكرية كمبرر لتأجيل الجلاء . لكن ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار أيضا أن فترة ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ هى الفترة التى كانت بريطانيا فيها مشغولة بتجديد تسليح قواتها وبخاصة سلاح الطيران حتى تتمكن من مواجهة تهديد ألمانيا بقواتها ذات التسليح المتفوق (١) ومن الطبيعى أن تلقى مصر تسويفا ولا تحصل فى تلك الظروف الا على القديم المستغنى عنه من السلاح والطائرات . وقد اعتذرت بريطانيا بذلك فعلا عن عدم استجابتها لمطالب الجيش المصرى . كما كانت الحكومة المصرية تنبغى (٢) ومع ذلك فيغلب أن الدور الذى قدرته بريطانيا للجيش المصرى حينئذ لا يعدو المحافظة على الجبهة الداخلية وهو من وجهة النظر البريطانية الدور الأنسب له على ضوء عدم وجود خطر دولى داهم قبل سبتمبر ١٩٣٨ ووجود حركة وطنية قوية فى مصر . واتخاذ مصر قاعدة عسكرية بريطانية .

وقد كان وضع الجبهة الداخلية مبعث قلق دائم للسلطات البريطانية (٣) ، يقابل هذا على الجانب المصرى أن حكومة الوفد حينئذ كانت جادة فى تنفيذ بنود المعاهدة وفى بناء الجيش المصرى . ففى برقية مايلز لامبسون الى مستر ايدن رقم ١٥٨ بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ عن مقابلته للنحاس باشا بعد استقالته يقول أن دولته قد اتهم الوزارة الجديدة بأنها مصطبغة بصبغة ايطالية شديدة وأن دولته قال أنها خيانة للبلاد أن تصبح الآن كل تنظيمات دفاع البريطانيين السرية المعقودة معه والتى تمت بناء على الحاحه الشديد مكشوفة لأمثال وزير الحربية الجديدة الذى كان أداة فى يد القصر ويصبح كل شيء معروفا لايطاليا، وأن دولته يرى فى ذلك خطرا وطنيا حقيقيا للغاية (٤) .

---

(١) مذكرات تشرشل القسم الأول ، ص ١٤٧ — ١٤٩ ، ٢٤٤ .

(٢) البلاغ ١٩٣٨/٩/٢٦ .

(٣) W. Smart's memo, enclosed in Killy to Eden, No. 1227, 28 October 1937, F.O. 407 221/.Lonpson to Eden. No. 209 secret, 16 February 1937, F.O. 407/221.

(٤) Lampson to Eden, telegram No. 158, 31 December 1937, F.O. 407/222.

وزير الحربية والبحرية المشار اليه هو حسين رفقى باشا . انظر كتاب النظارات والوزارات المصرية ، جـ ١ ، ص ٣٦٥ .

وأضح من هذه البرقية أن النحاس باشا هو الذى ألح فى الاتفاق مع بريطانيا على خطط الدفاع عن مصر ، بينما لم تكن بريطانيا متحمسة لهذا ، وهذا يعنى أن بريطانيا كانت تفضل أن يستمر الوضع كما كان وأن تبقى عمليا منفردة بشئون الدفاع عن مصر ، وأن يبقى دور الجيش المصرى كما هو أى المحافظة على الجبهة الداخلية، بينما أصر النحاس باشا على تنفيذ نصوص المعاهدة بقيام مصر بالدفاع عن أراضيها تعاونها فى ذلك بريطانيا •

وكان هذا رأيه عندما عقدة المعاهدة كما سبق أن أشرنا •

كانت حكومة الوفد جادة فى بناء الجيش المصرى ليصل عدده الى حوالى ٢٠ ألفا مستعينة فى ذلك ببعثة عسكرية قليلة العدد وبخبرة الضباط القدامى (فرقة واحدة جيدة التسليح) بعد أن كان يزيد قليلا عن نصف هذا العدد ، ويقتصر سلاحه على البنادق و٢٦ مدفع هاوتزر(١) • كان هذا المشروع المتواضع يناسب اتجاهات بريطانيا وفرضته — فيما يختص بالجانب المصرى — ما هناك من التزامات أخرى خاصة بالمعاهدة وحالة مصر المالية قبل توقيع اتفاق مونترو عام ١٩٣٧ واطلاق يدها فى فرض الضرائب •

لكن هذا الوضع فيما يختص بالجيش وبالتحالف لم يلبث أن تغير فى عام ١٩٣٨ بسبب الموقف الدولى الذى أخذت خطورته تتزايد حتى بلغت الذروة فى أزمة سبتمبر من ذلك العام وبسبب الموقف الداخلى • ذلك أن أزمة سبتمبر حسمت خطر الحرب وجعلته فى حيز الممكن العاجل أو القريب • فقد تأرجح العالم على حافة الحرب لمدة أسبوع من انذار هتلر فى ٢٢ سبتمبر بالتدخل المسلح فى تشيكوسلوفاكيا حتى تم الوصول الى تسوية فى مؤتمر ميونيخ فى ٢٩ سبتمبر بفضل سياسة التهدئة التى اتبعتها بريطانيا وفرنسا (٢) •

فى تلك الظروف اتجه الجانب البريطانى الى الحصول على تعاون أكثر مع مصر واستجاب الجانب المصرى الى ذلك بحذر كما يتضح من رسالة سير مايلز

---

(١) من حديث للجنرال ماكريدى رئيس البعثة العسكرية البريطانية لمندوب الاهرام ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩ — انظر أيضا عبد العظيم رمضان ، الحركة الوطنية ، ص ٣٠٢ •

(٢) صلاح العقاد ، المرجع المذكور ، ص ١١٠ •

لامبسون الى فيكونت هاليفاكس رقم ١١٩٧ فى ٧ نوفمبر ١٩٣٨ حيث يقول :
« كان موقف كل من القصر والحكومة تجاه التعاون الانجليزى المصرى نحو متطلبات الحرب كما نرتجيه ، ولو أنه فى نهاية الأزمة أدى الخوف من التورط فى الحرب الى شىء من التردد بشأن ما تقتضيه المعاهدة من مصر بدخولها الحرب. وكما أبلغتكم فى برقيتى رقم ٤٩٨ بتاريخ ٢٩ سبتمبر فان رئيس الوزراء أكد لى عندما استوضحته أن هذا التردد لم تساور حكومته . وحقيقة الموقف هو أن تجدد مثل هذا الاتجاه لتجنب الوفاء بالتزامات المعاهدة انما يتوقف الى حد كبير على قواتنا الحوية ، فاذا شعر المصريون أننا فى وضع يمكننا من حمايتهم بشكل فعال تضاءل ميلهم الى أن يلعب الخيال بعقولهم فى امكان التباعد عن حرب تتورط فيها بريطانيا العظمى ، وأن ضعفنا فى جبهة شرق البحر الأبيض المتوسط هو الذى يشجع على مثل هذه الميول .

ومنذ نهاية الأزمة فان موقف الحكومة ، وكذلك موقف الملك فاروق تجاه بريطانيا العظمى ، ظل وديا وسلميا سواء فى المجال الدولى العام أو فى التدابير المحلية الخاصة بتعاوننا كحلفاء » (١) .

يتضح من تلك الرسالة ان الجانب البريطانى حاول تفسير التزامات مصر كحليف بمقتضى المعاهدة بأنها تقتضيها فى حالة قيام الحرب ان تدخلها الى جانب بريطانيا ضد ألمانيا، وان الجانب المصرى تردد فى قبول هذا التفسير. وهذا واضح أيضا فى تصريح رئيس الوزراء فى مجلس النواب أثناء أزمة سبتمبر حيث ركز على موضوع دفاع مصر عن نفسها فقال أنه « اذا دعت الظروف مصر الى القيام بتعداتها الدولية فستقوم بها ، ولن يتردد الشعب المصرى فى اجابة داعى الوطن للدفاع عن سلامته ، بما عرف عنه من صدق العزم وقوة الايمان . » وعبر عباس محمود العقاد عن رأى السعديين المشاركين فى الحكم بطرح وجهة نظر مماثلة وان كانت أكثر وضوحا حيث قال ان على المصريين أن يستعدوا على اعتبار واحد هو أنهم اصحاب النصيب الاول فى حماية بلادهم والدفاع عن حدودهم داخل أراضيهم وعلى الحليفة أو الحلفاء بعد ذلك بقية المجهود (٢)

(١) Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222.

(٢) الدستور ٢٣ و ٢٧ سبتمبر ١٩٣٨ . الدكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٩٦ .

وتبع أزمة سبتمبر نقاش على صفحات الجرائد وفى البرلمان فى موضوع التزامات مصر بمقتضى المعاهدة أظهر عددا من الاتجاهات المختلفة .

ويرجع ذلك الى أن معاهدة ١٩٣٦ وقعت فى ظل خطر ايطالى ماثل أيام غزو الحبشة . حينئذ كان مفهوم التحالف لدى المصريين مرتبطا بتهديد ايطالى محتمل . لكن أزمة سبتمبر ١٩٣٨ واجهت المصريين بواقع مختلف ، اذ تراجع الخطر الايطالى وبرز الخطر الألمانى ، وأصبحت مصر معرضة للتورط فى حرب لا ترى لها مصلحة مباشرة فيها وتحمل أعباء لم تخطر للمصريين على بال عام ١٩٣٦(١) . وكان المصريون قد أخذوا يشعرون بثقل العبء الذى يتحملونه نتيجة التزامات المعاهدة وسوء الحالة المالية ، واخذ يتضح لهم استمرار تدخل بريطانيا فى شئون مصر رغم المعاهدة ، مما مس العداء التقليدى القديم . وفى نفس الوقت بدا لهم نجاح سياسة المحور فى ضم المانيا للنمسا وأراضى السوديت واستيلاء ايطاليا على الحبشة وتوقيع بريطانيا معاهدة روما معها فى أبريل ١٩٣٨ . يضاف الى ذلك أن المعاهدة قصرت مساعدة مصر لحليفتها على أن تكون داخل الاراضى المصرية ، ولم تنص صراحة على دخولها الحرب الى جانب بريطانيا .

ترتب على هذا كله ان ظهرت فكرة ان المعاهدة تلزم مصر بتقديم المساعدات الى بريطانيا لكنها لا تلتزم باعلان الحرب الى جانبها . وبين طرفى هذه الفكرة تناقض ظاهر يؤدى الى موقف صعب ، فالدول المشتبكة فى حرب مع بريطانيا لن تقبل هذا الموقف من مصر ، وستعتبر مساعداتها لبريطانيا عملا عدائيا رغم عدم اعلانها الحرب . وقد اختلفت الاتجاهات لمواجهة هذا الموقف ، والتوفيق بين ذلك وبين التزامات المعاهدة .

بلور صدقى باشا اتجاها منها فى خطاب القاه فى مجلس النواب فى ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ بمناسبة الرد على خطاب العرش ، اثار فيه النقاط الأساسية التالية :

---

(١) او كما قال وهيب دوس بك فى مجلس الشيوخ بجلسة ٣٠ ابريل ١٩٣٩، ان مصر مطالبة « بتحمل أعباء ما كانت تخطر لنا على بال سنة ١٩٣٦ ولا فى اى سنة من سنى المفاوضات » ... انظر مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الخامس عشر لمجلس الشيوخ ، مضبطة جلسة ٣٠ أبريل ١٩٣٩ ، ص ٣١١ . عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٣١١ .

١ ــ المعاهدة لا تلــزم مصر بدخول حرب لا مصلحة لها فيها الى جانب بريطانيا لكنها تلزمها فى حالة اشتباك بريطانيا فى حرب وفى حالة خطر قيام حرب أو حالة دولية مفاجئة أن تضع مواردها تحت تصرف بريطانيا ، ولهذا خطورته على مصر لان الدول التى تشتبك معها بريطانيا فى حرب ستعتبر مصر دولــة محاربــة .

٢ ــ سرعة تطبيق النص الخاص بالحالة الــدولية المفاجئة لا يترك لمصر الوقت الكافى لتبين حقيقة وضعها من النزاع القائم مما يحرمها فرصة العمــل لدرء الخطر عن نفسها .

٣ ــ التزامات المحالفة يجب الا تتعارض مع أى مسعى سياسى تبذله مصر أو موقف تقفه ويكون مقصودا به استتباب السلام وتأمين حدود البلاد من كل عــدوان .

٤ ــ حث على التخلى عن بناء الثكنات فى منطقة القناة واقترح ان تخلى القوات البريطانية ثكنات قصر النيل والقلعة وتقيم فى معسكرات العباسية المدة الباقية من المعــاهدة .

بهذا دعا صدقى باشا الى عدم بناء الثكنات والحــد من التزامات مصر بمقتضى المعاهدة وعدم الدخــول فى حرب لا صالح لمصر فيها ، بــل ودعا الى عدم التقيد بالتحالف اذا تعارض مع صالح مصر . وهكذا عبر عن اتجاه الحياد فى الصراع الدولى . ويرى سير مايلز لامبسون حينئذ ان هذا الاتجاه منتشر بين المصريين (١) .

وقد اقر رئيس الوزراء محمد محمود باشا ان حديث صدقى باشا يتضمن كثيرا من الصدق وعبــر عن موافقته التامة على ما قاله بشــأن الحالة الدولية المفاجئة ، لكنه قال انه ما دامت المعاهدة قد وقعت فيجب على أية حكومة مصرية أن تنفذ التزاماتها بولاء واخلاص حتى يتم تعديل المعاهدة بالاتفاق مع الحكومة

---

(١) Lampson to Hadifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223.

(٢) Same to same, No. 1351, 22 Detember 1938, F.O. 407/223.

الاهرام فى ١٩٣٨/١٢/٢١ ــ المقطم ١٩٣٨/١٢/٢٠ .

البريطانية • وأشار الى أنه من مصلحة مصر ان تبقى الى جانب حليفتها فى هذه الظروف الحرجة حتى يتم للمصريين تقوية انفسهم •

تضمن هذا التصريح عدم استبعاد تعديل المعاهدة وحين سئل رئيس الوزراء فى ذلك قال أنه ليست هناك نية لذلك « الان » وظهرت فى الصحف تصريحات بأنه سيحاول مفاوضة الحكومة البريطانية لتعديل المادة السابعة من المعاهدة خلال الزيارة التى يشاع أنه سيقوم بها للندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة الخاص بفلسطين • وحين أثار السفير البريطانى هذا الموضوع معه وعرفه أن الحكومة البريطانية لا توافق على أى تعديل لالتزامات المعاهدة نفى رئيس الوزراء تلك الاخبار بطريقة توحى بأنها صحيحة (٢) • لذلك يمكن أن نقول أن اتجاه محمد محمود حينئذ كان الوفاء بالتزامات المعاهدة دون زيادة والتفكير فى التفاوض لتعديل تلك الالتزامات •

وتوالت ردود الفعل لخطاب صدقى باشا : فجريدة البلاغ وهى حينئذ موالية للقصر وتناصر الوزارة كتب صاحبها عبد القادر حمزة يقول ان التحالف بين مصر وبريطانيا قائم على أساس ان تعاون بريطانيا مصر فى الدفاع عن نفسها وان تعاون مصر بريطانيا فى كل حرب تشترك فيها ، وان المفاوضة لتحديد الحالات التى تقدم فيها مصر مساعدتها سينصب على أساس هذا التحالف ، بينما لا غنى لنا عن هذا التحالف حتى نستكمل وسائل الدفاع عن أنفسنا ، وهو لا يرى كيف يمكن لمصر ان تجتنب الدخول فى حرب تدخل فيها بريطانيا ما دام للاخيرة جيش فى مصر (١) •

وقد زاد الدكتور هيكل ــ وكان حينئذ وزيرا للمعارف ــ وجهة النظر تلك ايضاحا فقال ان المعاهدة المصرية البريطانية « تلقى على مصر ان تسارع الى معاونة حليفتها انجلترا اذا وقعت الحرب ولم يكن احد فى مصر يتردد يومئذ فى القول بأن هذه المحالفة تدفعنا الى اعلان الحرب فى صف انجلترا • واذا نحن أعلنا الحرب أصبح حتما ان نحمل اعباءها وان نتعرض لكل ويلاتها • وقد تعرضنا فى الحرب العالمية الاولى ــ حرب سنة ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ــ لغارات جوية قليلة لان الطيران الحربى كان لا يزال فى طفولته ولاننا كنا محايدين لم نشترك فى

---

(١) البلاغ ١٩٣٨/١٢/٢١ •

الحرب ولم نعلنها • ما يسألك وقد تقدم الطيران الحربى وأصبح يضارع قوات البر وقوات البحر • ثم ما بالـك ومصر معرضة لان تعلن الحرب • طبيعى أن تشغل أنباء الازمة بال كل مصرى »[1] •

وهكذا انقسم الاحرار الدستوريون فى موضـوع التزامات مصر فى حالة الحرب • وحدث انقسام مماثـل فى حزب السعديين الـذى يشاركهم الحكم • لقد أشرنا الى رأى العقاد ، اما الدكتور أحمد ماهر فكان فى صف وفـاء مصر بالتزامتها لبريطانيا [2] •

وقد عارض حزب الاتحاد الشعبى على لسان سكرتيره العام عبد الرحمن البيلى بك اقتراحات صدقى باشا فى مجلس النواب ، مؤكدا ضرورة محافظة مصر على التزماتها بمقتضى المعاهدة •

أما الوفد فقد هاجمت صحفه خطاب صدقى باشا وفندته واتهمت صدقى باشا بأنه يريد تحقيق هدفين أحدهما هدم المحالفة بتقويض أساسها وركنهـا الركين وهو المادة السابعة التى وضعت لفائـدة الطرفين • اما الهـدف الثانى فهو « الاتفاق مع الطليان على تأمين الحدود ومساعداتنا فى مقابل التخلى عـن انجاد انجلترا ومساعدتها عندما تتأزم احدى الازمات طبقـا للمادة السابعة » وأوضحت ذلك بأن صدقى باشا كان قـد كتب الى النحاس باشا فى أغسطس ١٩٣٧ أثناء وزارة الوفد يلفت نظره الى أن الفرصة سانحة للمفاوضة فى عقـد معاهدة عدم اعتداء بين مصر وايطاليا • وان المحالفة مع بريطانيا لا تحول دون ذلك لانها أبرمت للدفاع لا للهجوم • وقالت ان المـادة السابعة صريحة فى أن على مصر أن تبادر الى نجدة حليفتها فى أية حرب تشتبك فيها مع دولة أخـرى ولو كانت ايطاليا • وترى المصرى أن على مصر ان تقدم تلك المساعدة سـواء دخلت بريطانيا الحرب مدافعة أو مهاجمة • ولما كانت معاهـدة عدم الاعتـداء التى يقول بها صدقى باشا تقضى بالا تساعد مصر اية دولة تعتـدى على الطاليا فى مقابل عدم مساعدة ايطاليا اية دولة تعتدى على مصر فهى بذلك تتعارض مع التزامات مصر بمقتضى المادة السابعة من معاهدتها مع بريطانيا ، وقد نصت المادة

---

(١) هيكل ، المرجع المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ و ١٤٦ •

(٢) Lampson to Halifax, No. 41, 16 january 1939, F.O. 401/223.

الخامسة من تلك المعاهدة على تعهد كل من الطرفين بالا يبرم معاهدات سياسية تتعارض معها . ونعت الجريدة على صدقى باشا ترامية على أقدام الدول الدكتاتورية (١) وهكذا يمكن أن نقول ان اتجاه الوفد ، طبقا لما ظهر فى جرائده ، كان الوفاء بالتزامات المعاهدة بتقديم المساعدات للخليفة داخل حدود مصر .

وهكذا اظهرت المناقشة وجود اتجاه عام هو قيام مصر بالدفاع عن نفسها لو وقع اعتداء على أراضيها مع قبول مساعدة حليفتها . وفيما عدا هذا اختلفت الاتجاهات فيما تختص بالتزامات مصر تجاه حليفتها ، وظهر من ذلك ثلاثة اتجاهات : اتجاه يرمى الى التزام الحياد فى الصراع الدولى الذى لا يمس مصر مع الحد من التزامات المعاهدة . واتجاه يرى أن تفى مصر بالتزاماتها بالكامل وأن يشمل ذلك دخولها الحرب الى جانب بريطانيا . واتجاه ثالث يدعو الى أن تفى مصر بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة ولا تزيد على ذلك .

كان الاتجاه الاخير يمثل رأى الكثيرين من المصريين وهو الذى استقر عليه رأى الاخوان المسلمون وأعلنوه عند قيام الحرب (٢) ولكن ما جد من تطورات دولية بعد أزمة سبتمبر ١٩٣٨ جعل الاتجاه الثانى يحظى بتأييد اكثر من ذى قبل.

ذلك ان الاخبار أخذت تتردد منذ أوائل ديسمبر عن اطماع لايطاليا فى الحصول على ممر عبر السودان يصل ليبيا بالحبشة ، ورغبتها فى تخفيض الرسوم فى قناة السويس وتعديل نظام اداريتها بما يكفل لها نصيبا من الاشراف على هذا الشريان الحيوى الذى يصلها بمستعمراتها فى شرق افريقيا . ونشرت الجرائد أخبار الحشود العسكرية الايطالية فى ليبيا وأشارت الى أنها بلغت مائة الف جندى ، وأخبار طائرتين حربيتين هبطتا فى مكانين مختلفين فى الصحراء الغربية وأدعى الطيارون أنهم هبطوا بطريق الخطأ(٣) . وفى مارس ١٩٣٩ أجهزت

---

(١) المصرى ٣٨/١٢/٢٣ و ١٩٣٩/١/٢ . د. عبد العظيم رمضان ، ص ٢٩٦ . ٢٩٧

(٢) د. عبد العظيم رمضان ، ص ٢٩٨ و ٢٩٩ . وكان فى مفهومهم يتضمن تقديم المساعدات دون دخول الحرب وكانوا بالاضافة الى ذلك يرون السعى الى تخليص مصر من القيود المفروضة على حريتها واستقلالها .

(٣) المصرى ١٩ و ٢٣ ديسمبر ١٩٣٨ . الأهرام ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ .

المانيا على باقى تشيكوسلوفاكيا ، وبـدأت مطالبهـا الجـادة فى دانزج والممر البولندى ، وفى ٧ ابريل غزت ايطاليا اسبانيا .

وهكـذا الخطر الايطالى من جـديد الى جـانب الخطر الالمانى ، فعـاد الى اذهان المصريين المفهـوم القديم للتحالف مع بريطانيا بظهـور الحاجة الى الاعتماد عليها فى مواجهة اطمـاع ايطاليا ، وكما قال السفير البريطانى تزايـد تحقق المصريين من « الخطر الذى قد يلحق بدولتهم من تقوية محور برلين ـ روما العدوانى . وقد أدت الصدمات المتتابعـة بسبب مأسى تشيكوسلوفاكيا والمانيا وبخاصة الاخيرة ، الى ادراك المصريين لما عسى أن يبلغه موقفهم من خطورة دون مساعدة كافية من حليفتهم بريطانيا . وقد عبر المصريون بكـل حرية على المستويين الرسمى وغير الرسمى عن الرغبة فى وجـود عدد أكبـر من القوات البريطانيـة فى مصر . أن الخوف من ألمانيا وايطاليـا والاشمئزاز ممـا صنعته الأخيرة فى البانيا قد جعل سكان مصر أكثر ميـلا الينا كما زاد المصريين ادراكا لحاجة مصر الى انجلترا . لقد كان لهذا العامل أثره فى تسهيل التعاون العسكرى المصرى الانجليزى ، لقد أصبحت الحكومة المصرية أخيرا اكثر استجابة لنا فيما يتعلق بمتطلباتنا العسكرية » (١) .

وهكذا تحول بعض المصريين الى فكرة الوفاء بالتزامات مصر تجاه بريطانيا كاملة بما فى ذلك دخول الحرب الى جانبها ، ومن هـؤلاء رئيس الوزراء نفسه الذى أعلن فى مجلس النواب بمناسبة أزمة مارس ١٩٣٩ أنه يقبل توحيد قيادة الجيش الانجليـزى والمصرى فى حالة الحـرب وأن تكـون القيادة لاقوى الدولتين (٢) . كما أنه مع الدكتور احمد ماهر وبعض الوزراء من كلا الحزبين الحاكمين كانوا يميلون الى قبول الانضمام الى ميثاق سعد اباد فى الاسابيـع الأولى من عام ١٩٣٩ ، رغم ما يؤدى اليه ذلك من دفع تحالف مصر مع انجلترا الى خارج حدود مصر، ودفع القوات المصرية بعيدا مئات الاميال الى تركيا والعراق

---

(١) Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

(٢) الأهرام ٢٩ مارس ١٩٣٩ . دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٣٠٢ .

وايران (١) لكن ذلك لا يعنى ان هذا الاتجاه قد أصبح هو الغالب فقد يرجع موقف هؤلاء ، بالاضافة الى العوامل التى أشرنا اليها، الى وضعهم الرسمى والصراع القائم بين الوزارة والقصر ، وتطلع الدكتور احمد ماهر لتولى الوزارة خلفا لمحمد محمود باشا (٢) . فاذا ابتعدنا عن الاشخاص المسئولين نجد الأمر يختلف . نجده كما يقول السفير البريطانى فى خطابه الى وزير الخارجية البريطانية فى ١٣ يوليو ١٩٣٩ « لا يزال هناك شعور كبير فى البلاد بأن مصر ينبغى آن يسمح لها بأن تظل بعيدة عن نزاع عالمى لا يهمها بشكل مباشر لكن موقف المسئولين المصريين لا يزال سليما » (٣) ، وهذا يدفعنا الى محاولة تبين موقف الوفد كتنظيم شعبى مفروض أنه أكثر تعبيرا عن اتجاهات الجماهير .

كان الوفد بحكم نشأته ومبادئه كحزب شعبى ضد النازية والفاشية وفى جانب الديمقراطية . وكان حريصا وهو فى الحكم على تأكيد التزام مصر بالدفاع عن نفسها وتمكينها من ذلك (٤) . اما فى فترة وجوده خارج الحكم فلم تصدر عن زعيمه أو صحفه تصريحات مباشرة توضح موقفه أو تضيف جديدا اليه ، فيما عدا هجوم المصرى على خطاب صدقى باشا ، ذلك الهجوم الذى أوضح ـ كما أشرنا ـ تأييد الوفد للديمقراطيات ولفكرة التزام مصر بمساعدة بريطانيا داخل الاراضى المصرية . يقابل هذا هجوم الوفد المستمر بعد ذلك على بريطانيا التى اعتبرها مسئولة عن مساندة الحكم غير الديمقراطى القائم . وقد وصل هذا الهجوم الى حد التهديد بعدم التقيد بالمحالفة .

لكن الملاحظ ان هجوم الوفد على بريطانيا كان أقرب الى الضغط العنيف أو العتاب الشديد منه الى الجفاء والقطيعة وعدم الالتزام بالمعاهدة .

وهذا واضح مما كتبه المصرى بعد أزمة مارس ١٩٣٩ ، حيث تقول الصحيفة ان المصريين مرتبطون بمحالفة المحافظة عليها ، لكن كيف يمكن أن ندخل الحرب اذا كان حلفاؤنا ينقضون العهد نقضا ويستخفون بالمعاهدة بندا بندا .

---

(١) هيكل ، المرجع المذكور ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ ـ ١٥٠ تكون ميثاق سعد اباد فى عام ١٩٣٧ وكان يضم تركيا والعراق وايران وافغانستان ، وتقوم تلك الدول بالدفاع عن اى منها اذا وقع عليها عدوان .

(٢) Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223.

(٣) Same to same, No. 871, 13 July 1939, F.O. 407/223.

(٤) انظر أعلاه . ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

أنحارب للدفاع عن الديمقراطية التي يحارب حلفاؤنا من اجلها ، والديمقراطية في بلادنا شوهت وجني عليهــا • (١) وكان السفير البريطاني يدرك رغم تقــديره الكامل لخطورة هجوم الوفد أنه قد لا يكون سوي جزء من اللعبة السياسية يضغط به الوفد للعودة الي الحكم • وكان يأمل ويرجح ان الاحزاب جميعهــا اذا قامت الحرب ستعود الي الالتفاف حول بريطانيا تنشد الحماية (٢) •

أما اتجاه الوفد الحقيقي حينئذ ، بالاضافة الي الدفاع عن مصر ، فيغلب أنه كان الوقوف الي جانب بريطانيا وتقديم المساعدات اللازمة لها في مقابل سيادة الديمقراطية في مصر • وهذا يعني عودة الوفد الي الحكم بالاضــافة الى اجابة مطالب تقرب من تلك التي تقــدم بها الي السفير البريطــاني في ابريل ١٩٤٠ • وهذا قريب من موقف الاخوان المسلمين عند قيام الحرب وقد أشرنا اليه،ويختلف عن موقف احمد حسين الذي رأي حينئذ دخول الحرب فعليا دون أن يضــع شروطا لذلك (٣) •

تناولنا التطورات التى طرأت علي الموقف الذي اتخــذه كل من الجانبين المصري والبريطاني من مفهوم التحالف والتزاماته منذ أزمة سبتمبر ١٩٣٨ حتى قبيل قيام الحــرب • وكان من الطبيعي أن يكون لذلك أثره علي الموقف مــن الجيش المصري والدور الذي أريد له • فعلي الجــانب البريطاني أدي تزايــد خطورة الموقف الدولي عام ١٩٣٨ مع النقص الواضح في القوات البريطانية في شرق البحر المتوسط في مواجهة الحشود الايطالية ،الى اتجاه الجانب البريطاني الي زيادة الاعتماد علي الجيش المصري والقاء عبء أكبر عليه• واستمر هذاالاتجاه سياسة للحكومة البريطانية رغم ما استجد من عوامل مشجعة واخري مثبطة حتى يونيو ١٩٤٠ • من العوامل المشجعة تصريحات محمــد محمود باشا أيام أزمة سبتمبر ١٩٣٨ بتأكيد قيام مصر بالدفاع عن نفسها • ورغم أن خطاب صدقي باشا في ديسمبر ١٩٣٨ وما بدا حينئذ من اتجــاه رئيس الوزراء الي طلب تعــديل

---

(١) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٣٠١ .

(٢) Lampson to Halifax, No. 871, 13 July 1939, F.O. 407/223.

(٣) كان موقف احمد حسين اثناء ازمة سبتمبر ٣٨ دخــول الحــرب الى جانب بريطانيا مقابل تحقيق المطالب الوطنية ، ثم تغير عند اعلان الحرب الى دخول الحرب دون مقابل . دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٩٧ و ٢٩٩

التزامات مصر بمقتضى المعاهدة كانت عوامل مثبطة ، الا أن موقف الوفد والزعماء الآخرين وتغير موقف رئيس الوزراء بعد ذلك — كما أشرنا — كانت عوامل مشجعة ازالت ذلك الأثر السيء .

وقد عبر السفير البريطاني عن هذا الإتجاه في رسالة الى وزير الخارجية يستعرض فيها الموقف في مصر في شهري مايو ويونيو ١٩٣٩ اذ يقول : « ان التقدم الذى تم فى الاستعداد للحرب بصفة عامة وتدريبات الجيش المصرى بصفة خاصة كانت بوجود عام ادعى الى الرضاء خلال هذه الفترة التي نستعرضها رغم ما كان يعترض البعثة العسكرية البريطانية من عقبات كان يثيرها حسين سرى باشا بخصوص بعض النقاط . ومما يبعث علي الرضاء أن نلاحظ علي سبيل المثال ان رجال المدفعية المصريين قد اظهروا مقدرة ملحوظة فى المدفعية المضادة للطائرات . لكن المشكلة الأساسية بالنسبة للجيش المصري لا تزال هي مشكلة الروح المعنوية . بمعني هل تصمد أو لا تصمد القوات المصرية فى خط النار . يبدو من غير المحتمل الاعتماد علي أن الضابط أو الجندي المصرى سيواجه اشكال الحرب الحديثة القوية ما لم يضمهم اطار واحد مع القوات البريطانية أو التركية ويقودها ضباط انجليز أو اتراك . هذا الضعف هو الذى يجعل الموقف في مصر خطيرا زيادة علي ما هو عليه ، اذ ينبغي أن يكون فى الاعتبار ان الهجوم الايطالى الإلماني — اذا وقع — لا يحتمل ان يكون زحفا عسكريا خالصا على نقطة واحدة بل يغلب أن يقترن الهجوم الرئيسي للعدو بمجموعة متباينة من الإجراءات الهجومية الصغيرة من الخارج ومن الداخل بقصد تحويل الانتباه واضعاف الروح المعنوية بين الأهالي في المؤخرة ، وبذلك تضعف قوى المقاومة ضد الهجوم الرئيسي .

ولما كانت قواتنا العسكرية الحالية صغيرة نسبيا فسنحتاج اليها كلها تقريبا لمواجهة الهجوم الرئيسى . وربما يعجز الجيش المصري عن الاحتفاظ بالجبهة الداخلية لو لم تسانده قوات بريطانية » (١) .

وكان الجنرال سير هنري ميتلاند ويلسن قد جاء الى مصر فى ٢١ يونيو ١٩٣٩ ليتولى قيادة القوات البريطانية فيها ومعه تعليمات بسرعة اتخاذ

---

(1) Lampson to Halifax, No. 871, 13 July 1939, F.O. 407/223.

الاستعدادات للحرب. ويقول ويلسن أن مهمة قواته كانت الدفاع عن الاسكندرية، التى أصبحت قاعدة للاسطول فى البحر المتوسط بدلا من مالطة، والدفاع عن السويس وبورسعيد والصحراء الغربية، بالاضافة الى حفظ الأمن داخل مصر. كما يقول أنه قد لفت نظره عند وصوله ضآلة القوات التى لديه بالنسبة للمهمة المسندة اليها. ويقول أيضا أنه فى حالة قيام الحرب كانت بريطانيا تنتظر أن تنضم مصر اليها كحليف وأن تعلن الحرب على دول المحور وكانت تتوقع أن تنضم ايطاليا الى ألمانيا فى أى حرب عداونية. وأضاف الى ذلك أنه طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ كان من المنتظر ان الجيش المصرى سيحارب كحليف تحت القيادة البريطانية، ويبدى فى موضع أخر آسفه لاستقالة محمد محمود فى وقت غير مناسب لان يده هى التى قادت مصر فى سبيل الاستعداد لمواجهة الحرب الحديثة (١).

وحين سأل محمد محمود لامسون فى أواخر ابريل ١٩٣٩ عن عدد القوات البريطانية فى مصر أخبره أنها فى مجموعها تبلغ ١٣ ألفا (٢) وهو ما يقرب من عدد القوات المصرية عند توقيع المعاهدة. أما القوات الايطالية فى ليبيا فكانت حوالى ١٠٠ ألف كما أشرنا، جهودها موزعة بين جبهتى تونس ومصر.

يتبين من تلك الوثائق ومما كتبه ويلسن ان القوات البريطانية فى مصر كانت قليلة العدد لا تكفى للدفاع عن مصر، بينما كان مطلوبا منها الى جانب ذلك حفظ الأمن أو المحافظة على الجبهة الداخلية. ولما كان المتوقع فى حالة قيام الحرب أن تدخلها ايطاليا الى جانب المانيا لذلك رأى الجانب البريطانى أن تقتصر مهمة القوات البريطانية على مواجهة الهجوم الرئيسى المتوقع وان تتسع مهمة الجيش المصرى فى حفظ الجبهة الداخلية بحيث تتعدى مجرد حفظ الامن فى الداخل — وهى المهمة التى رسموها له منذ معاهدة ١٩٣٦ كما أشرنا — الى مواجهة أى هجوم فرعى يشنه العدو لتحويل الانظار عن الهجوم الرئيسى واضعاف المقاومة التى تواجهه.

كان هذا يعنى فى النهاية اشتراك الجيش المصرى فى الحرب الى جانب

(١) Wilson, op. cit., pp. 16, 17, 19, 23, 34.

(٢) Lampson to Halifax, telegram No. 117 saving, 27 April 1939, F.O. 407/223.

الجيش البريطاني لصـد أى هجوم على مصر ومتابعته خارجها • لهـذا جاء ويلسن الى مصر وهو ينتظر ان يحارب الجيش المصرى كحليف تحت قيادته طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، وهذا ينطبق على مفهوم بريطانيا للتحالف الذى اتضح فى سبتمبر ١٩٣٨ كما أشرنا • وكان هذا يعنى من ناحية التطبيق أن تتخلى بريطانيـا عن سياسة التلكؤ والتسويف التى اتبعتها وتبذل جهودا جادة فى تسليح الجيش المصرى وفى تدريبه •

ولما كانت هناك شكوك لدى الجانب البريطاني فى قوة الروح المعنـوية بالجيش المصرى مما يعجزه عن مواجهة وسائل الحرب الحديثة العنيفة فقد اتجه الى اجراء تدريبات ومناورات مشتركة بين الجيش المصرى والقوات البريطانية ووضعه تحت القيادة البريطانية فى حالة الحرب لضمان رفع روحه المعنوة وحسن قيادتـــه •

صادف هذا الاتجاه فيما يختص بتسليح الجيش المصرى وتدريبه استعداد لدى الجانب المصرى حينئذ ، فأمـوال اللازمة لتنفيذ ما تريده مصر من قـوة حربية قوية حديثة التسليح أصبحت قريبة المنال بعد توقيع اتفاق مونترو واطلاق يد مصر فى فرض الضرائب المباشرة على الأجانب وبالتالى على المصريين ، وتقديم مشروعات قوانين جديدة للضرائب الى البرلمان كضريبة التمغة وضريبة التركات •

وضح التحول نحو السياسة الجديدة فى صيف ١٩٣٨ حين زار محمد محمود بريطانيا للتفاوض فى موضوع نصيب كل من مصر وبريطانيا فى تكاليف الثكنات اذ تقول كل الشواهد على أن المفاوضات شملت أيضا موضوع الجيش المصرى وتسليحه وتدريبه فقد تم الاتفاق بين محمد محمود والحكومة البريطانية على أن تكون للحكومة المصرية حرية استيراد الاسلحة للجيش المصرى من غير المصانع الانجليزية تجنبا للابطاء فتحررت مصر بذلك من القيد الذى وضعته المعاهدة فى يد بريطانيا على تسليح الجيش المصرى ، ومن عقد بتوريد مـدافع المورتر اللازمة للجيش المصرى لمشغولية المصانع البريطانية لمدة ثلاث سنوات • وسافر وزير الحربية حسن باشا صبرى الى أوروبا حيث اتفق مع المصانـع الفرنسية على توريد ١٢٠ مدفع مورتر ، وبحث فى بريطانيا موضوع انشاء مصنع

للذخيرة (١) ، وفى نفس الوقت تقدمت البعثة العسكرية البريطانية بمذكرات تضمن مقترحاتها لتوفير العدد اللازم من الضباط لتوسعات الجيش وذلك بزيادة عدد الضباط الجدد عن طريق توسيع الكلية الحربية وزيادة عدد طلبتها وتخفيض مدة الدراسة بها والاكثار من ارسال البعثات الى انجلترا بدلا من المشروع القديم الذى يقوم على الاستفادة من الضباط القدامى • وكانت الحكومة المصرية حينئذ مشغولة بدراسة نظام جديد للتجنيد يستهدف تحسين وسائل التجنيد وتكوين احتياطى وتوفير العدد اللازم للجيش ويقوم على جعل مدة الخدمة العسكرية ثلاث سنوات بدلا من خمس والغاء البدل العسكرى (٢) وكانت بالاضافة الى ذلك قد تبلور لديها مشروع لتدريب طلبة الجامعة واعدادهم لمناصب الضباط الاحتياطيين وشرعت فعلا فى تنفيذه ، وتلك بداية نظام ضباط الاحتياط ، كما كانت تدرس مشروعا لانشاء جيش اقليمى يكون بمثابة الصف الثانى اذا دعت الظروف ، وتلك بداية مشروع الجيش المرابط • لكن مشاكل توفير الضباط والمدربين عاقت تنفيذ المشروع حتى صدر به مرسوم فى أول سبتمبر ١٩٣٩ (٣) ، وقد أوضح عبد الرحمن عزام وزير الأوقاف وقائد الجيش المرابط أن الهدف من انشائه اعداد اكبر عدد من الشعب لحمل السلاح فى الاوقات العصيبة وتكوين نواة قوة يستطيع الجيش العامل الاعتماد عليها (٤) •

والحقيقة ان حكومة محمد محمود كانت حينئذ تقوم بجهود كبيرة لزيادة عدد القوات المسلحة واعادة تنظيمها على القواعد العسكرية الحديثة ، وكان موضوع الضباط والجند جانبا من مشروعات للدفاع الوطنى على مدى خمس سنوات طرحت على مجلس الدفاع الأعلى فى أكتوبر ١٩٣٨ ورؤى حينئذ أنها تتجاوز قدرة البلاد المالية (٥) . ويشير السفير البريطانى الى تلك المشروعات فى رسالته الى وزير الخارجية البريطانية فى نوفمبر ١٩٣٨ بقوله ان الحكومة المصرية قد بدأت « فى وضع الخطط للاسراع فى زيادة عدد أفراد الجيش وقوة

---

(١) الدستور ٢٢ اغسطس ١٩٣٨ ـ الأهرام ٢٩ ديسمبر ١٩٣٨ •
(٢) الدستور والاهرام ٢٠ اغسطس ١٩٣٨ •
(٣) البلاغ ٣١ اغسطس ١٩٣٨ ـ الاهرام ٢ سبتمبر ١٩٣٩ •
(٤) المقطم ٥ نوفمبر ١٩٣٩ •
(٥) الاهرام ٢٢ ديسمبر ١٩٣٨ •

الطيران بل وفى انشاء بحرية مصرية ولست اعتقد ان هناك تقديرات سليمة وان هناك ميزانية قد وضعت للموازنة بين المصروفات المتزايدة وبين هذه المشروعات الطموحة فى حدود الموارد الاقتصادية للبلاد » (١) •

لذلك رؤى اعادة النظر فى تلك المشروعات على ضوء قدرة البلاد المالية وعرض المشروع المعدل على مجلس الدفاع الاعلى فاقره وتناولته الصحف فى ديسمبر ١٩٣٨ • ويقضى المشروع بزيادة عدد الجيش الى حوالى ٥٠ ألفا وأن يتكون سلاح الطيران من ٨٢٠ طائرة حربية و ٤٧ طائرة تدريب • أما الاسطول فتقرر البدء بنواة من تسع قطع منها باخرة حراسة واحدة واربع قاذفات طوربيد وأربع لاقطات ألغام ، كما تقرر انشاء مصنعين احدهما للذخيرة والآخر للأسلحة الصغيرة وتبلغ تكاليف نفقات الدفاع طبقا لهذا المشروع ٤٨ مليون جنيه موزعة على خمس سنوات منها ١٤ مليون المصروفات العادية قبل تنفيذ المشروع ، ١٤ مليون مصروفات زائدة نتيجة لزيادة القوات المسلحة والباقى للزيادات والانشاءات الجديدة (٢) وقد استدعى تنفيذ هذه التوسعات زيادة البعثة العسكرية البريطانية فى مايو ١٩٣٩ من ٩٢عضوا الى ١١٩ (٣) •

ادى ذلك كله فى النهاية الى زيادة عدد الجيش وزيادة تدريبه وتسليحه ففى الاسبوع الاول من ابريل ١٩٣٩ كتبت النيويورك تايمز تقول ان مصر قد أصبح لديها ثلاثون الف جندى وفرقة من الدبابات مجهزة احسن تجهيز ووحدات ميكانيكية وقوة جوية وان هذه القوات تزيد شهرا بعد شهر (٤) • وفى آخر أغسطس ١٩٣٩ كتبت السبكتاتور أن الجيش المصرى زاد عدده زيادة كبيرة واعيد تنظيمه وتجهيزه (٥) •

وحين وصل الجنرال ويلسن الى مصر فى يونيو ١٩٣٩ وجد الجيش المصرى كما يقول يتضمن فرقة من الدبابات والسيارات الخفيفة ويملك مدافع مضادة

---

(1) **Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222.**

(٢) البلاغ ١٧ ديسمبر ١٩٣٨ . الأهرام ٢٢ ديسمبر ١٩٣٨ .

(٣) الأهرام ٢ مايو ١٩٣٩ — أنظر أيضا دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ص ٣٠٤ .

(٤) الأهرام ٧ أبريل ١٩٣٩ . دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ص ٣٠٤

(٥) الأهرام أول سبتمبر ١٩٣٩ .

للدبابات ومدافع مضادة للطائرات ووحدات للمدافع الرشاشة،واضاف ان معدات الجيش المصرى تفضل تلك التى سلحت بها القوات البريطانية التى يقودها (١) ، يضاف الى ذلك انه فى سبتمبر ١٩٣٨ تم تعيين ضابط مصرى واخر بريطانى ليعملا كحلقة اتصال بين الجشين.(٢) وهكذا بدأ الاتصال الذى أخذيتوثق ليصل الى المشاركة فى التدريبات والمناورات وخطط الدفاع .

رابعا ـ اتخاذ مصر قاعدة عسكرية وتأمين الجبهة الداخلية

رأينا تطور موقف كل من الجانبين المصرى والبريطانى فى موضوعين أساسيين يرتبطان بتطبيق معاهدة ١٩٣٦ وهما تسليح الجيش المصرى والمهام التى يرجى من ذلك الجيش القيام بها من ناحية والتزامات مصر بمقتضى التحالف من ناحية اخرى .

وكان الجانب البريطانى يرى هذا كله فى اطار هدفه الاساسى وهو اتخاذ مصر قاعدة عسكرية رئيسية لبريطانيا .

وكان اتخاذ مصر قاعدة عسكرية يستلزم ايضا العمل على تأمين الجبهة الداخلية فيها ، وهذا يستدعى العمل على استقرار الأحوال واستتباب الأمن والنظام فيها ، وضمان ولاء وتعاون المصريين بوجه عام والقوى السياسية الفعالة فى مصر بوجه خاص فى تنفيذ المعاهدة والقيام بالتزامات مصر فيها .

وقد أشار مستر انتونى ايدن وزير الخارجية الى تلك النقاط وهو يذكر الاحوال التى تهدد المصالح البريطانية وتستدعى تدخل حكومة صاحب الجلالة فى مصر بقوله انها :

أ ـ اغفال تنفيذ نصوص المعاهدة أو روحها .

ب ـ السعى من جانب الحكومة المصرية لتأمين نفسها بالتفاوض مع دولة أخرى لعقد معاهدة عدم اعتداء أو نحوها مما يعتبر متعارضا مع نصوص معاهدة التحالف .

---

(١) Wilson, op. cit., p. 19.

(٢) الاهرام ٣٠ سبتمبر ١٩٣٩ .

جـ ــ امتناع الحكومة المصرية عن اتخاذ الاجراءات الضرورية لتحسين وسائل الدفاع عن مصر أو رفضها الوعد بالتعاون لهذا الغرض .

د ــ تدهور النظام والامن العام فى مصر الى الحد الذى يؤثر على حياة الاجانب وممتلكاتهم أو يعرضها للخطر .

هـ ــ خطر تدهور الوضع المالى على نحو يترتب عليه أن تصبح الحكومة المصرية عاجـزة عن الوفاء بالتزاماتها الـدولية وعلى وجه الخصوص تنفيذ النصوص المتعلقة بالنواحى المالية فى معاهدة التحالف .

و ــ مساندة الحكومة أو الملك فاروق للعناصر العربية المعادية لحكومة صاحب الجلالة أو الـدخول فى مشروعات غير مرغوب فيها خاصـة بالجامعة العربية أو الجامعة الاسلامية (١) .

كما أشار الجنرال ويلسن الى أنه حين وصل مصر فى يونيو ١٩٣٩ ليتولى قيادة القوات البريطانية فيها لفت نظره ضآلة القوات التى يتولى قيادتها بالنسبة للمهمة المسندة اليها وهى الدفاع عن مصر والسودان من جهة والمحافظة على الأمن فى الداخل من جهة أخرى . وأشار الى الاعتبـارات التى تجعـل تلك المهمة صعبة وهى ماضى مصر التاريخى (وهو يعنى بهذا قوة الحركة الوطنية المعادية للاستعمار البريطانى) والجالية الايطالية الكبيرة فيها وسوء العلاقات بين السراى والحزب القائم بالعارضة (الوفد) وبين السفارة البريطانية . وكان مما يدعو الى قلقه ان ملك مصر هو القائـد الاعلى للجيش وعلى الانجليز ان يعتمدوا عليه كحليف لاتخاذ اجراءات معينة للدفاع مما يجعل لتلك العلاقات السيئة أهمية عسكرية كبيرة (٢) .

بذلك وضع كل من ايدن وويلسن ــ أى السياسيـون والعسكريون ــ أصابعهم على العناصر الاساسية التى تعوق تعاون الجانب المصرى تعاونا مخلصا مع بريطانيا وهى : العداء التقليدى لبريطانيا ــ وجود جالية ايطالية كبيرة لها اتصالات واسعة فى مصر بالاضافة الى قوة الدعاية الالمانية الايطالية ــ سياسة مصر الاسلامية والقضية الفلسطينية ــ الحالة المالية والاقتصادية والادارية .

---

(١) Eden to Lampson, No. 166, 20 February 1938, F.O. 407/222.

(٢) Wilson, op. cit., p. 16.

كان تعاون الجيش المصرى وولاؤه أمرا اساسيا فيما يختص بالجبهة الداخلية فقيامه بتأمينها بكفاءة ضد أى اضطرابات داخلية يوفر على القوات البريطانية القليلة الموجودة الحاجة الى التدخل فى وقت قد تكون فيه مشغولة بمواجهة هجوم للعدو . كما أن تعاونه فى الدفاع عن مصر أصبح مطلوبا كما أشرنا . أما انقضاض الجيش المصرى على الانجليز فكان أمرا بالغ الخطورة لو حدث قبل الحرب أو بعد اندلاعها ، نظرا لقلة عدد القوات البريطانية فى مصر قبيل الحرب وحسن تسليح الجيش المصرى .

وكان الجانب البريطانى يقدر أهمية تعاون الجيش المصرى وولائه ويراقب الأوضاع داخله فى يقظة واهتمام.وكانت أداته فى ذلك البعثة العسكرية البريطانية التى كانت أيضا من وسائله فى محاولة توجيه أمور الجيش بما يصون المصالح البريطانيـة .

ففى يناير ١٩٣٩ على سبيل المثال قامت أزمة وزارية حين حاول وزير المالية تطبيق كادر الموظفين الجديد بما يتضمنه من تخفيض المرتبات على ضباط الجيش ممـا أدى الى استياء الضباط واستقالة وزير الحربية . انتهـزت السراى الفرصة لتكتيل الجيش خلفها والايحاء بانها تتخذ جانب الجيش مما هدد بجر الجيش الى مجال السياسـة .

حينئذ ـ كما يقول لامبسون لهاليفاكس ـ ابدى الجنرال ماكريدى رئيس البعثة العسكرية للسفير مخاوفة من أن « الزمام قد يفلت وعرض على أن اقترح على رئيس الوزراء اصدار ثلاث كادرات واحد خاص بالجيش ، والثانى خاص بالبوليس والثالث يعامل بمقتضاه موظفوا الحكومة المدنيون » (١) .

وكان الجانب البريطانى يبدى اهتماما خاصا بشاغلى المنصبين المسيطرين على الجيش : منصب وزير الدفاع من الناحية السياسية ومنصب رئيس أركان حرب الجيش من الناحية الفنية . لذلك فعندما طرح اسم اللواء صالح حرب باشا كمرشح لوزارة الدفاع عند تشكيل وزارة على ماهر فى أغسطس ١٩٣٩ أوشك مستر بتمان القائم بعمل السفير البريطانى أن يحـذر على ماهر ضـد

---

(١) Lampson to Halifax, telegrams No. 24 saving, 25 January 1939, and No. 109, 6 February 1939, F.O. 407/223.

تعيينه وزيرا لولا ان الاميرال ويلزباشا مدير عام مصلحة الموانى والمنائر الذى عمل مع صالح حرب أبدى رأيا طيبا فيه • وكان اتجاه مستر بتمان الأول يرجع الى تخوفه من ماضى صالح حرب لانه هرب من عمله فى مصلحة الحدود وانضم الى السنوسى خلال الحرب ، ولأن تعينه وزيرا للدفاع كان يستتبعه ـ كما يقول بتمان ـ تعيين « عزيز المصرى باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى • ولو أن عزيز المصرى باشا مصرى الجنسية الا أنه قضى معظم مدة عمله العسكرى فى الجيش التركى والمعروف عنه أنه كثير الاطلاع فى المسائل العسكرية ، لكنى منذ بضعة أشهر أصبحت اميل الى الارتياب فى قيمة ارائه (اذا لم أقل فى سلامة عقله) حين حاول جاهدا أن يثبت لى أن الألمان لم يهزموا فى موقعة المارن • وعلاوة على ذلك فلدى أسباب قوية تدعونى الى الاعتقاد ان تعيينه لن يكون موضع رضاء الجيش المصرى أو البعثة العسكرية البريطانية •

ان اجتماع هارب سابق من الخدمة صالح حرب ومعجب بالمان عزيز المصرى فى وزارة الدفاع الوطنى ليس امرا مثاليا » •

لهذا ففى مقابلته الاولى لرئيس الوزراء ذكر مستر بتمان مخاوفه من تعين عزيز المصرى فأكد له على ماهر أنه سيعزله لو ثارت متاعب نتيجة تعيينه رئيسا للاركان (٢) • ولم يكمل عزيز المصرى خمسة أشهر فى منصبه قبل أن يتخلى عنه تحت الضغط البريطانى •

ولا شك أن مخاوف الجانب البريطانى من تعيين عزيز المصرى كانت ترجع الى ما هو معروف من وطنيته وكراهيته للاحتلال بالاضافة الى اعجابه بالعسكرية الالمانية •

وقد حرص الجنرال ويلسن على اقامة علاقات طيبة مع الجيش المصرى وتجنب قيام أى خلاف مع القوة العسكرية المقابلة على الجانب المصرى • ولذلك فعندما قامت الحرب فى سبتمبر ١٩٣٩ وأصبح من الضرورى أن توضع مصر فى حالة الاستعداد لها بأسرع ما يمكن اتبع ويلسن طريقة عقد مؤتمر يومى يحضره

---

(٢) Bateman to Halifax, No. 1066, 25 August 1930, F.O. 407/223.

لا شك أن بتمان يقصد بالجيش المصرى هنا كبار ضباطه الذين كان عزيز المصرى يعتبر دخيلا عليهم •

هو أو أحد كبار مساعديه وماكريدى مع كبار الضباط المصريين للاتفاق على الاجراءات اللازمة • وبهـذه الطريقة امكنه أن ينجـز الكثير دون حـدوث خلاف (١) • وكان اشتراك الجيش المصرى منذ خريف ١٩٣٩ فى التدريبات مع القوات البريطانية وقيامها بمناورات مشتركة عاملا أخر قصد به توثيق صلات التعاون والتفاهم بين الجيشين ، خـاصة وقد كان بعض الضبـاط المصريين اعضاء فخريون فى ميس الضباط الانجليز (٢) •

ولا شك ان الجنرال ويلسن كان يشير الى تلك الجهود كما أنه يوضـح تقديره لاهمية موقف الجيش المصرى على الجبهة الداخلية حين يقول تعليقـا على حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى علم به وهو فى سوريا « لقـد ذهلت وفزعت لهذه الانباء لانى شعرت بأن كافة الجهود التى بذلت فى الايام الاولى للحرب لاقامة علاقات طيبة مع المصريين وضمان تعاونهم قد تبددت • وكان من الممكن أن يكون لهذ االعمل رد فعل فى الجيش المصرى له ضرره البالغ على مجهودنا الحربى ، وكانت جهود عطا الله باشا رئيس الاركان فى معالجة الحالة هى وحدها التى حالت دون وقوع احداث (٣) »•

ويتضح أيضا تقدير أهمية موقف الجيش المصرى مما حدث فى عام ١٩٤٣ حين اراد فاروق أن يقيل وزارة النحاس بمناسبة ازمة الكتاب الأسود • ذلك أن لامبسون أراد أن يكرر حينئذ ما حدث فى ٤ فبرايـر ١٩٤٢ من تـدخل بريطانيا فعارض فى ذلك العسكريون • ويقول ويلسن أنه شعر أنها « ستكون كارثة أن نعيد المسلك المختلف حول تقديره والذى أقدمنا عليه فى ٤ فبراير ١٩٤٢ لان النتائج التى ستترتب عليه ستكون ابعد أثرا وتؤدى الى اشتباك البريطانيين فى حرب مسلحة مع الجيش المصرى أو على الاقل يواجه البريطانيون بنوع من الاضراب من بعض القوات المصرية وسوف يخلق ــ على كل حال ــ موقفـا خطيرا فى الجيش المصرى •• » وكان الجيش المصرى فى ذلك الوقت يتـولى المدفعية المضادة للطائرات وحراسة المناجم والمنشآت (٤) •

---

(١) Wilson, op. cit., p. 26.

(٢) الاهرام ٣ يناير ١٩٣٩ • المقطم اول يناير ١٩٣٩ Ibid., p. 35.

(٣) Ibid, p. 129.

(٤) Ibid. p. 130.

هذا عن تعاون وولاء الجيش المصرى • اما العوامل التى تعوق تعاون وولاء المصريين بوجه عام فمنها كما أشرنا العداء التقليدى لبريطانيا نتيجة الكفاح الطويل المرير الذى خاضته الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى • فلم يكن مما يتفق مع طبيعة الاشياء ان تختفى بمجرد توقيع المعاهدة كل عوامل عدم الثقة والشعور بالظلم والمرارة والكراهية التى رسخت خلال احتلال قارب حينئذ ستون عاما خاصة وان المصريين لم يشعروا بعد المعاهدة بان الاوضاع تغيرت كثيرا عما كانت عليه قبلها : فجيش الاحتلال استمر فى ثكناته فى القاهرة والاسكندرية ولاتزال بريطانيا تتدخل فى شئون مصر كما أكد الوفد بعد اقالة وزارة النحاس فى ديسمبر ١٩٣٧ • وزاد الطين بلة اعباء مالية ثقيلة ترتبت على التزامات المعاهدة واحتمال توريط مصر بمقتضى التحالف فى مشاكل وحروب بريطانيا التى لا تمس المصالح المصرية فى قليل أو كثير •

ذلك كان المحور الرئيسى الذى تدور حوله الدعاية الالمانية الايطالية الموجهة بالعربية الى مصر من محطة برلين ومحطة بارى فى ايطاليا • وكانت تساند تلك الدعاية وتقوى من أثرها جالية ايطالية كبيرة فى مصر ومفوضية ايطالية نشطة فى القاهرة (١) •

أما الجالية الايطالية فيقدر عددها بحوالى ٦٠ أو ٧٠ ألفا منتشرة فى الوجه البحرى مع تركيز فى القاهرة والاسكندرية والسويس وبورسعيد • وكان نفوذها فى مصر يعتمد على كثرة عددها وانتشارها واتصالاتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بالمصريين• كما يرجع الى عاملين اخرين هامين أحدهما تأثيرهاداخل القصر نتيجة وجود بعض الايطاليين ضمن الحاشية ، أو قيامهم ببعض الأعمال داخله منذ أيام فؤاد الذى تربى فى ايطاليا • ومن هؤلاء انطون بوللى الذى كان كهربائيا ثم انضم الى الحاشية • وهارو الحلاق وكانوتشى مدرب الكلاب ،

---

(١) اعتمادنا فيما يختص بالجالية والمفوضية الإيطالية على البحث الذى نشره الأستاذ الدكتور محمد احمد انيس عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ فبراير ١٩٦٧ وعلى
Lugol, J., Egypt and world war II, pp. 61-64.
وعلى تقارير الأمن الموجودة ضمن وثائق مكتبة عابدين وهى الآن فى مركز دراسات ووثائق تاريخ مصر المعاصر ، وتلك التقارير بعضها محرر بمعرفة البوليس المخصوص التابع للسرايات الملكية والبعض الآخر بمعرفة القلم المخصوص التابع لوزارة الداخلية . وسنشير الى هذه التقارير فى موضعها .

ومنهم شخصيات كان لها النفوذ فى القصر هم ميلانيزى رئيس فرقة الموسيقى وفيروتشى كبير مهندسى القصر وانجلوسان ماركو المؤرخ •

العامل الآخر هو أن جانبا كبيرا من تلك الجالية كان يتعاطف مع الحركة الوطنية فى مصر منذ سنة ٩١٩١ يتمثل ذلك فى نشاط جمعية الصداقة المصرية الايطالية ونادى خريجى الجامعات والمدارس الايطالية وبعض الصحف التى تصدر فى مصر بالايطالية مثل جورنالى دى اورينتى ــ والمساجيرو ــ وروما ــ ومديتارينو ــ وكورير ديتاليا • لكن جانبا آخر من تلك الجالية كان يؤيد الاحتلال •

وقد انقسمت الجالية الايطالية أيضا فى موقفها من الفاشية واختلفت المصادر فى أى الفريقين أرجح ، المؤيدون أو غير المؤيدين للفاشية • فالجنرال ويلسن يرى أن الجالية الايطالية كانت قليلة التحمس للفاشية أما جان ليجول فيؤكد أنها كانت شديدة الحماس لقضية الفاشية •

والحق أن الجالية الايطاليةمن هذة الناحية كان يتجاذبها فريقان :المفوضية الايطالية بنشاطها وتنظيماتها ممثلة للفاشية ، والعناصر المعادية للفاشية •

وتلقى تقارير الآمن فى سنوات ١٩٤٠ و ١٩٤١ بعض الضوء على الفريق الثانى ، اذ توضح لنا أنه هناك تنظيمان هما :

« لجنة الايطاليين الأحرار فى مصر »

Comitato D'Aizioni Degli Italiani Liberi in Egitto

و « الحزب المعادى للفاشية » Gruppo D'Azioni Antifascista.

وأن هذان التنظيمان قد اندمجا فى مارس ١٩٤١ تحت أسم « الحزب الايطالى الحر المعادى للفاشية » •

Gruppo d'Azioni Antifascista el Italiani Liberi

ويمثلة فى القاهرة لجنة من ثمانية أعضاء هم : Alceste Coli

Antonio Indracollo, Sandro Rocca, Edmondo Jabes, Angelo Tartgni, Ezio Vais.

والدكتور Maurizio Boccara والبرفيسور Vittorio Boccara, Paolo Lanza التى تقوم بعمل السكرتارية

وكانت تلك الجماعات تلقى التأييد والمساعدة من اليهود والماسون والسلطات البريطانية والسلطات المصرية ، فلسان حالها جريدة "Corriere d'Italia" كان يكتب فيها شبان يهود تلقوا تعليمهم فى ايطاليا ، ويساعدهـا ماليا أغنياء اليهود ومكتب الاستعلامـات البريطانى • كما كانت الجماعات على أتصـال بالقسم المخصوص بوزارة الداخلية المصرية •

اذا أخذنا الصحافة كمقياس فأننا نخرج من ذلك بنتيجة هى أن الجماعات المعادية للفاشية كانت هى الجانب الأضعف فجريدة Giornale d'Italia لسان حال الفاشية كانت أنتشارا من جريدة كورير ديتاليا ، كما أن جريدة Giornale d'Oriante المعادية للفاشية لم تلبث أن احتجبت فى مارس ١٩٤١ (١) • رغم اندماج القوى المعادية للفاشية حينئذ كمـا رأينـا ، ورغم نجاح القوات البريطانية فى مصر فى طرد الايطاليين من برقة ، وهى عوامل كان مفروضـا أن تقوى من وضع القوى المعادية للفاشية ، وبالتالى رواج الجرائـد المعبرة عن آرائها •

ورغم حملة جان ليجون فى كتابه على المفوضية الايطالية وأفرادها وغضه من كفاءتهم ، وهو وضع طبيعى من صحفى فرنسى كان عليه أن يواجه دعايـة المحور المعادية للحلفاء فى مصر — فالأمر الواضح ، حتى من كلامه ، أن المفوضية الايطالية كانت تملك ، رسائل ولديها الكفاءة ولها الاتصـالات التى تجعـل لدعايتها تأثيرا بين المصريين • فهناك : «Gruppo d'Azione Antifascista el Italiani Liberi" وهناك الجالية الايطالية الكبيرة والكثير من أفرادها متحمس للفاشية ، وهناك المدارس الأيطالية فى بعض المدن الهامة وبخاصة فى القاهـرة والأسكندرية بالاضافة الى « مركز الفاشية » فى المدرسة الايطالية بالقاهـرة ،

---

(١) كان من الشخصيـات الرئيسية فى جريدة الكورير ديتاليا Marco Orvieto الذى كان قبل ذلك يعمـل فى مكتب الصحافة والاعـلام الذى يديره البروفيسور Aduino Albanese, Mario Rossi ومن الأسماء الأخرى فى مجـال الصحافة المعادية للفاشية ايزاك تاكامونى وانجلو بروكاشيا . انظر
Cairo City Police, Special Section, to Under Secretary of State, Public Security Dep.
Ministry of the Interior. No. s.s. 181/41 Confidential, 3 April 1941 ; No. 11 May 1941 ; No. s. s. s/1. 62/41 Confidential, 26 May 1941 ; No. 10 March 1941

وكان التعليم فيها بالمجان وتضم ٤٠٠ طالبا مصريا • وكان الحزب الفاشستى فى روما هو الذى يعين السكرتير السياسى لذلك المركز • كما أن الوزير المفوض ، كونت ماتزولينى Mazzolini كان أحد منظمى الفاشية الأوائل عام ١٩١٩ وشارك فى الزحف على روما ، كما كان سكرتيرا مساعدا للحزب • يضاف الى ذلك أن الكابتن أوجو دادون Ugo Dadone رئيس مركز الاستعلامات الايطالى كان أيضا من كوادر الحزب الهامة ، وكان يتخذ مركز الاستعلامات وسيلة لتنظيم طابور خامس كبير النشاط ، ولجمع المعلومات •

من شخصيات المفوضية الهامة كان هناك ثلاثة لهم اتصالات اجتماعية واسعة ، هم ماتزولينى ودادون والملحق التجارى ديسيو بافون Decio Buffoni كان دادون ذو صلات واسعة ، له كثير من المعارف والاصدقاء بل ويعرف كل انسان فى القاهرة ،كما يقول ليجول ، وتفتح له الأبواب أينما ذهب • أما بافون فكان رساما له صلاته بالمجتمع الفنى والأساط المثقفة فى القاهرة •

كان يساند المفوضية الايطالية فى نشاطها مفوضيات الدول الموالية للمحور ، وبخاصة المفوضية الألمانية ، فتدل تقارير الأمن على أنه تكونت فى القاهرة هيئة Ausland Nazi Frauensch تضم النساء الألمانيات المتزوجيات من غير آريين ومن أغراضها الدعاية للمبادىء النازية ونشر الأشاعات وأعمال التجسس (١) •

تلك هى ركائز النفوذ والدعاية الايطالية الألمانية التى كانت مصدر قلق دائم لسير مايلز لامبسون ، خوفا منه على الجبهة الداخلية • فمنذ وقت مبكر ، وفاروق لا يزال يحكم عن طريق مجلس الوصاية ، وجهود لامبسون متصلة للتخلص من الحاشية الايطالية فى القصر ، وعلى الأخص فيروتشى Verucci كبير المهندسين • حاول ذلك فى مايو ١٩٣٦ (٢) • ثم نصح فاروق ثانية فى

---

(١) من القسم المخصوص بمحافظة القنال الى وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام ، رقم ٢٦٠٢ سرى فى ٢٠ أبريل ١٩٤١ •

2. Lampson to Eden, telegram No. 419, 12 Mgy 1936, F.O. 407/219 p. 95.

مارس ١٩٣٩ بأنه كملك دستورى لمصر المستقلة ينبغى الا تضم حاشيته عناصر غير مصرية (١) لكن مساعيه لم تصادف نجاحا قبل نشوب الحرب .

وقد توالت تقارير لامبسون تحمل شكواه من الدعاية الأيطالية الألمانية ومخاوفه من آثارها . ففى يناير ١٩٣٩ كتب يقول « الحق أنه يخشى أن عملاء أيطاليا والمانيا قد يؤثرون بواسطة صنائعهم داخل القصر وخارجه على الملك فاروق بما يريده محور روما ــ برلين ، أى حيدة مصر فى حالة قيام الحرب ... وليس هناك من شك فى أن الدعاية الإلمانية والأيطالية تعمل على أ نتزكى بين المصريين جميعا ، سواء أكانوا من الطبقات العليا أو الدنيا ، الشعور بأن مصر ينبغى أن تتجنب الانسياق الى حروب انجلترا اذا كانت تلك الحروب لأسباب لا تمس مصالح مصر بطريقة مباشرة . . . لقد توقفت الدعاية الايطالية المفتوحة ضد بريطانيا توقفا تاما منذ أن صودق على اتفاقية روما ،لكن الدعاية الألمانية حلت محلها ، وهى تعمل لصالح طرفى محور روما ــ برلين . ولاشك أنه يوجد تفاهم وثيق بين تنظيمات الدعايتين الألمانية والايطالية . . . . وفيما يختص بمصالحنا لا يعنينا كثيرا أى الشريكين يدير الدعاية المضادة لنا .

الدعاية الايطالية الألمانية شاملة ، لكن يبدو أن أحد مجالاتها المفضلة فى مصر هو ما يماثل الطبقة الإرستقراطية فى أوربا أى البلاط ومن يدورون فى فلكه ، الأتراك والمصريون المتتركون والعناصر الراقية والأكثر تعاليا فى المجتمع المصرى. فى هذا المجال يجد عملاء الدعاية الايطالية الألمانية اذانا أكثر اصغاء عما هو الحال فىالدوائر الأكثر بورجوازية وشعبية التى لاتزال على عدائها لايطاليا تحت لواء الوفد . وكل هذه الدعاية المقنعة والمتباينة لها غاية واحدة هى تقويض مركز انجلترا فى مصر والشرقين الأدنى والأوسط لصالح محور روما ــ برلين ولابد لها أن تضعف مركزنا فى أىوقت وفى أىمكان تتعارض فيه مصالح بريطانيا العظمى مع مصالح العالم المصرى ــ العربى » (٢) . لكن غزو البانيا فى أبريل دفع ايطاليا الى تنشيط دعايتها فى مصر ، تبريرا للغزو وتلميحا الى ما عليه بريطانيا

1- Lampson to Eden, telegram No 75 saving, 29 March 1939, F.O. 407/223, P. 22.

2- Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939 F.O. 407/223, pp. 7-9.

من ضعف . ولما كان الجانب البريطانى ملتزما بالاتفاقية الانجليزية الايطاليـة (معاهدة روما) فقد وقف مغلول اليدين ، عاجزا عن مواجهة تلك الدعاية ، مما أضعف موقف بريطانيا . وزاد من ضعفه زيارة دكتـور جوبلز وزير الدعاية الألمانى لمصر بعد ذلك مباشرة . لذلك لجأ لامبسون الى طريقة استعراض القوة بمرور بعض القوات البريطانية فى عرض كبير فى شوارع القاهرة ، ثم كتب يقترح بإصرار شديد أن يسمح له «بالقيام بحملة دعاية مضادة فى الحال . أنها لازمة من وجهة النظر العسكرية (القائد العام (البريطانى) تحدث الى فى ذلك عدة مرات بإصرار) ، والأوضاع المحلية تتطلبها ، ولا أملك سوى أن أعرض وجهة النظر التى ترى أن الصمت المفروض علينا حالياً هو جنون مطبق ، حتى لو كان ذلك منى صراحة زائدة عن الحد . أن الوضع وصل الى حد يدفعنى الى أن أقترح أن تبدأ حملتنا الدعائية المضـادة من الأسبوع القادم اذا لم تصلنى تعليمـات تخالف هذا » (1) .

ومع ذلك فان وزير الخارجية صرح له باستخدام ما لديه من وسائل لايضاح وجهة النظر البريطانية ووقوف بريطانيا ضد العدوان ، لكنه منعه من أن يجاوز ذلك الى حملة تهاجم ايطاليا ، فذلك نقض للمعاهدة الانجليزية الايطالية التى تعتزم بريطانيا أن تلتزم بها لأن نقضها يعطى ايطاليا مبررا للتحلل من الالتزامات التى تقيد بريطانيا فيما يختص بالشرق الأدنى وسحب القـوات الايطاليـة من أسبانيا (2) .

وعاد لامبسون فى مايو ١٩٣٩ يشكو من الدعاية الايطالية الألمانية ويقترح علاجا مباشرا لها بقوله « ساق القلق المصرى (نتيجة استيلاء ألمانيا على باقى تشيكوسلوفاكيا والغزو الايطالى لألبانيا) أيضا الحكومة لأن تكون عونا لنا فى مسألة الدعاية الألمانية الايطالية التى أصبحت منذ زيارة الدكتور جوبلز فى الشهر الماضى أكثر وأشد قوة . وقد نوهت فى مكاتباتى السابقة بخطر هـذه الدعاية ، وبعدم كفاية اجراءاتنا المضادة . أن الشرط الأساسى الذى ينبغى توافره

1- Lampson to Halifax, telegram No. 276, 20 April 1939, F.O. 407/223, pp. 24, 25.

2- Hlalifax to Lampson, telegram No. 328, 24 April 1939, F.O. 407/223, p. 25.

لكى تقوم بهجوم مضاد هو انشاء وزارة للاعلام فى لندن واتخاذ القاهرة مركزا للدعايــة فى العالم المصرى ـــ العربى ، وهـــذا يماثل تماما التنظيم الايطـــالى والألمانى » (١) .

وقد أنشئت فعلا وزارة للاعلام فى لندن تضم قسما خاصا بالشرق الأسط .

من العوامل الأخرى التى كانت تؤثر فى موقف المصريين من بريطانيا وبالتالى مصدرقلق للامبسون على سلامة الجبهة الداخلية، سياسة مصر الأسلامية رموقفها من القضية الفلسطينية . ذلك إن مصر : بعد معاهدة ١٩٣٦ ، أخذت تبحث لها عن دور فى السياسة العالمية . ولم تبدأ مصر ذلك من فراغ فقد كانت تنازعها عدة اتجاهات منذ آخر القرن التاسع عشر ، فبالاضافة الى شعورها بشخصيتها المتميزة كان هناك اتجاه اسلامى قوى نحو الجامعة الأسلامية ، ذلك الاتجاه الذى كان يشجعه من الخارج سلاطين تركيا ، ويشجعه فى الداخل الكثير من الهيئات والمفكرون ، منهم الحزب الوطنى . كان هناك أيضا الاتجاه العربى ويدعو له مفكرون أمثال عبد الرحمن الكواكبى ويشجعه الخديو عبـــاس حلمى الثانى نكاية فى السلطان العثمانى ولتحقيق مآرب سياسة .

وفى الفترة التى يتناولها البحث الآن كان الاتجاهان يسيران جنبا الى جنب على المستوى الشعبى ، أما على المستوى الرسمى فكان الاتجاه الأسلامى هو الأعلى نتيجة للسياسة الأسلامية التى اتبعها الملك فاروق لزيادة شعبيته بتوجيه من الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر وعلى ماهر باشا رئيس ديوانه ، تلك السياسة التى تضمنت أظهار الملك الشاب بمظهر الصلاح والتقوى ، وأدائه صلاة الجمعة كل أسبوع فى أحد المساجد ، والهتاف له بلقب الخليفة وأمير المؤمنين ، ومحاولة صبغ حفل توليه العرش بالصبغة الدينية . وقد تضمنت هذه السياسة الأسلامية بحكم الضرورة انعكاسات عربية ، وبخاصــة فيما يتصـــل بقضية فلسطين . وفى أكتوبر ١٩٣٨ عقد فى القاهــرة المؤتمر البرلمانى العربى والأسلامى لنصرة قضية فلسطين ، وحين تألفت وزارة على ماهــر فى أغسطس

1-. Lamprson Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223, p. 35.

١٩٣٩ ضمت ثلاثة من كبار المدافعين عن الأسلام والعزبة وهم عبد الرحمن عزام وصالح حرب ومحمد على علوبة (١) .

تلك السياسة الأسلامية العربية كانت ـ كما أشرنا ـ مصدر قلق للامبسون على سلامة الجبهة الداخلية من وجهة النظر البريطانية ، فكتب فى نوفمبر ١٩٣٨ عقب المؤتمر البرلمانى لنصرة قضية فلسطين يقول «ما كاد ينتهى الفزع الناشىء عن نذر الحرب حتى أخذت المسألة الفلسطينية بوصفها من الشئون الخارجية مكان الصدارة على السياسة الداخلية . وقد شجع القصر والحكومة الحركة الفلسطينية هنا كجزء من سياسة مصر الأسلامية المسيطرة فى الشرق الأدنى والأوسط . واستجابة للمساعى التى بذلتها لدى القصر والحكومة أمكن توجيه مداولات المؤتمر العربى البرلمانى الى أسس معتدلة نسبيا . وفى نفس الوقت فان الجمعيات الأسلامية المختلفة التى ازداد عددها فى السنة الماضية ولها اتصال بالقصر قد اشتد عنفها فى استنكارها للصهيونية والجبهة الامبريالية التى تساندها وهى بريطانيا العظمى . وهنا ـ مرة ثانية ـ استجابت الحكومة لتوسطاتى وأظهرت بعض السيطرة على عوامل الهياج . وقد أصبحت الجامعة المصرية أيضا مركزا لهذه الحركات المعادية لبريطانيا ويشترك فيها الطلاب من جميع الأحزاب . ولو أن الوفد قاطع المؤتمر البرلمانى لأنه انعقد تحت رعاية النظام الحالى ، الا أنه استغل المسألة الفلسطينية ليظهر بريطانيا العظمى بمظهر العدو الأبر . وليظهر فتور الحكومة نحو القضية العربية لأن الوزارة ـ كما يدعو الوفد ـ مدينة للدعم البريطانى بالاستمرار فى الحكم .

ونظرا لتعاطف المصريين الشديد مع عرب فلسطين فما لم تحل المشكلة الفلسطينية فانها ستظل مادة يستغلها المحرضون السياسيون ـ سواء فى ذلك القصر أو الوفديون ـ لمهاجمة بريطانيا العظمى والحاق الضرر بالعلاقات المصرية الانجليزية . أن حل هذه المشكلة من شأنه أن يقلل من الصعوبات التى تلاقيها هنا . ولا يفتأ رئيس الوزراء يردد هذا الرأى فى أحاديثه معى . . .

---

(١) مارسيل كولومب ، تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧ . يلاحظ أن الاتجاه تحول بعد ذلك الى تفوق فكرة الجامعة العربية وتزعم مصر للعالم العربى بحكم وضعها وامكانياتها .

لايزال الملك فاروق — بأرشاد على ماهر باشا — يواصل السياسة الأسلامية التى كان والده يسير عليها دون أن تكون له بصيرته . . . أما فى الخارج فانها (هذه السياسة الأسلامية) تميل الى تعزيز نفوذ مصر فى العالم الأسلامى تحت رعاية بريطانيا العظمى وفرنسا . وسواء أكان هذا الحلم الأخــرق يؤدى الى قيام الخلافة فى مصر أو كان الهدف العملى الوصول الى نوع من الرياسة الدنية فى الأسلام ، فان هذه السياسة الملكية تنطوى على خطر أثارة كراهية الأجانب فى مصر ، كما أنها تؤدى الى توثيق التعاون بين الدول الأسلامية التى تناهض سياستنا وسياسة الفرنسيين . وعمــا قليل سوف يتضح الموقف فى هذا الأمــر الحيوى الهام ؛ فلو ما أن يواصل العالم الأسلامى صداقته التقليدية لنا ؛ وأما أن ينحاز الى الجانب الايطالى — الألمانى . لذلك فان السياسة الأسلامية التى ينتهجها ملك مصر يجب أن تكون موضع اهتمامنا الكبير ، وينبغى أن نراقب تطورتها بعناية فائقة » (١) .

وفى يناير ١٩٣٩ كتب يقول أن المسألة الفلسينية تعمل على استمرار تعقيد العلاقات المصرية البريطانية، وأن مصر «تطمع فى استخدام استقلالها الذى حصلت عليه أخيرا فى أن تلعب دورا قياديا فى الشرقين الأدنى والأوسط . أن اطمــاع الملكية فى الخلافة تجعل عون مصر مؤكدا لأية قضية اسلامية داخــل أو خارج الحدود المصرية .

. . . . هذا الحماس الأسلامى المثار قد نفس عن نفسه تنفيسا طبعيا فى حملة متصلة هدفها مساعدة جيرانها من مسلمى فلسطين الذين يتخذ جهادهم ضد البريطانيين واليهود صورة الحرب المقدسة . وقد ألقى وصول المنفيين من سيشل مزيدا من الوقود على النار المشتعلة (٢) . وهم ضيوف جمعية الشبان

1- Lampson to Alalifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222.

(٢) على أثر اشتعال الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ قامت السلطات البريطانية فى فلسطين فى عام ١٩٣٧ بنفى خمسة من أعضاء اللجنة العربية العليا الى جزر سيشل . وحين دعت بريطانيا الى مؤتمر المائدة المستديرة فى أوائل ١٩٣٩ لبحث القضية الفلسطينية قررت اطلاق سراح هؤلاء المنفيين حتى يتيسر اختيار ممثلين من عرب فلسطين فى المؤتمر ، وكان وصول هؤلاء الى مصر مناسبة للتعبير عن تأييد المصريين القوى لحقوق الشعب الفلسينى واستنكارهم الشديد للسياسة البريطانية فى فلسطين .

المسلمين وقد أصبحوا مركزا لأعمال الهياج الأسلامى المعادى للبريطانيين • أن قسوة أعمال القمع العسكرى التى كان يتعــذر تجنبها فى فلسطين قد أتاحت الفرصة لاستغلال ما أسموه بالوحشية البريطانية • ومرة تلو الأخرى كان على السفارة أن تحتج على هذا الهياج لدى وزارة الداخلية ••••من وقت لآخر كانت السلطات المصرية — نتيجة لطلباتها — تصادر بعض الكتيبات الجارحة المضادة للبريطانيين ••••

وعلى أية حال يجب الا نفترض أن التعصب الدينى هو وحده المسئول عن مساعدة المصريين لعرب فلسطين • فجميع المصريين يتعاطفون فعلا مع العرب فى جهادهم • وأكثر الطبقات فهما يتوقعون أن يعتدى اليهود على شعوب الشرق الأدنى وعلى اقتصاده • ويخشى المصريون — وربما كان لخوفهم ما يبرره — أن جوار دولة يهودية قوية يؤثر جــديا فى تفوق مصر الاقتصــادى فى الشرق الأدنى •

يجب أن يكون فى بالنا أنه توجد هنا جالية فلسطينية مهمة غالبية افرادها من اللاجئين الا أن هؤلاء الفلسطيون سيظلون مركزا دائم الهياج مضاد للبريطانيين الى أن تتم تسوية المسألة الفلسطينية بمــا يرضى العرب • وهذه صــورة من الموقف فى فلسطين لها أهميتها الكبرى بالنسبة لوضع بريطانيا العظمى فى مصر •

ولا ريب فى أن متاعب بريطانيا العظمى مع العــالم العربى بشأن فلسطين تضعف من موقفها فى شرق البحر المتوسط بشكل محسوس ، وبذلك يكون لها أثر سيىء على دورنا كحليف لمصر • وقد سبق أن أوضحت أن مصر لم تعد على ثقة كاملة من قدرتنا على توفير الحماية الكافية لها ضد العدوان • لذلك كان لا بد من الاسراع بتسوية المسألة الفلسطينية بطريقة تعيد لنا تأييد العالم العربى وبذلك يقوى موقفنا هنا » (١) •

وعاد لامبسون فى مايو١٩٣٩ يقول أنه «من الواضح أن عداء الوفد لاشتراك مصر فى حرب يمكن بسهولة تصويرها للشعب الجاهل على أنها حرب بريطانيا العظمى وليست حرب مصر قد يعقد أعمالنا وأعمال الحكومة المصرية الى درجة

1- Lampson to Hlaʿifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223, pp. 7, 8.

كبيرة ... واذا لم تحل المسألة الفلسينية سريعا حــلا مرضيا فانها ستمــد الوفد بالكثير من الذخيرة الفعالة (ضد بريطانيا) (١) .

ولاشك أن هذا الضغط الشديد من جانب لامبسون لنزعة تسوية المسألة الفلسطينية بما يرضى العرب من العوامل الهامة التى أدت تغيير بريطانيا سياستها فى فلسطين آواخر ١٩٣٨ وأوائل ١٩٣٩ . فقبل ذلك كانت الساسة البريطانية منذ يوليو ١٩٣٧ تقوم على أساس تقرير لجنة بيل Peel الذى تضمن الاقتراح بتقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ومنطقة محايــدة تشمل الأماكن المقدسة . ثم ارسلت فى أبريل ١٩٣٨ لجنة التقسيم لتضع تفاصيل تنفيذه ، ونشر تقريرها فى آكتوبر . فى ذلك التقرير أوضحت اللجنة أن التقسيم غير عملى لكنها فى النهاية عرضت مشروعا معدلا للتقسيم يقوم على أساس تكوين اتحاد جمركى من الأقسام المختلفة . وفى نوفمبر ١٩٣٨ أعلنت الحكومة البريطانية عن عدولها عن سياسة التقسيم ، واعتزامها دعوة ممثلين لعرب فلسطين ولليهود وللــدول العربية المجاورة الى مؤتمر يعقد فى لندن للبحث عن حل للمسألة الفلسطينية(٢).

لم يسفر مؤتمر المائدة المستديرة (فبراير ــ مارس ١٩٣٩) عن حل ، لكن المقترحات التى تقدمت بها الحكومة البريطانية خلاله هى التى صدر بها الكتاب الأبيض فى مايو ١٩٣٩ ، وتتضمن أنهاء الانتداب واقامة دولة واحدة مستقلة خلال ١٠ سنوات ، وتحديد الهجرة ، وايقاف الهجرة غير الشرعية وبيع أراضى العرب لليهود .تلك كلها مكاسب للعرب ، ويلاحظ أن فترة هذا التطور تتفق مع اجازة لامبسون فى بريطانيا ، وهى تمتد عادة بين يوليو وآكتوبر ، وخطاباته المتوالية التى أشرنا اليها بين نوفمبر ١٩٣٨ ومايو ١٩٣٩ .

وكانت حالة البلاد الأدارية والأقتصادية بوجه عــام تزعج لامبسون وتثير قلقة على الجبهة الداخلية .

ترتبت على معاهدة ١٩٣٦ عدة نتائج كان لها صداها فى المجــال الادارى

1- Lampson to Hlalifax, No 560, 21 May 1939, F.O. 406/223, pp. 34, 35.

(٢) انظر : هيئة الاستعلامات ، ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية ج ٣ ، ص ٣٩٩ ــ ٤٢١ . د . صــلاح العقاد ، المرجــع المذكور ، ص ٢١٢ . صيتون وليمز ، بريطانيا والدول العربية ، عرض للعلاقات الانجليزية العربيــة ١٩٢٠ ــ ١٩٤٨ ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ص ١٥٠ ــ ١٥٦ .

والاقتصادى • فقد ألغيت الأمتيازات الأجنبية واستردت مصر حريتها فى التشريع للاجانب وفى فرض الضرائب المباشرة عليهم ، وقد أثار ذلك قلق الأجانب وتخوفهم من الطريقة التى ستزاول بها الحكومة المصرية سلطاتها التى استردتها ، وكان لهذه المخاوف أثرها فى المجال الاقتصادى • ومن العوامل التى كانت مصدر توجس وترقب أيضا تصفية القسم الأوربوبى أو بوليس الأجانب فى وزارة الداخلية •

وقد ترتبت على استرداد مصر حريتها فيما يختص بفرض الضرائب أن سنت قوانين جديدة خاصة بضرائب الدخل والتمغة والتركات لتنمية موارد الدولة ، وذلك دون تطوير مبكر وسريع للادارات الخاصة بجباية تلك الضرائب بالشكل الذى يرفع من كفاءتها ويمكنها من مجابهة تلك الاعباء الجديدة ، وكانت الحاجة ماسة الى هذا التطوير حتى تجنى الدولة أقصى فائدة من تلك القوانين الجديدة مما يمكنها من مواجهة الأعباء الباهظة التى فرضتها عليها المعاهدة ، ومن مواجهة أعباء التنمية فى مجتمع حديث عهد بالاستقلال • وبذلك يكون العجز الادارى أساسا لعجز مالى واقتصادى يقع ضرره فى النهاية على المجتمع ويؤدى الى تذمر أفراده من السلطة الحاكمة •

يضاف الى ذلك انخفاض أسعار القطن فى نهاية عام ١٩٣٨ وأوائل ١٩٣٩ مع نقص محصوله نتيجة لظروف جوية ومهاجمة الآفات للمحصول ، مما أدى الى سوء الحال فى الريف والعجز عن تسديد الديون العقارية ومهاجمة الحكومة والضغط عليها لايجاد حل حاسم لتسوية تلك الديون ، وقد أدى سوء حال البلاد المالية والاقتصادية الى تفشى البطالة •

ولما كان الاعتقاد لايزال حينئذ سائدا بأن بريطانيا مستمرة على التدخل فى شئون مصر بعد معاهدة ١٩٣٦ ، وأن تلك المعاهدة قد أثقلت مصر بالتزامات مالية فادحة ، فان جانبا كبيرا من استياء نتيجة سوء الحالة المالية والاقتصادية كان ينصب على بريطانيا •

تلك هى الحالة التى كانت مبعث قلق السفير البريطانى وخوفه من أنها ستؤدى الى وجود شعور عدائى فى مصر ضد بريطانيا وضد المعاهدة • وقد عبر عن مخاوفه تلك ابتداء من نوفمبر ١٩٣٨ اذ كتب يقول « أن مصر مقبلة على

أوقات عصيبة ولم يبرز من رجال السياسة فيها من هو كفء لرسم تخطيط سليم لمواجهة الأخطار التي تهدد مستقبل البلاد .

للموقف المالى والاقتصادي سيء ، فالمساحة المزروعة قطنا هذا العام أقل من مساحة العام الماضى ، كما أن المحصــول قــد انخفض بسبب العوامل المناخية وبسبب الخسائر الفادحة التى أحدثتها دودة القطن : ولظروف الفيضان . ومع أن التقديرات تختلف فالاعتقاد السائد هو أن المحصــول هذا لعام يقــل عن محصول العام الماضى بمقدار الثلث ، مما يؤدي الىخسارة فى الدخل القومى تبلغ عشرة ملايين من الجنيهات . كما أن حصيلة الجمارك قد أظهرت اتجاهــا الى الانخفاض . وقد أصبحت جباية ضريبة الاطيان الزراعية من الفلاحين الذين يعانون من النكبة أمرا شاقا يستلزم اتخاذ اجراءات مشددة ضد المتخلفين عــن السداد . وقد بدأت الحكومة وضع مشروعات للاسراع فى زيادة عدد الجيش وقوة الطيران ، بل وفى انشاء بحرية مصرية ؛ ولا أعتقد أن هنــاك تقديرات سليمة ، أو أن ميزانية قد وضعت للموازنة بين المصروفات المتزايدة وبين هذه المشروعات الطموحة فى حدود موارد البلاد الاقتصادية » .

وقد أشار الى مشروعات ضرائب الدخل والتمغة والتركات وأنها قدمت الى البرلمان فى سبتمبر وادخلت عليها بعض التعديلات وانها ستبحث خــلال الدورة الجديدة ، وقال « وحتى اذا تمت الموافقة عليها فى صورتها المعدلة فانه لا يحتمل أن تكون مصدرا كبيرا للايراد لفترة كبيرة . وكذلك فان الاجهــزة اللازمة للادارة الفعالة فى هذه الظروف المالية المعقدة لا تتوفر لها الخبرة الكافية ومن ثم فان الحكومة تواجه برنامجا عسكــريا ضخما لا يمكــن تمويله من اعتمادات الايرادات الحالية اذا أريد تنفيذه ، ومن المفروض أن تلجأ الحكومة الى المبالغ الاحتياطية بالميزانية ....

ومن الصعب أن تتجنب التشاؤم تجاه مستقبل مصر الاقتصــادى والمالى نظرا لالتزاماتها العسكرية الجديدة ولضعف الجهاز المنوط بمواجهة الاعبــاء الجديدة التى تثقل موارد البلاد الاقتصادية . ومن صور هذا التشاؤم الذى يشعر به المستثمرون ــ أجــانب ووطنيــون ــ نزول أسعــار الأوراق المالية المصرية ، ولو أن هذا النزول يرجع أيضا الى عوامل اقتصادية عالمية ....وسوف

تؤدى زيادة الأعباء المالية الى أن يزداد الناس كراهة للقصر ويقوى تذمرهم ضد نظام القصر الذى يعزون اليه متاعبهم الاقتصادية •

ولما كان الناس يخشون أن يتعرضوا للمخاطر اذا ما أعربوا عن معارضتهم للملك ، فانهم ينحون باللائمة على انجلترا كما تعودوا ذلك من قبل • وقد بدأ الوفد بالفعل حملته على برنامج الاتفاقات العسكرية بدعوى أن هـذه الأعباء فرضت على المصريين لخدمة مصالح الامبريالية البريطانية • والوفـد يعتبرنا مسئولين عن كل اجراء حكومى يثير السخط لدى الشعب • ولا يزال المصريون يعيشون على المفاهيم القديمة التى مؤداها أن انجلترا فى حقيقة الأمر هى التى تمسك بخيوط الحكم وتحركها وراء ستار من الادعاء بعدم تـدخلها • لذلك فان الدعاية الوفدية تلقى آذانا صاغية ليس بين الجماهير الجاهلة فحسب ، بل بين المتعلمين وأنصاف المتعلمين أيضا • وطالما استطاع الملك فاروق وحكومته أن يحولوا دون تدهور خطير فى الجهاز المالى والادارى فان ما يثيره الوفـد من مشاعر التذمر لن يكون خطيرا ، لكنه قد يبلغ درجة الخطر اذا ما تعدت المشاكل الجديدة (الادارية والمالية) طاقة حكام مصر الحاليين • وقـد يجـد السخط الشعبى الناجم عن الخلل الاقتصادى منفذا فى قيام تحركات معادية للقصر ، بل ومعادية لبريطانيا وللمعاهدة بصفة خاصة ، ذلك أن الحقيقة تبقى دائما ماثلة فى أن مصير التعاون بين انجلترا ومصر مرتبط بصلاحية الاداة الحكومية المصرية وبمتطلبات السياسة الدولية » • (١)

وعاد لامبسون فى يناير ١٩٣٩ الى الكتابة عن سوء الحالة المالية وأشـار أن هذه الصعوبات قد ازدادت « واستمر هبوط الدين الموحد بدرجة تدعـو الى القلق • ومع أن هذا الهبوط يعزى من جهة الى عوامل خارجية ، ومن جهة أخرى الى ضعف اقتصاد البلاد بسبب الهبوط الكبير فى أسعار القطن ، الا أن انعدام الثقة فى مستقبل مصر الادارى قد لعب دورا كبيرا فى هبوط الاوراق المالية المصرية • فمشروع القانون المعروض الآن أمام البرلمان ــ على سبيـل المثال ــ والذى مؤداه أن يخلص مـلاك الأراضى من جـزء كبير من رهنيات

Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222

أراضيهم (1) ، قد أثار شعورا فى الدوائر المالية التى تنظر اليه كدليل على عبث الغوغاء بسمعة البلاد .

ان المصريين المستثمرين لأموالهم فى السندات الحكومية معظمهم من الأجانب أو شبه الأجانب (كاليهود والسوريين وغيرهم من المتجنسين بالجنسية المصرية) وقد بدأوا يدركون حرج موقفهم باعتبارهم أقلية من الدائنين تواجه أغلبية ساحقة من المدينين المصريين الذين أصبحوا ، بعد استقلال مصر والغاء الامتيازات ، يتمتعون بقوة يحتمل أن يسيئوا استخدامها فى مصالحهم المالية بغض عن سمعة البلاد » .

وأشار لامبسون الى أن الدكتور أحمد ماهر ، وزير المالية حينئذ ، قد بذل جهدا جبارا لضغط المصروفات ، وبخاصة اعتماد مرتبات الموظفين ، كما أنه اقترح كادرا جديدا يتضمن تخفيضات كبيرة فى مرتبات الموظفين ، ويبدى تشككه فى أن تتمكن الحكومة من المضى فى هذه السياسة لأن الموظفين فى مصر قوة تخشاها جميع الحكومات . ثم أشار الى الصعوبات التى تواجهها مشروعات الضرائب الجديدة فى البرلمان ، واستغلال الوفد للأزمة المالية وكادر الموظفين الجديد لاحراج الحكومة . وعرج على الاضطرابات التى يثيرها طلبة الأزهر ودار العلوم والجامعة والمدارس الفنية بقيامهم بالاضراب للضغط على الحكومة لتحقيق مطالبهم فيما يتعلق بتوظيف الخريجين ، وقال أن وراء حركة الاضرابات هذه « توجد مشكلة البطالة التى تفشت بين العمال والتى كان سببها التطور السريع للتعليمين العالى وغير الفنى فى بلاد زراعية لا تتوافر فيها فرص العمالة التى تكفى لتوظيف آلاف الشبان الذين عدلوا عن الاشتغال بالزراعة .... ان خطر الثورة الكامن فى هذا الوضع واضح جلى .... ان الحقائق المؤلمة للموقف المالى والاقتصادى معروفة ومن المتوقع أن تؤدى الى تدهور ذريع فى بناء البلاد الاقتصادى ولكنهم (المصريون) لا يواجهونها بصراحة نظرا لانعدام روح التضحية والتضامن القومى » (2) .

وعاد فى مايو ١٩٣٩ يقول أن الموقف الاقتصادى السىء الذى يعزى الى

---

(1) يقصد بذلك قانون تسوية الديون العقارية الذى صدر برقم ٣ لعام ١٩٣٦ .

(2) Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223 PP. 10-12.

هبوط أسعار القطن يبدو أثره فى الريف فى تزايد عدم قدرة ملاك الأراضى على سداد أقساط الديون المرتهنة عليها أراضيهم ، وأنه لا يمكن تجنب أثر رد الفعل السيء لهذه الظروف على سمعة مصر • « ومع ذلك فان فقد الثقة لدي الاجانب فى مصر يقوم بالأكثر على الاعتقاد بأن المظاهر الحالية المعتدلة نسبيا لكراهية المصريين للأجانب فى المجال الاقتصادى المصرى سوف تشتد على مرور الزمن • ويزداد عدم الثقة هذا نتيجة الاعتقاد فى استمرار التدهور الاداري والقضائى فى مصر •

ان الادارة المصرية أصبحت عاجزة عن معالجة مشاكل اقتصادية واسعة كتلك التى تترتب على زيادة عدد السكان بالنسبة لموارد الانتاج ، وهبوط أسعار المحاصيل ووجود جاليات أجنبية كبيرة ، وعلاقات مصر الاقتصادية الواسعة مع أوروبا ، وضخامة مشكلتها العسكرية فى ظروف الحروب الحديثة • ان الادارة المصرية آلة اقامها الأوروبيون على النمط الأوروبى المعقد ، ولا يمكن أن تدار بأيدى مصرية وهى لا تزال تدور فى الوقت الحاضر بقوة الدفع القديمة ، لكن من الواضح أن سرعتها تتلاشى ، وبعبارة أخري فلا يوجد الآن عمل حقيقى كثير يتم انجازه (١) » •

وفى يوليو ١٩٣٩ عاد الى نفس الموضوع فكتب تقول أن الاحتفاظ بالجبهة الداخلية « سيتأثر بشكل عكسى بالسياسة الحالية للحكومة المصرية التى ترمى الى التخلص من الموظفين الأجانب على نطاق واسع دون النظر بعين الاعتبار الى ما اذا كان هناك مصريون صالحون يحلون محلهم • وتنطوى هذه السياسة على ابعاد كثير من الموظفين البريطانيين الذين تعتبر خدماتهم فى مؤخرة الحرب ذات أهمية أساسية » (٢) •

لم يقدم لامبسون اقتراحات لعلاج سوء الحالة الاقتصادية والمالية والادارية حينئذ ، لكن حين عاد الى الكتابة فى هذا الموضوع فى نوفمبر ١٩٣٩ اقترح أن تتدخل الحكومة البريطانية لشراء محصول القطن المصرى بسعر يعلو قليلا عن سعره حينئذ • (٣)

---

(١) Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223, p.35.

(٢) Same to same, No. 871 13 July 1939, F.O. 407/223, p.5.

(٣) Same to same, No. 1362, 8 November 1939, FO. 407/223, p. 124.

حين كان لامبسون يكتب الى الخارجية بآرائه عن الادارة المصرية كـان اللواء رسل باشا حكمدارا لبوليس العاصمة وكان وكيله الأميرالاى فيتز باتريك بك ، وكان اللواء بيكر باشا حكمدار البوليس بالاسكندرية ووكيله الاميرالاى جيز بك ، كما كان اللواء ويلز باشا مـديرا لمصلحة الموانى والمنائـر ، وكان الأميرالاى أبلت بك حكمدارا لبوليس القناة • أما مصلحة التلغرافات والتليفونات فكان على رأسها مستر وب • وكان بالجيش المصرى بعثة عسكرية بريطانيـة كبيرة العدد على رأسها الجنـرال ماكريدى وكانت تشرف على تدريب الجيش وتسليحه • أى أنه كان لبريطانيا رجالها القابضون على السلطة فى المصالـح الحساسة ، البوليس ، والموانى ، والمواصلات السلكية واللاسلكية ، والمشرفون على الجيش •

يبدو من هذا أن لامبسون كان يرى أن تأمين الجبهة الداخلية لضمـان سلامة وفعالية القاعدة البريطانية فى مصر كان يستدعى زيادة الاشراف البريطانى على الادارة المصرية •

ولما كان ذلك متعذرا فى ظروف ما بعد معاهدة ١٩٣٦ فقد أصبح بديله هو التدخل السياسى تسنده القوة العسكرية الكفيلة بحفظ هيبة بريطانيا وبقـاء كلمتها مسمـوعة •

وكان لامبسون يرى فى التدخل والقوة العسكرية ــ الى جانب مقترحاته التى أشرنا اليها ــ الوسيلتان الحاسمتان لمواجهة جميع العوامل التى تهـدد سلامة الجبهة الداخلية من وجهة النظر البريطانية ، ولضمان تعاون المصريين وتنفيذ المعاهـدة •

ولا شك أن فى هذه الفكـرة توجد بذور التـدخل البريطانى فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ •

فى نوفمبر ١٩٣٨ كتب لامبسون عن الأزمة الدولية فى سبتمبر ، وأشار الى ما لمسه من تردد الحكومة بشأن ما تقتضيه المعاهدة من مصر بدخولها الحرب ثم قال « ان تجـدد مثل هذا الاتجاه لتجنب الوفاء بالتزامات المعاهـدة انما يتوقف الى حد كبير على قوتنا الحربية ، فاذا شعر المصريون أننا فى وضع يمكننا من حمايتهم بشكل فعال ، تضاءل ميلهم الى أن يلعب الخيال بعقولهم فى امكان

التباعد عن حرب تتورط فيها بريطانيا العظمى • ان ضعفنا فى جبهة شرق البحر المتوسط هو الذى يشجع على مثل هذه الميول • » (١)

وفى يناير ١٩٣٩ حين كتب عن خطاب صدقى باشا فى البرلمان عن حياد مصر وتعديل التزاماتها بمقتضى المعاهدة ، قال أن انتشار فكرة حياد مصر « يتوقف الى حد كبير على قدرتنا على استرجاع ما كان لنا من هيبة وقوة فى الشرقين الأدنى والأوسط • فلو أن مصر اعتقدت أن بريطانيا العظمى لديها من القسوة ما يكفل حمايتها (أى حماية مصر) ضد النشاط العسكرى والجوى المخرب فسوف يقل شك الحديث عن حيادها • واذا لم تتمكن من أثارة هذا الشعور بقوة أسلحتنا وباستعادة صداقتنا مع العالم العربى المجاور ، فمن الواضح أن مصر ستطالبنا أن عاجلا أو آجلا بالحد من التزاماتها الحربية بمقتضى المعاهدة المصرية البريطانية » • وأشار الى أن الدعاية الالمانية الايطالية تعمل على تقويض مركز بريطانيا فى مصر والشرقين الأدنى والأوسط ، وأن الطريقة الفعالة لمواجهة تلك الدعاية هى تسوية الخلافات مع أصدقاء بريطانيا وحلفائها من العرب والمصريين » وأن تقوى قواتنا المسلحة بدرجة كافية حتى يرى أصدقاؤنا وأعداؤنا على السواء أننا أقوياء الى الحد الكافى لحماية أنفسنا فى شرق البحر المتوسط • » (٢)

وبعد استيلاء ألمانيا على باقى تشيكوسلوفاكيا واستيلاء ايطاليا على البانيا ، عاد لامبسون يقول « ان مستقبل موقفنا كله فى الشرق الأوسط يتوقف على وجود قوات بريطانيا كافية فى مصر ، لكى تثبت للمصريين ولشعوب الشرق الأدنى الأخرى قدرتنا على الدفاع بكفاءة عن البلاد التى تعهدنا بالدفاع عنها بمقتضى المعاهدات • » (٣)

يتضح من تلك الرسائل أن لامبسون يطلب تعزيز القوات البريطانية فى مصر ليس لحماية مصر والشرق الأدنى فقط ، بل أيضا لحماية مصالح بريطانيا فى تلك البلاد فى مواجهة أهلها عن طريق الارهاب الذى يخلقه وجود تلك القوات •

أما السيطرة السياسية والتدخل فى شئون مصر ، فقد كان لامبسون مصمما

---

(١) Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222

(٢) Lampson to Halifax, 41, 16 January 1939, F.O. 407/223, pp. 7, 9.

(٣) Same to same, No. 560 12 May 1939, F.O. 407/223, p. 34.

عليها حتى بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ؛ ففى ٦ نوفمبر ١٩٣٦ قابل مجلس الوصاية على العرش برئاسة الأمير محمد على توفيق وتحدث اليهم فى الوضع بعد المعاهدة وكتب الى وزير الخارجية بمضمون حديثه « لقد كان هناك حديث منتشر يدور حول أن نفوذنا فى القاهرة قد تضاءل ، وهذا هراء بحت لأنه لا يمكن آن يحدث ، حتى لو كنا نريد ذلك ؛ ونحن لا نريده . اعتقد أن الأمر على العكس من ذلك ؛ فان نفوذنا سوف يزداد .

حقيقة أنه سيكون من نوع آخر لأنه لن يكون هناك عامل الاملاء لكن سيكون عامل نصيحة الصديق المساعد . وبالفعل فاننا فى السنوات الأخيرة حاولنا بكافة الأساليب أن تكون طلباتنا ووجهة نظرنا معروفة ، كما حاولنا بعناية أن نتجنب قدر المستطاع كافة أنواع التوسل المباشر حول التحفظات الأربع . لكن كان هناك عامل كامن لا يمكن تجنبه بالنسبة لهذه النقاط الأربع . والآن وهذه النقاط على وشك أن تصفى عن طريق المعاهدة فان موقفنا سوف يختلف بالتالى ، لكن دورنا فى حماية مصر لن يختلف بل أن المعاهدة قد زادته قوة وشرعية . ولقد كنت متفائلا الى حد الاعتقاد بأن اهميتنا فى دور الموجه والنصيح والصديق سوف يزداد من سنة الى أخرى نتيجة للظروف الجديدة . لقد اختفى عامل الاملاء الكامن وسوف نكون فى موقف الأخوين الأكبر والأصغر أو الشريكين فى مصنع ، ولو أن طبيعة الأشياء سوف تجعل نفوذنا أكثر قوة فى الشئون الدولية ، وبالاضافة الى ذلك فمن الأمور الواضحة أننا لا نستطيع أن نعزل أنفسنا عن رفاهية وسلامة مصر حتى لو أردنا تلك العزلة . وكحلفاء فان اهتمامنا بتلك الرفاهية والسلامة أصبح أكبر من أى وقت مضى ....

وفى ايجاز فعلى الرغم من أن أسم دار المعتمد سيتحول فى المستقبل الى سفارة ، ورغم أن الصوت الذى سيرتفع لن يكون صوت المندوب السامى ، ولكن صوت السفير ، فاننى أرجو من ناحية المبدأ أن يسمع لهذا الصوت أكثر مما كان يحدث من قبل .

١ ـ لأنه سيكون صوت صديق أكثر منه صوت سيد .

٢ ـ ولأنه سيسرع فى السعى لتحقيق المصالح الحقيقية للدولتين .

٣ ـ ولأنه يتعذر على أن أرى أية حكومة مصرية تتجاهل بشكل مستمر نصحنا وتفقد وتستطيع أن تظل طويلا فى الحكم . »

وقد أوضح لامبسون أنه كان من الواجب أن يتحــدث الى الاوصياء فى حديثه الأول معهم على هذا النحو لأنه يوجد مناخ من الانهزامية فى الدوائـر البريطانية والأجنبية • وأشار الى أن شريف صبرى « الذى هو فى الغالب أكثر الأوصياء ذكاء والمعروف لدى الحكومة البريطانية بعلاقاته الودية بالوفد (كان) شديد الاهتمام بما قلت ولم يعترض على الاطلاق بل تطوع بعد بعض المناقشة بالاعتراف بأن هذا تحذير حقيقى • » (١)

وبعد ذلك بثلاثة أيام كتب لامبسون عن مقابلة له مع النحاس باشا تحدث معه فيها عن تنظيم القمصان الزرقاء التابع للوفد ، « وأبلغته بكل صراحة عـن التخوف الخطير فى لندن بشأن هذا التنظيم شبه العسكرى • نحن نخشى أن يبنى غول فرانكشتاين الذى قد يسيطر على صانعه ويحكم البلاد كلها •

٢ ــ قال النحاس باشا على الفـور أنه يدرك هذا الخطـر وأنه يتخذ الاجراءات لابقاء هذه الحركة تحت السيطرة ، وتكون مهمتها (العاب القوى الوفدية) وتبتعد عن السياسة ••••

٣ ــ ذكرت أنى فهمت أن هناك تشريعا سوف يقـدم قريبا الى البرلمان البريطانى لمثل هذه التنظيمات السياسية فى المملكة المتحدة وأنه يحرم ارتداء مثل هذه الأزياء العسكرية •• الخ ، وأنى لا أعلم بالبنـود الكاملة ولكن سوف أطلب هذا القانون حين يرى دولة رئيس الوزراء أن هناك فائدة من دراسته عند النظر فى عدم اشتغاله بالسياسة • »(٢)

وفى ١٤ نوفمبر كتب عن مقابلة جرت بينة وبين أمين عثمان بمناسبة توليه منصب وكيل وزارة المالية ، وكان الأخير يحظى بنفوذ كبير فى الوفد وبخاصة لدى النحاس ، كما كان على اتصال وثيق بالسفارة البريطانية ، لذلك كان همزة الوصل بين الوفد والسفارة • فى هذه المقابلة نقل لامبسون الى أمين عثمان مضمون لقائه مع مجلس الوصاية فى ٦ نوفمبر ، فكرر أمين عثمان « ما كان قد تطوع بقوله من قبل ، وهو أنه من المرغوب فيه الآن ، ربما أكثر مما كان الحال من قبل ، أن يستمر نفوذنا ملموسا • وأن تغير وضع مصر لا ينبغى أن يعنى أن

---

(١) Lampson to Eden, No. 40, 6 November 1939, F.O. 407/223.
(٢) Same to same, No. 46, 9 November 1939, F.O. 407/223.

تتبع سياسة عدم التدخل أو عدم الاهتمام ٠ لذلك فقد أسعده بوجه خاص أنى تدخلت فى موضوع الانعامات حتى يستمر النظر الى عادة الاستماع الينا فى مثل هذه الأمور كأمر عادى » ٠ وعلق لامبسون على ذلك قائلا لأمين عثمان أنه لا يعتزم أن يتخلى عما كان يتبعه ؛ وهو الاتصال مباشرة برئيس الوزراء فى المسائل الكبرى ، أما المسائل الروتينية الصغيرة فيجرى الاتصال بشأنها بوزير الخارجية ٠ وأجاب أمين عثمان على ذلك بأن لامبسون سيجد ترحيبا حارا بهذا من النحاس باشا ٠ (١)

ويلقى مستر كيللى القائم بعمل لامبسون فى الفترة المبكرة من الازمة الدستورية عام ١٩٣٧ الضوء على ضرورة اتباع سياسة التدخل بقوله تلخيصا لتقرير مرفق لوالتر سمارت السكرتير الشرقى بالسفارة « ما زالت القوى الحاكمة هى القصر والوفد والسفارة البريطانية (رغم أن موقفنا أصبح دقيقا بعد أن تنازلنا عن التحفظات الأربعة) ٠٠٠٠

أما بالنسبة لسفارة جلالة الملك فقد أثبتت الأحداث الأخيرة استحالة الاستمرار فى اتخاذ موقف دبلوماسى عادى ٠٠٠ لو كانت السفارة قد اتخذت موقف السياسى المحايد حقيقة فان هذا الموقف المحايد — على حد قول مستر سمارت — كان سيفسر من جانب الملك وعلى ماهر على أنه اشارة منا بالاستمرار، بل والأكثر من ذلك ، كان سيفسر بنفس المعنى من جانب النحاس ومكرم عبيد ٠٠٠ واعتقد أنه لا جدوى من عدم اتخاذنا لخط واضح ما دام رفضنا ابداء الرأى سيفسر على أنه طريقة دبلوماسية للتشجيع ٠

وهناك عامل آخر مهم وهو المرونة التى تميز بها النحاس ومكرم فى شتى الأمور ٠٠٠ لاعتقادهما أن مساعدتنا لهم أساسية فى التعامل مع القصر ٠ وأشك أن هذه الحكومة أو أية حكومة أخرى فى المستقبل ستستمع الى رأينا اذا اعتقدوا أننا سنتبع سياسة حياد مطلق ٠ قد يعاملوننا بود ، لكنهم سيهتمون بمصالحهم السياسية قبل كل شىء دون اعتبار لوجهة نظرنا ٠»

المقصود بموقف دبلوماسى عادى هنا هو عدم التدخل ٠ والمقصود بتعبير

---

(1) Lampson to Eden, t'egram No. 119 saving. 14 November 1936. F.O. 407/219.

اشارة بالاستمرار هو اشارة لكل من الطرفين بالاستمرار فى الصراع وهذا ، فى رأى سمارت وكيللى ، يؤدي فى النهاية الي مجيء وزارة من وزرات القصر بكل مساوئها .(1)

نخرج من رسالة كيللى ومن تقرير سمارت بثلاث نقاط واضحة فيما يختص بالتدخل :ـ

أولا : صعوبة التدخل بعد معاهدة ١٩٣٦ لانتهاء التحفظات الأربعة .

ثانيا : التدخل حينئذ لازم حتى لا يحتدم الصراع بين الوفد والقصر وتجيء وزارة أقلية خاضعة للقصر وهذا ما يخشاه الجانب البريطاني حينئذ .

ثالثا : التدخل لازم لحماية المصالح البريطانية التى لن تراعيها الأطراف المتصارعة لو اتخذ الجانب البريطانى موقف عدم التدخل .

خلاصة الأمر أن لامبسون تحرك بسرعة بعد توقيع المعاهدة ليؤكد أن النفوذ البريطانى والتدخل البريطانى سيبقى بعد توقيع المعاهدة كما كان قبلها ، ولم يلق معارضة فى ذلك سواء من الوفد أو من السراى ، لكن هذا القول لم يكن مطلقا ، بل مقيدا بمصلحة كل من الأطراف الأخرى ، يستثنى من ذلك طبعا حالة التهديد باستخدام القوة . لذلك فحين تدخل الجانب البريطانى لصالح الوفد فى الأزمة الدستورية أواخر عام ١٩٣٧ ، ولم يستخدم سوى وسيلة الضغط السياسى ، فشل هذا التدخل أمام تصميم السراى وتعاونها مع أحزاب المعارضة وانقسام الوفد . فأقيلت وزارة النحاس فى ديسمبر ١٩٣٧ وبدأت فى مصر فترة أخرى من حكم السراى عن طريق أحزاب الأقلية . ترتب على هذا الفشل اضعاف مركز الجانب البريطانى وسوء علاقته مع كل من السراى والوفد .

هذه الحقائق تقودنا الى حقيقتين أخريين على جانب كبير من الأهمية : احداهما أنه يجب عدم التدخل عن طريق التهديد باستخدام القوة الا فى حالة خطر داهم ومؤكد للمصالح البريطانية . ذلك لأن التهديد باستخدام القوة يجب أن يصحبه وجود الامكانيات والاستعداد لاستخدامها ، والتدخل بهذا

---

(1) Killy to Eden, No. 1227, 28 October 1937, and enclosure, F.O. 407/221.

الشكل خطير الأثر بعد توقيع المعاهدة والتخلي عن التحفظات الأربعة ، وفي ظروف الصراع الدولي المحتدم ، وتبنى على هذا الحقيقة الثانية وهي الحد من التدخل البريطاني وقصره على ما يمس مصالح بريطانيا الاساسية .

أدركت وزارة الخارجية البريطانية هاتين الحقيقتين بعد فشل التدخل البريطانية في الأزمة الدستورية ، لذلك كتب وزير الخارجية ، مستر ايدن ، الى لامبسون في ١٠ فبراير ١٩٣٨ يحدد له ، على وجه التقريب . أحوال التدخل :

« كقاعدة عامة ، فان تدخل حكومة صاحب الجلالة يجب أن يكون مقصورا على مثل الأحوال الآتية : —

أ — اغفال تنفيذ نصوص المعاهدة نصا أو روحها .

ب — السعي من جانب الحكومة المصرية لتأمين نفسها بالتفاوض مع دولة أخرى لعقد معاهده عدم اعتداء أو نحوها ، مما يعتبر متعارضا مع نصوص معاهدة التحالف .

جـ — امتناع الحكومة المصرية عن اتخاذ الاجراءات الضرورية لتحسين وسائل الدفاع عن مصر ، أو رفضها الوعد بالتعاون لهذا الغرض .

د — تدهور النظام والأمن العام في مصر الى الحد الذي يؤثر على حياة الاجانب وممتلكاتهم أو يعرضها للخطر .

هـ — خطر تدهور الوضع المالي على نحو يترتب عليه أن تصبح الحكومة المصرية عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها الدولية ، وعلى وجه الخصوص تنفيذ النصوص المتعلقة بالنواحي المالية في معاهدة التحالف .

و — مساندة الحكومة أو الملك فاروق للعناصر العربية المعادية لحكومة صاحب الجلالة أو الدخول في مشروعات غير مرغوب فيها خاصة بالجامعة العربية أو الجامعة الاسلامية .

واني اذ أسجل هذه الخطوط العامة لسياستنا لا أريد أن أقيد تصرفكم بقواعد جامدة وثابته ، فانكم بوصفكم سفيرا لصاحب الجلالة في مصر تملكون

الحرية فى ابـداء النصيحة فى أى وقت ، اذا نشـأت اعتبارات أخـرى تبرر التدخـــل • » (١)

وحين تولى لورد هاليفاكس وزارة الخـارجية كتب الى لامبسون يخفف من استيائه لما اعتبره تقييدا لحريته فى التصرف ، ويفسر تعليمات ايدن فى نفس الوقت ، فقال أن المقصود بذكر أحوال التدخل « أن توضـح المبدأ العام بأن التدخل يجب أن يقوم على اعتبارات المصـالح البريطانية ، ولم يكن المقصود بها تقييد حكم سفير صاحب الجلالة • وهو ما يجب أن تعتمـد عليه الحكومة البريطانية فيما يتصل بتوقيت تقديم النصيحة للحكومة المصرية وفى أى المسائل تقدم • فضلا عن ذلك فان سفير صاحب الجلالة وحده هو الذى يستطيع تقدير اللحظة المناسبة لتقديم مثل هذه النصيحة بحيث لا يمكـن تجاهلها وبالتالى لا يمس نفوذه بأذى نتيجة لذلك • » (٢)

وقد استمرت هاتان الرسالتان من ايدى وهاليفاكس ، مع معـاهدة ١٩٣٦ تشـكلان الاطار الذى تتحرك فيه السياسـة البريطانية فى مصر حتى قيـام الحرب •

أما الجانب المصرى فقد أدرك هاتين الحقيقتين فى وقت مبكر • فأثناء الأزمة الدستورية أدركت السراى ـ الملك ورئيس ديوانه على ماهر ـ أن الجانب البريطانى لن يتعدى الضغط السياسى وتقديم النصيحة الى التهديد بأستخدام القوة ، لذلك استمرت فى تنفيذ خطتها ، وأقالت وزارة النحـاس • أن أدراك السراى لهاتين الحقيقتين عن التدخل البريطانى يمثل أحـدى خلفيات حـادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فلو كانت السراى حينئذ تعتقد أن الجانب البريطانى قد يلجأ الى استخدام القوة لتغيرت معالجتها للأزمة •

أما الوفد فان تصرف رئيسه يدل على أدراك للأوضاع بعد عقد المعاهدة :

لم يعترض على تدخل لامبسون فى أول الأمـر • ولاشك أنه بذلك كان يريد أن يتجنب صراعا مع الجانب البريطانى وهو يتوقع صراعا آخر مع السراى

(١) Eden to Lampson, No. 166, 20 February 1938, F.O. 407/222.
(٢) Halifax to Lampson, No. 553, 5 May 1938, F.O. 407/222.

حين يتولى الملك سلطاته الدستورية . لكن النحاس لم يلبث أن أحس بثقل وطأة التدخل البريطاني ، وأخذ يتصرف تصرفا مستقلا مما أغضب لامبسون ، فكتب فى فبراير ١٩٣٧ الى ايدن شاكيا بقوله : « فيما يختص بميدان السياسة الخارجية فان موقف حكومة الوفد ليس مرضياً . وسبق أن أشرت الى كتمان الحكومة أمر محادثاتها مع حكومة العراق لعقد معاهدة تحالف (أنظر برقيتى رقم ١٤٨ فى أول فبراير الماضى) على الرغم من أن أى حليف ملـزم أدبيا بأن يناقش معنا احتمالات دخوله فى التزامات مع دولة أجنبية .

والحكومة المصرية بوجه عام لا تستشيرنا . والحق أنها ، فيما أعتقد ، لاتميل الى التشاور معنا فى المسائل التى تهم كلا من الطرفين كما تفعل حكومات أخرى لا تربطنا بها سوى روابط الصداقة والمنفعة . وقد أبلغتكم فى تقاريرى السابقة بالمتاعب التى تواجهها البعثة العسكرية البريطانية نتيجة شكوك المصريين والعقبات التى يضعونها فى طريقها . ومن الواضح أن الحكومة المصرية الحالية يستحوذ عليها شعور عام بالاستقلال وتريد أن تبتعد عن أى مظهر من مظاهر الخضـوع لسيطرتنا » .

ازاء ذلك يكشف لامبسون عن نواياه نحو حكومة الوفد ، فيسرد ما يوجه اليها من نقد ، ويشير الى الخلاف داخل الوفد بين النحاس ومكرم من جانب وأحمد ماهر والنقراشى من جانب آخر . ثم يقول « هناك اعتقاد عام أن جناح أحمد ماهر والنقراشى فى الوفد قد ينفصل فى النهاية عن النحاس ومكرم ويشكل مع أحزاب المعارضة والمستقلين بمساعدة القصر معارضة قوية لحزب الوفد الرسمى . لكن ليس بين هذه العناصر من له شعبية لدى الجماهير ، لذلك فنجاح هذه المعارضة ضد النحاس كان لابد لها من زعامة رمزية تستطيع أن تنافس زعيم الوفد فى شعبيته . والملك وحده هو الذى يستطيع أن يمثل هذه الشخصية.... وتأمل ألا يقع الملك وعناصر المعارضة فى خطأ اتخاذ اجراءات متسرعة كما كان يحدث فى الماضى ، لأن ذلك يفيد الوفد ويوحد صفوفه . فاذا طرد الوفد من الحكم قبل أن تشوه سمعته بدرجة كافية فانه سيتمكن من تصحيح أوضاعه وتصوير نفسه كشهيد للحرية ، وتعود له شعبيته مرة أخرى .... نحن نأمل ألا يهاجم الوفد قبـل أن يضعف بدرجة كافية حتى لا يكون خطـرا فى موقف المعارضة » .

وفى نفس الرسالة يعود لامبسون ثانية ليقول « ومهما كانت المتاعب التى تواجهنا بسبب الوطنيين المتطرفين وتأثيرهم فى علاقات الوفد بنا ، فقد يكون تغيير حكومة الوفد بأخرى من حكومات القصر كالمستجير من الرمضاء بالنار ٠ واذا استثنينا واصف غالى باشا وحده فان زعماء الوفد الحاليين ميالون لتفضيلنا على غيرنا من دول القارة٠٠٠٠ كما أن القصر من الجانب الآخر كان دائما ولا يزال لديه أفضليات لاتينية ، ومن المؤكد أنه يفضل الثقافة الفرنسية على الانجلو سكسونية وأن ارتباطه بايطاليا وألمانيا أكثر قوة من ارتباطات الوفد معهما ، ومن الطبيعى أن ألمانيا وايطاليا تباشران نفوذا أقوى على النظم التى يقيمها القصر أكثر مما هو الحال على حكومة الوفد ٠٠٠٠

وبالاختصار فليس هناك من ناحيتنا وجه للتفضيل بين حكومة وفدية وحكومة من اتباع القصر ، لكن اذا حدث شيء من هذا فربما مال الميزان الى ناحية الوفد على الرغم من تطرفه القومى أكثر من ميله الى حكومة يؤيدها القصر تعادل البريطانيين بالذات وتخلص للقارة الأوربية » (١) ٠

يمكن أن نضيف الى ذلك حقيقتين لتتضح الصورة : أحداهما أن لامبسون حاول جاهدا احتواء السراى عن طريق اجتذاب فاروق ووعده بالوقوف الى جانبه اذا اتبع الطريق الدستورى ، وعن طريق الحد من نفوذ على ماهر فى السراى وتشجيع أحمد حسانين (٢) ، أما الثانية فان لامبسون حاول مساعدة الوفد فى الأزمة الدستورية أواخر عام ١٩٣٧ ٠

بذلك تتضح سياسة لامبسون ، ويمكن ايجازها فى أن السيطرة البريطانية والتدخل البريطانى يواجهان فى الوفد خصما قويا بما له من تأييد شعبى ٠ مواجهة ذلك أوائل عام ١٩٣٧ فى ظروف ما بعد المعاهدة ، تكون بأضعاف الوفد والمساعدة على تفتيته ، وبذلك تضعف مقامته للتدخل ، وتتبدد جهوده فى الصراع مع خصوم يقاربونه فى القوة ٠ هذا فى حدود الابقاء على الوفد فى الحكم لضمان تنفيذ المعاهدة ٠

---

(١) Lampson to Eden, No. 209 secret, 16 February 1937, F.O. 407/221.

(٢) Same to same, telegrams No. 28, 29, 25 Fbruary 1937, F.O. 407/221.

هذه النقطة الأخيرة ، على أية حال تستدعى استعراض علاقات الجانب البريطانى مع القوى الأخرى على المسرح السياسى فى مصر . لأن تعاون هذه القوى ، أو عدم تعاونها ؛ له أثر فى تنفيذ المعاهدة وتأمين الجبهة الداخليـــة فى حالة قيام الحرب . والقوى السياسة التى يعتد بها فى هذا المجال هى الوفـــد والســـراى .

يمكن فى ذلك أن نقسم الفترة بين توقيع المعاهدة وقيـــام الحـــرب الى قسمين تفصلهما الأزمة الدستورية أواخر عام ١٩٣٧ ، واقالة وزارة النحاس .

فى القسم الأول تسيطر على الجانب البريطانى فكرة الحاجة الى بقاء الوفد فى الحكم فى تلك الفترة الأولى الحساسة لتنفيذ المعاهدة . فالوفد يعتبر المعاهدة من انجازاته الهامة ، وقد وصفها رئيسه بأنها معاهدة الشرف والاستقلال بينما انتقدتها معظم الأطراف السياسية الأخرى . يضاف الى ذلك ما يحظى به الوفد من تأييد شعبى ؛ وماله من أغلبية كبيرة فى البرلمان ، وتلك عوامل تكفل لوزارته السلطة وتوفر لها الهدوء والاستقرار اللازمين لارساء قواعد السياسة الجديدة واتخاذ الخطوات الأولى لتنفيذ المعاهدة .

فى أوائل تلك الفترة يبدى الجانب البريطانى ــ كما أشرنا ــ استياءه من الموقف الاستقلالى الذى تتخذه حكومة الوفد بعدم التشاور معه والابتعاد عن أى مظهر من مظاهر الخضوع للسيطرة البريطانية . لكنه مع ذلك يفضل بقاء حكومة الوفد على مجىء حكومة من حكومات السراى بما تتميز به من اتجاهات لاتينية وصلات أوثق بألمانيا وايطاليا وميول استبدادية . أما السراى فقد حاول لامبسون أن يحتويها كما أشرنا بتقديم الوعود الى الملك بمساعدته . وهو يرى ــ بعكس مانقل اليه ــ أن فاروق لاتبدو عليه علامات الغرور أو عـــدم تقدير المسئولية ، ويرى أنه ذكى غرائزه سليمه وفى باطنـــه خامة طيبة أصيـــلة ، لكن تنقصة الخبرة . لذلك فان كل شىء يتوقف على من سيحيطون به . لكنه مع ذلك لايغفل ــ ولهذا أهميته ــ أن القصر كان دائما ولا يزال لديه أفضليات لاتينية ، ويفضل الثقافة الفرنسية وارتباطاته بالمانيا وايطاليا قوية (١) .

---

(1) Lampson to Eden, No. 209 secret, 16 Febraury, and telegrams No. 28, 29, 25 February 1937, F.O. 407/221.

لكن فى أواخر هذه الفترة ، بعد أن تولى فاروق سلطاته فى أواخر يوليو ١٩٣٧ ، وبعد أن قام الصراع بينه وبين وزارة الوفد فيما عرف بالأزمة الدستورية وبعد تولى على ماهر رئاسة الديوان ، تغير موقف الجانب البريطانى من الطرفين ، الوفد والملك : فحاول مساعدة الوفد فى تلك الأزمة لكى يستمر فى الحكم •

ويتضح رأى الجانب البريطانى فى الوفد والقصر ووزارات القصر فى مذكرة قدمها فى ٢٧ أكتوبر ١٩٣٧ والترسمارت السكرتير الشرقى بالسفارة بمناسبة الأزمة الدستورية وفى تعقيب دافيد كيللى الوزير المفوض بالسفارة عليها •

تحدث سمارت عن ضعف الوفد نتيجة اخراج النقراشى وابعاد أحمد ماهر لأن ذلك أفقده العناصر المثقفة القادرة فيه ، وأفقده تأييد المثقفين فى البلاد وقد ترتب على ذلك أن تحولت الجامعة ضد الوفد • وأشار الى أن الموظفين أصبحوا ضد الحكومة للتلاعب فى التعيينات والترقيات وغيرها • وأبدى أسفه لما رآه أنه نهاية سريعة غير منتظرة للوفد ، لأن الوفد فى رأيه « أكثر من القصر بساطة وأكثر أمانة وأقل كراهية للبريطانيين ، وأقل انحيازا للعناصر الأوروبية ، هذا القصر الذى يتحرك ليحتل مكانه فى هذه الفترة الدقيقة من تنفيذ المعاهدة »

أشار سمارت الى عدة سياسات يمكن اتباعها لمعالجة الأزمة الدستورية فضل منها (١) التى تقضى بالاستمرار فى « مناصرة الوفد بحذر كما هو الحال فى الوقت الحاضر ولكن دون أن نذهب الى حد أرغام الملك على الانصياع لما يطلبه الوفد ، وهذا يقتضى مواصلة بذل جهودنا كى نوصل الطرفين الى حل وسط » •

وهو يرى أنه أيا كانت السياسة التى تتبع فأنهم سيواجهون فى النهاية بحكومة من حكومات القصر بكل مخاطرها « حكومة من الأقلية ، وعصابات من المستشارين غير الأكفاء حول الملك ، ودسائس من القوى الأوروبية ، ومناهضة للثقافة البريطانية ، كل ذلك فى ظل حكم ملك شاب يبشر بأن يكون أقل ملوك مصر تقديرا للمسئولية • وعندى أنه من غير المحتمل أن يظل ملك كهذا قادرا على أن يحتفظ بمركزه الى مالا نهاية ضد أغلبية رعيته الذى تقوى صفوفهم باستمرار بمن ينضم اليهم ممن خاب أملهم فيه بعد أن كانوا أعوانا له فى مناهضة الوفد •

أن موقف فاروق مع على ماهر يعيد الى الذاكرة ما سبق أن حدث بين الخديو الشاب عباس ومحمد ماهر باشا (والد على ماهر) ، تلك السابقة التى تنذر بالشر (١) .

وجملة القول أن القوتين المؤثرتين فى الموقف فى مصر هما الوفد والملك أما الوفد فقد حطم نفسه ، وأما الملك فهو البديل وأن كان بديلا لا يحظى برضاء البريطانيين أو المصريين على السواء . ولا يبدو فى الأفق حتى الآن حزب وطنى آخر على قدر من القوة يكفى لمواجهة القصر ، وأن كان احتمال ظهوره غير مستبعد ، ونشأته وتطوره مسألة وقت .

أن تحسن العلاقات بين مصر وانجلترا قد أخذ بالانقسام الذى أثاره النحاس فى صفوف الوفد فى يوليو الماضى . وكما توقعنا فى بداية العام فاننا نواجهه اليوم أول صدع فى أسلوب تنفيذ المعاهدة يكمن فى عملية الصراع الحزبى (٢) .

وعلى ضوء ما تقدم فأنى أرى متابعة سياستنا الحاضرة المبينة فى (١) فهى سياسة عملية يمكن تنفيذها فى الوقت الحاضر وفرصتها فى النجاح كبيرة ، وأن كانت قد تؤدى فقط الى الحيلولة دون ضربة قاضية فى الجولة الأولى (٣) .

وهذه السياسة لا تورطنا فى نزاع حاد من القوى السياسية التى تتأهب لتحل محل الوفد . (٤) ثم هى قد تطيل فترة وجود حكومة مجبرة على

(١) يشير سمارت بذلك الى تولى محمد ماهر باشا وكالة وزارة الحربية عام ١٨٩٣ أيام الخديو عباس حلمى الثانى وتعاونه مع عباس فى محاولة اجتذاب ولاء ضباط الجيش المصرى الى جانب الخديو وضد السيطرة الانجليزية على ذلك الجيش مما ادى فى النهاية الى الحادث المعروف بحادث الحدود فى يناير عام ١٨٩٤ ، وفيه انتقد عباس تدريب الجيش المصرى فاصطدم بكتشنر سردار الجيش . ومن نتائج الحادث اجبار عباس على تقديم ترضية للسردار والضباط الانجليز فى الجيش المصرى ونقل محمد ماهر باشا من وزارة الحربية .

(٢) ربما يشير بذلك الى الفكرة التى وجدت بعد توقيع المعاهدة وهى أن يستمر فى تنفيذها ذلك التعاون الذى قام بين القوى السياسية فى مصر للتفاوض مع بريطانيا : ذلك التعاون الذى تمثل فى الجبهة الوطنية حينئذ .

(٣) أى أن النتيجة ستكون مجرد تأجيل سقوط وزارة الوفد .

(٤) يقصد بذلك مجموعة احمد ماهر والنقراشى والمستقلون المتذمرون من سياسة الوزارة . انظر تقرير لامبسون الى ايدن رقم ٢٠٩ سرى فى ١٦ فبراير ١٩٣٧ .

البلاد . وهذا الوضع الأخير هو ما نوليه كل اهتمامنا ،نحن الذين سوف نعمل مصادقتنا وهذا التأخير قد يأتى بحكومة جـديدة لا تلقى معارضـة قدية فى مع الحكومة الجديدة على الدفاع عن مصر وتنفيذ المعاهدة » (٢).

وفى خطابه الى ايدن الذى أرفق به تقـرير سمارت ايد دافيد كيللى تلك الآراء ، وقال أنه يعتقد أن التصرف الحذر حينئذ « هو أن ندع الوقت يمـر ونحاول ابقاء الحال كما هى وان تستمر وزارة النحاس فى مسـارها الطبيعى .

وهو أيضا الطريق الوحيـد أمامنا كما فهمت من تعليمـاتك السابقة ...

أظن أننا مجبرين على قبول هذا الوضع كأخف الأضرار ، ولكننا يجب أن نستعد لمواجهة الخطر الدائم لمصالحنا اذا ما تشكلت حكومة موالية للقصر ، وهو خطر أكبر بكثير فى رأيى مما كنا نواجهه أيام الملك فؤاد . وسيكـون الخطر أكبر لأن الملك فاروق لن يستطيع فى المستقبل القريب أن يكتسب الخبرة فى الحياة التى اكتسبها والـده نتيجة للتجارب القاسية التى مر بها قبل اعتلائه العـرش .

وقد كان تأثير ذلك فى الماضى تأثيرا محليا ولكنه الآن سيصبح من العوامل المهمة فى تكييف السياسة العامة لحكومة جلالته لأن هناك عنصر جديد دخل الى المسألة المصرية بسبب تغير العلاقات بين انجلترا وايطاليا .

وأخشى أنه يجب التسليم بأن الملك فاروق مندمج فى زمرة الامراء والنبلاء القدامى وأقاربهم وجميع العائلات التركية العريقة المتصلة بهم من الذين لايمكننا الاعتماد عليهم بأى حال من الأحوال (٢)......

وقد علمتنا التجربة خلال الثمانية عشر شهرا الاخيرة اننا نستطيع الاعتماد على المعاملة الصريحة والتعاطف الحقيقى لشخصيات من الفلاحين البدائيين امثال النحاس باشا وما يتميز من عقلية بسيطة ، هـذه البساطة التى كانت الى حد ما سببا فى الأزمة الحالية ، والتى تسعى الآن الى اقامة علاقة طيبة معنا .....

---

(١) Report by W.A. Smart, 27 October 1937, enclosed in Killy to Eden, No. 1227 28, October 1937, F.O. 407/221.

(٢) فكرة الجانب البريطانى انهم اميل الى القارة الأوروبية والى المحور .

وقد تساعدنا الظروف فى المستقبل على تكوين رأى فى الملك الصغير أفضل مما يظن مستر سمارت . لكن لا يوجد حتى الآن للاسف ، أى دليل على خطأ رأيه المتشائم ولا بد لنا أن نتصرف على أساس أنه ما دام الخطر الايطالى قائما فان أى حكومة موالية للقصر ستكون مصدر متاعب لنا . » (١)

وحين عاد لامبسون من اجازته السنوية بدأ تدخله لتسوية الأزمة فى أول نوفمبر ١٩٣٧ على نفس الأسس التى ذكرها كل من سمارت وكيللى ، والتى تسير عليها السياسة البريطانية . فقد اتجه الى العمل على بقاء وزارة الوفد تجنبا لما يراه الجانب البريطانى من مخاطر تترتب على قيام حكومة موالية للقصر وحين طرح كل من النحاس ومكرم عبيد تنحية فاروق عن العرش وتنصيب ملك آخر ، لم يوافق لامبسون على تلك الفكرة (٢) .

ولا شك أنه لم يكن فى مصلحة الجانب البريطانى أن يضع كل اسهمه فى جانب حزب هو فى النهاية الحزب الشعبى الذى يتبنى المطالب الوطنية فى مواجهة التدخل الاجنبى .

لكننا نلحظ اتجاهه الى حل الازمة عن طريق تقوية الوفد ووزارته بالعمل على أن تعود الى حظيرته العناصر التى أخرجت منه أو كانت على خلاف مع قيادته ، وبخاصة النقراشى واحمد ماهر (٣) ، ومع أن هذا يتعارض فى الظاهر مع فكرة تفتيت الوفد التى أشرنا اليها كوسيلة لاضعافه وللتدخل ، الا أنه لا يتعارض مع الجوهر ، فان هذه الزيادة فى قوة الوفد ستتعادل مع السياسة القوية الجديدة التى بدأت تزاولها السراى بعد أن تولى الملك سلطاته الدستورية فى يوليو،وتولى على ماهر رئاسة الديوان الملكى فى أكتوبر وبذلك يتم الاحتفاظ بالتوازن بين القوتين الرئيسيتين المتصارعتين على مسرح السياسة الداخلية ، الوفد والسراى .

يضاف الى ذلك أنه كتب بعد مقابلة له مع الملك لحل الازمة الدستورية يقول أنهم ربما احتاجوا الى معاملته فى المستقبل بطريقة اكثر حزما (١) .

---

(١) Killy to Eden, No. 1227, 28 October 1937, F.O. 407/221.

(٢) Lampson to Eden, telegrams, No. 608 and 612, 2 and 3 November 1937, F.O. 407/221.

(٣) Same to same telegram No. 701, 9 December 1937, F.O. 407/221.

خلاصة الأمر أنه بعد تولى الملك فاروق سلطاته الدستوريه برز تطــور فى موقف الجانب البريطانى اخذ يزداد وضوحا خلال الازمة الدستورية .

لقد استمر الهدف الرئيسى هو تنفيذ المعاهدة والدفاع عن مصر ، بمـــا يستتبعه ذلك من الحفاظ على الجبهة الداخلية .

لكن فى حدود هذا الهدف أصبح الموقف من السراى أقل ودا ، والخوف من ميول السراى اللاتينية ومن وزارات القصر أكثر وضوحا ، وقام شبه وفاق ضمنى بين الوفد والسفارة البريطانية فى مواجهة السراى ، مضمونه من الجانب البريطانى تنفيذ المعاهدة ، ومن جانب الوفد مواجهة عداء السراى والاستمرار فى الحكـــم .

يضاف الى ذلك ان الجانب البريطانى أخذ يبنى حساباته أيضا على أساس ضعف الوفد ، نتيجة سياسته والانسلاخات التى خرجت منه ، ونتيجة النــزاع داخله بين النحاس ومكرم وبين أحمد ماهر ومؤيديه ، وعلى أساس احتمـال قيام حزب جديد من القوى الوطنية الخارجه على الوفد والمتذمرة من زعامته .

فى القسم الثانى من الفترة التى نستعرضها ، وهو القسم الذى يبدأ باقالة وزارة النحاس حتى قيام الحرب ، حدث تغير آخر فى موقف الجانب البريطانى وعلاقاته بالقوى السياسية فى مصر .

لقد مالت علاقاته مع السراى بوجه عام نحو التحسن وان بقيت مخاوفه من وجود تأثيرات لدول المحور ، وقامت علاقات طيبة بينه وبين وزارة محمد محمود ، رغم انها تعتبر من وزارات السراى ، وساءت بالتالى علاقاته بالوفد .

لقد أدركت القوى المختلفة فى مصر أن ما يهم بريطانيا فى الحقيقة هو تنفيذ المعاهــدة والدفاع عن مصر ، لذلك ففى مقابلته الاولى كرئيس للوزراء مع السفير البريطانى أكد محمد محمود اعتزامه « أن تظل علاقات الصداقة والولاء قائمة بيننا . كما أنه قرر أن تكون لمسألة الدفاع عن مصر وما تتطلبه من النفقات

Lampson to Eden, t'legram No. 617, 5 November, 1937, F.O. (1) 407/221.

أولوية على ما عداها من المسائل . ان رأية فى المعاهدة معروف تماما ، وسوف يراعى تنفيذها باخلاص . » (١)

وفى مايو ١٩٣٧ كتب لامبسون تقريرا الى هاليفاكس عن الفترة منذ ابريل الماضي يقول فيه « القصر والحكومة الحاضرة لا يقلون ولاء عن حكومة النحاس باشا نحو تنفيذ المعاهدة الانجليزية المصرية ....

اما فيما يختص بعلاقات مصر مع الدول الاجنبية الاخرى — وخصوصا مع ايطاليا فان موقف القصر وموقف محمد محمود ازاءها لما يدعو الى الارتياح » . (٢)

ومع أن موقف محمد محمود من التعاون المصرى البريطانى ، خلال أزمة سبتمبر ١٩٣٨ وفى ديسمبر من نفس العام بمناسبة حديث صدقى باشا ، قد شابته بعض الشوائب من وجهة انظر البريطانية الا ان موقف محمد محمود تحول بعد ذلك الى تعاون كامل يصل الى حد دخول الحرب الى جانب بريطانيا ووضع الجيش المصرى تحت قيادتها ، لو نشبت الحرب (٣) . لذلك كتب لامبسون فى مايو ١٩٣٩ يقول انه يأمل كثيرا أن يستمر تحسن صحة محمد محمود ، لان اتجاهه طيب بلا جدال نحو بريطانيا ، والعمل معه يبعث على الرضى والاعجاب « والحق أنى لا أطمع فى رفيق عمل أحسن أو اكثر ولاء منه واتمنى أن يبقى فى الوزارة بعض الوقت » . (٤)

اما السراى فقد حظى موقفها برضاء لامبسون خلال أزمة سبتمبر ١٩٣٨ .

لكنه فى تقريره عن خطاب صدقى باشا فى البرلمان يبدى قلقه من موقف السراى فيما يختص بالتزامات مصر فى حالة الحرب بمقتضى المعاهدة ، فيقول ان « موقف القصر غامض ، وهناك تأثيرات قوية — وطنية واجنبية — يبدو أنها تعمل هناك لتوضح للملك الخطر من التزامات الحرب فى مصر كما تنص عليها

(١) Lampson to Eden, telegram No. 1, 1 Jan., 1938, F.O. 407/222

(٢) Lampson to Halifax, No. 510 Secret, 6 May 1938, F.O. 407/222.

(٣) انظر عاليه ص ٢٢٢ .

(٤) Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

المعاهدة وفى الحقيقة فان مما يخشى منه أن عمـلاء ايطاليا وألمانيا قـد يؤثرون بوسائلهم داخل القصر وخارجه على الملك فاروق بما يريده محور روما ــ برلين ، أى حيدة مصر فى حالة الحرب » •

ثم يقول عن الدعاية الايطالية الالمانية انه يبدو وان احد حقولها المحببـة « هو كل ما يتصل بالاوساط الارستقراطية فى مصر ، مثل البلاط والملتفين حوله ، الاتراك والمصريين المتتركين ، والطبقـات الراقية ، والأكثر تعاليا فى المجتمـع المصرى • ففى هذا الميدان يجد أنصار الدعاية الايطالية الألمانية آذانا أكثر اصغاء عما هو الحال فى مجال الطبقات الوسطى والشعبية » • (١)

وفى مايو كتب لامبسون يقول ان موقف جلالته أصبح « اكثر ودا وابعث على الرضاء •••• ولايزال يخالط اتباعه الايطاليين غير المرغوب فيهم ، بما فيهم حلاقة والكهرباء وفيروتشى • وقد اخبرت جلالته على المفتوح ، ولكن بدون اهانة ظاهرة ، أنه من غير المرغوب فيه أنه يحيط أول ملك لمصر المستقلة نفسـه بغير المصريين ••••

وعلى الرغم من كل هذه السقطات فقد برهن جلالته على رجاحة عقله تجاه التحالف ابان الازمات الدولية » • (٢)

ان نبرة القلق واضحة فى تقاريـر لامبسـون فيما يسميه ميول السراى اللاتينية ، واستعدادها للتأثر بالنفوذ الايطالى ــ الالمانى • وقد كتب لامبسون عن العوامل التى تباعد بين السراى وبين الجانب البريطانى وتجذبها نحو ايطاليا وألمانيا ، فقال ان الاحتـلال البريطانى من البـداية حال بين العرش والطبقة الحاكمة وبين استغلال المحكومين ، كما أجبر الملك فؤاد بعد ثورة ١٩١٩ على منح دستور للبلاد ، وقد كرهت الطبقات الحاكمة جرثومة الديمقراطية التى طعم بها المصريون •

وأشار الى أن النظم الدكتاتورية ، بما تبديه من احتقار للديمقراطية ، تحظى فى الظروف الحالية باعجاب السراى التى تحكم ضد رغبة غالبية الشعب •

(١) Lampson to Halifax, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223.

(٢) Same to same, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

وقال لامبسون ان ايطاليا كانت لها دائما مكانتها فى السراى ، لانها استضافت الخديوى اسماعيل بعد نفيه من مصر،كما أن ابنه فؤاد شب فى البلاط الايطالى.

وأشار الى أن الدعاية الالمانية تتعاون مع الدعاية الايطالية وان صدقى باشا ، وهو على علاقة طيبة الملك ، ينشر ما تروج له الدعاية الايطالية الالمانية من الدعوة لحياد مصر .

ولما كان صدقى فى معسكر على ماهر فيغلب ان الاخير يشجعه على ذلك .

واشار لامبسون ايضا الى كثرة ظهور فاروق فى صحبة اتباعه الايطاليين ، الحلاق والكهربائى وفيروتشى ، وانه من المؤكد ان المفوضية الايطالية ومكاتب الدعاية تستخدمهم كمصادر للمعلومات ووسائل للتوجيه والايحاء .

واقترح لامبسون ان يدعى فاروق لزيارة انجلترا ، وان يمنح وساما بريطانيا . ولكنه لم ير فى ذلك سوى مسكنات « لان عاهلا شرقيا شابا صلب الرأى لن يؤثر فيه فى النهاية سوى اعتبارات القوة . علينا أن نقوى وضعنا فى شرق البحر المتوسط ، بحيث لا يبقى مجال للشك لدى الملك فاروق وحاشيته فى قدرتنا على الدفاع عن مصر ، وعلى اجبار حكامها على تنفيذ رغباتنا لو لزم الأمر. سنجد أن ملك مصر والاستقراطية الحاكمة يحاولون دائما ان يتخذوا موقفا مستقلا ازاء بريطانيا طالما بقى فى مصر شعور بأن نهضة المانيا وايطاليا قد اضعفت موقفنا فى العالم بوجه عام وفى شرق البحر المتوسط بوجه خاص ، الى حد أنه لم يعد من الاسلم فقط بل أصبح من الحكمة ايضا ان تصل مصر حبال الود باصدقاء آخرين .

ان موقفنا كهذا قبيل الحرب الماضية دفع بنا الى عزل الخديو عباس حلمى ، ولو واظب فاروق على اتباعه فمن الممكن ان يدفعنا الى اتخاذ اجراء مماثل تجاهه قبيل الحرب القادمة » . (١)

وهكذا نبتت فى ذهن لامبسون الفكرة التى أوشكت أن ينفذها فى ٤ فبراير ١٩٤٢ .

(١) Lampson to Halifax, No. 110 Confidential, 3 Feb., 1939, F.O. 407/223.

أما الوفد فان توقعات البريطانى الجانب بشأنه لم تلبث أن خابت • لم يضعف الوفد وينهار بل استرد قوته وشعبيته ، ولم يقم حزب وطنى آخر يأخذ مكانته لدى الجماهير • وأصبح عداء الوفد ومهاجمته للسياسة البريطانية مصدر قلق بالغ للامبسون •

والاساس فى عداء الوفد اعتقاد رئيسه أن الملك فاروق ما كان يمكنه أن يقيل النحاس باشا فى ديسمبر ١٩٣٧ لو كانت الحكومة البريطانية ترى جديا أن تمنع حدوث ذلك ، وأن قرار الملك فاروق برفض استقالة محمد محمود فى أبريل ١٩٣٨ انما بتدخل من السفير البريطانى (١) •

بعد حل مجلس النواب واجراء الانتخابات فى ابريل ١٩٣٨ لم يعد للوفد فى مجلس النواب قوة تذكر •

وكانت له أغلبية فى مجلس الشيوخ بقيت متماسكة ولم تنفض عنه • أما بين الجماهير فان اساليب الانتخابات التى أجريت وبداية المظالم على يد وزارة محمد محمود لم تلبث أن كسبت للوفد بعض التأييد الذى كان قد فقده •

وتعاطف طلاب الجامعة والازهر اخذ يعود الى الوفد • واستمر الوفد يستعيد مكانته فى انحاء البلاد وفى الجامعة ، ودلت انتخابات الاتحاد العام للطلاب التى أجريت فى أوائل العام الجامعى ١٩٣٨ — ١٩٣٩ على انحيازهم نحو الوفد •

وقد تردد لامبسون فى تعليل هذه الظاهرة لكنه استقر على أن الجمهور فى مصر فى الحقيقة لم يتخل عن ولائه للوفد •

لقد كانت السياسة الخاطئة وسوء الادارة فى وزارة الوفد سببا فى نفور عدد كبير من انصاره المثقفين •

---

(١) Lampson to Halifax, No. 513 Secret, 6 May 1938, F.O. 407/222.

لكنهم لم يجدوا خارج الوفد هيئة أفضل تجتذبهم • لذلك فمع انهم كفروا بالاحزاب بما فى ذلك الوفد ، الا انهم سرعان ما عادوا اليه باعتباره جهة معارضة لنظام لا يرضيهم ، ورمزا للحرية وحصنا لهـا (١) •

تزايد قوة الوفد جعلت لامبسون يخشى نتائج هجومه المتصل على السياسة البريطانية لما يحدثه ذلك فى حالة قيام الحرب •

ففى مايو ١٩٣٨ كتب يقول ان الوفد ما زالت له قـوة بين الجماهير وأى بادرة منه لها صاها فى انحاء البلاد (٢) • وفى نوفمبر ١٩٣٨ كتب يقـول تعقيبا على مهاجمة الوفد للحكومة وما اتخذته من استعدادات للحرب أثناء الأزمة الدولية:

« من الواضح على أية حال ، من الموقف أثناء الفترة الحرجة وما بعدها ان الوفد ، طالما بقى خارج الحكم ، لن يتردد أثناء أية أزمـة فى المستقبل فى أن يتلاعب بمخاوف المصريين ليحرج الحكومة القائمة ، مع رسم صورة قاتمة لموقف مصر وقد ارغمتها انجلترا على الدخـول فى حرب لا تمس المصـالح المصرية وليس من شـأن هذا الهجوم الذى يشنه حزب لا يزال هو الحزب الشـعبى فى البلاد أن يخفف الصعوبات القائمة فى سبيل اتخاذ التدابير العسكـرية اللازمة » (٣) •

ثم عاد فى مايو ١٩٣٩ يعبر عن مخاوفه ثانية بقوله « من الواضح أن عـداء الوفد لاشتراك مصر فى حرب يمكن بسهولة تصويرها للشعب الجاهل على أنها حرب بريطانيا العظمى وليست حرب مصر ، قد تعقد اعمالنا وأعمال الحكومة المصرية الى درجة كبيرة عند قيام الحرب » (٤) •

(١) Lampson to Halifax Nos. 510 Secret, 1197 and 41, 6 May and 7 November 1938, F.O. 407/222, 16 January 1939, F.O. 407/223.

(٢) Same to same, No. 510 Secret, 6 May 1938, F.O. 407/222.

(٣) Same to same, No. 1197, November 1938, F.O. 407/222.

(٤) Same to same, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

وهكذا تبين لامبسون بطريقة عملية خطأ الآراء السابقة عن الوفد ومقدار قوة ذلك الحزب وثقل وزنه فى الحياة السياسية فى مصر ، وما يمكن أن يحدثه عداؤه من أثر على الجبهة الداخلية بكل مالها من أهمية فى حالة قيام الحرب .

وسنرى أن الدرس كان دائم العودة الى ذاكرة لامبســون فى الازمات المقبلة وكان له أثره فى حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

NATIONAL LIBRARY LEGAL DEPOSIT
No. 152—1978

Cairo Univ. Press, 699-1974-800 ex.

Printed by

Press and University Book Department

AL BRINCE H. HUSSEIN

Supervisor General

11—2—1978

« جاك القــدرى »

بين

« لعبة » القرون الوسطى و « الرواية الجديدة »

ان تحفة ديدرو التى حيرت النقاد من حيث اللون الأدبى الذى تنتمى اليه ليست عملا ادبيا شاذا غير معروف الجذور ؛ محكوما عليه الا يكون له أثره فى الأدب الفرنسى بعد القرن الثامن عشر . وقد خدعوا ، من جهة أخرى ، من ظنوا أن الكاتب الفرنسى تأثر فقط بالكاتب الانجليزى ستيرن وخــدعوا أكثر من اكتفوا بتعليقاته عن « تفاحة » « جاك القدرى » Jacques le Fataliste

ان الأصالة الفريدة التى يتميز بها هذا العمل لا تتعارض مع انتسابه الى لون ادبى انتشر فى القرون الوسطى وتميز بالتمثيليات الهــادفة المضحكة التى يقوم بدور البطولة فيها « الغبى » le sot وهو شخص على نقيض تسميته التى هى فقط بمثابة القناع يتستر وراءه من لا يريد ان تؤخذ أقواله لأول وهلة بكثير من الجــدية فينفذ النقــد الذى يوجهه الى المجتمع من خــلال عباراته « الســاذجة » دون أن يدرى أحد .

ونحن اذ نقارن « جاك القدرى » - العمل ذا الطابع القصصى - بلون أدبي خلق لكي يقدم على خشبة المسرح فهذا لان « لعبة » القرون الوسطى تساعدنا على الوقوف على ما بدا غامضا فى بنيان كتاب ديدرو . ولكن « جاك القدرى » هو من جهة اخرى أول نذير بظهور الموجة الجديدة فى القصة الحديثة الموجة التى يعتبر بروست Proust من روادها فى أوائل القرن العشرين والتى أعطت اكثر ثمارها بعد عام ١٩٤٥ فى روايات تختلف كل الاختلاف عما تعود عليــه القارىء فى اعمال بلزاك وفلوبير ومورياك وحتى جيــد وكاموا . ان كان أحــد قد اخترع الا يكون للرواية حبكة وأن يسود الغموض الشخصيات فهو خالق « جاك » و « سيــده » الذى فصلهما عن الزمان والمكان فى رواية تختلط فيها شرائح الزمن وينقلب فيها الراوى (بل القارىء نفســه !) الى شخصيتين لهما أن تدليا برأيهما فى الأحداث ، ذلك العمل أخيرا الذى يترك لنا اختيار نهايته ولا يفصل فيه الكاتب بين الآراء التى عالجها ؛ مكتفيا باثارة القلق فى نفوسنا .

pas lui qui accepterait de «filer un roman» [2] avec tout ce que cela comporte d'artifice lorsqu'on suppose qu'un scripteur peut aligner d'un bout à l'autre son récit sans tenir compte du fait que celui-ci est soumis aux contingences de la vie : associations d'idées, interruptions, causes physiques, etc. L'on a vu jusque là dans *Jacques* des digressions « à la manière de» Sterne. Mais n'y aurait-il pas dans ces parenthèses une allusion, vague peut-être dans l'esprit de Diderot lui-même, à un certain automatisme de l'écriture ? Plus que le procès de la liberté de l'homme, cést celui de la liberté de l'écrivain que le philosophe, faisant figure de précurseur, instruit ici. *Jacques le Fataliste* est un anti-roman ou, si l'on aime mieux, le premier des «nouveaux romans» qui, si l'on néglige l'épilogue baclé à dessein, se termine exactement au même point ou il a commencé. Au cours de cette chevauchée symbolique, Jacques et son maitre n'ont pas balayé des mythes; ils ont suggére qu'il fallait les mettre en question et qu'un roman ne devait au lecteur aucune réponse. Il s'agit seulement de poser, à propos des personnages et des événements, des problèmes, d'en exposer plus ou moins nettement les données, de confronter les points de vue. Que le lecteur participe à la tâche, qu'il travaille s'il lui faut une conclusion : «Si vous n'êtes pas satisfait de ce que je vous révèle des amours de Jacques, lecteur; faites mieux, j'y consens.» [2] Et le narrateur nous quitte tandis que-en dépit des hâtives péripéties des toutes derières pages-l'image des deux cavaliers reste imprimée sur notre retine et que résonnent à nos oreilles ces mots du maître à son valet «Qu'importe, pourvu que tu parles et que j'écoute? ne sont-ce pas là les deux points importants?» [3].

---

1. Ibid. p. 507.
2. Ibid. p. 710.
3. Ibid., p. 670.

nait-il pas ignorer certaines choses ? Il se déclare aussi curieux que nous de connaître la suite des amours de Jacques [1] et avoue : «Les amours de Jacques, il n'y a que Jacques qui les sache ; [2] «Ont-ils quitté l'auberge ? «J'ignore ce qui se passa (...) après leur départ»[3]. Ne voilà-t-il pas qu'il a besoin maintenant des lumières de ce lecteur si impitoyablement rudoyé au départ ! « ...) Je voudrais bien savoir ce qui se passa au fond de son âme (il devra se contenter, faute de mieux d'une «vision du dehors» donc!) s'il put se refuser à un léger mouvement de joie secrète (...) Une autre chose, lecteur, que je voudrais bien que vous me disiez, c'est si son maître n'eut pas mieux aimé (...)»[4] Plus d'affirmations péremptoires : «Ce n'est ici qu'une conjecture que je donne pour ce qu'elle vaut»[5]. C'est un signe d'abdication que cette liberté d'interprétation accordée au lecteur de *Jacques*, que cette porte ouverte à un nombre illimité de possibles, que ce sourire de connivence lancé à celui qui est pour lui désormais un camarade . «Je vous entends, lecteur : vous me dites (...) [6] «Mon cher lecteur, pardonnez-moi la propriété de cette expression».[7] Lecteur, (...) J'aurais une petite question à vous proposer à discuter sur votre oreiller (...) Vous me direz cela demain matin. «[8] .Il lui arrive encore de se permettre avec cet interlocuteur quelques privautés, mais comme deux amis peuvent en prendre vis-à-vis l'un de l'autre ; d'ailleurs il se ravise et, après avoir écrit : «Lecteur, vous ne savez ce que vous dites (...) vous n'êtes qu'une bête» ajoute : «Je vous ai dit une grossièreté, j'en suis fâché, et je vous en demande pardon.» [9].

Jacques le Fataliste est l'histoire du désarroi d'un romancier éminemment conscient de l'incommunicabilité des êtres — « (...) dis comme toi, je t'écouterai comme moi, et je t'en croirai comme je pourrai» dit, avec résignation, le maitre à son valet [10] —— et par conséquent de l'impossibilité de les cerner une fois pour toutes, conscient aussi d'une espèce de fatalité à laquelle ne peut échapper la narration. Ce n'est

1- Ibid., p. 620.
2. Ibid., p. 658.
3. Ibid., p. 484.
4. Ibid., p. 487.
5- Ibid., p. 569.
6. Ibid., p. 620.
7. Ibid., p. 632.
8. Ibid., p. 634.
9. Ibid. p. 678.
10. Ibid. p. 518.

ne dispute le bien fondé de la «vision du dedans» dont lui-même (ou l'un de ses protagonistes) jouit vis-à-vis de ses créatures, ni le privilège de connaître à l'avance la tournure que prendront les événements, serait mal venu à adopter l'attitude agressive dont fait preuve Diderot dès les premières lignes de *Jacques*. Il semble que le Philosophe, s'étant posé la question de la toute-puissance du romancier, ait voulu rendre ce problème tangible et le résoudre sous nos yeux. Il y a une courbe du début à la fin de l'ouvrage — qui représente peut-être le véritable plan de ce dernier — et qui va de la déclaration de la souveraineté, de l'omniscience du narrateur à son abdication progressive et la reconnaissance de ses limites. Voilà d'abord l'écrivain en plein exercice de ses pouvoirs et s'en vantant avec arrogance :

> Vous voyez, lecteur, (...) qu'il ne tiendrait qu'à moi de vous faire attendre un an, deux ans, trois ans, le récit des amours de Jacques (...) en leur faisant courir à chacun tous les hasards qu'il me plairait (1).
>
> Que cette aventure ne deviendrait-elle pas entre mes mains, s'il me prenait en fantaisie de vous désespérer ? (2).

Il semble bien placé pour se moquer du lecteur moins armé que lui :

> Vaus allez croire que c'étaient les gens de l'auberge (...)
> Vous allez croire que le matin on avait enfoncé leur porte (...)
> Vous allez croire que cette petite armée tombera sur Jacques et son maitre (...) et il ne tiendrait qu'à moi que tout cela n'arrivât (...) (3).

se donne le droit de le tancer : «Ah ! lecteur, vous êtes bien léger dans vos éloges, et bien sévère dans votre blâme.»[4] voire de l'insulter, de le traiter d'«importun» et de se déclarer saturé de ses questions : «— Où ? lecteur, vous êtes d'une curiosité bien incommode !» [5].

Il continuera sans doute jusqu'à la fin du roman, mais de moins en moins fréquemment, à insinuer qu'il est en son pouvoir de changer le cours des événements. Toutefois, son ton, qui se fait de plus en plus amical lorsqu'il s'adresse au lecteur, est garant de sa modestie progressivement acquise et en quelque sorte fatalement imposée. Ne recon-

1. Ibid., p. 476.
2. Ibid., p. 4477.
3. Ibid., p. 484.
4. Ibid., p. 606.
5. Ibid., p. 429.

écouté ; «[1]» (...) Jacques (...) vit qu'il faisait un temps détestable, se recoucha, et nous laissa dormir, son maître et moi, tant qu'il nous plut.»[2]

De même que les visions se multiplient pour un même personnage, des versions différentes sont offertes pour un même événement : Jacques prit-il «le parti de s'étendre sur des chaises» ou était-il «écrit là-haut qu'il (...) tomberait sur le carreau et qu'il y resterait» ? Demain, après-demain, vous choisirez (...)[3] Après quelques moments de silence ou de toux de la part de Jacques, disent les uns, ou après avoir encore ri, disent les autres (...)[4] Même ce qui est inscrit «sur le grand rouleau» l'est tantôt par la volonté du destin, tantôt par celle des hommes :

> Le Maître. — Je rêve à une chose : c'est si ton bienfaiteur eut été cocu parce qu'il était écrit là-haut ; ou si cela était écrit là-haut parce que tu ferais cocu ton bienfaiteur ?.
>
> Jacques. — Tous les deux étaient écrits l'un à côte de l'autre. Tout a été écrit à la fois.[5]

Toutefois, si le lecteur ou les personnages sont laissés libre de choisir, ils choissent à tout coup la mauvaise carte. L'homme auquel Jacques «port la plus profonde vénération (...) est ... le bourreau ! »[6] Pour peu que le maître s'amuse à deviner, il ne rencontre jamais juste et s'entend répéter par son valet. «Mon maître, je crois que vous ne voyez rien.»[7]

Diderot s'est-il amusé à nous mystifier tout en protestant du sérieux de ses intentions ? L'ambiguité de la narration dans *Jacques le Fataliste* est en grande partie conscience des problèmes que pose l'écriture. C'est dans les premières pages de cette oeuvre que l'écrivain torturé s'écrie par la bouche de son héros : «——Ah ! si je savais dire comme jesais penser ![8]. Le narrateur classique à qui personne

1. Ibid., p. 607.
2. Ibid., p.552.
3. Ibid., p. 607.
4. Ibid., p. 655.
5. Ibid., p. 479.
6. Ibid., p. p. 532-533.
7. Ibid., p. 448.
8. Ibid., p. 448.

introduite exprès par l'auteur dans les récits et les scènes et qu'il semble s'en amuser .

> Il était tard ; la porte de la ville était fermée, et ils avaient été obligés de s'arrêter dans le faubourg. Là. j'entends un vacarme... - Vous entendez ! Vous n'y étiez pas ; il ne s'agit pas de vous. - Il est vrai. Eh bien ! *Jacques* ... son *maître* ... *On* entend un vacarme effroyable. *Je* vois deux hommes ... - Vous ne voyez rien ; il ne s'agit pas de vous, vous n'y étiez pas. Il est vrai. Il y avait deux hommes (...)[1]

> *Jacques et son maître* se mêlérent de la partie ; tous à la fois conjuraient le paysan. Si *j'ai* jamais vu... — Si vous avez jamais vu ! Mais vous n'y étiez pas. Dites si l'*on* a jamais vu. — Eh bien ! soit. Si l'*on* a jamais vu (...) (2)

Les cartes sont brouillées à plaisir. Les premières lignes de l'oeuvre apportent une réponse à des questions que le lecteur est censé avoir posées, mais, par la suite nous entendrons ses commentaires : «Cela est très beau (...) Cela est impossible (...) Ah ! l'horreur ! (...) Qu'estceque ces livres ? ...— Mais Jacqus et son maître ? Mais les amours de Jacques ?» (3). A un certain moment Diderotnarrateur interrompt le récit du maître pour gliser un petit fait divers illustrant l'ineptie et la cruauté des procédés de justice. Cette fois, ce n'est pas le lecteur seul qui réfléchit : le maître, qui a entendu lui aussi, répond et, après lui, Jacques à son tour avance son commentaire (4). Un passage savoureux est celui où les deux protagonistes, conscients d'être surveillés par le narrateur et le lecteur et répugnant à mettre l'un ou l'autre (peut-être les deux !) dans leur secret, se parlent à mots couverts «Jacques bride et selle les chevaux et remplis ta gourde : Il faut aller où tu sais. "[5] . Passé et présent, fait réel et fait revu sont confondus ; "Tandis que je disserte, le maître de Jacque ronfle comme s'il m'avait

---

1. Ibid., p. 545 Nous soulignons
2. Ibid., p. 556 Nous soulignons.
3. Ibid., p. p. 527-528.
4. Ibid., 668.
5. Ibid., p.,p. 700.

n'assigne de véritable frontière entre le narrateur, Jacques et le Maître, trinité ambiguë, monstre à trois têtes. «Je ne sais de qui son ces réflexions, de Jacques, de son maître ou de moi ; il certain qu'elles sont de l'un des trois (...)»[1] «Est-ce Jacques qui profére cet apophtegme ? Est-ce son maître ? Ce serait le sujet d'une longue et épineuse dissertation.»[2] «Tout ce que je vous débite là, lecteur, je le tiens de Jacques (...) Je l'ai plusieurs fois contredit, mais sans avantage et sans fruit»[3] «Et Jacques s'est servi du terme engastrimute ? (...) la verité c'est que l'*Engastrimute* est de moi, et qu'on lit sur le texte original *Ventriloqu*[4]». «Ah ! *hydrophobe ?* Jacques a dit *hydrophobe* ?... Non, lecteur, non ; je confesse que le mot n'est pas de lui»[5]. L'hôtesse du Grand-Cerf, cette patronne d'auberge qui raconte trop bien pour une femme de sa condition, a «des mains (...) à modeler»(6) déclare avoir été élevée à Saint-Cyr et prend trop chaudement la défense de la machiavelique Mme de La Pommeraye donne longuement à réfléchir sur sa véritable identité. Et que doit-on penser de cette dernière ? Diderot n'a point de réponse à nous donner mais aligne une succession de points de vue : «Votre Mme de La Pemmeraye est une méchante femme» dit Jacques, à quoi son maître répond : «C'est bientôt dit»(7). Et le narrateur à son tour après avoir entendu le fataliste défendre Mlle d'Aisnon remarque calmement : «Et vous croyez lecteur, que l'apologie de Mme de La Pommeraye est plus difficile à faire ? (...) Permettez donc que je m'en occupe un moment.»(8)

Plus que l'ambiguité de la perception, celle de la narration est faite pour déconcerter le lecteur qui ne peut s'installer ni dans le temps ni dans l'espace. Les tranches de temps défilent successivement - parfois en même temps : «Le pauvre Jacques ! ou moment où nous en parlons Il s'écriait douloureusement (...) (9) - avec une souplesse qui donne le vertige, tandis que le décor change avec une brutalité qui préfigure la technique d'un Sartre dans *Les Chemins de la Liberté :* «Les uns se disposaient à suivre leur route, et les autres à retourner dans la capitale, en masque et sur des chevaux de poste, lorsque l'hôtesse reparut et mit fin au récit de Jacques» (10). Sans compter que l'équivoque est

1. Ibid., p. 567.
2. Ibid., p. 659.
3. Ibid., p. 621.
4. Ibid., p. 658.
5. Ibid., p. 696.
6. Ibid., p. 572.
7. Ibid. p. 593.
8. Ibid. p. 605.
9. Ibid.. p. 495.
10. Ibid.. p. 572.

coloration reste «romanesque» et sans même pouvoir s'appuyer sur une réalité historique susceptible — comme dans le cas du *Neveu* d'authentifi er peu ou prou ses personnages, est pour le moins déroutant. Diderot rédigeant Jacques grignote sur l'art dramatique mais sans opter franchement pour les planches, flirte avec le genre romanesque tout en le vilependant. Ne serait-ce pas qu'il tâtonne pour trouver une for mule plus adéquate à sa pensée, un moule dont il ne connait pas encore le nom et dont ne peut guère se réclamer l'illisible "Tristram Shandy" de Sterne ?

«Ce sont pas les idées qui me coûtent c'est le ton qui leur convient». avoue-t-il dans un Salon [1] et le «ton» ici n'est à coup sûr pas celui d'un roman au sens classique du mot. Pour la première fois dans l'histoire du genre, le romancier renverse les barriéres derrière lesquelles s'abritait le lecteur dans son traditionnel besoin de sécurité. Ce dernier, venu mettre le nez dans l 'histoire de Jacques, voit s'abattre et s'écrouler devant lui la porte, alors qu'il avait jusque là le réconfort de regarder sans être vu, par le trou de la serrure. Et, avant même d'être revenu de son ahurissement, il est solidement empoigné par le narrateur qui l'oblige à pénétre : dans l'action, qui loin de lui fournir des explications mûrement concertées, d'être à ses petits soins, refuse de lui venir en aide, le laisse tirer ses propres conclusions, le contrarie, le rabroue, se moque de lui. Il est entrainé dans cette «rapsodie» que constituent les événements et finalement laissé sur sa faim. Est-il habitué aux intrigues amoureuses ? II doit se résigner a en être sevré sous le regard ironique d'un romancier qui ne le prend pas en pitié : «Tant pis (...) pour vous, lecteur (...)»[2]. D'ailleurs, pour une intrigue il n'y en a pas Pas plus qu'il n'y a un début ou une véritable conclusion. L'action est remplacée par une enquête au cours de laquelle il faut interpréter les symboles, percer le mystère des personnages qui, dès qui'ils ont quelque importance dans le récit, se définissent par leur duplicité. "Jacques, quel diable d'homme es-tu !", s'exclame le Maître à qui, pour toute réponse, son valet renvoie la balle : «Eh bien, Jacques ! Jacques ! quel diable d'homme êtes-vous ?»[3] La réponse à ces interrogations demeure jusqu'à la fin incertaine. Le narrateur, sinon les protagonistes eux-mêmes, semblent toujours nous cacher - et se cacher les uns aux autres-à dessein une partie de leur être. Aucune ligne de démarcation

---

1. Cité par J. Schérer. *Le Cardinal et l'Orang-Outang*. «Essi sur les distances dans la pensée de Diderot», Paris, Sedes, 1972, p. 42.

2. *Jacques*, p. 622.

3. Ibid., p. p. 481-482.

ment «deus ex machina» termine les aventures de Jacques. Les moins sceptiques peuvent rentrer chez eux et s'endormir rassurés. L'épilogue au cours duquel Jacques, délivré par Mandrin, sauve le chateau de Desglands, retrouve son maitre qui s'y est refugié et la sage Denise qui l'a attendu, est tout aussi prodigieux ou naif que celui qui montre Saint Nicolas sortant les trois enfants vivants du saloir ou ils ont été jetés ily a sept ans. Le «Jeu» s'est terminé par un «Miracle».

Vue dans la perspective d'une telle structure, l' oeuvre présente trois niveaux de dialogue que la technique du «jeu par personnages» médiéval peut, mais seulement dans une première étape, et parce qu'elle les étale dans l'espace, interpré ter en les exploitant. Il n'en reste pas moins qu'à ce stade même une certaine ambiguité demeure inhérente à *Jacques le Fataliste*, une ambiguité que seule peut exliquer et dont devrait se réclamer à plus d'un titre la démarche propre au «nouveau roman».

Nous avons tenté, en apparentant *Jacques le Fataliste* à un «jeu», d'en etudier la structure et quelques aspects sous un angle que Diderot n'aurait probablement pas récusé ayant lui-même insisté à plusieurs reprises sur la théâtralité de son oeuvre, multipliant les indications scéniques, s'occupant soigneusement du décor — «Lecteur, j'avais oublié de vous peindre le site des trois personnages dont il s'agit ici (...) Faute de cette attention, vous les avez entendus parler, mais vous ne les avez point vus ; » (1) — notant la mimique des héros, lui qui avait toujours mis le «geste» au dessus du «discours». Autrement dit (et sans vouloir jongler avec les mots) nous sommes entrés dans son jeu. Mais ne faudrait-il pas maintenant chercher les raisons qui font prendre au Philosophe ses distances vis-à-vis du roman et affirmer tout le long de son ouvrage : «Il est bien évident que je ne fais pas un roman» (2). «Ceci n'est point un roman, je vous l'ai déjà dit, je crois, et je vous le répéte encore» (3). Il est vrai que le genre est toujours décrié, et par Diderot tout le premier aux yeux de qui Richardson seul trouve grâce. Condamner le roman dans un écrit théorique n'est pas en soi anormal. Mais insiser à s'en séparer au sein d'une oeuvre dont somme toute la

1. Ibid., p. 581.
2. Ibid., p. 484.
3. Ibid., p. 505.

action qui prend de la consistance au contact des êtres qui l'exposent. Que Sterne est loin de ce programme ainsi servi ! Diderot qui s'en rend bien compte le souligne ironiquement à la fin de *Jacques*. Ce qu'il doit d'autre part, incontestablement à Rabelais ou à l'abbé Dulaurens — la verve gauloise, la bonne humeur alliées à la recherche philosophique, peut expliquer l'inspiration de son oeuvre mais non sa structure. En quête d'une expression adéquate à sa pensée, Diderot a été aux sources des «productions marquées au coin de l'ivresse et du génie» (1). Le Pantagruel, cependant, ou les aventures du Compère Mathieu n'ont pu lui offrir ce qu'il a peut-être trou vé dans le «jeu» médiéval. l' «espace qui permette l'exercice de la pantomime dans toute son étendue (......) « (2), l'espace qui permette qu'au lieu de Lui et Moi· ily ait encore Vous et Eux. «Ecoutez-moi, ne m'écoutez pas, je parlerai tout seul ...» crane le narrateur de Jacques (3). En réalité, le simple dialogue ne lui suffit même plus. Celui qui se reconnaissait «double», capable de «fai (re) deux rôles» (4), a besoin aujourd'hui d'être, en plus de jacques et du Maitre, un troisiéme personnage qui les juge et qui semble encore ne pas pouvoir se passer de notre propre appréciation· de l'avis d'un «lecteur» ou plutôt d'un membre de l'assistance qu'il tire des premiers bancs — comme un prestidigitateur désireux dexposer l'un de ses tours – qu'il fait parler, le transfosmant finalement en acteur, en nouveau personnage. Tenté de multiplier les perspectives, ce n'est pas un theàtre de marionnettes que le machiniste de Jacques vient de monter, mais tout un univers. La technique des dessins animés, celle du Guignol seraient incapables de faire passer dans ses personnages la vie qui les anime (ne prenons pas le change lorsque nous l'entendrons qualifier le Maitre d' «automate» que son indigence intellectuelle met à la merci de sa montre, de sa tabatière et de Jacques ! (5) une vie qui fait que, tenus en haleine, nous les suivons des yeux d'une «mansion» à une autre. le narrateur, Jacques, le Maitre, Gousse, la d'Aisnon, Mme de La Pommeraye ... et notre camarade, le lecteur, qui s'est mêlé à eux, jusqu'à ce qu'un court circuit interrompe le spectacle ! Mais le directeur du théâtre, l'«éditeur» tout essouflé, ému du désarroi du public, commande qu'on léve à nouveau le rideau et un dénoue-

---

1. Ibid., p. 659.

2. *Entretients sur Le Fils Naturel* (III), *Oeuvres*, p. 1254.

3. *Jacques*, p. 529.

4. *Discours sur la Poésie Dramatique*, cité par R. Mortier, «Diderot et le problème de l'expressivité» in *C.A.I.E.F.* Juin 1961 N° 13, p. 296.

5. *Jacqes*, p. 494.

à la mode médiévale caractérisé par la liberté de son allure, la variété de ses tons qui allient l'émotion à la malice, le sérieux à la polissonnerie. Les aventures succèdent aux scénes de la vie courante.
Et dans ce «jeu», la diversité des êtres, des scénes, des tons concourent à l'unité de l'ensemble au lieu de la rompre. Cet émiettement de l'action, cette juxtaposition des lieux dans l'espace et des événements dans le temps sont le symbole de la continuité d'une trame qui se déroule à travers eux, suivant une nécessité qui foule aux pieds la volonté des personnages que l'on y rencontre. Cette trame c'est le déterminisme (doublé d'une fatalité de l'écriture que nous retrouverons plus loin) dont Jacques feint d'ignorer toute la portée puisqu'il ne lui donne que le nom de fatalisme. Le narrateur passe du coq à l'âne, nous donne le vertige en virevoltant d'une mansion à une autre, brouillant à premiére vue les lieux et les tranches de temps. C'est que Jacques n'est libre ni de continver l'histoire de ses amours ni de se taire, l'hôtesse de s'arrêter ni de reprendre le récit qu'elle brule de faire à ses voyageurs le valet-philoshope de commander à son cheval, entêté à le mener jusqu'aux fourches patibulaires, ni de l'empêcher de le jeter la tête la première, contre la porte du bourreau. Les «jeux» sacrés avaient pour devise : «Accomplir faut les Ecritures». La trame terrestre suggere ici qù «Accomplir faut sa Destinée».

A défaut d'action, le spectacle progresse par symboles, par exemples édifiants ou amusants. Nombre de tableaux réalistes laissent entrevoir un idéal humain, nombre de scènes ne sont que des traits satiriques. «Mère-Sotte» et«mime erreant», Jacques est aussi un jongleur dont les tours font rire. Et, comme si les thèmes eux-mêmes étaient empruntés au Moyen-Age, c'est au dépens des hommes de justice, des médecins, du curé du village que nous rions lorsqu'un maitre tourné en ridicule par son valet, un père que l'on berne, des paysannes faciles et coqui nes, de jeunes adolescents libertins ne font pas les frais de la farce.

Mais, qu'il fasse jouer dans la troisième mansion l'épisode de Bigre, celui du curé «enfourché» par Jacques ou débite la fable de la Gaine et du Coutelet, le narrateur, désireux de séduire, prétend aussi assumer une mission sociale, celle qui convient au «philosophe» mais qui est également, et avant tout, le but d'un «jeu» digne ne ce nom. Le spectacle que nous avons sous lesyeux est divertissant ; toutefois, l'un ou l'autre des protagonistes ne cesse de rappeler : Quel que soit le récit que tu m'as promis (......) sois sûr qu'il ne sera vide d'instruction que pour un sot» (1). Cette instruction est communiquée par une morale en

1. *Jacques*, p. 646.

à première vue c'est que cet «espèce de philosophe» (1) qui a des pressentiments, joue à la pythie et se trouve avoir écrit un «traite de la divination» (2), ce «diable d'homme» (3), spirituel mystificateur débrouillard, effronté, sentimentalcet «original» (4), animal jaseur» (5) paradoxal, a endossé une personnalité hétéroclit. Jacques est tout simplement déguisé. Il n'estpas seulement déguisé en valet — condition dont il ne porte apparemment même pas la livrée (6) — il a adapté à son visage, pour les huit jours que durera son pseudo-voyge, le masque de Mère-Sotte. Son maitre, instruit du mystère de cet incognito, ne lui promet il pas le secret ? Le bonnet du "Sot", le "sac à coquillons", modernisé, est remplacé par un chapeau sur lequel le narrateur s'attarde pour en souligner et le burlesque et le côté symbolique : » (...) son énorme chapeau, parapluie dans les mauvais temps, parasol dans les temps chauds, couvre-chef en tout temps, le ténébreux sanctuaire sous lequel une des meilleurs cervelles qui aient encore existé consultait le destin dans les grandes occasions ; ... les ailes de ce chapeau relevées lui placaient le visage à peu prés au milieu du corps ; rabattues, à peine voyait-il à dix pas devant lui : ce qui lui avait donné l'habitude de porter le nez au vent ; » (7). Il fait souvent figure de «grand nigaud», affecte le langage d'un niais, débite des balourdises» (8). Mais le public est suffisament prévenu : «Je m'amuse à écrire (tradusions aussi «à vous faire voir» puisque Diderot, au cours de la narration, s'excuse d'avoir fait entendre les propos de ses personnages avant de les avoir décrits) sous des noms empruntés les sottises que *vous* faites, vos sottises me font rire ; » (9). L'ivresse vraie ou feinte de Jacques, ses trop frequentes consultations de la gourde ne tromperont que ceux qui, faute de circonspection, prendront «le vrai pour le faux, le faux pour le vrai.» (10) A la faveur de cette «folie» le héros glisse idées subversives et satire hardie.

Est-ce donc une «sotie» que narrateur et personnages — Jacques en tête nous régalant de ses «balivernes» (11) — nous promettent ce soir ? C'est un spectacle entier qu'ils se proposent de nous offrir, un spectacle varié ou les genres se mêlent à plaisir, tout un «programme»

1. Ibid., p. 577.
2. Ibid., p. 701.
3. Ibid., p. 481.
4. Ibid., p. 633.
5. Ibid., p. 608.
6. Ibid., p. 496 : le portebaile l'appelle spontanément : «Monsieur le chevalier».
7. Ibid., p. 693.
8. Ibid., p. 647.
9. Ibid., p. 656 Nous soulignons.
10 Ibid., p. p. 525-526.

Dans la troisième mansion enfin les personnages foisonnent. C'est le lieu des nombreuses historiettes où Jacques et son maître iront, à l'occasion, exécuter leur pirouette. Mais, la plupart du temps, ils se bornent à surveiller et à commenter de la mansion n° 2, ce qui sepasse dans la mansion n° 3,, alors qu'ils sont eux-mêmes observés et jugés par le meneur du jeu. Car ce décor représente non seulement des places différentes, mais correspond aussi à des tranches de temps irréductibles l'une à l'autre. La première partie de la scène est réservée au passé propre au narrateur. C'est l'espace qui sert à l'évocation de ce qui s'est écoulé pour lui jusqu'au moment ou il s'adresse au public. Dans la deuxième se déroule une action qui est actuelle pour le valet et le maître mais qui, pour le narrateur, appartient au registre du passé puisqu'il la «raconte» tandis que les personnages, tant qu'il ne leur donne pas la parole, se contentent de la mimer. La troisième est une fenêtre ouverte sur le passé de Jacques, de son maître, du marquis des Arcis, de l'abbé Hudson, de l'hôtesse, etc. La vision est donc conçue dans un sens unique, de gauche à droite. Seul le narrateur-metteur en scène, personnage privilégié, peut promener son regard sur les trois tranches de temps, le plonger à l'interieur du triple décor.

Il présente d'abord les deux héros. Les autres acteurs qui apparaissent au fil du souvenir des protagonistes et sévanouissent dés que se termine l'épisode où ils avaint un rôle àjouer, sont, à quelques exceptions prés, des comparses ou même de simples figurants. Attardons-nous unmoment auprès de la création la plus complexe, du déroutant Jacques. En rélité, déroutant l'est-il à ce point ? Ce valet peu ordinaire ne l'est pas pour avoir pris le pas sur son maitre : Scapin, Gil Blas avaient, eux aussi, plus d'untour dans leur sac et ne s'étaient pas gênés pour afficher leur supériorité intellectuelle et faire valoir leur astuce. Ce n'est pas non plus en tant qu'ancêtre de Figaro que le personnage de Diderot est fait pour nous intéresser essentiellement. Il en diffère surtout du fait que notre Fataliste satisfait d'être traité le plus souvent par son maitre sur un pied d'égalité, n,a aucune ambition sociale. Tout juste insiste-t-il à être appelé «Monsieur Jacques» (1). «Parvenir» est le dernier des soucis de ce paysan-là qui, de valet, finira, et de la meilleure grâce du monde, concierge Si Jacques déconcerté

1. *Jacques le Fataliste*, in *Oeuvres* de Diderot, éd. La Pléiade, 1951, p. 561 Toutes les citations de *Jacques le Fataliste* sont empruntées à cette édition.

«JACQUES LE FATALISTE»

ENTRE

LE «JEU PAR PERSONNAGES» ET LE «NOUVEAU ROMAN»

Par

HANNA'A FAHMY

Maître de conférences à la Faculté des Lettres du Caire

Section de Français

Le rideau se lève sur un décor simultané. La scène est divisée en trois «mansions» à travers lesquelles va se dérouler laction. La première représente un intérieur la seconde une route, la troisième a pour toile de fond un paysage de campagne. Des panneaux sont prêts qui transformeront au moment voulu, l'intérieur en prison, la route en auberge, le paysage de campagne en champ de bataille, en boutique de brocanteur, etc... A l'avant scène le meneur du jeu fait une profonde révérence : il a monté à notre intention le «Jeu du destin», spectacle profane, conçu comme divertissement mais ayant en même temps un but didactique, soulevant des problèmes, évoquant sur un mode tantôt léger, tantôt sérieux, le «mystère» de la destinée humaine. De l'endroit où il s'est placé, Diderot narrateur et metteur en scène, commande les trois «lieux» qu'il a aménagés mais se trouve aussi à demi tourné versle public auquel il a souvent besoin de s'adresser.

Le narrateur se réserve la première mansion où d'un saut il peut se rendre pour dialoguer avec le poète de Pondichéry ou «entreprendre» Gousse. A moins qu'il ne la prête à ce dernier qui y montera l'histoire de l'Intendant de M. de Saint-Florentin. Dans la deuxième, Jacques et son maître sont le plus souvent seuls dans leurs chevauchée. lorsqu'ils ne font pas la rencontre d'autres voyageurs, d'un convoi ou d'un porte-balle. Durant les haltes ils accueillent dans cette mansion l'hotesse du Grand-Cerf flanquée de son mari, de Nicole, la chienne, de la servante ou projetant un éclairage spécial sur deux autres de ses hôtes, le marquis des Arcis et son compagnon. Un bourreau, le chevalier de Saint-Ouin peuvent également y faire une brève apparition.

6. August Langen, in: "Deutsche Philologie im Aufriß, Bd. 1, 2. Auflage, hrsg. von W. Stammler, Berlin 1957

7. Luthers Bibel, hrsg. von der Evangelischen Haupt-Bibelgesellschaft, Berlin 1958

8. Josef Mattausch: Untersuchungen zur Wortstellung in der Prosa des jungen Goethe, Akademie-Verlag, Berlin 1965

9. O. Pniower: Zu Goethes Wortgebrauch. Goethe-Jahrbuch 19

10. Alfred Schirmer: Deutsche Wortkunde, Sammlung Göschen, Bd. 929, 3. Auflage, Berlin 1949

11. Johannes Seiler: Die Anschauungen Goethes von der deutschen Sprache, Preisschrift, Stuttgart und Berlin 1909

12. Emil Staiger: Goethe Bd. 1, 2. Auflage, Zürich und Freiburg 1957

sprachschöpferische Kraft mit folgenden Worten: "Sie fällt ihm so wenig auf, wie dem Gesunden sein Körper. Der Dichter und die Schöpfung kommen sich auf halbem Wege entgegen. So auch der Dichter und die Sprache. Seine Lyrik ... erkennt keine Regeln an und übernimmt keine Maße. Das geht wieder daraus hervor, daß seine Dichtung ... schöpferisch ist und einzig ihn und seine Welt bezeugt. Sie kommt vom Herzen und geht zum Herzen." Als wahre Dichtung rührt sie auch heute noch unmittelbar an, mag sich auch der Sprachgebrauch inzwischen in vielem gewandelt haben, denn in ihr sind Form und Sinn, Klang und Seele eins, sie fließt aus dem unversiegbaren Quell dichterischer Eingebung und wird genährt vom Urgrund zeitlosen Schöpfertums.

Literaturverzeichnis

Texte : (Die Hamburger Goethe-Ausgabe)

1. Die Laune des Verliebten, Bd. 4
2. Die Mitschuldigen, Bd. 4
3. Die Geschichte Götz von Berlichingen, Bd. 4
4. Prometheus, dramatisches Fragment, Bd. 4
5. Clavigo, Bd. 4
6. Die Leiden des jungen Werther, Bd. 6
7. "Brief des Pastors zu...", Bd. 12
8. Urfaust: Christian Wegner Verlag. Kommentiert von Erich Trunz
9. Gedichte der Frühepoche, eine Auswahl, hrsg. von Stefan Zweig

Sekundärliteratur:

1. E. A. Boucke: Wort und Bedeutung in Goethes Sprache, Berlin 1901

2. Horst Enders: Stil und Rhythmus, Studien zum freien Rhythmus bei Goethe, Marburg 1962

3. Goethe-Wörterbuch, Einleitung zur 1. Lieferung, hrsg. von der Deutschen Akademie der Wissenschaften, Kohlhammer Verlag 1966

4. Friedrich Kainz, in: Deutsche Wortgeschichte, Bd. 2
(Maurer-Stroh) 2. Auflage, Berlin 1959.

5. Naoji Kimura: Goethes Wortgebrauch zur Dichtungstheorie, M. Hueber Verlag, München 1965

Goethe war nicht nur Nachahmer und Vermittler, sondern er schuf auf Grund seiner starken Individualität eine ursprüngliche und eigenständige Dichtung, geprägt vom Siegel seiner Persönlichkeit. Gerade das Jugendwerk Goethes gibt Zeugnis von seiném sprachschöpferischen Genie. Er hat Worte und Wortverbindungen geschaffen, die die Sprache bereicherten und befruchteten. Zu geflügelten Worten sind geworden: "Grau, teurer Freund ist alle Theorie/ Und grün des Lebens goldener Baum "(Urfaust, S. 373), "Nach Golde drängt, am Golde hängt doch alles" (S. 391), "Wenn nicht alle Blütenträume reiften" (Prometheus, Gedicht). Bei der Betrachtung der formalen Elemente wurde bereits auf Wortbildungen verwiesen, wie "honiglallend", "warmumhüllen", "Wonneruhgenuß", (Prometheus, Gedicht), "Sternenblick", "freudebrausen" (Mahomets Gesang), "morgenschön (Heideröslein). "Wanderers Sturmlied" zeugt in besonderer Weise von schöpferischer Fülle. Hier spricht Goethe in kühnen Bildern: "Wirst ihn heben überm Schlammpfad/Mit den Feuerflügeln" "Wirst mit Hüterfittichen ihn decken in des Haines Mitternacht", "sturmatmende Gottheit". Vor allem offenbart sich das sprachschöpferische Genie im Urfaust. Faust spricht in seinem Eingangsmonolog von "Wissensqualen", "segenduftend", "erwühlen" : den Geist "neigt" sein "machtig Seelenflehn". Er kam auf "der Seele Ruf", "die Brust mit Freudebeben erschwoll". Faust ist für den Geist, "die Flammenbildung", "ein furchtsam weggekrümmter Wurm." Im Dialog zwischen Mephisto und Faust (S. 409) schwärmt Faust von der "engellieben Seele", Faust nennt Mephisto eine "Spottgeburt von Dreck und Feuer" (S. 409). Der Geist spricht von "Brandschande-Malgeburt" (S. 412), "Und dein Herz aus Aschenruh Zu Flammenqualen Wieder aufgeschaffen, Bebt auf !" (S. 415). Ausdrücke dieser Art hat später der moderne Expressionismus als wesentliche Sprachelemente in sich aufgenommen. Zu den Höhen seherischer Weltschau erhebt sich der Dichter in den Worten "Und mitgeborne Harmonien/ihr erklangen/aus sich selbst" (Prometheus-Fragment, S. 179) in Bildungen wie "Lebensfluten", "Tatensturm", "am sausenden Webstuhl der Zeit", "Und würke der Gottheit lebendiges Kleid." So "spiegelt sich",wie BOUCKE (S. 6) darlegt,"der Reichtum und die Tiefe der individuellen Kultur Goethes ... auch in seinem Wortschatz wider, und zwar in einem so hohen Grade, daß sich aus seinen Werken ein Individualvokabular zusammenstellen läßt, nicht nur hinsichtlich der Neuschöpfungen, sondern auch der individuellen Bedeutung einer großen Anzahl von Worten...Sein individueller Sprachgebrauch bildet eine Welt für sich". Goethes kühne Sprachschöpfungen erlangten zeitlose Gültigkeit, denn sie entstammen nicht kühler Reflexion, sondern dichterischer Intuition. Staiger (S. 80f.) kennzeichnet Goethes

sind die zehn Gebote "implicite" wohl, nicht explicite enthalten. Mephistopheles nennt dem Studenten gegenüber die "Paragraphos" (S. 377), allerdings hier auf die Metaphysik bezogen.

Durch seine Studien kannte Goethe den Wissenschaftsbetrieb seiner Zeit sehr gut, und er versäumt nicht, in seinem Jugendwerk diese Kenntnisse zu verwerten. Das tritt besonders in dem Gespräch des Mephistopheles mit dem Studenten zutage. Mephistopheles schildert den gesamten Studiengang des Studium generale mit "Collegium logicum", "Metaphysik" und endet mit dem "Geist der Medizin" (S. 376 f.). "Reduzieren", "klassifizieren" und "präparieren" sind Ausdrücke der wissenschaftlichen Sprache (S. 377).

Im 1. Buch des "Werther" (Brief v. 17. Mai) schildert Werther die Studiengebiete des Studenten. Goethe zeigt damit, das er auf der Höhe der Bildung seiner Zeit steht. Leicht ironisch bemerkt Werther, der Student, "der von Akademien" kommt, "...kramte viel Wissens aus, von Batteux bis Wood, von Piles zu Winckelmann, und versicherte mich, er habe Sulzers Theorie gelesen, den ersten Teil, und besitze ein Manuskript von Heynen über das Studium der Antike". Eingehend mit der Naturwissenschaft hat sich Goethe erst nach 1775 beschäftigt. Die Schrift "Aus den Physiogonomischen Fragmenten" entstand in den Jahren 1775–1776. Als Naturwissenschaft im modernen Sinne sind diese Versuche allerdings nicht zu werten. Die Bezüge auf die Naturwissenschaft sind im Jugendwerk Goethes selten. Im Prolog des Faust herrscht die Welt der Magie, nicht der Geist experimenteller Naturwissenschaft, für den er in späterer Zeit sehr aufgeschlossen war.

In der Arbeit wurde versucht zu zeigen, wie sehr Goethe der literarischen Tradition verpflichtet ist und bis zu welchem Grade das geistige Erbe seinen Niederschlag in der Sprache seiner Jugenddichtung gefunden hat. Seine Sprache vereint in sich "eine tief geschichtete Vielfalt von Sprecharten und Ausdrucksweisen. Goethe ist diese Sprachvielfalt bereits aus seinem Leben zugewachsen: diesem so ungemein beziehungsreich gelebten Leben mit seiner Unzahl von Beschäftigungen, amtlicher, persönlicher, gelehrter, literarischer Art, der Unzahl ernsthaftester Liebhabereien, dem Zuhausesein in den verschiedensten Bereichen, dem lebendigen Umgang mit Menschen aller Gesellschaftsschichten, Berufsarten und Tätigkeiten. Und er hat -- der große "Nehmer, Ausplauderer und Schreiber - die Fülle dieser Weltbeziehungen in seiner Sprache kundgegeben". (Goethe-Wb, Sp. 9) Das Zitat wurde in seiner Breite gegeben, weil es all das wiedergibt, was wir vorhin bruchstückweise darlegten.

Freien in der griechischen Antike verwirklicht und eröffnete Goethe den Zugang zur Welt der Griechen. Homer und Pindar, in denen er die Verkörperung naturhaft-genialen, ursprünglichen Dichtertums sah, begeisterten ihn so sehr, daβ er in seiner Jugendlyrik nicht nur Stilelemente hymnischer antiker Odendichtung übernimmt, sondern auch den Namen seiner *großen* Vorbilder in die Dichtung einführt. So heiβt es in "Wanderers Sturmlied", indem er bildungsstolz seine antiken Kenntnisse einflicht : " Vater Bromius bist Genius.../ Bist, was innre Glut Pindarn war, /Was der Welt Phöbus Apoll ist". Der Dichter ruft "die Musen" und die "Charitinnen" an, spricht vom "kastalischen Quell", von "Deukalions Flutschlamm", von "Pythius Apollo", ruft den Göttervater an "Der du mich fassen deckst, Jupiter Pluvius".

Er stellt seine Dichtung in den Zusammenhang literarischer Tradition, nennt den "honiglallenden Theokrit" und den "blumenglücklichen Anakreon" und wendet sich nochmals ekstatisch an Pindar "Glühte deine Seel' Gefahren, Pindar, Mut... Glühte ? — Armes Herz." — Auch die Gedichte "Ganymed", "An Schwager Kronos" und "Prometheus" zeigen schon auf Grund der Motivwahl den groβen Einfluβ der Antike auf Goethes Jugendwerk. Das gilt auch für das Prometheus-Fragment : "Und mitgeborne Harmonien. In ihr erklangen aus sich selbst". Diese Stelle beweist, daβ Goethe mit den griechischen Naturphilosophen – hier mit Pythagoras – vertraut war. Auch Werther hebt hervor, daβ er "viel zeichnete und Griechisch konnte, zwei Meteore hierzulande", womit eine "seltene Erscheinung" gemeint ist. Gleichzeitig spricht er über einen jungen Studenten, der sich rühmt, "ein Manuskript von Heynen über das Studium der Antike" zu besitzen (Brief v. 17. Mai, 1. Buch).

Die mannigfachen Anspielungen auf die Antike weisen Goethe als einen Mann von hoher Bildungsstufe aus. Doch findet auch sein juristisches Fachwissen seinen Niederschlag in der Dichtung. Dies ist besonders ausgeprägt im "Götz", und insbesondere im 4. Akt in der Rathausszene. "Protokollieren" und "im Entstehungsfalle" (S. 146, 148) entstammen der juristischen Sprache. Ferner führen uns die Szene im Rathaus sowie die im bischöflichen Palais zu Bamberg vor Augen, daβ Goethe über eingehende Kenntnisse der Rechtsgeschichte verfügte und wie geläufig ihm die Rechtspraktiken der Vergangenheit waren: Der Rat spricht von "Urfehde abschwören" (S. 147), Olearius erwähnt den "Corpus Juris" (S. 94), den "Schöppenstuhl", der "mit lauter Leuten besetzt ist, die der römischen Rechte unkundig sind", "von den Casus" (S. 95). In der "Sammlung aller Gesetze"

Im "Götz" treffen wir ebenfalls auf eine Reihe von Fremdwörtern : Der Bischof sagt : "Er molestiert mich unsäglich" (S. 97). Liebetraut spricht vom "Geheul ... ominöser Vögel" (S. 105). In der gleichen Szene heiβt es: "Sein Hofmeister, zu tätig, um ein Gelehrter ... zu sein, erfand das Spiel in usum delphini, das so homogen mit seiner Majestät war" (S. 105). Götz meint, die Fürsten "gloriieren von Ruh und Sicherheit" (S.91),er ist "ein Feind von Explikationen" (S. 92). Weitere Fremdwörter aus dem "Götz" sind "Konterfei" (S. 148), "despektierlich" (S. 75), "kurios" (S. 85), "der Nimbus von Ehrwürdigkeit" (S. 95) u. a. m.

Häufig verwendet Goethe Fremdwörter in "Werthers Leiden", so "ordre" (30. Mai, 1. Buch), "Minuett. Chapeau" (16. Juni, 1. Buch), "radotieren" (1. Juli, 1. Buch). "Radotage" (S. 48, 1. Juli, 1. Buch), "frappant' (10. Sept., 1. Buch). "Derraisonnement" (24. Dez., 2. Buch). Dem lateinischen entnommen ist "pro forma" (12. Aug., 1. Buch). Im "Clavigo" finden wir "Sentimente" (S. 261), "distiquieren" (S. 268), "Quästionieren" (S. 291) und andere.

Mephistopheles im Urfaust verwendet viele Fremdwörter, z. B. "profan" (S. 392), "Sancta Simplicitas". Er zitiert die Bibelstelle aus der Genesis auf Lateinisch : "Eritis sicut Deus scientes bonum et malum" (S. 370). Auch die Studenten in Auerbachs Keller gebrauchen Fremdwörter "Appartinienzien" (S. 380), "fatal", "inkognito", "Rarität" (S. 381 f.).

In der Szene in Auerbachs Keller findet sich auch ein Anklang an den sächsischen Dialekt : "Ich will'en Würme schon aus der Nase ziehn". Die Redewendung selbst entstammt der niederen Umgangssprache. Selbst "Liesgen", das Kind aus dem Volke, streut aber französische Fremdwörter ein: "Kurtesiert ihr immer mit Pastetchen und Wein!" (S. 410).

Wie die lateinischen Fremwörter und Zitate zeigen, war auch die Antike in das konventionelle Bildungsgut des Bürgertums mit einbezogen. Das aufstrebende Bürgertum des 19. Jahrhunderts fühlte sich als Vermittler des geistigen Vermächtnisses der Vergangenheit. Es war sich seiner Berufung, Verwalter des europäischen Bildungsgutes zu sein, voll bewuβt, eines kulturellen Erbes, das bis in die Antike zurückreicht. Die 2. Hälfte des 18. Jahrhunderts ist bereits durch ein ausgeprägtes Geschichtsbewuβtsein gekennzeichnet. Auch hier war es wieder Herder, der auf die groβen geistesgeschichtlichen Zusammenhänge hinwies und der die Kontinuität der geistigen Tradition Europas erkannte. Er sieht die Ideale des Schönen, Groβen und

gegeben.—In der freien, weltoffenen Reichsstadt Frankfurt lebte auch der Gebildete in Berührung mit dem Volk. Das zeigen Lebensart und Sprache von Goethes Mutter. So war es unvermeidlich, daβ sich auch im dichterischen Ausdruck Volkstümliches mit den Elementen der am Französischen orientierten Modesprache mischte. Die Sprache zeigt uns die dreifache Rolle, die das gehobene Bürgertum des 19. Jahrhunderts übernommen hat. Es ist Nachahmer, Vermittler und gleichzeitig schöpferisch. Es kann schöpferisch sein, da es den lebendigen Zusammenhang mit dem Volkstümlichen nicht verloren hat, seine geistige Spannweite aber groβ genug ist, um überkommenes Bildungsgut zu übernehmen, die Lebensform und damit auch die Sprache der gesellschaftlichen Führungsschicht, des Adels, nachzuahmen, sich zu eigen zu machen und schlieβlich umzuformen und so die Grundlage für eine neue durch das Bürgertum geprägte und von ihm getragene Epoche zu schaffen.

Wenn Goethe, wie oben an vielen Beispielen gezeigt wurde, der Umgangssprache durchaus positiv gegenüberstand und sie seinem Werke einfügte, so zeigt sich darin, daβ er im Volkstümlichen den lebendigen Quell der Sprache sah. Nun standen dem jungen Goethe alle Bildungsmöglichkeiten offen, über die das Bürgertum damals verfügte. Seine gesellschaftliche Stellung brachte ihn in ständige Berührung mit Höchstgebildeten sowie mit jenenKreisen die sich in Lebensstil und Sprache weitgehend an den Adel angeglichen hatten.

Was den Gebrauch von Fremdwörtern und sogenannteu Alamodewörtern anbelangt, so ist Goethe ganz Kind seiner Zeit. Wie KAINZ (S.252) ausführt, war er dem Fremdwort nicht abhold, sondern sah, wohl als Nachwirkung der in adeligen Kreisen intensiven Pflege des Französischen, in ihnen einen unentbehrlichen Bestandteil der Sprache. Es gehörte in Frankfurt zum guten Tone, gründliche Kenntnisse des Französischen zu besitzen. Goethe war deshalb, vor allem im "Werther", bestrebt nicht nur der Gefühlswelt und den geistigen Strömungen seiner Zeit Ausdruck zu verleihen, sondern auch die zeitgenössische Sprache wiederzugeben. Er selbst betrieb eifrig französische Studien. So verbesserte er die Briefe seiner Schwester Cornelia auf Französisch, um darzutun, wie gut er diese Sprache beherrschte (vgl. Selier, S. 129). So überrascht es nicht, wenn uns allenthalben im Jugendwerk Goethes Fremdwörter, meist französischer Herkunft, begegnen.

In "Die Mitschuldigen" finden wir unter anderem "Das Couvert" (S. 53), "Rendezvous" (S. 69), " Renomee" (S. 53). Alcest sagt zu Sophien : "Adieu, scharmante Frau" (S. 39). Der Wirt meint, wenn er das Geld nicht schaffe, so solle Alcest ihn "Pique As" nennen (S. 57). Er wünscht Alcest "viel Plaisier" (S. 39).

"Küssen" zu nennen. Goethe gebraucht "ohngefähr" an Stelle von "ungefähr" (Urfaust, S. 407), setzt "Turn" statt "Turm" (Götz, S. 85, S. 138, 144, 148).

In "begonnte" (Urfaust, S.402) mischt er die schwache Form mit der starken und ändert gleichzeitig den Vokal des starken Verbs. Mephisto spricht in der folgenden Szene von den "Mädels". Das Endung-S als Pluralform ist eine Entlehnung aus dem norddeutschen Raum. ähnlich auch "die Bräutigams" (Götz, S.95).

Durch den Gebrauch von Mundartformen verleiht Goethe seiner Jugenddichtung Lebensnähe. Er setzt sich damit in Gegensatz zu der getragenen Sprache des Barocks und dem geschliffenen Stil der Aufklärungsliteratur. Maßgeblich ist der Einfluß des Sturm und Drang, der mundartliche Wörter und Wendungen als wesentliches Stilelment einführt. Man schließt damit an eine Tradition an, die bis in die frühe neuhochdeutsche Zeit zurückgeht, hatte doch Luther gefordert, man müsse "dem Volk aufs Maul schauen", wenn die Sprache lebendig bleiben soll. Die Art, wie Goethe mundartliche Formen seinem Werk einverleibt, läßt sein Sprachgefühl, seinen sicheren Blick für das Echte und Ursprüngliche erkennen. Seine Sprache ist organisch gewachsen, die mundartlichen Worte wirken nicht willkürlich eingestreut, sondern fügen sich nahtlos in den Zusammenhang. Sie beleben und färben die Sprache, ohne das dichterische Niveau zu senken.

2. Einflüsse der Gesellschaftsschicht und der Bildung:

In der Sprache spiegelt sich der Einfluß der Gesellschaft, der ein Dichter entstammt, wider. Soziologische Bindungen wirken sich gerade im Sprachgebrauch deutlich aus. Goethe gehörte dem gehobenen Bürgertum an. Diesem Bürgertum fiel im geistigen Leben eine wichtige Rolle zu. Zwischen Adel und einfachem Volk stehend hatte es bereits im geistigen Leben eine führende Stellung errungen. In dem Maße, in dem die Theologie an Bedeutung verlor und weltlich orientierte Geisteswissenschaften und vor allem Naturwissenschaften mehr und mehr in den Vordergrund traten, wurde das gehobene Bürgertum Träger der Bildung. Andererseits war der gesellschaftliche Vorrang des Adels im 18. Jahrhundert vor der französischen Revolution noch unbestritten. Es überrascht somit nicht, daß gerade diese Kreise bemüht waren, höfische Lebensart nicht nur in der Lebensführung, sondern vor allem auch in der Sprache nachzuahmen. Nun war die Sprache des Adels das Französische. Das gehobene Bürgertum war deshalb bestrebt, das Niveau seiner Sprache zu heben und der des Adels anzugleichen, daß es nach Möglichkeit französische Fremdwörter einflocht. Jedoch war auch eine verhältnismäßig enge Bindung zum einfachen Volk, vor allem im süddeutschen Raume,

Buch), derb-volkstümlich klingt "einander die paar guten Tage mit Fratzen verderben" (1. Juli, 1. Buch). Werther nennt sich "der Fratze" (30. Juli, 1. Buch). Eine Wendung der Umgangssprache stellt der Ausdruck "mich wurmte" dar (1. Juli, 1. Buch). Eine ausgesprochen dialektische Form ist "getratscht" (16. März, 2. Buch), altertümlich mutet "ehegestern" statt "vorgestern" (16. März, 2. Buch).

Syntaktische Bildungen mit einer Häufung des Bindewortes "und" (Polysyndeton) sind für die Volkssprache kennzeichnend. Wir treffen sie im "Clavigo" z. B. S. 287 "Wie die Seele nun steht und liegt und sich verhält."

In allen Frühwerken, vor allem im "Werther" und "Urfaust", aber auch im "Clavigo" begegnet uns eine große Anzahl von Verkleinerungen. Angeführt seien aus "Werther" "Hüttchen" (S. 26), "Plätzchen" (S.26), "Gartenhäuschen und Körpchen" (S. 16, S. 21), "Lottchen, Wolkchen, Händchen" (S. 22), "Eckchen" (S.23), "Schnittchen" (S. 25), "Mäulschen" (S.27), "Lämpchen" (S.39), "Quakelchen" (S. 31), "Ölkrüglein" (S. 38), "Steinchen" (S. 40). Im Urfaust begegnet uns "Gretchen" (S. 38), "Steinchen" (S. 40). Im Urfaust begegnet uns "Gretchen", "Augenblickchen" (S. 400), "Stündchen" (S. 408), "Bärbelchen" (S. 409).

Auch Dialektformen haben Eingang in das Jugendwerk Goethes gefunden. Es lassen sich Spuren sowohl des Frankfurter als auch des Leipziger Dialekts feststellen, also des fränkisch-hessischen und des sächsischen Sprachraumes. Als fränkisches Dialektwort ist "Weck" anzusehen, gebraucht im Sinne von Brötchen, Semmel (Götz, S. 84) und im Werther (27. Mai, 1. Buch). Die Form "regnicht" (Werther, Brief v. 12. August, 1. Buch) dürfte dem Frankfurter Dialekt angehören, desgleichen "Nachtmahl" (Urfaust S. 406) und "Nachtessen" (Werther, S. 56). Die Häufung von Verkleinerungen ist eine Eigenart des sächsischen Dialektes. Die Verkleinerungs-Endsilben "Gretgen" "Gärtgen", "Gartenhäuschen" kennzeichnen den sächsischen Dialekt. Daß statt "ch" ein "g" gesetzt wird, ist ebenfalls als Eigenart der sächsischen Mundart anzusprechen.

Hierbei muß man berücksichtigen, daß der in der Schrift erscheinende Verschlußlaut als Reibelaut auszusprechen ist. Alfred SCHIRMER (S. 80) weist auf Thüringer Mundartwörter, wie "gältlich" im Sinne von "ziemlich groß" und "kauzen" für "kauern", hin.

Goethe ist bestrebt, durch bestimmte Wortformen der Sprache nicht nur dialektische Färbung, sondern auch altertümlichen Klang zu verleihen. In diesem Zusammenhang sind Formen wie "würklich", "Gebürge, "erschröken",

Wendungen der Umgangssprache begegnen uns allenthalben in seinem Jugendwerk. In "Die Mitschuldigen" spricht Stöller seine Frau mit "Mein Fiekchen" (S.29) an. Der Ausdruck "die Ohren voll lärmen" findet sich sowohl in "Die Mitschuldigen" (S.33) "Er lärmt mir die Ohren voll" als auch im "Götz", wo Götz (S.92) zu Weislingen sagt: "Euer Bischof lärmte dem Kaiser die Ohren voll." Der Umgangssprache entlehnt ist "Es geht was im Gang" (Die Mitschuldigen, S.42).

Im "Götz" kommt der volkstümlich gefärbten Sprache als Ausdrucksmittel große Bedeutung zu. Aus der großen Zahl volkstümlicher Wendungen seien nur einige herausgegriffen: Metzler (S.74) hält Weislingen für "des Bischofs rechte Hand,...der dem Götz auf'n Dienst lauert". Der Ausdruck entstammt der Dienersprache und steht für "aufmerksam bedienen", hier allerdings im ironischen Sinne angewandt. Die Redewendung wiederholt sich im Gespräch zwischen Götz und Georg: Georg sagt "Ich will nur hinten drein laufen, nur auf der Seite lauern." (S77). Sievers spricht in der Szene, in der er mit Metzler in Streit gerät: "Seht doch der Fratzen", Metzler antwortet: "Schlagt doch den Hund tot!" Der Wirt: "Tausend Schwerenot! Schert euch raus" und schließlich wieder Metzler: "Komm, Kamerad, wollen die draußen bleuen". Noch weitere Kraftausdrücke und volkstümliche Wendungen begegnen uns in dieser Szene: "Halt dein Maul"..."den Kerls"... "ein gefunden Fressen"..."Lumpenhunde"..."die Haut über die Ohren ziehen" (S.75). "Unter einer Last keichen" (S.80) steht als altertümliche Form für "keuchen".

An Stelle von "dichtem Wald" heißt es "dicken Wald" (Götz, S.84). "Türner" tritt für "Türmer" ein: "Der Türner bläst's Liedel" (Götz, S.85), "Turn" statt "Turm" (Götz, S.138, 144, 148). Volkstümlich verkürzt ist "Ich wollte was antworten" (S.103), die altertümliche Form "stund" wird für "stand" gesetzt (S.103, 115, 140).

Ebenfalls der Volkssprache entnommen ist "wie sie haudern und trenteln" (S.157) für "bummeln und trödeln", "da er dir Weck mitbrachte" für "Brot brachte" (Götz, S.84).

Selbst im "Werther" mit seiner hochgespannten Gefühlslage flicht der Dichter Ausdrücke der Umgangssprache und dialekt-gefärbte Wendungen ein: "Kamerâdin" statt "Kameradin" (17. Mai, 1. Buch), "eine recht gute Art Volks" (17. Mai, 1. Buch), "die sich ihres bißchen Kopfs überhöben (15. März, 2. Buch), "das ist alles garstiges Gewäsch" (16. Juni, 1. Buch). Kurze volkstümliche Wendungen sind Ausrufe wie "Zuck!" und "Wutsch" (26. und 30. Juli). Altertümlich für Zählen ist "Wir spielen Zählens" (16. Juni, 1.

Sein Selbstmord ist nicht Frevel, sondern Heimgehen zum Vater, Rückkehr ins Vaterhaus. Er faßt dies in die Worte : "Ich gehe voran ! Gehe zu meinem Vater, zu deinem Vater ! "(Brief an Lotte v. 22. Dez. der Herausgeber an den Leser).

Auch im Götz treffen wir viele Anklänge an die biblische Sprache : Adelheid spornt Weislingen mit den Worten an : "O ihr Ungläubigen ! Immer Zeichen und Wunder!" Die Stelle nimmt Bezug auf Johannes 4,48 (Götz, S. 118). Götz und Sickingen gebrauchen in ihrem Gespräch in Jaxthausen (S. 126) das biblische Bild vom "Guten Hirten" und vom "Mietling" aus dem Gleichnis des Johannes-Evangelium (10.Kap.). Ahnlich wie Werther nimmt Götz vor seinem Tode sein Schicksal aus Gottes Händen an und gibt dieser Ergebung mit Christi Worten am Ölberg Ausdruck:"Meine Stund' ist kommen. Sein Wille geschehe" (Götz, S. 173).

Der Einfluß der Sprache des Hohen Liedes und der Psalmen ist auch in "Wanderers Sturmlied" zu erkennen: "Ihr seid rein, wie das Herz des Wassers, Ihr seid rein, wie das Mark der Erde...".

V. *Einfluß* von Welt und Persönlichkeit:

In der Sprache des jungen Goethe haben nicht nur die geistigen und literarischen Strömungen seiner Zeit ihren Niederschlag gefunden, sondern sie spiegelt auch die Persönlichkeit und Umwelt des Dichters wider. Die Umwelt, die den engsten Kreis der Familie umfaßt, darüber hinaus das bürgerliche Milieu seiner Vaterstadt, die wissenschaftlichen Kreise der Universität, das studentische Leben und die Berufswelt der Rechtswissenschaft, habeu die Persönlichkeit des Dichters geprägt. Bei der Weltoffenheit und Kontaktfreudigkeit des jungen Goethe, bei seiner Wendigkeit und Anpassungsfähigkeit war der Einfluß der Umwelt sehr stark. Die einzelnen Einflußsphären von einander zu trennen ist kaum möglich,in vielem ergibt sich eine Überschneidung mit der Einwirkung der geistigen Strömungen. Immerhin sei versucht, die Wirkung des Umkreises auf die Sprache des jungen Goethe im einzelnen aufzuzeigen. Hierbei sei zwischen dem Sprachraum des jungen Dichters und der soziologischen Bedingtheit unterschieden.

1. Einfluß des landschaftlichen Sprachraumes:

Der junge Goethe war nicht Theoretiker, sondern er schöpfte aus dem vollen, bunten Leben, das ihn umgab. Bei seiner hohen Wortmusikalität war es verständlich, daß er sich die Volkssprache, also Worte und Ausdrucksweise der Umgangssprache sowie des lokalen Dialektes, weitgehend aneignete und auch in seine Dichtungen aufnahm.

nachgedichtet. In seiner Frankfurter Zeit beschäftigte er sich, hauptsächlich unter dem Einfluß des Frl. v. Klettenberg und seiner Mutter, mit der Bibel. 1772 entstanden "Zwo wichtige bisher unerörtete Biblische Fragen" und "Der Brief des Pastors zu +++ an den neuen Pastor zu +++". Die Werke lassen erkennen, wie ernsthaft sich Goethe mit der christlichen Lehre auseinandersetzte, wie tief er vom Pietismus durchdrungen war, zeigen aber gleichzeitig, daß er beginnt, sich innerlich von ihm zu lösen. Das eingehende Studium der Bibel, insbesondere der Lutherbibel, hat den Stil des jungen Goethe geprägt. Wie Emil STAIGER (S. 27 u. 33) ausführt, wurde Goethe schon in der Kindheit mit der biblischen Sprache bekannt, und zwar durch seine Mutter, die ihr Deutsch aus der Lutherbibel schöpfte, und der die Predigten und Tischreden Luthers geläufig waren. Die Neigung, in Gleichnissen zu reden, die Anspielungen auf Bibelstellen, die Goethe häufig anwandte und die ihm in der Leipziger Zeit manchen Tadel einbrachten, hat Goethe von seiner Mutter übernommen. August LANGEN (Sp 1122) weist auf die Inversion hin, auf die Umstellung von Wörtern, die als Anlehnung an die biblische Ausdrucksweise zu verstehen ist. So werden bei zusammengesetzen Zeiten Hilfsverb und Infinitiv nicht getrennt. An pathetischen Stellen bedient er sich des archaischen Bibeltons : "Denn süß soll meine Stimme seyn um meine Freude". Pietistisch-biblischen Geist atmet die Stelle aus "Werther": "Ach, Könntest du das wieder ausdrücken.../daß er würde der Spiegel des unendlichen Gottes" (10.Mai, 1.Buch). Im Zusammenhang mit dem geizigen Ehemann der verstorbenen Frau M. erwähnt Werther (Brief v.11.Juli, 1.Buch) "des Propheten ewiges Ölkrüglein". Auf Joh. 8,7, da Christus der Ehebrecherin vergibt, spielt Werther im Brief vom 12.August (1.Buch) an : "Wer hebt den ersten Stein auf...". Im gleichen Brief begegnen wir der Wendung: "...dankt Gott, wie der Pharisäer, daß er euch nicht gemacht hat, wie einen von diesen." Im Brief v. 30.August (1.Buch) ruft er aus: "O Wilhelm...das härene Gewand und der Stachelgürtel waren Labsale, nach denen die Seele schmachtet." Die Worte, die Christus im Abendmahlsaale sprach, werden im Brief vom 15. Nov. (2. Buch) aufgenommen: "Sagt nicht selbst der Sohn Gottes, daß die um ihn sein würden, die ihm der Vater gegeben hat." Mit den Worten von Christi Todesangst am Ölberg ergibt sich Werther in sein Schicksal : "Was ist es anders als Menschenschicksal, sein Maß auszuleiden, auszutrinken. Und ward der Kelch dem Gott vom Himmel auf seiner Menschenlippe zu bitter, warum soll ich groß tun und mich stellen, als schmeckte er mir süß?" Damit erhebt er seinen Zwiespalt in die religiöse Sphäre, heiligt ihn und gibt ihm metaphysischen Hintergrund.

mitgeprägt. Besonders deutlich ist dies im "Werther". Im Brief vom 10. Mai (I.Buch) können wir in der Naturbeschreibung den Einfluβ Ossians erkennen : "hohe Sonne"... "undurchdringliche Finsternis meines Waldes". Im Brief vom 18.August (1.Buch) schildert Werther, wie sich "das innere glühende, heilige Leben der Natur" ihm eröffnete : "Ungeheure Berge umgaben mich, Abgründe lagen vor mir und Wetterbäche stürzten herunter, die Flüsse strömten unter mir und Wetterbäche stürzten herunter, die Flüsse strömten unter mir und Wald und Gebirge erklang". Im Brief vom 30. August (1. Buch) beschreibt Werther, wie er Trost findet, wenn er durch die Natur schweift : "Und wenn ich für Müdigkeit und Durst manchmal unterwegs liegen bleibe, manchmal in der tiefen Nacht, wenn der hohe Vollmond über mir steht im einsamen Walde auf einen krummgewachsenen Baum mich setze...und dann... in den Dämmerschein hinschlummere!" Ossian nachempfunden ist die Ausdrucksweise des Briefes, den er an Lotte schrieb, nachdem sie gemeinsam Ossian gelesen hatten (2.Buch): "Ich stürzte neben das Grab hin - ergriffen, erschüttert, geangstet, zerrissen mein Innerstes,...Sterben! Grab! ... 0, vergib mir! vergib mir!..."

Auch in den Liedern an Friederike Brion finden sich sprachliche und motivliche Anklänge an Ossian. So heiβt es in dem Gedicht "Ein grauer trüber Morgen" : "Ein grauer, trüber Morgen/Bedeckt mein liebes Feld,/ Im Nebel tief verborgen/Liegt um mich her die Welt", "Der Baum ... wird bleich vom rauhen Winde". Auch in "Willkommen und Abschied" ist der Einfluβ von Ossian spürbar : "Und an den Bergen hing die Nacht;/Schon stand im Nebelkleid die Eiche,/Ein aufgetürmter Riese, da,/wo Finsternis aus dem Gesträuche/Mit hundert schwarzen Augen sah./Der Mond von einem Wolkenhügel/Sah kläglich aus dem Duft hervor,/Die Winde schwangen leise Flügel/Umsausten schauerlich mein Ohr."

Ein wesentliches Stilelement des "Ossian" ist der Parallelismus. "Meine Tränen, Ryno, sind für den Toten, meine Stimme für die Bewohner des Grabes" (Ossian-Fragment, Werther, 2. Buch, Alpin), "Dein Angesicht war gleich der Sonne nach dem Gewitter, gleich dem Monde in der schweigenden Nacht!" Werther, zum Tode entschlossen, wendet sich an die Natur : "So trauere denn Natur! dein Sohn, dein Freund, dein Geliebter naht sich seinem Ende", "getrennt geschieden ... Das ist wieder ein Wort, ein leerer Schall !", "Du hast sie berührt geheiligt", "So kalt, so starr", "Ich wollte mutig, Wollte freudig sterben".

7. Einfluβ der religiösen Sphäre (Lutherbibel):

Der Parallelismus ist nicht nur ein Anklang an Ossian sondern zeigt auch den Einfluβ der biblischen Sprache. Später hat Goethe ja das Hohelied Salomons

der Strophe an. Im "Zigeunerlied" mit seinem aus alliterierenden Klangbildungen bestehenden Kehrreim kommt der junge Goethe der magischen Welt wahrer Volksdichtung auch inhaltlich nahe. Volkstümlich gefärbte Sprache fand auch Eingang in die dramatische Dichtung. Im "Zigeunerlager" (S.165f.), der späteren Fassung des Götz, bedient sich Goethe einer volkstümlich rauhen Ausdrucksweise mit altertümlichen Sprachelementen: "hint Nacht" stellt einen Pleonasmus dar, da in "hint" "Nacht" bereits enthalten ist. "Eine Kapp ... von dem Fellchen", ein "wullen-Deck". Das Sagenmotiv vom "Wilden Jäger" wird angeschlagen: "Wie die Hunde bellen!...die Jäger Jauchzen holla, ho". Die Sprache wird dem Milieu angeglichen. Der Einfluß Shakespeares ist hierbei deutlich, gleichzeitig kündigt sich in der Wahl des Zigeunermotivs schon die Romantik an, für die das unstete in engster Verbindung mit der Natur lebende Volk der Zigeuner eine ursprüngliche Daseinsform verkörpert, in der die Grenzen zwischen Magie und Wirklichkeit fließend sind. Volkstümlich im Stile einer alten Ballade ist Gretchens Lied vom "König von Thule" (S.390). Das Lied, das Gretchen im Kerker lallt (S.417), enthält deutliche Anklange an die in die Grimmschen Märchen eingestreuten Lieder.

6. Einfluß der englischen Literatur (Shakespare und Macpherson):

Die englische Literatur hat in all ihren Epochen das volkstümliche Element bewahrt. In Deutschland wurde durch Lessing und Herder das Interesse an Shakespeare neu geweckt. Goethe hat seinen "Götz" ganz im Geiste Shakespeares geschaffen. In der Sprache kommt dies in der phantasievollen Bildhaftigkeit zum Ausdruck und in den dazwischen geschalteten Volkszenen mit derb-volkstümlicher Sprache. Das dramatische Geschehen durch Lieder zu unterbrechen, wie Goethe es im Urfaust tut, ist ebenfalls ein Erbe Shakespeares (vgl. Wiese, S.51f.). Im "Werther" und in den frühen Gedichten tritt uns jedoch besonders deutlich der Einfluß Macphersons entgegen. Macpherson war mit dem Gallischen vertraut und ließ in seinem Ossian die Welt der altkeltischen Sage neu erstehen. Goethe und seine Zeitgenossen sahen darin das Werk eines altkeltischen Barden.

Goethe hat Teile davon in der Übersetzung von Herder seinem "Werther" angefügt. Auch wenn Macphersons Werk nur eine Nachdichtung ist, so zeigt es doch wahres Naturgefühl. Naturstimmung und Empfindung stehen im Einklang. Macphersons Ossian führt uns in eine düster-großartige Welt, nebelverhangen und sturmdurchbraust, in der sich das Schicksal tragischer Helden vollendet und in "mondbeglänzten Nächten" sind die Geister der Toten den Lebenden nahe. Die Sprache ist rhythmisch-getragen, Parallelistisches. Stilelemente des Ossian haben also die Sprache des jungen Goethe

nur durch "das Zauberwort" geweckt wird, wie es später die Romantik in mystischer Weltschau empfand. Im "Zigeunerlied", das ursprünglich in der ersten Fassung des Götz enthalten war,spricht er im Refrain in reinen Klängen, losgelöst von Wort und Sinn, und nimmt damit eine späte Entwicklung des 20. Jahrhunderts vorweg. Den Weg zum Urquell der Dichtung hat ihm Herder gewiesen, der ihm die Volkspoesie nahebrachte. In ihr bilden Gefühl und Ausdruck, Sinn und Klang noch eine groβartige Einheit, der Mensch ist umfangen im Bannkreis der Natur, eingebettet ins magische Weltbild, in dem Sinnliches und Übersinnliches, Irdisches und Überirdisches sich unlösbar durchdringen. Natur und Mensch sind eins, durchpulst vom gleichen Herzschlag, die Naturstimmung spiegelt das Gefühl, die Seele das Bild der Naturwider (vgl. Staiger, S. 58f,).

Dies alles erfaβt der ursprüngliche, der "naive" Dichter nicht rationell spekulativ, sondern seherisch-intuitiv mit der Einfalt eines Kindes, das dem schöpferischen Urgrund noch nahe ist. Hintergrund der Volksdichtung ist die Welt der Märchen und Sageu, sie beschwört die Schatten grauer Vorzeit, läβt in Liedern und Epen die alten Helden erstehen und spricht in zeitlosen, schlichten Weisen von Freud und Leid, Liebe und Sehnen der Menschenseele. In einer Dichtung, die sich wie die des jungen Goethe bewuβt an die Volkspoesie anlehnt, spielen Wortwahl und Ausdruck, Wortfolge und Sprachmelodie, Form und Klang eine besondere Rolle.

Dies zeigt sich in vielen seiner frühen Gedichte, die er imVolkston verfärbt, den er wohl am reinsten im "Heideröslein" trifft. Dies wird erreicht durch die Verwendung bestimmter typischer Form - und Klangelemente, auf die oben schon hingewiesen wurde. Kennzeichnend für die volkstümliche Ausdrucksweise sind Abkürzungen, die Auslassung des unbetonten "e", wie in "sah's", "s' Röslein", "will's".

Weitere Merkmale der Volkspoesie sind die mehrmalige Wiederholung des gleichen Wortes "Röslein, Röslein, Roslein", und das nachgestellte, unflektierte Adjektiv "Röslein rot", altertümliche Kasusformen "auf der Heiden" und die häufige Einfügung von Wortpaaren wie "Weh und Ach". Dieses der volkstümlichen Sprache entlehnte Stilmittel, das durch Alliteration noch an Einprägsamkeit gewinnt, findet sich mehrmals im "Urfaust", so "Kopf und Busen" (S.372), "Geburt und Grab" (S.371), "Schmuck und Schmied" (S.395), "hüben und drüben" (S.406), sowie in "Clavigo": "Schutz und Hülfe" (S.272), "um Leben und Tod" (S.276), "Tod und Teufel" (S.292), "einzig und allein" (S.296). An die Überlieferung des Zauberliedes knüpft der Refrain am Ende

in Sklavenklauen packen" (S. 180). Jupiter spricht vom "Wurmgeschlecht", von "neugeborner Jugendwonne", in der "ihre Seele sich göttergleich" wähnt (S. 182). Aus dem Worte "Göttergleich" spricht das Hochgfühl der Geniezeit (Prometheus, Gedicht). In "Willkommen und Abschied" zeigt sich, daß die Ausdrucksweise des Sturm und Drang im Grunde in erster Linie eine Steigerung der Sprache der Empfindsamkeit ist : "In meinen Adern welches Feuer/In meinem Herzen, welche Glut!". Die bruchstückhafte, elliptische Diktion, die mit wenigen oft dunklen Worten bei größter syntaktischer Freiheit mehr andeutet als sie ausspricht, beherrscht die lyrischen Dichtungen "Ganymed" und "Wanderers Sturmlied". Einige Beispiele mögen dies verdeutlichen : So heißt es im "Ganymed" : Ich komm ! Wohin ? Ach wohin ?/Hinauf ! Hinauf strebt's./Es schweben die Wolken Abwärts, die Wolken/ Neigen sich der sehnenden Liebe. Mir ! Mir ?" Dem Geist des Sturm und Drang entsprungen ist "Wanderers Sturmlied" : "Wie vom Gebirg herab, Kieselwetter ins Tal,/ Glühte deine Seel' Gefahren, Pindar, Mut. GlühteArmes Herz." Die fünfmalige Wiederholung "Wen du nicht verlassest, Genius. hat etwas Beschwörendes, wie es alten Zaubersprüchen eigen ist. Der Dichter führt uns so die Magie des Wortes, die bannende Kraft der Wortfolge vor Augen. Reine Ausdrucksform des Sturm und Drang ist die 1. Strophe von "An Schwager Kronos" : "Spute dich, Kronos!/Fort den rasselnden Trott !/...Ekles Schwindeln zögert/ Mir vor die Stirne dein Haudern./Frisch, holpert es gleich.../Rasch ins Leben hinein" Weiterhin versucht Goethe im gleichen Gedicht (3. Strophe) in einem kühnen Bilde den Urgrund des Lebens auszuloten: "Vom Gebirg zum Gebirg schwebet der ewige Geist/Ewigen Lebens ahndevoll...".

5. Einfluß der Volksdichtung (Herder und Hamann):

Daß Goethe schon in der Frühepoche seines Schaffens von der anakreontischen Rokokodichtung sich abwandte und in Wortschatz, sprachlicher Gestaltung und Motiv einem neuen Lebensgefühl Ausdruck verlieh, ist im wesentlichen auf den Einfluß Herders zurückzuführen, mit dem er in Straßburg bekannt wurde. Herder vermittelte ihm auch das Vermächtnis Hamanns. Der 'Magus des Nordens' predigte in seiner Ästhetik die Abwendung vom Rationalismus der Aufklärung, stellte die Intuition über die Ratio, Gefühl über Denken, Bilder über Begriffe. Poesie ist nach Hamann 'Ursprache des Menschengeschlechtes'. Auch Herder löst die Poesie von der Ratio und bezeichnet sie als 'Musik der Seele' (vgl. Vietor S.25). Musik und Dichtung erscheinen als im innersten wesensverwandt; damit rückt das Wort als Ausdruck der Empfindung, als Klang gewordenes Gefühl in den Vordergrund. Auch Goethe weiß schon um "das Lied", das "in allen Dingen" "schläft" und

verleiht. Ihm ist höchste Intensität des Erlebens eigen, die sich in den Worten des Franz ausdrückt, mit denen er schildert, wie ihn die Schönheit Adelheids von Walldorf überwältigte (Götz, S. 102) : "Alle Sinne stärker, höher, vollkommener, und doch der Gebrauch von keinem." Und Weißlingen beschwört Adelheid (Götz, S. 118) : "Könntest du mich lieben, Könntest du meiner heißen Leidenschaft einen Tropfen Linderung gewähren!".

Wendungen aus dem "Clavigo", wie "Angsttropfen auf dem Gesichte" ; "Possenspiel", "paar Mauslocher immer offen" (S. 295 f.) stehen dem Sprachgebrauch der Geniezeit nahe.

Die ganze Spannweite des Strum und Drang wird im "Urfaust" deutlich. Den Studenten in Auerbachs Keller ist "gar kannibalisch wohl/Als wie fünfhundert Sauen". Sie betiteln sich mit "Esel und Schwein, Mastschwein, Besenstiel, Ratte, Schmeerbauch" (397 ff.). Auch Faust und Mephisto bedenken einander mit rauch-genialischen Namen: Mephistopheles bezeichnet Gretchen als "Grasaff" (S. 408), ein Frankfurter Ausdruck, ähnlich wie Backfisch. Faust nennt Mephisto eine "Spottgeburt aus Dreck und Feuer". Es fehlt jedoch auch nicht an erhabenen Tönen, die die ekstatische Seite genialen Lebensgefühls offenbaren: Nur einige wenige Stellen seien angeführt. Faust spricht beim Anblick des Zeichens des Makrokosmos (Urfaust, S. 367 ff.) : "Ha, welche Wonne fließt in diesem Blick...fühl neue Glut durch Nerv und Adern rinnen... Wo faß ich dich unendliche Natur ! Euch Brüste, wo ? Ihr Quellen alles Lebens ... All meine Sinne sich erwühlen ... Du mußt! Du mußt! Und kostet es mein Leben." Darauf der Geist, ein "Schröckliches Gesicht": "Wo ist die Brust, die ... erschwoll sich uns den Geistern gelich zu heben. Du, der in allen Lebenstiefen zittert. Ein furchtsam weggekrümmter Wurm." Auch "Lebensfluten, Tatensturm" gehören dem Wortschatz des Sturm und Drang an, wenn auch den Worten des Erdgeistes eine zeitlos gültige, bereits klassische From verliehen hat. Das gilt auch für die Szene in Marthes Garten (S. 405 ff.), da Faust versucht, Gretchen sein religiöses Weltbild nahezubringen : "Nenn's Glück ! Herz ! Liebe ! Gott !. Gefühl ist alles, Name Schall und Rauch, Umnebelnd Himmelglut."

Wohl am nachhaltigsten hat die sprachliche Form des Sturm und Drang die frühe Lyrik Goethes geprägt, sowie das dramatische Fragment "Prometheus". Für Prometheus (S. 179) sind "von Anbeginn" Minervas Worte "Himmelslicht" ; "Mitgeborne Harmonien. erklangen aus sich selbst"; /Wie der süße Dämmerschein der Weggeschiedenen Sonne dort heraufschwimmt. und meine Seel umgibt mit Wonneruh" (S. 179). Prometheus möchte um vieles nicht "Mit dem Donnervogel tauschen/Und meines Herren Blitze stolz

und unmittelbaren Erlebens ist. Sie soll Poesie im Sinne Hamanns sein, das heißt Ursprache der Menscheit; sie denkt in Bildern weit mehr als in Begriffen, ist Spiegel der Individualität, des "Genies"; sie lebt aus der Intuition, löst sich von der Ratio; sie umspannt den gesamten Bogen menschlicher Existenz, reicht deshalb von den Tiefen rein animalischen Daseins bis zu den Höhen mystischer Ekstase. Sie bedient sich der vulgären Sprechweise des Volkes, scheut vor der Zote nicht zurück und erhebt sich bis zum sakralen Bereich des Hymnus, bis in den Glanz der Vergeistigung und Verklärung (vgl. Vietor, S. 25 – 38).

Freilich liegt hierin die Gefahr, worauf WIESE (S.58) hinweist, "Lärm mit Kraft, Phrase mit Ausdruck zu verwechseln", wie es bei einer Reihe von Dichtern des Sturm und Drang der Fall war. Bei Goethe jedoch verliert die Sprache nie die innere Spannkraft, sie bleibt stets Ausdrucksform des "Genies", und für Goethe heißt - wie WIESE es formuliert - als Genie leben "aus einer dem Augenblick hingegebenen Gottes-Fülle leben".

Die äußeren Stilmittel des Sturm und Drang sind syntaktische Freiheit, plötzliches Abbrechen, Wortlücken, wo an die Stelle des Wortes der Gedankenstrich tritt, Anakoluthe und Ellipsen, Variationen, Wiederholungen und Abkürzungen. Der Elisionsstil betont das Dynamische und ist gleichzeitig Ausdruck des Volkstümlichen Ursprünglichen, das durch Herder und Hamann als das befruchtende Element der dichterischen Sprache erkannt wurde (vgl. Langen, Sp. 1120 ff.)

Kennzeichnend für "Götz" ist die volkstümlich gefärbte Geniesprache, wobei Goethe, dem Vorbild Shakespeares folgend, die Ausdrucksweise jeweils der Szene, also dem Milieu und der Situation anpaßt (vgl. Vietor, S. 48 ff.).

Die Vorsilben "zer" und "ver" setzen perfektive Akzente. Marie "verjammert und verhetzt ihr Leben" (Götz, S. 124). Der Spieler "zerbeißt und zerstampft die Karten" (S. 116). Ausdrücke wie "Schurke ... Hundsfott ... verkehrtes Zeug" (Götz, S.116), "rotrückiger Schurke" (Götz, S.138), "Schweinsaug'ger Ochsenkopf mit wahren Eselsohren" (Die Mitschuldigen, S. 69) kennzeichnen das Drama des Sturm und Drang, desgleichen eigenwillige, altertümlich anmutende Formen, z. B. "Nacht-Ims" (Götz, S. 121), "inskünftige" (Götz, S. 99) und pleonastische Wortgebilde wie "blutgelbrot" (Götz, S. 158). Das Ideal ist "der tolle Kerl" (Götz, S. 110), das heißt der "*große* Mensch", projiziert auf die Ebene des Alltäglichen, dem er durch die Ausstrahlungskraft seiner genialen Persönlichkeit eine fast dämonische Bedeutung

Pindar", desgleichen im Gedicht "Prometheus" : "Und glühtest ... Betrogen, Rettungsdank, dem Schlafenden da droben".

Der adjektivische Gebrauch des Partizip Perfekt verstärkt das dynamische Element. Hinzu kommen Zusammensetzungen von Partizipien meist mit Substantiven. Die Beispiele ließen sich in großer Zahl anführen "hellleuchtend, umwärmend Feuer, sturmatmende Gottheit, umkränzende Seligkeit, Den blumensingenden, honiglallenden freundlich winkenden Theokrit" (Wanderers Sturmlied) ; "Schlangenwandelnd... silberprangend...erwartender Erzeuger...freudebrausend" (Mahomets Gesang); "Umfangend umfangen (Ganymed)"; "Strebend und hoffend... diesen schäumenden Trank, "den eratmenden Schritt" (An Schwager Kronos); "Die glühend Herz aufquillet... sich schmerzverzehrend stillet! ("Sehnsucht"). "Mit segenduftenden Schwingen" (Urfaust, S.369), "voll schwellender Tranen" (Gedicht "Herbstgefühl").

Den Sprachgebrauch Klopstocks ahmen Verbalzusammensetzungen, wie "warmumhüllen", "siegdurchglühter" nach (Wanderers Sturmlied). Die ekstatische Wirkung wird durch substantivierte Partizipia verstärkt "Trunken vom letzten Strahl...Mich Geblendeten, Taumelnden" (An Schwager Kronos); "...des Bedrangten... Dem Schlafenden ... Je des Beladenen ... Je des Geängsteten" ("Prometheus"). Schließlich ist die hymnische Sprache selbst, die knappe, bruchstückhafte Ausdrucksweise bewußt an Klopstock angelehnt : Glühte deine Seel ! Gefahren Pindar, Mut.- glühle?-Armes Herz "Wirst mit Hüterfittichen ihn decken in des Haines Mitternacht" (Wanderers Sturmlied) ; "Hinauf strebt's /Abwärts. die Wolken/ Neigen sich der sehnenden Liebe./ Mir! Mir! ... Hinauf, hinauf. Abwärts? Aufwärts!" ("Ganymed") Auch in der Prosa begegnen wir allenthalben Wendungen im Stil Klopstocks, wie z. B. im "Werther" : "Heilige, belebende Kraft, mit der ich Welten um mich schuf" (Brief v. 3. Nov.. 2. Buch.).

4. Sturm und Drang:

Über Klopstock führt der Weg von der Sprache der Empfindsamkeit zur affektgeladenen Ausdrucksform des Sturm und Drang, in dem die Dynamik, die Hyperbolik des Wortes, die Bildhaftigkeit ihren Höhepunkt erreicht (vgl. KAINZ, S. 170). Hier münden die Einflüsse der englischen Literatur, beginnend mit Shakespeare, den Herder und Hamann den Deutschen nahegebracht haben, über die Metaphysical Poets bis zu den Vorboten der englischen Romantik. Das Ideal des selbständig schöpferischen Menschen rückt in den Mittelpunkt. Das Original-Schöpferische äußert sich in der Sprache, die jenseits aller Regeln des Rationalismus Ausdruck hochgespannter Gefühle

Wehen des Alliebenden". Für Faust (S.406) ist Gott "der Allumfasser, der Allerhalter". Das Gedicht "Ganymed" schließt mit "Alliebender Vater". Im Prometheus-Fragment wendet sich Merkur an Zeus mit "Allvater! Du Allgütiger". In diesem dramatischen Gedicht verwendet Goethe das Wort "all", sei es in Zusammensetzungen, als Adjektiv oder Substantiv sehr häufig, wohl ein Ausdruck von Goethes pantheistischer Weltschau. Pietistische Demut spricht aus Werthers Worten, mit denen er um die Geborgenheit der Gotteskindschaft betet : "0 Gott ... Vater, den ich nicht kenn! Vater, der sonst meine ganze Seele füllte ... rufe mich zu dir! ... lieber himmlischer Vater." (Brief v. 30. Nov., 2. Buch). Die Seele ist "der Spiegel des unendlichen Gottes" (10. Mai, 1. Buch). Sinnverwandt, im Ausdruck an Klopstock angelehnt, sind die Verse aus "Sehnsucht": "Konnt ich doch ausgefüllt einmal von dir, 0 Ewiger, werden!"

August LANGEN (Spalte 1118 f.) weist darauf hin, daβ Goethe von den Pietisten und vor allem von Klopstock die Verbalisierung als tyisches Sprachmerkmal übernimmt. Dadurch bekommt die Sprache etwas Dynamisches. Der Autor führt als Beispiel verbaler Präfixbildungen folgende Zusammensetzungen von Verben mit Päpositionen bzw. Adverbien an: "entgegenglühen, herausgrüβen, hinaufwiegen, abwärtsstreben, entlangrauschen, überschwellen, nachjauchzen, vorbeiquellen." Im "Clavigo" begegenen uns "ausquälen, hinjammern" (S.264) und "ausgenieβen" (S.248). Das Gedicht "Ganymed" beginnt : "Wie im Morgenglanze / Du rings mich anglühst, / Frühling Geliebter!". Die Zeichnung ist "mit ungeduldgem Streben" "hingewühlt" (Gedicht, "Mit einer Zeichnung"). In "Wanderers Sturmlied" findet sich : "Dem Schlossensturm entgegensingen" wird, "wen der Genius nicht verläβt". Und in dem Gedicht "Sehnsucht" beginnt der Dichter: "Dies wird die letzte Trän' nicht sein,/ Die glühend Herz aufquillet".

Dynamisierend wirken auch die bewegungshaltigen Adverbia, die dem Nomen beigefügt werden. LANGEN (Sp.118) gibt als Beispiel "Berge, wolkig himmelan". Ähnliche Wortgruppen treffen wir in "An Schwager Kronos": "Mühsam Berg hinauf ... herrlich der Blick,/Rings ins Leben hinein / Ab denn, rascher hinab?"

LANGEN (Sp.1119) sieht in der Transitivierung intransitiver Verben den Einfluβ von Klopstock, z. B. "Hoffnungslieder nachjauchzen", "dem Blut Mäβigung tropfen", "einander anglühen". Ähnlich heiβt es in "An Schwager Kronos : "Töne, Schwager, ins Horn, raβle den schallenden Trab!". In "Wanderes Sturmlied" tritt uns die Nachwirkung Klopstocks besonders klar entgegen: "Haucht ihm Schauer übers Herz ... Glühte deine Seel' Gefahren,

rinnt mir eine süße Träne". Im Gedicht "Ein zärtlich Jugendlicher Kummer" sieht das Mädchen "mit Seelenfreude" ... "Und fühlt und hofft". Auch im hymnisch-ekskatischen "Sturmlied" fehlen sentimentale Töne nicht : "Innere Wärme, Seelenwärme". Desgleichen spricht sich empfindsame Seelenhaltung im Ganymed aus : "Mit tausendfacher Liebeswonne/Sich an mein Herz drängt/Deiner ewigen Wärme Heilig Gefühl, / Unendliche Schöne!" ..."Ach, an deinem Busen lieg' ich, schmachte ... Du kühlst den brennenden Durst meines Busens". Mit am reinsten spricht sich die Sentimentalität im Gedicht "Sehnsucht" aus. Hier treffen wir "die letzte Träne, /Die glühend Herz aufquillet unsäglich neuer Pein ... schmerzvermehrend stillet... Schmerz durch Nerv und Adern wühlen."

3. Pietismus und Klopstock:

Bezieht sich die empfindsame Ausdrucksweise in erster Linie auf die irdische Liebe, so wird das Verhältnis zu Gott, zum Metaphysischen schlechthin, sei es im rein religiösen oder im philosophischen Sinne, vom Pietismus geprägt. Goethe kehrte 1768, ohne seine Studien abgeschlossen zu haben, körperlich krank und innerlich zerrissen nach Frankfurt zurück. Die körperliche und geistige Krise macht ihn aufgeschlossen für die gefühlsmäßige Frömmigkeit des Frl. v. Klettenberg, der "schönen Seele". Durch sie wurde er mit alchemistischen Schriften bekannt und näherte sich der Herrenhuter'schen Brüdergemeinde. So erschloß sich ihm die Welt des Paracelsus, der Magie der deutschen Renaissance ; darüber hinaus las er moderne französische Mystiker (vgl. Staiger, S. 46 und Vietor, S. 14). In seiner Straßburger Zeit gewinnen Klopstock und Lavater einen entscheidenden Einfluß auf den jungen Goethe ; er selbst setzt sich mit dem Pietismus und der evangelischen Frömmigkeit in "Brief des Pastors zu + + + an den neuen Pastor zu + + +" auseinander, einem der wichtigsten religiösen Dokumente der Goetheschen Frühzeit. Reiner Pietismus spricht aus dem Satz "Unsere Seele ist einfach und zur Ruhe geboren" (S. 229, Bd. 12). Gleichzeitig zeigt der Brief, daß sich der Dichter bereits vom eigentlichen Pietismus löst und einer weltoffenen, männlicheren Frömmigkeit sich zuwendet (Anm. zu Bd. 12, S. 671). Alle diese vielfältigen Strömungen finden ihren Niederschlag im sprachlichen Ausdruck, in der Wahl der Wörter, in Wortbildungen, in Rhythmus und Sprachmelodie.

Die Namen, mit denen Gott und das Göttliche genannt werden, treten meist in Zusammensetzungen mit der Vorsilbe "All" auf. Aus den Wortbildungen spricht eine mehr oder minder deutliche Hinwendung zum Pantheismus, was sich aus dem Studium der auf Paracelsus fußenden Philosophen erklären dürfte. Werther (10. Mai, 1. Buch) "fühlt die Gegenwart des Allmächtigen ....das

Den Hut mit Bändern, und das Mädchen pflückt / Die Veilchen aus dem jungen Gras, und bückend sieht (sie)/ Sie heimlich nach dem Busen, /Sieht mit Seelenfreude. . ./ Reizender ihn heute als er vom Jahr am Maienfest geblüht."

Worte aus dem Wortschatz der Anakreontiker finden wir in "Die Laune des Verliebten", das Goethe selbst als Schäferspiel in Versen bezeichnet, so z.B. auf S. 7 (Bd.4): "Nelke ... Rose... Aminen ... Kränze, Körbchen mit Blumen ... mit freundlichen Gebärdn, dies muntre Herz ... artig scherzhaft, zärtlich ... mancher Schäfrin ..." und auf S.8 : "was Süßes ... Amors Schläfrigkeit ... Bitten, Küsse, Klagen ... ein Schmeicheln hört, bald seine Laune flieht... der Wiese Gras um deine Tritte neidet", desgleichen S.9 : "Maienkranz-Frühlingsfest" etc.

2. *Empfindsamkeit*:

Die gesamte frühe Epoche Goethes ist durch die Empfindsamkeit mit geprägt. Wie KAINZ (S.147) ausführt, wird mit Empfindsamkeit das "unbefriedigte Begehren vor allem in der Liebe" bezeichnet, das Schmachten und Sehnen. Dieser sentimentalen Seelenhaltung entstammen auch Komposita wie "schmachtendlächelnd, sanftschmachtend." Auch "Kätzchen schmächtig" wird von "schmachtend" abgeleitet (Mephistopheles im Urfaust, S. 414). Reinsten Ausdruck findet die Empfindsamkeit im "Werther": "... eine Leidenschaft hat sich " im armen Herzen" von Leonore "gebildet", Werther hat "ihre Empfindungen genährt". Nun ist "die Einsamkeit" Werthers "Herzen köstlicher Balsam" (S.8) und "eine wunderbare Heiterkeit" hat seine "ganze Seele eingenommen" (10. Mai, 1.Buch). Werther wiederholt alles in seiner "innersten Seele" (30.Mai, 1.Buch), er "versank im Strome von Empfindungen, den sie ... ausgoß" (16.Juni, 1.Buch), er wird "von erquickender Träne gelabt" (3.Nov., 2.Buch), empfindet "schmerzlich glühende Freuden" (12. Okt., 2. B.) ; er ist "der glücklich Unglückliche" (1.Dez., 2. B.). Auch im "Götz" begegnen uns Worte aus dem Kreise der Empfindsamkeit : Marie hat eine "süße Seele" (S.103). Franz fühlt, daß "ein volles ganz von einer Empfindung volles Herz" den Dichtern macht. Sentimentalisch sind die Worte Fausts, die er beim Anblick von Gretchens Zimmer spricht "Willkommen süßer Dämmerschein, ... die du vom Tau der Hoffnung schmachtend lebst", das "Gefühl der Stille atmet"; Faust findet "in diesem Kerker welche Seeligkeit" (S.388). Auch in der Lyrik lassen sich die Beispiele sentimentaler Ausdrucksweise häufen : In "Willkommen und Abschied" fließt "milde Freude von" dem "süßen Blick"..."In meinem Herzen welche Glut ... in deinem Auge welcher Schmerz!". In "An Friedrike Brion" heißt es: "Vom Auge

III. Niederschlag der geistigen Strömungen:

Im Sprachschatz von Goethe spiegeln sich in typischen Wendungen, in der Wortwahl, in Rhythmus und syntaktischem Aufbau die geistigen Strömungen seiner Zeit wider und findet das literarische Erbe seinen Niederschlag.

1. Anakreontik und Rokoko:

Als Student der Juristerei in Leipzig verfaßte er nach französischem Muster Liebesdichtung im Geiste der Anakreontik und wurde mit dieser gesellschaftlich gebundenen Lyrik ein Mittelpunkt der dortigen gebildeten bürgerlichen Kreise, die einen galanten Lebensstil im Sinne des Rokoko pflegten und der zeitgenössischen Literatur großes Interesse entgegenbrachten (Vgl. Vietor, S.7). In seinen Gedichten begegnen uns charakteristische Wendungen, die dem Sprachschatz der Anakreontiker entstammen. In "Willkommen und Abschied" finden wir : "Ein rosenfarbnes Frühlingswetter umgab das liebliche Gesicht" und "Zärtlichkeit für mich - ihr Götter!" Das kleine Gedicht "Mit einem gemalten Bande" ist ganz dem verspielten Geist des Rokoko entsprungen, wenn auch schon gewisse sentimentale Wendungen, wie "Fühle, was dies Herz empfindet" aufklingen. Nur einige besonders charakteristische Ausdrücke seien herausgegriffen : "Kleine Blumen, kleine Blätter streuen wir mit leichter Hand ... tändelnd-luftig Band, Zephir - Munterkeit, Rose jungschwaches Rosenband!" Das Lied "An Friederike Brion" atmet weit mehr den Geist Shakespeares als den der Anakreontik, wie überhaupt die Lieder an Friederike von einem tiefen Erleben von Liebe und Natur zeugen und damit weit über den Rahmen des Rokokoliedes hinauswachsen. Vereinzelt treffen wir aber ouch hier Worte und Wendungen, die kennzeichnend für die erotische Lyrik des 18. Jahrhunderts mit ihrer mehr oder minder formelhaften Beschreibung der Naturkulisse sind : "Horch, Philomelens Kummer/Schweigt heute still .../ Es zittert Morgenschimmer/ Mit blödem Licht / Errötend durch dein Zimmer/ Schwer lag auf meinem Busen des Reimes Joch :/ Die schönste meiner Musen..." Selbst in dem von hymnischem Pathos getragenen "Wanderers Sturmlied" begegnet uns vereinzelt eine Ausdrucksweise, die der Anakreontik entlehnt ist. ."Wandelnd wird dem Taubenpaar /In dem zärtlichen Arm, /Mit der freundlichen Ros' umkränzt, / Tändelnden ihm blumenglücklichen, Anakreon". Reine Rokokodichtung ist das Veilchen "das herzig Veilchen", "das von der jungen Schäferin mit leichtem Schritt und munterm Sinn" "vom Liebchen abgepflückt/Undan dem Busemmatt gedrückt zuwerden". Verwandt mit der Schäferdichtung ist auch "Ein zärtlich jugendlicher Kummer": "... bald gaukelt dir, mit Rosenkränzen/In runder Hand, du Sonnengott.../ Und zu Tänzen auf neuen Wiesen schickt / Der Jüngling sich und schmückt/

Im alten Sinne von "befehlen", "anschaffen" wird das Verbum "schaffen" von Elisabeth im 1. Akt d. "Götz" (S. 100) gebraucht: "Was schafft ihr?"

Der junge Goethe bevorzugt den Genetiv, wodurch seine Ausdrucksweise etwas Gehobenes und Altertümliches zugleich erhält. In "Götz" (S. 110) sagt der Bischof: "hätt ich nicht Gelds genug?" Weislingen äußert in einer der folgenden Szenen (S. 114): "Er kannte die Gefahren, die mein hier warten". Hier ist der Genetiv in der alten einsilbigen Form gebraucht, was die altertümlich-volkstümliche Note unterstreichen soll. Auch in gebundener Sprache, wie im Gedicht "An meine Lieder" (Zyklus Annette) begegnet und die vom üblichen Sprachgebrauch abweichende Verwendung des Genetives: "Dann erinnert sie der Freuden, die uns sonst vereint erquickt".

Mit dem "n"-Infix, z. B. "um Ihrentwillen" (Werther, Brief v. 17. Marz, 2. Buch) will Goethe der Sprache ebenfalls eine altertümliche Färbung verleihen. Eine ähnliche Wirkung sucht der Dichter mit dem eingeschobenen "d" zu erzielen "ahndungsvoller Engel" (Marthes Garten, Urfaust), "mit ahndevoller Gegenwart" (Szene im Dom, böser Geist), ahnde ist eine falsche Rückbildung zu ahnte; mit Bildungen wie "mißhör mich nicht" (Urfaust, Marthens Garten), "ohnmöglich" (Urfaust, S.378), "ohngefahr" (Urfaust, S.407), mit Zahlwortformen, wie "zehen Jahr" (Clavigo, S.288) und "bis eilfe" (Clavigo, S. 263).

Ungewöhnlich ist der Ersatz von Teilnahme durch "Teilnehmung" (Werther, S.18, 38, 70, 100). Mehrmals gebraucht Goethe "Plane" statt "Pläne", vermeidet also den Umlaut, so im "Werther" (Brief v. 8., Jan. 1. Buch, v. 9. Mai, 2.Buch) und im "Clavigo" (S. 275, 288).

Schließlich sei noch auf Dativformen hingewiesen, die Goethe in eigenwilliger Weise anwendet, wobei das volkstümliche Element von gewissem Einfluß sein dürfte. Götz (S.100) sagt: "Ich muß meiner Frau rufen." Die gleiche Wendung begegnet uns im "Clavigo" (S.304): "Sie ruft mir, sie ruft mir". In diesem Zusammenhang ist auch die Dativform (Dat. ethicus) zu nennen, die wir in Adelheids Gespräch mit Weislingen finden (S.113): "Willst du unser Feind sein und wir sollen dir lächeln?"

Ausgeprägt ist die Vorliebe des jungen Goethe für den ethischen Dativ. Der Dichter versucht dadurch, der Sprache Nachdruck und Eindringlichkeit zu verleihen. Beispiele hierfür sind im "Götz" anzutreffen: "Ihr sollt mir ... ein Paar sein" (S.136), "Du sollst mir jetzo fort" (Gotz zu Weislingen, 1. Akt, S.100).

der Geniezeit. Die Beispiele ließen sich beliebig mehren. In "Die Mitschuldigen" werden die Kasus abweichend gebraucht : "Er muß von jemand Hohes sein" (S. 38). "Nun hilf dich aus der Falle" S. 41. Im "Clavigo" (S. 262) heißt es : "Ich halte nicht viel auf solche Vorschläge".

Im I. Akt des Prometheus-Fragments spricht Epimetheus : "Du sollst der Erde herrschen" (S. 178). Häufig werden die Präpositionen in ungewöhnlicher Weise eingesetzt, was an die mittelhochdeutsche Sprache erinnert: Im "Götz" lesen wir:

"Ihr werdet gegen der Menge wenig sein" an Stelle von "gegenüber" (S. 126), ... "Ich will gegen ihnen halten " (S. 132); im "Werther" (Brief v. 16 Juni, 1. Buch : "kam ich ganz außer mich" ... "unter dem Gespräch". Schließlich sei noch auf eine eigenartige Redewendung aus dem "Götz" hingewiesen : Franz sagt über Adelheid von Walldorf (S. 102) : "Es ist der Zunge so wenig möglich, eine Linie ihrer Vollkommenheiten auszudrücken" (das Abstraktum "Vollkommenheit" wird hierbei im Plural gebraucht, und damit kommt eine Art Pleonasmus zum Ausdruck).

In den Imperativformen Singularis erscheint bei den starken Verben "schelten", "verderben", "messen" ein "e" anstelle von "i". So heißt es im "Werther" (Brief v. 30 Mai, 1. Buch) : "Schelte mich nicht", im "Clavigo" (S. 301) spricht Sophie zu ihrem Bruder : "So bleib und verderb uns alle !". Im "Götz" bestellt Sievers ein Glas Branntwein beim Wirt und sagt zu ihm : "Meß christlich !". Umgekehrt tritt "i" für "e" ein : Götz fragt Georg (S. 77) : "Wo stickst du ?".

In Anlehnung an den mundartlichen Sprachgebrauch wird "wie" durch "als" ersetzt. Im "Clavigo" treffen wir folgende Wendungen "So weit als möglich" (S. 262) ..." so unschuldig als unglücklich" (S. 267) ..."so klug handle als möglich" (S. 267). Beim letzten Beispiel ist auch die freie Wortstellung zu beachten.

Verstöße gegen die unregelmäßige Steigerung von Adjektiven finden sich auch in den beschwörenden Worten Clavigos, Beaumarchais möge ihm die Schwester zur Frau geben : "Sie erfüllen mich, mein Herr, mit der größesten Hochachtung für Sie" (S. 275). Sehr ungewöhnlich ist die Bildung "am ungernsten". Im "Clavigo" hat Carlos "mit honetten Mädchen" "am ungernsten zu tun" (S. 261).

Fast durchweg werden Eigennamen dekliniert : "mit Marianen" (Werther, Brief v. 6. Juli, 1. Buch), "mit Margreten" (Urfaust, S. 392), "zu Mariens Füßen" (Clavigo, S. 260), "verlaß Sophien nicht" (Die Mitschuldigen, S. 38).

das ekstatische Hochgefühl zum Ausdurck. Das gilt auch für die Worschöpfungen aus "Mahomets Gesang": "Freudehell", "jünglingsfrisch", "silberprangend", "Sternenblick", "freudebrausend", "schlangenwandelnd", welche höchste Dynamik, Bildhaftigkeit und Ausdruckskraft in sich vereinen.

Der empfindsamen Sphäre gehören die Zusammensetzungen an "schmerzvermehrend" (im Gedicht "Sehnsucht") und "Unschuldswohnung" (in Annette, Triumph der Tugend, 2. Erzählung). Kennzeichnend für die Anakreontik sind die Wortbildungen "rosenfarben Band" und "Frühlingsgötter" (aus dem Gedicht "Mit einem gemalten Bande") ; verwandt sind "morgenschön" ("Heideröslein"), "Morgenwolken", "Morgenblumen", "Himmelsduft" (im "Mailied"; "Morgenschimmer" (aus "An Friedricke Brion"). Goethe scheint den Morgen sehr geliebt zu haben, wie überhaupt das Licht, das Leuchtende und Helle. In dem Gedicht "Willkommen und Abschied" klingen in "rosenfarbnes Frühlingswetter" ähnliche Töne auf, die wie "Nebelkleid und Wolkenhügel" ein vertieftes Naturgefühl ankündigen. Dieses findet in den Wortschöpfungen von "Wanderers Sturmlied": "blumenglücklich", "sturmatmend", "blumensingend", "honiglallend", "siegdurchglüht" seinen Ausdruck in geradezu barockem überschwang. Die "segenduftenden Schwingen" im Urfaust (S.369) sind ebenfalls in diesem Zusammenhange zu erwähnen.

3. Syntaktische Freiheiten:

Die Jugenddichtung Goethes ist durch die Freiheit der Wortfolge gekennzeichnet. So heißt es im "Werther" (Brief v. 10. Mai, 1. Buch) "daß es würde der Spiegel deiner Seele, wie deine Seele ist der Spiegel des unendlichen Gottes". Abweichende Wortfolge zusammen mit Ersatz des Partizips Perfekt durch den Infinitiv findet sich im Brief vom 16. Juni, 1. Buch: "daß ich eins der liebenswürdigen Geschöpfe habe kennen lernen." Im Brief vom 4. September, 2. Buch, wird in dem Satze "er habe getan, was er nicht tun sollen" das konjugierte Hilfszeitwort "hatte" ausgelassen. Ein besonders deutliches Beispiel für die Freiheit, mit der Goethe die Syntax handhabt, ist die 2. Strophe des Gedichts "An meine Lieder" des Zyklus "Annette": "Bald entflieht der Freund der Scherze, Er, dem ich euch sang, mein Freund."

Um Goethes Verhaltnis zur Grammatik zu charakterisieren, zitiert SEILER (S. 129) eine Stelle aus einem Brief Goethes vom 16. Juli 1798 an Wilhelm von Humboldt : "Poeten von meiner Natur, die nun einmal keine grammatische Ader in sich haben." August LANGEN (Sp. 1120) aber bringt die grammatikalischen Freiheiten in Zusammenhang mit dem Sprachgebrauch

dürfte kein Zufall sein, denn es ist in besonderer Weise geeignet, der Sprache etwas Gehobenes, im Schiller'schen Sinne "Sentimentalisches" zu verleihen, sie zu durchgeistigen und so auch den sprachlichen Ausdruck dem Milieu der Tragödie anzugleichen. Beaumarchais bezeichnet Clavigo als "einen Nichtswürdigen! Hassenswürdigen!" (S.264). Man schildert der Marie den Clavigo als "den Rückkehrenden, den Reuigen" (S.281). Auch in den Jugendgedichten erscheinen Wendungen dieser Art, z.B. in "Annette, Triumph der Tugend, 1. Erzählung": "Sie saßen tändelnd in dem Kühlen"..."Mich Unglückselige". Daneben finden sich substantivierte Verben, so im "Götz": "das widerfährt mir über alles Hoffen und Wünschen" (S.99), und im "Clavigo:" "das Zittern, das Schlagen" (S.298).

2. Wortzusammensetzungen:

Goethe ist ein Freund von Wortzusammensetzungen, und zwar von Substantiven mit Substantiven, von Adjektiven mit Substantiven, von Adjektiven mit Adjektiven. Volkstümlich-derb ist die Wendung, mit der in "Die Mitschuldigen" der Wirt seinen Schwiegersohn beschimpft: "Schweinsaug' ger Ochsenkopf mit wahren Eselsohren" (S.60). Eine Anspielung auf den betrogenen Ehemann stellt der "Hirschapothekersprovisor" (S.65), weiter begegnet uns "der Bärenhäuter" (S.53), "der Fastnachtsnarr" (S.61). Zusammensetzungen dieser Art gehören wie auch die Wendungen aus dem "Götz" "Weibsleute" (S.92), "ein Nimmersatt" (S.74). "Weibergunst' (S.116) der Volkssprache an. Einprägsam - wohl auf Grund der Alliteration - ist "der rotrückige Schurke" (Götz, S. 138); im "Clavigo" spricht Carlos von einer "hochäugigen" bzw. "hohläugigen Spanierin" (S.291). Wörter, wie "Weltklugheit" (S. 269) und "Angsttropfen" (S.295) erinnern an die Sprache des Pietismus und an Klopstock'sche Ausdrucksweise, worauf später im einzelnen noch verwiesen wird. Im "Werther" bildet Goethe Wortzusammensetzungen wie "Sommerta gswanderung (Brief v. 12. Mai, 1. Buch). Zusammengesetzte Substantive wie "Seelenfreude" (15. Mai, 1. Buch), "Seelenvergnügen" (15. Septeember, 2. Buch), "Menschengefühl" (15. Sept., 2. Buch) sollen die hochgespannte Seelenlage des Helden widerspiegeln. Das Hymnisch-Pathetische der Ossiandichtung läßt Goethe in Worten wie "Edel-gefallener", "siegrückkehrendes Schiff", "das schwachlispelnde Gras", "Nachtfeuer am Himmel", "Sturmregen", "Feuerwolke im Sturm" lebendig werden (Ossian-Fragment, Werther, 2. Buch). Wortbildungen aus dem "Prometheus-Fragment": "Wonneruh" (S.79), "Seelenruhgenuß" (S.181) und "Göttergleich" (S. 182) bringen

trifft das Lokalkolorit der mittelalterlichen kleinbürgerlichen Welt, die den Hintergrund des Urfaustes bildet. Gretchen wird von Mephisto als "ein gar unschuldig Ding" (S.386), von Faust als "ein liebenswürdig Kind" (S.396) bezeichnet. Als weitere Beispiele seien aus dem Urfaust angeführt "Klar Wasser ... und jung Gemüs" (S.375), "ein heimlich Grauen" (S.407), "ein prächtig Wort" (S.377), "ein hübsch Vermögen" (S.401). In Verbindung mit der Umstellung findet sich das unflektierte Adjektiv in der Rede des Mephisto in der nächtlichen Szene "wie dem Kätzlein schmächtig" sowie in Gretchens Lied im Kerker "mein Schwesterlein klein" (S.414, S.417). Mehrmals begegnen uns unflektierte Adjektive in der Szene in Auerbachs Keller : "Ein garstig Lied? Ein politisch Lied, ein leidig Lied" ... "ein alt Lied" (S.379).

In den Gedichten der Frühzeit belebt das unflektierte Adjektiv den Rhythmus, hilft das trochäische bzw. jambische Versmaß bewahren, z.B. in "Annette, Triumph der Tugend, 1. Erzählung": "Des Mädchens zärtlich Herz" ; in dem Gedicht "Mit einem gemalten Bande": "Ein luftig Band" ; in "Friederike Brion" : "mein geliebt Geschwister". Im "Ganymed" wird durch das Stilmittel der hymnische Charakter des Liedes unterstrichen : "Heilig Gefühl".

1. Abstrahierende Bildungen:

Die Stilelemente, die die Sprache des jungen Goethe bestimmen, sind nicht einheitlich. Neben den Ausdrucksmitteln, die das Ursprüngliche, das Volkstümliche unterstreichen, treffen wir abstrahierende Bildungen, die die Sprache auf ein geistigbegriffliches Niveau heben. In diesem Sinne sind vor allem die substantivierten Eigenschaftswörter zu nennen. PETERSEN (zit. nach Kainz, S. 241) verweist darauf, daß an Stelle der Wörter auf -heit und -keit die Substantivierung des zugrunde liegenden Eigenschaftswortes tritt, wodurch "begriffliche Abstraktion durch mystische Unbestimmtheit, numinose Vorstellungen und metaphysischen Tiefblick ersetzt wird". Ausschlaggebend dürfte bei Goethe jedoch die allgemeine Tendenz zur Abkürzung gewesen sein, die ihn die etwas schwerfälligen Bildungen vermeiden und die kürzere und gleichzeitig bedeutungsvollere Form bevorzugen ließ.

Vereinzelt finden wir substantivierte Adjektive im "Werther". Werther ist "der glücklich Unglückliche" (S.191) genannt. Im "Götz" wird Weislingen "ein Nichtswürdiger", "ein Elender" (S.124) genannt. Häufiger wendet Goethe das Stilmittel der Substantivierung von Adjektiven im "Clavigo" an. Dies

Aus "Annette, Triumph der Tugend, 2. Erzählung": "Listgen Streichen" "Sie stürzt' mir um den Hals" ... "mitternächt'ger Stunde" ... "Sie rief's" "Vermagst's allein".

Auch Eigennamen werden unter Umständen verkürzt. So wird in "Götz" "Weislingen" zu "Weisling", was möglicherweise eine Anspielung auf den Namen des Schädlings Kohlweißling darstellt (Anm. zu Bd. 4). Im Götz gibt Goethe bewußt durch solche Formen eine altertümliche Färbung. Manchmal wird auch die Vorsilbe des Partizip Perfekts weggelassen "gessen" für "gegessen" (Götz, S. 184), "worden" für "geworden": "Er ist ein Mann worden" (Clavigo, S. 297)

Charakteristisch für die Sprache des jungen Goethe ist auch die *Weglässung des Artikels,* auf die u. a. August LANGEN (Spalte 1118) verweist. Es handelt sich hier, worauf noch eingegangen werden soll, um eine Eigenart der volkstümlichen Sprache. Wir finden die Auslassung des Artikels deshalb auch häufig bei den im Volkston geschriebenen Liedern, so im Heideröslein: "Knabe sprach, Röslein sprach". Das Stilmittel wird auch in der dramatischen Sprache angewandt : Im "Clavigo" finden sich folgende Stellen: "Zu Ausführung" (S.270), "Mit Tode" (S.270), "Geh in Kerker" (S.301).

Goethe gebraucht das Adjektiv mit Vorliebe unflektiert. Auch hier macht Goethe eine Anleihe bei der Mundart, und zwar beim rheinfränkischen Dialekt, wie August LANGEN (Spalte 1120) darlegt. Wir finden *unflektierte Adjektive* (stets Neutrum) in der Sprache des Schauspiels, wie in "Die Laune des Verliebten": "Ein liebenswürdig Bild" (S.8), in "Die Mitschuldigen" : "Mein eigen Geld" (S.33), "ein künstlich Amt" (S.42), "ein närrisch Ding um ein empfindlich Blut" (S.43), "mein widerspenstig Herz" (S.62). In diesen ersten im Geiste der Anakreontik abgefaßten Versuchen erzielt Goethe mit dem Stilmittel des unflektierten Adjektivs eine Auflockerung der Sprache. Der Ausdruck erhält dadurch einen lebendigen und gleichzeitig verspielten Charakter. Auch im "Götz" strebt Goethe, wie MATTAUSCH (S.204) darlegt, Unmittelbarkeit und Ungezwungenheit der Sprache an. Er macht in diesem Drama häufig von der unflektierten Form des Adjektivs Gebrauch und erreicht so die Wirkung des Urtümlich-Volkstümlichen: "Ein stark Gewissen" (S.105), "ein königlich Spiel" (S.105), "Schön Exempel" (S.130), "Ein brav Stück" (S.140), "ein halb Jahr" (S.151). In ähnlicher Absicht verwendet Goethe das unflektierte Adjektiv im Urfaust. Er erzielt auf diese Weise den Eindruck des Altertümlichen und Volkstümlichen zugleich und

II. Formale Stilelemente:

Kennzeichnend für den Sprachstil des jungen Goethe ist das Dynamisch-Vorwärtsstrebende, die bewußte Hinwendung zu naiv-volkstümlicher Ausdrucksweise, das Bemühen, der von jugendlicher Unbekümmertheit und Impulsivität getragenen Seelenstimmung einen möglichst unmittelbaren, individuell geprägten Ausdruck zu verleihen. Um dieses Ziel zu erreichen, hat sich Goethe einer Reihe von Stilelementen bedient, Knappheit, Weglassungen und unflektierte Formen. Wie 'KAINZ (S.237) ausführt, tritt hierbei als der vorherrschende Zug der sprachlichen Gestaltung ein ausgeprägtes Streben nach Knappheit und Kürze in Erscheinung. Diese auf Intensivierung zielende Tendenz äußert sich in der Weglassung von einzelnen Lauten und von Wörtern, in Wortbildungen und Wortzusammensetzungen, sowie im syntaktischen Aufbau sowohl der gebundenen als auch der ungebundenen Sprache. Aus der großen Anzahl der Beispiele seien jeweils nur wenige herausgegriffen.

Sehr häufig begegnet uns beim jungen Goethe die *Weglassung* der Endsilben, des unbetonten "e" bzw. des "i" in schwachtoniger Silbe. Das zeigt einen bewußten Einfluß der Mundart, bewußt, weil der junge Goethe bestrebt war, Umgangssprache zu bieten. Als Beispiele seien angeführt (Hamburger Ausgabe) :

Aus "Die Laune des Verliebten": "heut, seh ich sei's, hör ich" (S.7)
"gnug, die heutge Lust" (S. 19),
"sollt ich nicht rasen?" (S.23)

Aus "Die Mitschuldigen": " Über's Jahr gibt's wieder" (S.31)
"Schwörst du mir ewge Treu" (S.36)

Aus "Götz von Berlichingen": "Weil ich's Herz dazu hab, so fehlt mir's nicht am Maul" (S.96)
"... so stecken einen die Kerl am End in Sack" (S.96)
"Geb's Gott! Geh aber, wie's will, prozessieren tu ich mein Tag nit mehr" (S.119)
"grad" (S.137)
"überm Fluß" (S.137)

Aus "Clavigo": "auf'm Sand" (S.261)
"nun aber werd ich" (S.269)
"als wollt ich" (S.270)

Aus "Die Leiden des jungen Werther": "g'nügen" (S.41)
Aus "Urfaust": "Du guts, unschuldigs Kind!" (S.397)
Aus "Lilis Park": "Grad aus"

DER WORTGEBRAUCH DES JUNGEN GOETHE

by

DR. KAMAL RADWAN

I. Einleitung:

Wenn in der folgenden Arbeit versucht wird, eine Darstellung des Wortgebrauchs des jungen Goethe zu geben, so geschieht dies im Bewußtsein der Problematik dieser Aufgabe. Bei der sprachlichen Fülle und dichterischen Vielfalt von Goethes Werk muß der Versuch, eine Analyse der Sprachelemente und ihrer Verwendung zu geben, nur Stückwerk bleiben, auch wenn man sich auf eine Epoche, in diesem Falle das Jugendwerk, beschränkt. Nicht alle Stilmittel, wie z.B. Metapher, Symbolik, Personifikation und Anapher, konnten behandelt werden. Auch sind "Historisches, Grammatisch-Syntaktisches, Symbolik, Stilistisches und Synonymik...nur mittelbar mit zu berücksichtigen". (Goethe-Wb, Bd.1, 1. Lief., Spalte 13). Besonderer Wert sei auf die formalen Elemente gelegt, da sie sozusagen die Bausteine der dichterischen Sprache darstellen. Ferner sollen die geistigen Hintergründe der sprachlichen Gestaltung aufgehellt und die Sprachschichten, aus denen Goethe schöpfte, aufgezeigt werden, denn eine universale Persönlichkeit wie Goethe nahm die gesamten geistigen Strömungen seiner Zeit in sich auf, gab sie weiter und wandelte sie kraft dichterischen Genies zum ewig gültigen Kunstwerk um. Wie LANGEN (Dt.Phil.i.A., Sp. 1117) es treffend ausdrückt, "spiegelt ... seine sprachliche Entwicklung noch einmal in der stärksten dichterischen Potenz die Wandlungen der Zeit." Ferner wurde er geprägt durch seine Umwelt, d.h. er empfing Eindrücke durch Sprachraum, Gesellschaft, Studiengang und Berufswelt. Eine scharfe Trennung der einzelnen Einflußsphären kann nicht gegeben werden und manche Überschneidungen in der Darstellung sind unvermeidlich. Ferner muß man berücksichtigen, daß ein gewisser Wandel im Sprachgebrauch eingetreten ist. Ausgehend von formalen Sprachelementen möge an Hand des Wortgebrauches dargelegt werden, inwieweit die Sprache des jungen Goethe Spiegel seiner Zeit ist, in welchem Maße landschaftliche und soziologische Bindungen sprachlich ihren Niederschlag finden und wie sich im Wortgebrauch Goethes sprachschöpferische Kraft offenbart.

It seems, somehow, that it is this love of Ralph, a thing of the past — as the use of the past tense indicates — rather than the promise of the passionate love, offered by Caspar Goodwood, that will win the day with Isabel. For her, Ralph will always be here. The sad beauty of the last moment of communion between them seems to be more in keeping with Isabel's thought of the future. Knowing the kind of person Isabel was and how much she had suffered, Ralph says, repeating her own words

> " 'As seems right — as seems right ? — Yes, you think a great deal about that" '.

Goodwood's tempestuous embrace, which almost sweeps Isabel off her feet, only emphasizes the rightness of her turning her back on it. For Isabel Archer, ever true to her 'tormenting ideal', there was to be only the 'very straight path', to Pansy, 'from whom she could not turn away', and to her 'indissoluble tie'.

fact that she had been "a used thing" — and under the impact of such a blow that she decides to go and see Ralph. However, the impression one gets of Isabel during her journey is one of infinite sadness, and a sense of loss. She envied Ralph his dying. The future seemed to hold nothing more for her :

> She saw herself in the distant years, still in the attitude of a woman who had her life to live, and these intimations contradicted the spirit of the present hour.... Deep in her soul...deeper than any appetite for renunciation — was the sense that life would be her business for a long time to come....To live only to suffer — only to feel the injury of life repeated and enlarged — it seemed to her, she was too valuable, too capable for that. Then she wondered if it were vain and stupid to think so well of herself. When had it even been a guarantee to be valuable? Wasn't all history full of the destruction of precious things ? Wasn't it much more probable that if one were fine one would suffer ? It involved then perhaps an admission that one had a certain grossness ; but Isabel recognised, as it passed before her eyes, the quick vague shadow of a long future. She should never escape ; she should last to the end.[1]

The beauty and effectiveness of Isabel's mediatations as a vehicle of meaning is an important aspect of James's achievement in *The Portrait of a Lady*. Part of their amazing power lies in the way they reach backwrds and forwards. We cannot help recalling here Isabel's fondness for the old Roman ruins, nor can we forget Ralph's first view of her as a work of art. Later on when Ralph expresses the thought that "she will be young again", we remember Isabel's own thoughts. Once more, however, Ralph's words do not seem to strike a positive note :

> 'You'll grow young again. That's how I see you. I don't believe — I don't believe —' But he stopped again ; his strength failed him.

A little later he adds :

> 'I don't believe that such a generous mistake as yours can hurt you for more than a little'.
>
> 'Oh Ralph, I'm very happy now,' she cried through her tears.
>
> 'And remember this,' he continued, that if you've been hated you've been also loved. Ah but, Isabel — *adored* ! he just audibly and lingeringly breathed.
>
> 'Oh my borther ! ' she cried with a movement of still deeper prostration.[2]

---

(1) Ibid., p. 613.

(2) Ibid., p. 630.

In her argument with Osmond, when she went to tell him that she had been called to go and see her dying cousin, the "grave" and "almost gentle tone, out of which sarcasm had dropped, with which he talks of their being "indissolubly united" checks her "quick emotion",

> 'You don't like to be reminded of that, I know ; but I'm perfectly willing, because — because —' And paused for a moment looking as if he had something to say which would be very much to the point. 'Because I think we should accept the consequences of our actions, and what I value most in life is the honour of the thing.' (1)

Osmond's words and his tone arrest his wife because they are an echo of her own thoughts, perhaps :

> His last words were not a command, they constituted a kind of appeal ; and though she felt that any expression of respect on his part could only be a refinement of egotism, they represented something transcendent and absolute, like the sign of the cross or the flag of one's country. He spoke in the name of something sacred and precious — the observance of a magnificent form .... Isabel had not changed; her old passion for justice still abode within her; and now, in the very thick of her sense of her husband's blasphemous sophistry, it began to throb to a tune which for a moment promised him the victory. It came over her that in his wish to preserve appearances he was after all sincere, and that this, as far as it went, was a merit.(2)

It should, perhaps, be pointed out that all this takes place after the issue of Lord Warburton's marrying or not marrying Pansy had cast a darker shadow on their relationship. Isabel's view of the baseness of her husband's motives regarding his poor daughter's happiness does not seem to change Isabel's view of the sacredness of marriage. Even after the Countess Gemini has tried to make her see that her journey to England should not be impossible, Isabel torments herself with the thought that "Marriage meant that in such a case as this, when one had to choose, one chose as a matter of course for one's husband".

We notice the contrast between Isabel's and Countess Gemini's views of marriage, as we later see that between hers and Madame Merle's.

It is only when she is confornted with the appalling truth about her marriage and the relationship of her husband and Madame Merle — the

(1) Ibid., p. 585.

(2) Ibid., p. 586.

> 'You have *changed*, in spite of the impossibility. I hope you don't mean to say you like him.'
> Isabel debated. 'No, I don't like him. I can tell you, because I'm weary of my secret. But that's enough; I can't announce it on the housetops.'
> Henrietta gave a laugh. 'Don't you think you're rather too considerate?'
> 'It's not of him that I'm considerate—it's of myself!' Isabel answered.(1)

The change Henrietta is talking about is a material change, and the shame and considerateness are quite natural. They are part of the psychological motivation of Isabel's conduct. Equally natural and human is her wondering at times what unhappiness might not make her do, or her asking whether "having married her for her money," whether Osmond "would not have the money and let her go".

Despite these transitory thoughts, however, Isabel had a very clear idea of her duties as a wife and of marriage in general. She continued to regard her husband as her "appointed and inscribed master". "Constantly present to her mind were all the traditionary decencies and sanctities of marriage. The idea of violating them filled her with shame as well as dread."(2) She was prepared to make concessions to his dislike for her friends. When Henrietta wrote to say she was coming to Rome, for example, Isabel did not ask her to stay at Palazzo Reccanera, she did not even ask her to dinner. When Ralph was sick in Rome and she felt a crisis on the way between her and Osmond because of her visits to her cousin, she was tormented, torn by the conflict between her love for Ralph and her duty to her husband,

> If he should interpose, if he should put forth his authority, she would have to decide, and that wouldn't be easy. The prospect made her heart beat and her cheeks burn....in advance, there were moments when, in her wish to avoid an open rupture, she found herself wishing Ralph would start even at a risk. And it was of no use that, when catching herself in this state of mind, she called herself a feeble spirit, a coward. It was not that she loved Ralph less, but that almost anything seemed preferable to repudiating the most serious act—the single sacred act—of her life. That appeared to make the whole future hideous.(3)

---

(1) Ibid., p. 532.
(2) Ibid., p. 503.
(3) Ibid., p. 504.

Using one of his favourite and recurring images, James explains :

> There were certain things they had to do, a certain posture they must take, certain people they must know. When she saw this rigid system close about her, draped though it was in pictured tapestries, that sense of darkness and suffocation....took possession of her; she seemed shut up with an odour of mould and decay. She had resisted of course; at first very humorously, ironically,tenderly; then as the situation grew more serious, eagerly, passionately pleadingly. She had pleaded the cause of freedom, of doing as they chose, of not caring for the aspect and denomination of their life— the cause of other instincts and longings, of quite another ideal.[1]

The free girl ultimately perceives that the real offence "was her having a mind of her own." Her mind was to be his—"attached to his own like a small garden-plot to a deer-park." [2] The effect on her is shattering. "Nothing was a pleasure to her now; how could anything be a pleasure to a woman who knew that she had thrown away her life? There was an everlasting weight on her heart—there was a livid light on everything." [3] Critics of Isabel's conduct do not seem to realize what great unhappiness can do to the spirit of a human being. Henrietta makes an intelligent analysis of her friend's condition, when she remarks that "If she's really changed" her being unhappy "Must be at the bottom of it." [4] Caspar Goodwood also notes the change in Isabel, "you're somehow so still, so smooth, so hard," he says.

Both Isabel's friends want her to leave her husband. Henrietta has come from America to "look after her." In a revealing conversation, she asks,

> 'Why don't you leave him?'
> 'I can't change that way,' Isabel said.
> 'Why not, I should like to know? You won't confess that you made a mistake. You're too proud.'
> 'I don't know whether I'm too proud. But I can't publish my mistake. I don't think that's decent. I'd much rather die.'
> 'You won't think so always,' said Henrietta.
> 'I don't know what great unnhappiness might bring me to; but it seems to me I shall alwys be shamed. One must accept one's deeds. I married him before all the world; I was perfectly free; it was impossible to do anything more deliberate. One can't change that way,' Isabel repeated.

(1) Ibid.

(2) Ibid., p. 469.

(3) Ibid., p. 471.

(4) Ibid., p. 495.

> There were hours when Isabel would have given anything for lessons in that art....She had become aware more than before of the advantage of being like that—of having made one's self a firm surface, a sort of corslet of silver.[1]

But by the time Madame Merle reappeared on the scene (in the winter during which, says James, we lately renewed our acquaintance with our heroine), Isabel's "needs and inclinations had considerably changed...she had lost the desire to know this lady's clever trick. If she had troubles she must keep them to herself, and if life was difficult it would not make it easier to confess herself beaten." [2] Indeed, Isabel did her best to hide her misery even from her friends. The only one to whom, finally weary of her misery, she confided, under pressure, was Henrietta.

Isabel, still thinking that she had been a free agent, accepts full responsibility for her act, rather grandly—her self-knowledge is not yet complete !

> When a woman had made such a mistake, there was only one way to repair it—just immensely (oh, with the highest grandeur!) to accept it. One folly was enough, especially when it was to last for ever; a second one would not much set it off. In this vow of reticence there was a certain nobleness which kept Isabel going. [3]

Another thing which kept her going, and which was to play a part in her decision to return to her husband was the interest she took in Pansy. "Isabel liked her company; it had the effect of one's carrying a nosegay composed all of the same flower. And then not to neglect Pansy, not under any provocation to neglect her—this she had made an article of religion." [4]

It is sometimes asked why Isabel was so miserable. What did Osmond in fact do to her? Putting it very simply Isabel says that she discovered that her husband did not like her; he hated her, she explains on another occasion. He discovers that she has different ideals and will not make his her own. "Her notion of the aristocratic life was simply the union of great knowledge with great liberty; the knowledge would give one a sense of duty and the liberty a sense of enjoyment. But for Osmond it was altogether a thing of forms, a conscious, calculated attitude." [5]

---

(1) Ibid., pp. 435-6.

(2) Ibid., p. 436,

(3) Ibid., p. 440.

(4) Ibid., p. 441.

(5) Ibid., p. 468.

This is reminiscent of something she says to Osmond, in answer to a remark of his, during her first visit to his hill-top villa. His own plan, he had told her, was very simple, "'Not to worry—not to strive nor struggle ...to be content with little.'" [1] His influence on her was certainly restrictive.

The enormity of Isabel's error is only equal to her misery when she discovers how wrong she had been. Isabel's real change occurs as a result of both the discovery of her error as well as of her suffering. It is interesting to notice that we only see her again two years after her marriage. For Lord Warburton, it is four years, (James is once more careful to let us know), after their last meeting in the Capitol in Rome before her engagement. To Ralph, she seems "To have fallen into exaggerations."

> The free, keen girl had become quite another person; what he saw was the fine lady who was supposed to represent something. What did Isabel represent? Ralph asked himself; and he could only answer by saying that she represented Gilbert Osmond. [2]

The 'studied impressions', the work of Osmond, were, however, merely the face put to the outside world. The real Isabel is to be seen through her meditations, the record of her consciousness, especially in that magnificent forty - second chapter.

At this point, the contrast with Madame Merle becomes important. In a sense Isabel envies Madame Merle for the smooth surface she presents to the world,

> That personage was armed at all points; it was a pleasure to see a character so completely equipped for the social battle. She carried her flag discreetly, but her weapons were polished steel, and she used them with a skill which struck Isabel as more and more that of a veteran. She was never weary, never overcome with disgust; she never appeared to need rest or consolation. She had had her own ideas....But her will was mistress of her life; there was something gallant in the way she kept going....Isabel, as she grew older, became acquainted with revulsions, with disgusts; there were days when the world looked black and she asked herself with some sharpness what it was that she was pretending to live for. Her old habit had been to live by enthusiasm, to fall in love with suddenly-perceived possibilities, with the idea of some new adventure....But Madame Marle had suppressed enthusiasm ; she fell in love now-a-days with nothing; she lived entirely by reason and by wisdom.

(1) Ibid., p. 258.

(2) Ibid., pp. 426-7.

affording Isabel the chance 'to give'. He seems to love freedom, like herself, to have taste and knowledge, and to care nothing for conventions. He makes no secret of his being glad she has money, but he does not behave in the least like a vulgar fortune-hunter. The irony lies in the fact that he is nothing else. His being and his having nothing are amply emphasised.

The girl who marries Osmond, however, is very different from the girl, who had valued her freedom so much only a short time before. Coming back to Florence, after several months (the first of many references to time in this part of the novel), she feels wiser.

> Grave she found herself, and positively more weighted, as by the experience of the lapse of the year she had spent in seeing the world. She had ranged, she would have said, through space and surveyed much of mankind, and was therefore now, in her own eyes, a very different person from the frivolous young woman from Albany who had begun to take the measure of Europe on the lawn at Gardencourt a couple of years before. She flattered herself she had harvested wisdom and learned a great deal more of life than this light - minded creature had even suspected.[1]

To her mystified sister, Lily, who had come to spend five months with her sister in Europe, she seems "to have lost her courage," [2]

Before her meeting with Caspar Goodwood, who had come all the way from America to see her before her marriage, she "felt older—ever so much, and as if she were 'worth more' for it, like some curious piece in an antiquary's collection." [3]

In the conversation with Ralph, after her engagement, at which he felt shocked and humiliated, he tells her :

> 'You must have changed immensely. A year ago you valued your liberty beyond everything. You wanted only to see life.'
>
> 'I've seen it,' Isabel said. 'It doesn't look to me now, I admit, such an inviting expanse.'
>
> 'I don't pretend it is; only I had an idea that you took a genial view of it and wanted to survey the whole field.'
>
> 'I've seen that one can't do anything so general. One must choose a corner and cultivate that.' [4]

(1) Ibid., p. 345.

(2) Ibid., p. 341.

(3) Ibid., p. 352.

(4) Ibid., pp. 369-70.

Our impression of what Isabel feels about it is received through Mrs. Touchett. 'For the present,' she says, 'Isabel is simply stupefied.' And Madame Merle, asks, significantly, ' Do you mean that she dosen't know what to do with the money ?' The two things go together and are of immense importance to Isabel's future : What the money means to her and what she is going to do with it. By way of explanation, Mrs. Touchett uses one of her rare figures of speech :

> 'She doesn't know what to think about the matter at all. It has been as if a big gun were suddenly fired off behind her; she's feeling herself to see if she be hurt. It's but three days since she received a visit from the principal executor, who came in person, very gallantly to notify her. He told me afterwards that when he had made his little speech she suddenly burst into tears.' (1)

Later, Madame Merle is told that she will not "be struck by her being very happy. She has looked as solemn, these three days, as a Cimabue Madonna."

As her friends see it, the money brings Isabel real independence, real freedom, a real change from her unsuspected financial dependence and her 'theoretic' love of 'her own liberty.' 'Now, of course, you're completely your own mistress and are as free as the bird on the bough,' (2) says her aunt. Ralph, observing how much she tormented herself—'You've too much power of thought—above all too much conscience', advises her, using the same image used by his mother, to spread her wings; to rise above the the ground. 'It's never wrong to do that.' (3)

Once more, Henrietta expresses her own common-sense view of Isabel's acquisition of means. She refuses to congratulate her on 'her augmetations.' She thinks Mr. Touchett should have left the money to someone he loved less. The danger to Isabel lies in encouraging her to live in the romantic world of her dreams.(4)

To Isabel herself, 'A large fortune means freedom' and power, 'and I'm afraid of that,' she confesses. It is a great responsibility. And as if to transfer the responsibility to other shoulders than her own, she marries Osmond. Of course he has other attractions, besides being poor and

---

(1) Ibid., p. 225.

(2) Ibid., p. 237.

(3) Ibid., p. 240.

(4) See pp. 232-4.

the mortal fear that she may marry 'one of these fell Europeans', asks Isabel, 'Do you know where you re'drifting', Isabel answers,

"No, I haven't the least idea, and I find it very pleasant not to know. A swift carriage, of a dark night rattling with four horses over roads that one can't see—that's my idea of happiness" Henrietta tells her that she talks like "the heroine of an immoral novel" and isnists that she's "drifting to some great mistake."(1) No one could be more critical of Isabel's romanticism. Henrietta does not trust her friend any more.

Ralph, who on the other hand, trusts in his cahrming cousin, persuades his hesitant and bewildered father to leave her a fortune. "I should like to put alittl e wind in her sails,"(2) he says. Five thousand pounds is not enough. "I should like to see her going before the breeze"(3) he explains. When the father, still perplexed, asks, "Doesn't it occur to you that a young lady with sixty thousand pounds may fall a victim to the fortune-hunters?" he admits that it is a risk, but he is willing to take it. The concept of her being a 'victim' — a word which recurs in this part of the novel—does not seem to enter seriously into his calculations of his cousin's future "She'll hardly fall a victiom to more than one," he says.

The only other person who seems to have a kind of prophetic trust in Isabel is, strangely enough, Madame Merle. "I want to see what life makes of you. One thing is certain—it can't spoil you. It may pull you about horribly, but I defy it to break you up," (4) she tells Isabel. And this is the impression one gets of Isabel at the end.

It is not part of my plan to examine in detail why Isabel married Osmond or the kind of fascination he had for her. Despite some adverse criticism, Henry James has, I belive, made this fully convincing. Nor do I intend to account for her tragic mistake. What I am interested in showing is that her marriage and her decision to abide by her vow are consistent.

The most important result of Isabel's coming into a fortune is, perhaps, the change not only in Isabel's position but in her character. Compared with this change, the one brought about by her coming to Europe is almost negligible.

---

(1) Ibid., p. 177.
(2) Ibid., p. 196.
(3) Ibid., p. 197.
(4) Ibid., p. 201.

an example of how he exhausts the possibilities of a situation. The organization of the material is marvellous. First, we get a glimpse of Isabel's mind, then we see her in company with her uncle, then her aunt, then finally, some time later, with Ralph. The matter occupies the greater part of three chapters (XIII—XV), and becomes insolubly part of everybody's expectations of Isabel. Ralph tells her that nineteen women out of twenty, even of the most exacting sort, would have managed to do with Lord Warburton, adding :

> '... I shall have the thrill of seeing what a young lady does who won't marry Lord Warburton.'
>
> 'That's what your mother counts upon too,' said Isabel.
>
> 'Ah, there will be plenty of spectators ! We shall hang on the rest of your career. I shall not see all of it, but I shall probably see the most interesting years. Of course if you were to marry our friend you'd still have a career — a very decent, in fact a very brilliant one. But relatively speaking it would be a little prosaic. It would be definitely marked out in advance; it would be wanting in the unexpected. You know I'm extremely fond of the unexpected, and now that you've kept the game in your hands I count on your giving us some grand example of it'.[1]

Both Ralph's words and Isabel's, 'if you look for any grand examples from me I shall disappoint you,' carry a great deal of irony.

For the time being, she wishes 'not to tie' herself. She does not wish 'to touch the cup of experiene', as Ralph puts it. 'It's a poisoned drink,'[2] she thinks, she only wishes to see for herself. Ralph's estimate of her plans is : 'the world interests you and... you want to throw yourself into it.' It is Ralph alone, despite his fine intelligence, who seems willing to enter into Isabel's romantic, theoretic plans for seeing the world.

Once more, as a result of James's masterly handling of structure and organization, we see what both Caspar Goodwood and Henrietta—two different people—think of such plans. In his practical clear-eyed way, Goodwood tells Isabel, 'An unmarried woman—a girl of your age—isn't independent. There are all sorts of things she can't do. She's hampered at every step.'[3]

When Henrietta, who is greatly worried by Isabel's 'change' and by

(1) Ibid., pp. 159-60.

(2) Ibid., p. 161.

(3) Ibid., p. 172.

in the sense of being aware of her own ideals : "It's not what I ask; it's what I can give. I don't think I should suit you; I really don't think I should.' " No less emphatic is the change in the way she regards her intentions, as the following statement of her silent thought indicates. "She couldn't marry Lord Warburton; the idea failed to support any enlightened prejudice in favour of the free exploration of life that she had hitherto entertained *or* was now capable of entertaining." (1)

It is worth pointing out, however, that the change neither involves the whole of her character, nor immediately brings wisdom. The wisdom comes later as a result of her painful experience and of self-knowledge. What we are trying to show here is that Isabel, particularly as seen in the process of of her relations with Lord Warburton, is more serious, though perhaps not much less given to her theories of the exploration of life. To be entirely credible, she has to be made human. That is why James, in the last sentence of the chapter (XII)—such a sentence often being with him the repository of some important revelation — makes her wonder, "if she were not a cold, hard, priggish person" and, on her at last getting up and going rather quickly back to the house, she "felt, as she had said to her friend, really frightened at herself." It is therefore with a desire to feel "more natural, more human" that she goes to talk to her uncle—significantly, not to her aunt or Henrietta.

A great deal has been said about Isabel's fear of herself, of her mind, of sexual passion.(2) What she is frightened of here, it seems to me, is her pride in being able to refuse such a 'bribe' as she later calls it. The pride in her sense of power and the fear of practising that power are, in fact, inseparable. James's superb workmanship can be seen in the last chapter of the novel when, in an attempt, I believe, to evoke in our minds a recollection of a previous scene and a previous choice made by his heroine, uses almost exactly the same words to tell us about how Isabel finally sees her straight path to the house—and to Rome. In the later case, there would be no one to approve or disapprove, and certainly no one to run to, Mr. Touchett having long been dead. Such is the quality of James's dramatic technique.

James's rendering of Isabel's refusal of Lord Warburton's offer is

---

(1) Ibid., p. 117. (Italics mine)

(1) See, for example, Tony Tanner, "The : Fearful Self : Henry James's *The Portrait of A Lady*," *Henry James*, ed. Tony Tanner, 1968.

Both admirers are seen as threats to her independence. One of them had a system which threatened to absorb her own, the other had no system at all, but he had a character of which the impression on her mind "had not been light." She pends more time considering her refusal of the first however. As F.R. Leavis rightly puts it

> The admirableness of Lord Warburton and the impressiveness of his world, as we are made to feel them, are essential to the significance of Isabel's negative choice. That her rejection of them doesn't strike us as the least capricious, but as an act of ethically radical judgement, is a tribute to the reality with which James has invested her.[1]

In my opinion, this rejection reveals not only the true colour of Isabel's mind, or her idealism, to use a term more appropriate to the general view of her, as distinct from her aunt's more practical attitude, but also a certain measure of the change in Isabel, already noted. This is particularly clear in the scene in the garden. As she walks by Lord Warburton's side, 'It suddenly came upon her that her situation was one which a few weeks ago she would have deemed deeply romantic." [2]

On Isabel's first arrival at Gardencourt, she thought the beautiful old house, and the presence of a Lord just like a novel. She had even asked whether Gardencourt had a ghost. A few minutes before the arrival of Lord Warburton on this occasion, she is found thinking that "Of late, literature had seemed a fading light." During the proposal scene, we get the impression that she is not totally involved in the scene. She is more of an observer of herself and of Lord Warburton. There is a tension between the superficially romantic aspects of the situation, Lord Warburton saying that he had fallen in love with her at first sight, "as the novels say", for example, and the deep feelings of both parties. 'I'm a judicious animal. I don't go off easily, but when I'm touched, it's for life. *It's for life, Miss Archer, it's for life,*' Lord Warburton repeated in the kindest, tenderest, pleasantest voice Isabel had ever heard." [3]

Her own words emphasise the unromantic trend of her thought : 'Ah, Lord Warburton, how little you know me!' she says very gently. But if she is not romantic in the heroine-of-a-novel sense, she is idealistic,

---

(1) *The Great Tradition*, op. cit., p. 148.

(2) *The Portrait of a Lady*, p. 110.

(3) Ibid., p. 111. (Italics mine)

'I hope he'll hate me then,' said Isabel.

'I believe you hope it about as much as I believe him capable of it.' [1]

This is an important conversation, not only because it externalizes the the subtle change which Henrietta senses in her friend, and which she sees simply in terms of a change of feelings towards Isabel's admirer, Mr. Goodwood, but because it throws light on Isabel's feelings for Mr. Goodwood which will help us to understand, later on, why she refuses to listen to him and leave her husband. The conversation also brings out the basic difference between two 'independent' young women, one so wanting in delicacy, and the other of such fine grain. But it is her attitude towards Mr. Goodwood which is of particular interest at this moment. In that passage of meditation which we have already quoted at some length, we were told that it was one of Isabel's theories that she was 'very fortunate in being indepeddent' and that she 'ought to make some very enlightened use of that state.' We are also told :

> She was always planning out her development....Her nature had, in her conceit, a certain garden-like quality, a suggestion of perfume and murmuring boughs, of shady bowers and lengthening vistas, which made her feel that introspection was, after all, an exercise in the opon air, and that a visit to the recesses of one's spirit was harmless when one returned from it with a lapful of roses.[2]

This is a basic image and it will be noticed that Isabel's relations with her admirers, or rather the quality of these relations will be conveyed poetically by means of related images. At this moment, the thought that Mr. Goodwood's name might be announced any moment, "pressed upon her; it made the air sultry, as if there were to be a change of weather; and the weather, socially speaking, had been so agreeable during Isabel's stay at Gardencourt that any change would be for the worse." [3] In contrast Lord Warburton, who soon arrives to press his own suit, "seemed to emit that radiance of good feeling and good fare which had formed the charm of the girl's first impression of him. It surrounded him like a zone of fine June weather."[4] Isabel's refusal of his offer is a much more interesting affair.

---

(1) Ibid., pp. 103-4.

(2) Ibid. p. 55.

(3) Ibid., p. 104.

(4) Ibid., p. 107.

Isabel is already seen to be somewhat different. The change in her character has already been noted by Henrietta — who, in my opinion is no mere *ficelle*, as James tells us — on her first arrival at Gardencourt, and she takes upon herself to plead the cause of Caspar Goodwood. When Isabel shows no great enthusiasm about the news of Goodwood's approaching arrival, Henrietta says :

> 'He'll find you changed.... You've been affected by your new surroundings'.
>
> 'Very likely. I'm affected by everything'.
>
> ....
>
> 'Yes, you're changed; you've got new ideas over here', her friend continued.
>
> 'I hope so,' said Isabel; 'one should get as many new ideas as possible.'
>
> 'Yes; but they shouldn't interfere with the old ones when the old ones have been the right ones.'
>
> Isabel turned about again. 'If you mean that I had any idea with regard to Mr. Goodwood—!' But she faltered before her friend's implacable glitter.
>
> 'My dear child, you certainly encouraged him.'
>
> Isabel made for the moment as if to deny this charge; instead of which, however, she presently answered : 'It's very true. I did encourage him.' And then she asked if her companion had learned from Mr. Goodwood what he intended to do. It was a concession to her curiosity, for she disliked discussing the subject and found Henrietta wanting in delicacy.
>
> 'I asked him, and he said he meant to do nothing,' Miss Stackpole answered. 'But I don't believe that; he's not the man to do nothing. He is a man of high, bold action. Whatever happens to him, he'll always do something, and whatever he does will always be right.'
>
> 'I quite believe that.' Henrietta might be wanting in delicacy, but it touched the girl all the same, to hear this declaration.
>
> 'Ah, you *do* care for him!' her visitor rang out.
>
> 'Whatever he does will always be right,' Isabel repeated. 'When a man's of that infallible mould what does it matter to him what one feels ?'
>
> 'It may not matter to him, but it matters to oneself.'
>
> 'Ah what it matters to me—that's not what we're discussing,' said Isabel with a cold smile.
>
> This time her companion was grave. 'Well I don't care; you *have* changed. You're not the girl you were a few short weeks ago, and Mr. Goodwood will see it. I expect him here any day.'

the finest work of art — than a Greek bas-relief, than a great Titian, than a Gothic cathedral".[1] Ralph, however, has too fine a consciousness to think that he has in fact the key to such a cathedral in his pocket. Isabel would not be the rare creature she is supposed to be, if she was so simple to understand :

> His cousin was a very brilliant girl, who would take, as he said, a good deal of knowing, and his attitude towards her, though it was contemplative and critical, was not judicial. He surveyed the edifice from the outside and admired it greatly; he looked in at the windows and received an impression of proportions equally fair. He felt that he saw it only by glimpses and that he had not yet stood under the roof. The door was fastened, and though he had keys in his pocket he had a conviction that none of them would fit. She was intelligent and generous ; it was a fine free nature; but what was she going to do with herself ? This question was irregular, for with most women one had no occasion to ask it. Most women did with themselves nothing at all; they waited, in attitudes more or less gracefully passive, for a man to come that way and furnish them with a destiny. Isabel's originality was that she gave one the impression of having intentions of her own. 'Whenever she executes them', said Ralph, 'may I be there to see !'[2]

Such an original girl is capable of surprising her observers. Isabel surprises not only her aunt but also Ralph, and more than once, the second time — tragically.

Once the scene is laid and Isabel's character fully introduced through a multiplicity of points of view, through seeing and hearing and authorial comment, the action begins. James's engaging and independent[3] young heroine seems to take pleasure in making one negative decision after the other. Within a few weeks of her arrival in England, she refuses two — to most people — wonderful marriage proposals. Superficially, this might seem like a wanton show of independence and taking pleasure in one's sense of power. But a look at what we are allowed to see of Isabel's 'fine consciousness' and to hear of her conversations with both the two men concerned as well as with her aunt, Ralph and her friend, Henrietta Stackpole, will soon convince us that we are in the presence of a serious young woman who knows what she is doing.

---

(1) Ibid., p. 65.

(2) Ibid., pp. 65-6.

(3) James's own description of Isabel in the Preface to the New York edition.

> ing and indulgent, her mixture of curiosity and fastidiousness, of vivacity and indifference, her desire to look very well and to be if possible better, her determination to see, to try, to know, her combination of the delicate, desultory, flame-like spirit and the eager and personal creature of conditions : she would be an easy victim of scientific criticism if she were not intended to awaken on the reader's part an impulse more tender and more purely expectant.[1]

In fact, the reader cannot help feeling tender in the presence of such idealism, for he knows it is the idealism of youth. But even in later life its main principles would stand the owner in good stead. And Isabel did not lack admirers. Her uncle, old Mr. Touchett, is amused by her chatter. He used to think that she reminded him of his wife when she was in her teens. "It was because she was fresh and natural and quick to understand, to speak — so many characteristics of her niece — that he had fallen in love with Mrs. Touchett. He never expressed this analogy to the girl herself, however, for if Mrs. Touchett had once been like Isabel. Isabel was not at all like Mrs. Touchett,"[2] another illustration of the similarity-dissimilarity link between the two of them. In his old age, he was full of kindness for her, and "our rustling, quickly-moving, clear-voiced heroine," writes the novelist, "was as agreeable to his sense as the sound of flowing water."

It was Ralph, however, who was in rapture about this new-found cousin of his :

> 'Ah ! dear mother', Ralph exclaimed, 'one always knows what to expect of you ! You've never surprised me but once, and that's today — in presenting me with a pretty cousin whose existence I had not suspected'.
>
> 'Do you think her so very pretty?'
>
> 'Very pretty indeed ; but I don't insist upon that. It's her general air of being someone in particular that strikes me. Who and how did you make her acquaintance ?'[3]

Isabel's arrival gives his life a new interest, and he promises himself an entertainment of "a high order" in watching what she's going to do with herself: "A character like that", he said to himself — "a real little passionate force to see at play is the finest thing in nature. It's finer than

(1) Ibid., p. 53.

(2) Ibid., p. 57.

(3) Ibid., p. 43

She also liked to be thought clever, but she hated to be thought bookish. She had a great desire for knowledge,

> but she really preferred almost any source of information to the printed page; she had an immense curiosity about life and was constantly staring and wondering. She carried within her a great fund of life, and her deepest enjoyment was to feel the continuity between the movements of her soul and the agitations of the world.(1)

Later (in Chapter VI), we are told that Isabel Archer was a young person of many theories and that she was liable to the sin of self-esteem :

> Her thoughts were a tangle of vague outlines which had never been corrected by the judgement of people speaking with authority. In matters of opinion she had had her own way, and it had led her into a thousand ridiculous zigzags. At moments she discovered she was grotesquely wrong, and then she treated herself to a week of passionate humility. After this she held her head higher than ever again; for it was of no use, she had an unquenchable desire to think well of herself. She had a theory that it was only under this provision life was worth living ; that one should be one of the best, should be conscious of a fine organization (she couldn't help knowing her own organization was fine), should move in a realm of light, of natural wisdom, of happy impulse, of inspiration gracefully chronic.... The girl had a certain nobleness of imagination which rendered her a good many services and played her a great many tricks. She spent half her time in thinking of beauty and bravery and magnanimity; she had a fixed determination to regard the world as a place of brightness, of free expansion, of irresistible action : she held it must be detestable to be afraid or ashamed. She had an infinite hope that she should never do anything wrong. She had resented so strongly, after discovering them, her mere errors of feeling (the discovery always made her tremble as if she had escaped from a trap which might have caught her and smothered her) that the chance of inflicting a sensible injury upon another person only as a contingency, caused her at moments to hold her breath. That always struck her as the worst thing that could happen to her.(2)

Such is her idealism that her creator finds it incumbent on him in the course of the chapter to make two pleas for sympathetic judgement on her behalf :

> Altogether, with her meagre knowledge, her inflated ideals, her confidence at once innocent and dogmatic, her temper at once exact-

(1) Ibid., p. 34.

(2) Ibid., pp. 52-3.

'Oh Moses!' Edmund Ludlow exclaimed. 'I hope she isn't going to develop any more!' [1]

Though it throws little light on Isabel's character, the conversation contains what Barbra Hardy calls 'dramatic prefiguration.' Will not Isabel marry if not a foreigner, the next thing to one? Will she not be given a chance and all the advantages she needs? Well, what does she make of them?

However, the finest appreciation of Isabel comes from none other than the finest intelligence in the book. But before James gives us that, he allows us a glimpse of Isabel's own mind. Here in the first of her long meditations (Chapter IV), we are given some of the basic qualities of her mind or rather consciousness. One needs to quote at some length, in order to give a little of the colour of her way of thinking. She is accused of feeling 'grand' since she has had her aunt's invitation to go to Europe and she is thinking about it :

> Whether she felt grand or no, she at any rate felt different, felt as if something had happened to her. Left to herself for the evening she sat a while under the lamp, her hands empty, her usual avocations unheeded. Then she rose and moved about the room, and from one room to another, preferring the places where the vague lamplight expired. She was restless and even agitated; at moments she trembled a little. The importance of what had happened was out of proportion to its appearance; there had really been a change in her life. What it would bring with it was as yet extremely indefinite; but Isabel was in a situation that gave a value to any change. She had a desire to leave the past behind her and, as she said to herself, to begin afresh. This desire indeed was not a birth of the present occasion; it was as familiar as the sound of rain upon the window and it had led to her beginning afresh a great many times. She closed her eyes as she sat in one of the dusky corners of the quiet parlour; but it was not with a desire for dozing forgetfulness. It was on the contrary because she felt too wide-eyed and wished to check the sense of seeing too many things at once. Her imagination was by habit ridiculously active; when the door was not open it jumped out of the window. She was not accustomed indeed to keep it behind bolts; and at important moments, when she would have been thankful to make use of her judgement alone, she paid the penalty of having given undue encouragement to the faculty of seeing without judging.[2]

As we can see, Isabel is in a mood of self-criticism. She is a romantic girl, with too much imagination, but she is fully aware of her romanticism.

---

(1) Ibid.

(2) Ibid., pp. 31-2.

She is one of the main characters who push Isabel's carriage. Barbra Hardy is right when she claims that "details, which might be gratuitous in another novel, have a density of reference, a large irony, a symbolic weight, when they make their appearance in *The Portrait of a Lady*." [1]

Now if in Chapter III, we see Isabel via her aunt, in the next chapter we see her through the eyes of both her sister and her brother-in-law. Mr. and Mrs. Ludlow hold opposite views of their sister and James makes full use of the juxtaposition. Mrs. Ludlow thinks very highly of her sister : "The two things in life of which she was most distinctly conscious were her husband's force in argûment and her sister Isabel's originality." [2]

Though Lilian's view of her sister seems complimentary and her husband's the opposite, they are both rather stupid estimates of Isabel's character, as we see from the following conversation :

> 'I want to see her safely married—that's what I want to see,' she frequently noted to her husband.
>
> 'Well, I must say I should have no particular desire to marry her,' Edmund Ludlow was accustomed to answer in an extremely audible tone.
>
> 'I know you say that for argument; you always take the opposite ground. I don't know what you've against her except that she's so original.'
>
> 'Well, I don't like originals. I like translations,' Mr. Ludlow had more than once replied. 'Isabel is written in a foreign tongue. I can't make her out. She ought to marry an Armenian or a Portuguese.'
>
> 'That's just what I'm afraid she'll do!' cried Lilian, who thought Isabel capable of anything. [3]

Later on, when the conversation turns on her aunt's taking her abroad, we get the same difference of opinion,

> 'Well, she ought to go abroad,' said Mrs. Ludlow. 'She's just the person to go abroad.'
>
> 'And you want the old lady to take her, is that it ?'
>
> 'She has offered to take her—she's dying to have Isabel go. But what I want her to do when she gets her there is to give her all the advantages. I'm sure all we've got to do,' said Mrs. Ludlow, 'is to give her a chance.'
>
> 'A chance for what ?'
>
> 'A chance to develop.'

---

(1) *The Appropriate From*, 1964, p. 15.

(2) *The Portrait of a Lady*, p. 29.

(3) Ibid., p. 30.

time for Mrs. Touchett to decide on going to America", Isabel listens eagerly "Her face was full of pain and wonder". 'My aunt does that at fixed periods and lets nothing turn her aside. When the date comes round she starts; I think she'd have started if Ralph had been dying.' Lord Warburton's answer, 'I sometimes think he is dying' [1] puts the last touch to this glimpse of Mrs. Touchett's character. We cannot help putting this side by side with the loving interest Isabel takes in her poor stepdaughter. The contrast between their attitudes to marriage will be even greater. Mrs. Touchett 'was virtually separated from her husband',

> It had become clear, at an early stage of their community, tha they should never desire the same thing at the same moment, antd this *appearance*[2] had prompted her to rescue disagreement from the *vulgar realm of accident*. She did what she could to erect it into a law—a much more edifying aspect of it—by going to live in Florence, where she bought a house and established herself; and leaving her husband to take care of the English branch of his bank. This arrangement greatly pleased her; it was so *felicitously* definite. It struck her husband in the same light, in a foggy square in London, where it was at times the most definite fact he discerned; but he would have preferred that such unnatural things should have a greater vagueness. To agree to disagree had cost him an effort; he was ready to agree to almost anything but that, and saw no reason why either assent or dissent should be so terribly consistent.

His wife, on the other hand, indulged in no regrets or speculations, but during her yearly one-month stay with her husband, "she apparently took pains to convince him that she had adopted the right system".[3]

The relevance and significance of Mrs. Touchett's views on marriage will be fully realized only later when we begin to see Isabel's and are unobtrusively steered by the novelist to make a comparison between them. Another thing to notice is that James makes no secret of his attitude towards Mrs. Touchett's views and conduct. He does not, of course, do this by direct commentary, he is too good an artist for that, but dramatically through action and dialogue as we have seen. Many more examples can be found. Almost to the very end, James hardly relaxes the stiff tone he adopts towards her. He is aware, it should, perhaps, be pointed out, of her honesty, but what he misses is a certain human richness. What we have been trying to point out is that through Mrs. Touchett we see Isabel.

(1) Ibid., p. 415-6.

(2) Italics mine. The italicized words being the vehicles of the irony.

(3) *Portrait of a Lady*, pp. 19-20.

The idea of the value of people's sorrow, or suffering' as it is later described in the case of Isabel's own experience, remains part of Isabel's creed—a part which is not shared by her aunt—though being human, Isabel also, values happiness. As we shall see she also believes the world to be a place of light and free expansion.

There seems to be two strains to Isabel's romantic idealism : the light novel-reading-young-lady strain; so beautifully satirized by Jane Austen in *Northanger Abbey*—and the more serious 'tormenting' strain, the one so tragically illustrated by her choice of Osmond for a husband, no less than by her final decision to return to him.

One of Isabel's qualities that her aunt tolerates, and that, structurally establishes the link between them, a link that works by parallelism here but is later to work more forcibly by contrast, is Isabel's love of her own way "You're fond of your own way; but it is not for me to blame you," says Mrs. Touchett. It is also worthy of note that this is a thing—a principle of her creed—that she would sacrifice for the sake of another—presumably a more important one—that of seeing the world and seeking experience : "And yet, to go to Florence," the girl exclaimed in a moment, "I'd promise almost anything!" (1)

It seems to me that James is subtly intent on establishing this link between niece and aunt. I don't believe it is sufficiently noticed how well James uses the simplest devices of style to convey meaning. A relevant example here is the almost identical beginnings of chapters III and IV. The first deals with the aunt and runs thus : "Mrs Touchett was certainly a person of many oddities...." The second deals with the niece and follows almost the same pattern : "Isabel Archer was a young person of many theories..." One of Mrs. Touchett's oddities, we go on to read, is her view of marital relations and family life, which later, James contrasts deliberately, I believe, to that of Isabel. When Mrs. Touchett comes to pay her husband and son a 'visit' after a year's absence, she asks to see her son at a quarter to seven, exactly, and keeps her husband waiting until dinner time, the only concession she makes for his impatience is about a quarter of an hour. When her son is seriously ill at the end of the novel, she will not be deterred from paying her routine visit to America. When Lord Warburton expresses his surprise, "I think it was a most extraordinary

---

(1) Ibid. ,p. 27.

traditionally, no one knew why, the office." Then follows a highly concrete as well as highly symbolical description of this favourite haunt of Isabel's :

> Whose office it had been and at what period it had flourished, she never learned; it was enough for her that it contained an echo and a pleasant musty smell and that it was a chamber of disgrace for old pieces of furniture whose infirmities were not always apparent (so that the disgrace seemed unmerited and rendered them victims of injustice) and with which, in the manner of children, she had established relations almost human, certainly dramatic....The place owed much of its mysterious melancholy to the fact that it was properly entered from the second door of the house, the door that had been condemned, and that it was secured with bolts which a particularly slender little girl found it impossible to slide. She knew that this silent motionless portal opened into the street; if the sidelights had not been filled with green paper she might have looked out upon the little brown stoop and the well-worn brick pavement. But she had no wish to look out, for this would have interfered with a theory that there was a strange unseen place on the other side—a place which became to a child's imagination, according to its different moods, a region of delight or terror.(1)

It was in this 'office', we are told, that Isabel was sitting on that melancholy afternoon, when her aunt came to see her. The ambiguity of the adjective 'melancholy' as well as of so many other details of the description of the 'office' —its being a place of disgrace, its being 'secured with bolts', its being shut off from the street—achieves full significance later on in the novel, when Isabel, for example, chooses Osmond of all her suitors or when almost at the very end of the novel, Isabel wonders whether, if her aunt had not paid her that visit, she would not have had a different life.

From the beginning Isabel is shown as romantic, idealistic, theoretic. At the end of her story she may be less romantic, certainly less theoretic, her idealism bearing the marks of her sad experience, but she remains idealistic to the last.

During the conversation with her aunt, she tells her that she likes places where things have happened—'even if they're sad things.'

> '... A great many people have died here; the place has been full of life.'
>
> 'Is that what you call being full of life?'
>
> 'I mean full of experience—of people's feelings and sorrows. And not of their sorrows only, for I've been very happy here as a child.'(2)

(1) Ibid., pp. 22-3.

(2) Ibid., p. 26.

> turned itself easily this was and that, in sympathy with the alertness with which she evidently caught impressions. Her impressions were numerous, and they were all reflected in a clear still smile. I've never seen anything so beautiful as this.(1)

Having listened to the well-known conversation between the visitor and her cousin about her not being 'a candidate for adoption,' Lord Warburton expresses his impression of her by addressing the latter in this way :

'You wished a while ago to see my idea of an interesting woman. There it is !'

In the next three chapters we see Isabel largely as seen by other people : Mrs. Touchett, Mrs. Ludlow, Isabel's sister and her husband, and Ralph as the first word of each of these chapters indicates.

Her aunt has no illusions about her. She immediately perceives when she goes to pay her an unexpected visit on a wet afternoon, and finds her sitting alone in the office, reading a German book and 'boring herself to death', that she is intelligent, interesting and would do her credit. But she realizes that she has very little knowledge of the world. Twice she tells her aunt that she 'knows nothing about money.' She offers to take her to Europe and Isabel who has always dreamt of seeing the world and meeting people, and who, as a rule, would not dream of doing 'everything she's told', would promise even that, to go to Florence.

To allow the reader to get a better view of his heroine, the novelist presents her both dramatically and through authorial commentary. James also has a genius for recreating places, particularly the interior of rooms. In this third chapter of the novel, much of what we get to know about Isabel as well as much foreshadowing is conveyed through the glimpse we are given of the 'office'. Isabel loved reading : "The foundation of her knowledge was really laid in the idleness of her grandmother's house, where, as most of the other inmates were not reading people, she had uncontrolled use of a library full of books with frontispieces, which she used to climb on a chair to get down. When she had found one to her taste—and she was guided in the selection chiefly by the frontispiece—she carried it into a mysterious appartment which lay beyond the library and which was called,

(1) Ibid., pp. 15-16.

The broad humour is James's way of showing us how independent American girls in general were regarded. They don't seeem to give much thought to' their being engaged, which is presumably part of the independence of the American young women.

The conversation not only introduces two of the main themes of the novel, but also lays the scene, morally speaking, for the introduction of the heroine. The ironical overtones of some of the remarks made have been often pointed out. Will Lord Warburton make a good husband? Is the niece worth trying on? One is bound to remember these things later on.

However, except for two ironical remarks made by Lord Warburton, while Isabel is still at a distance, all humour and irony completely disappear, when, she is actually on the scene.

Isabel is seen to be, in fact, independent, but she is many other things besides. She immediately captures the interest and admiration or all three men. Henry James works by contrast. Isabel seems largely different not only from the general idea of American girls, but also from her independent aunt. Of course she possesses all the qualities which James regards as constituting the superiority of the American girl, but she possesses them in a way which is peculiarly her own.

As she makes her appearance in the ample doorway, Ralph notes that she is unexpecteuly pretty, that she has a great deal of confidence and that she was looking at everything with an eye that denoted clear perception.The old man places his two hands on her shoulders, looks at her for amoment with extreme benevolence and then gallantly kisses her. A moment later, he is heard to say,

'Oh, I'm an old man, my dear; it's time for me to be old. But I shall be the better for having you here.' (1)

We are allowed to see and hear how she impressed her companions.

> She had been looking all round her again — at the lawn, the areat trèes, the reedy, silvery Thames, the beautiful old house; cnd while engaged in this survey she had made room in it for her gompanions; a comprehensiveness of observation easily conceivable on the part of a young woman who was evidently both intelligent and excited. She had seated herself and had put away the little dog; her white hands, in her lap, were folded upon her black dress; her head was erect, her eye lighted, her flexible figure

---

(1) Ibid., p. 15.

'Whatever else it means, it's pretty sure to mean that,' Mr. Touchett remarked.

'You'll see for yourself,' said Lord Warburton. 'When does Mrs. Touchett arrive?'

'We're quite in the dark ; as soon as she can find a decent cabin. She may be waiting for it yet ; on the other hand she may have already disembarked in England'.

'In that case she would probably have telegraphed you.'

'She never telegraphs when you would expect it—only when you don't,' said the old man. 'She likes to drop on me suddenly; she thinks she'll find medoing something wrong. She has never done so yet, but she's not discouraged.'

'It's her share in the family trait, the independence she speaks of.' Her son's appreciation of the matter was more favourable. 'Whatever the high spirit of those young ladies may be, her own is a match for it. She likes to do everything for herself and has no belief in any one's power to help her. She thinks me of no more use than a postage-stamp without gum, and so would never forgive me if I should presume to go to Liverpool to meet her.' (1

The conversation then reverts to the niece, when Lord Warburton asks that he should at least be told when she arrives. Mr. Touchett replies,

'Only on the condition I've mentioned—that you don't fall in love with her'.

'That strikes me as hard. Don't you think me good enough?'

'I think you too good—because I shouldn't like her to marry you. She hasn't come here to look for a husband, I hope ; so many young ladies are doing that, as if there were no good ones at home. Then she's probably engaged; American girls are usually engaged, I believe. Moreover I'm not sure, after all, that you'd be a remarkable husband.,

'Very likely she's engaged; I've known a good many American girls, and they always were ; but I could never see that it made any difference, upon my word ! As for my being a good husband,' Mr. Touchett's visitor pursued, 'I'm not sure of that either. One can but try.'

'Try as much as you please, but don't try on my niece,' smiled the old man, whose opposition to the idea was broadly humorous.

'Ah,well,' said Lord Warburton with a humour broader still, 'perhaps, after all, she's not worth trying on!' (2)

---

(1) Ibid., pp. 10-11.

(2) Ibid., p. 11.

'If I marry an interesting woman I shall be interested : is that what you say ?' Lord Warburton asked. 'I'm not at all keen about marrying—your son misrepresented me; but there's no knowing what an interesting woman might do with me'.

'I should like to see your idea of an interesting woman', said his friend.

'My dear fellow, you can 't see ideas — especially such highly ethereal ones as mine. If I could only see it myself — that would be a great step in advance' :

'Well you may fall in love with whomsoever you please; but must'nt fall in love with my niece', said the old man.(1)

In the above part of the conversation, and amidst the levity of the things said by the two young men, there emerges the old man's faith in women and marriage, despite his own unsuccessful marriage, and the importance of making a difference between women in this respect. The relevance of Mr. Touchett's views about marriage to Isabel Archer's story will become clear later. The relavance of the idea of an interesting woman is made clear almost immediately, but not before another of the central themes of the novel is put forward. The niece, against falling in love with whom, Lord Warburton is warned, is said to be 'independent'.

Her name ambiguously coupled with the word, had been mentioned in Mrs. Touchett's telegram from America. The three men spend some time trying to decide what the word really means. The broadly humorous tone of the conversation at this point need hardly be pointed out. What should perhaps, be pointed out is how much of the humour attaches itself to the character of the also-independent aunt. Mrs. Touchett's telegram ran thus; "Changed hotel, very bad, impudent clerk, address here. Taken sister's girl, died last year, go to Europe, two sisters, quite independent". In comment Ralph says :

> ...'We thought at first that the sister mentioned might be the sister of the clerk, but the subsequent mention of a niece seems to prove that the allusion is to one of my aunts. Then there was a question as to who the two other sisters were ; they are probably two of my late aunt's daughters. But who's "quite independent" and in what sense is the term used ? That point's not yet settled. Does the expression apply more particularly to the young lady my mother has adopted, or does it characterize her sisters equally ?— and is it used in a moral or in a financial sense? Does it mean that they've been left well off, or that they wish to be under no obligations? or does ot simply mean that they're fond of their own way?'

---

(1) *The Portrait of a Lady*, reference to the World's Classics, 1962 edition, pp. 8-9.

One does not need to spend much time on our first introduction to the heroine of *The Portrait of a Lady*. James's masterly presentation of his charming and independent heroine has been sufficiently noted by critics. Only two points need to be dwelt upon here, because they have not, in my opinion, received the attention they deserve. The importance of both the apparently casual and humorous way in which the subject of marriage and pretty women is touched upon in the conversation in the first chapter in the novel, and the definite change of tone from the moment Isabel appears on the scene still needs to be brought out. And to do this I need to quote the first two chapters at some length.

Before Isabel's name is even mentioned in the novel, we are introduced to three men having their tea on the lawn at Gardencourt, on a mellow summer afternoon. The three men are Mr. Touchett, an old American banker who has been living in England for thirty years, his son Ralph and Lord Warburton, an English nobleman and old friend of Ralph's. They are conversing leisurely.

Lord Warburton is bored, says Ralph. He's bored, retorts Mr. Touchett, because he's too rich and too indolent. The conversation then touches on the impending political 'change' and the necessity of 'taking hold' of something. Lord Warburton remarks :

> '...One hesitates to take hold of a thing that may the next moment be knocked sky-high'.
>
> 'You ought to take hold of a pretty woman', said his companion. 'He's trying hard to fall in love', he added by way of explanation, to his father.
>
> 'The pretty women themselves may be sent flying !' Lord Warburton exclaimed.
>
> 'No, no, they'll be firm', the old man rejoined ; they'll not be affected by the social and political changes I just referred to'.
>
> 'You mean they won't be abolished ? Very well, then, I'll lay hand on one as soon as possible and tie her round my neck as a life-preserver'.
>
> 'The ladies will save us', said the old man ; 'that is the best of them will — for I make a difference between them. Make up to a good one and marry her, and your life will become much more interesting'.
>
> A momentary silence marked perhaps on the part of his auditors a sense of the magnanimity of his speech, for it was a secret neither for his son nor for his visitor that his own experiment in matrimony had not been a happy one. As he said, however, he made a difference ; and these words may have been intended as a confession of personal error; though of course it was not in place for either of his companions to remark that apparently the lady of his choice had not been one of the bets.

A close examination of James's rendering of his heroine's character will reveal that some aspects of her intellectual and moral make-up have been overemphasized while others have been rather neglected or even completely ignored. As a result of the emphasis laid on her independence in the early chapters of the novel, some readers tend to forget that there is a great deal more to her character than just that. Consequently, they will be at a loss when they find her behaving later on in a way which seems to them inconsistent and not at all 'in character'.

So much has been made of Isabel's 'love of freedom', her being 'fond of her own way' and her refusal 'to have things settled for her', that few critics have taken the trouble to examine the quality of her independence in relation to other varieties of independence in the novel or in relation to her strong moral sense, her passionate desire to do what is right and her total acceptance of her fate.

Much of this is conveyed structurally, through a pattern of parallelism and contrast, together with a masterly use of the point of view. Not only does James supply a variety of independent women characters, ranging from Mrs. Touchett and Henrietta Stackpole to Madame Merle and the Countess Gemini, but through a perfectly controlled tone, he conveys the subtle differences in the quality of, and attitude towards these varieties. James also makes excellent use of the responses of four intelligent men of varying degrees of refinement and good taste to convey to the reader the nature of Isabel's charm and fineness and especially her being 'some one in particular'.

It is also relevant to examine the slow but definite change which Isabel undergoes in the course of the novel, not only during the period between her realization of the failure of her marriage and the moment at the end of the novel, when freeing herself from Caspar Goodwood's passionate embrace, she is shown, after a moment's hesitation, to know where to turn. 'There was a very straight path', but much earlier. This change becomes increasingly noticeable to her friends, Ralph, Henrietta and Caspar Goodwood, and is admitted by Isabel herself. James's constant but unobtrusive preoccupation with the problem of the passing of time, illustrated by the many references to the number of years, the month, the season of the year and the ages of some of the charcters, seems to be closely related to this.

> I've heard it seriously argued that Isabel 'could after all have done something else' —walked out into freedom (Like Nora in *A Doll's House*, presumably), or gone in for charitable works (Like Dorothea Brooke in *Middlemarch*), or even perhaps taken a degree and become a pioneer in women's education, or whatever. The short answer to these bracing proposals is that Isabel Archer could have done none of these things Her circumstances, historical, psychological and dramatic—in particular the dramatic—absolutely proscribe any 'end' to her life other than marriage, and any duties, responsibilites or even serious interests other than those belonging to or arising out of that state. This is part of James's *donnée* in the story ; and to intrude other, extrinsic possibilities—or, rather, pseudo-possibilities—is to fall into vicious abstractionism that is fatal to literary criticism.

To those who take too emancipated a view of the marriagebond and the 'naturalness' of divorce, she insists that "what we know of Isabel Archer's nature and of her view of marriage (as distinct from that of her modern critics) makes it abundantly clear that divorce would be for her the least natural form of deliverance form her predicament".[1]

The writer then points out that apart from the special motive of going back to Osmond provided by Pansy and Pansy's need of her, we are expected to remember that loyalty or 'devotion' was a conspicuous element of Isabel's nature. No less important is her view of marriage. But her deepest and most decisive reason for going back, claims Dr. Krook, is Isabel's knowledge of the degree in which she herself is responsible for Osmond's self-deception about her, and the extent therefore to which she contributed to the failure of her marriage.[2]

Dr. Krook is right about Isabel's awareness of her share of moral responsibility, though this is not perhaps the result of her having been 'hypocritical' as Isabel herself puts it, as for having committed such a grave error of judgement. Whatever deception she may have practised had been unconscious. Dr. Krook makes a good, though not an exhaustive defence of Isabel's return to Osmond. There is still room for more work in this area.

---

(1) Ibid., p. 358.

(2) See Ibid., p. 360.

Kettle's use of the words 'life' and 'death' and his pointing out what he regards as the 'symbolic quality' of the novel prepares us for his attempt to carry the argument to a social and philosophic level. Arguing from an anti-bourgeois viewpoint, he says,' 'It seems to me inescapable that what Isabel finally chooses is something represneted by a high cold word like duty or resignation, the duty of an empty vow, the resignation of the defeated, and that in making her choice she is paying a final sacrificial tribute to her own ruined conception of freedom". What he seems to be blaming James for is that "though he sees the tragedy implicit in the Victorian ruling-class view of freedom, is himself so deeply involved in that illusion that he cannot escape from it"[1]. His conclusion is that James's books are tragedies "precisely because the subject is the smashing of the bourgeois illusion of freedom in the consciousness of characters who are unable to conceive of freedom in any other way"[2]. What Kettle regretfully implies is that Isabel's fate has a kind of glory to it, which it should not have :

"...when Isabel takes her decision to return to Rome the dominant sense is not of the waste and degradation of a splendid spirit, but of a kind of inverted triumph"[3].

The question one would like to ask in face of such a brilliant analysis is : "Is this, in fact, our undoubted sense in the presence of Isabel's brave but tortured decision to return to her husband?" One of the points we hope to emphasize in the course of this paper is the complete disillusionment of the heroine of the novel. Isabel goes back a humiliated but chastened woman—humiliated and chastened by her attained knowledge and by her suffering.

One of the best defences of the novel has been made by Dorothea Krook. She begins by stating that the problem of why Isabel goes back to her husband has been somewhat artificially created by a failure in critical perspective which arises from a disposition to ignore or minimize the context, historical and dratic, in which Isabel Archer's decision is made.[4] She then proceeds to pour scorn on the fatuous questions asked by some critics of the novel :

(1) Ibid., p. 31-2.
(2) Ibid., p. 32.
(3) Ibid., p. 34.
(4) *The Ordeal of Consciousness in Henry James*, Cambridge University Press, Cambridge, 1962, p. 357.

issue. As for this particular critic's assumption that James was as shackled by the conventions of his age as other Victorian critics, this would need a whole paper to refute. In keeping with her line of argument, she finds no "leak" or commonness in interest, as regards form in the novel, but she is disappointed in James's "human conclusions". This is a pitfall of novel criticism, which James himself tried to warn both novelists and critics against. Form and content are inseparable in a novel as much as in any other form of art. A neglect of this would amount to a betrayal of the sacred office on the part of the prophet of Life and Art as James is often described and should be seen.

Arnold Kettle, a more important critic, seems to make a more serious criticism of the novel. He perceives its technical excellence, "a habit of perfection", "a certainty and poise, which is quite different from the merits and power" of other English novels. But he, too, is critical of the content of the book. "Is not the accumulated effect of the novel to present human destiny as inexorably one of suffering and despair ?"(1) he asked.

This is how he argues the point :

> Our final judgement must depend on the climax – the famous ending of the book. It is from this ultimate impression that we shall have to decide whether James indeed plays fair with Isabel and us, whether he reveals in full profundity and (in the least cold sense of the word) objectivity a tragic situation or whether there is a certain sleight of hand, the putting across not of life but of something which merely for the moment passes for life.(2)

Then he goes on to ask, "Is Isabel's return to Osmond irrevocable, an acceptance now and for ever of her 'destiny', or is it tentative, no ending, the situation unresolved ?" Referring to what both James and Matthiessen have to say about this question, he holds that "although the ending of the novel does not completely and irrevocably round off the story — the possibility of Isabel's later reconsidering her decision is not excluded — yet the dominant impression is undoubtedly that of the deliberate rejection of 'life' (as offered by Caspar Goodwood) in favour of death, as represented by the situation in Rome".(3)

(1) *An Introduction to the English Novel*, Vol II, 1957, p. 13.

(2) Ibid., p. 29.

(3) Ibid., p. 30.

James believes, he concludes, that the arbitrary circle of art should stimulate such speculations beyond its confines, and thus create also the illusion ofa wider life. How far this is relevant to a judgement of the given end of the novel is a debatable point. James's own words regarding the end of *The Portrait of a Lady* not only anticipate but aim at putting an end to such unnecessary speculation. His vindication of the end of the novel is well worth quoting:

> With strong handling it seems to me that it may all be very true, very powerful, very touching. The obvious criticism of course will be that it is not finished—that it has not seen the heroine to the end of the situation—that I have left her *en l'air*. That is both true and false. The *whole* of anything is never told; you can only take what groups together. What I have done has that unity — it groups together. It is complete in itself—and the rest may be taken up or not, later.(1)

Elizabeth Drew, representing another group of critics, also, sees that the conclusion is "consistent with what has gone before and makes the story complete in itself". Yet she goes on to ask with regard Isabel's return to her husband and resignation to what she describes as 'matrimonial slavery' :

"But does anyone with 'a great fund of life' in her, meet such a situation so passively, and accept suffering without action as her final fate ?"(2) What follows seems to be the answer :

> We must not of course, apply contemporary social standards to a book written in 1881, or think of Isabel as a modern girl. The conventions of his day shackled James as much as they did other Victorian writers.

What such critics do not seem to realize is that they are violating one of the basic tenets of novel criticism. A character in a novel should be judged in relation to the situation in the novel itself and not in relation to the historical context or to our personal view of some social or moral

---

(1) *The Notebooks of Henry James*, ed., F.O. Matthiessen and Kenneth B. Murdock, New York and London, 1947, p.

(2) *The Novel : A Modern Guide to Fifteen English Masterpieces*, New York, 1963. Refer-Reference to *Henry James : The Portrait of a Lady. A Collection of Critical Essays*, ed. A. Ayouti, Anglo Egyptian Bookshop, Cairo, n.d. p. 56.

In this paper we propose to show, by a close examination of the text, that given the kind of person Isabel really was, together with the kind of person she became under the impact of her sad experience, whether her decision to return to her husband was not, in fact, the only conceivable one, and whether in accepting to suffer, she was not being true to her own "tormenting ideal". We also hope to show how Henry James has used all the resources of his novel technique for the purpose of rendering Isabel's story as truthfully as he sees it. Before doing so, however, it may be useful to survey briefly some of the recurrent complaints against the novel, and the grounds on which they are based.

F.O. Matthiessen states that "it has recently been assumed that James believed entirely in the rightness of his heroine's conduct, and since our age no longer feels as he – and she – did about the strictness of the marriage vow, we can no longer respond to the book except as a period piece."(1) By way of comment, he adds, "But this is to misread not only the ending but all of James's own 'characteristic characterization' of Isabel."(2) He seems to believe, however, that Isabel's conduct at the end of the novel is part and parcel of "the weakness that she exposed to Europe, " and that James "could hardly have made a more lucid summary of." She continues, he seems to think, to do the wrong thing for the right reasons—having, as Ralph puts it—"too much conscience"—a peculiarly American complication in the romantic temperament. Matthiessen interestingly suggests that Isabel's conduct is also in keeping with "James' whole conception of the discipline of suffering."(3) Having made a careful study of James's revisions in the novel, he points out that, "The inevitability of her lot is made more binding in the revision."(4) Strangely enough, he goes on to suggest that her return to Rome was not, perhaps, "the last word". The end of Isabel's career is not yet in sight". He argues that the reader must weigh for himself what is likely to lie ahead in her relation with Osmond :

> It may be that, as Isabel herself conjectures, he may finally 'take her money and let her go.' It may be that once she has found a husband for Pansy, she will feel that she no longer has to remain in Rome.

---

(1) *The Major Phase*, Oxford University Press, 1946, pp. 182-3.

(2) Ibid., p. 183.

(3) Ibid., p. 184.

(4) Ibid., p. 186.

ISABEL ARCHER AND THE TORMENTING IDEAL*
THE PORTRAIT OF A LADY RE-EXAMINED

By
ANGELE BOTROS SAMAAN

Though widely regarded as the masterpiece of Henry James's early period and one of the major novels in English, *The Portrait of a Lady* continues to be a subject of controversy. Most serious critics agree that the novel is a great achievement and its heroine a charming and perfectly rendered character. F.R. Leavis, for example, regards *The Portrait of a Lady* as "a great novel" and "one of the two most brilliant novels in the language", the other being *The Bostonians*. In Isabel Archer he recognizes "a real superiority", despite what he considers "a large measure of idealization". "Nevertheless", he concludes, "the idealization stands for a true fineness, worthily imagined by James."(1)

D.W. Jefferson holds that *The Portrait of a Lady* is "now sufficiently recognized as a tragic novel of the first order, and Isabel Archer is for modern readers one of the most significant and appealing of heroines."(2)

Nevertheless, there has been a considerable amount of criticism not only of the end of the novel but also — and essentially as a result of a refusal to accept the rightness of this end — of Isabel's character and of James's view of his heroine. How can the 'independent' girl, that Isabel is supposed to be, become so conventional ? How can she go back to her husband, only to spend the rest of her life in misery and suffering ? And is her return to Rome really irrevocable ? These are some of the questions put by some readers and critics.

---

* Title derived from T.S. Eliot's definition of James's romanticism as issuing from "the imperative insistence of an ideal which tormented him" and which we believe Isabel shared with her creator. See T.S. Eliot, "A Prediction," *Henry James, A Collection of Essays*, ed., Leon Edel, New York, 1963, p. 56.

(1) *The Great Tradition*, 1960, p. 147.

(2) *Henry James*, 1960, p. 36.

Faustus is gone : regard his hellish fall,
Whose fiendful fortune may exhort the wise
Only to wonder at unlawful things,
Whose deepness doth encite such forward wits,
To practice more than heavenly power permits.

(11. 4 ff.)

Such a statement does not see that the whole point with this kind of drama (or verse narrative for that matter) is its historicity-the fact that it had actually happened. The audience, like Oedipus's audience, knew the story, and in this foreknowledge lies the strength of the example. French pointing out what seems to him the stupidity of the play really puts his finger on what is actually its very strength :

> Thus we are to see his fate as something which we know, and which he could know too if he would but open his eyes, to be unavoidable.(1)

This is the whole point, that we *as audience* should see his fate as unavoidable. This is the same point where those who demand a psychological development of Faustus's feeling, miss. Cleanth Brook's definition of the middle which he finds lacking in Faustus is according to this view of the play beside the point. He defines the middle as

> the experience that do change Faustus's mind so that in the end he knows what hell is and has become accommodated to it, now truly damned(2).

The middle, however, in an Elizabethan "Tragicall History" is the experience that does change the *audience's* mind so that in the end they see the truth of the prologue's simple statement and believe the epilogue's final judgment. This is a form of art that is primarily didactic. That it has fallen out of repute with the evolution of the neo–classical tragedy and the nineteenth century so–called tragedies, is balanced by the fact that it is with us again, for better or for worse, in the works of Brecht, Max Frish and Peter Weiss. It is with us in political musical such as *U.S.* and *O What a Lovely War*. It is with us in many of the B.B.C. 2 comic sketches. It is surprising how Marlowe anticipated the same sort of debunking technique throu-gh his pattern of serious scenes followed by a parody of each, or serious utterances followed by a joke, which this modern school of drama has arrived at. A.L. French was absolutely right when he said that Marlowe's irony.

> is so utterly reductive that there is no thing for us to respect or feel for.

But far from this being a definition of failure, it is the very theme of the play. not to feel for Faustus, but assent heartily with the Chorus's Epilogue :

---

(2) Cleanth Brock., "The Unity of Marlowe's Faustus", *op. cit.*, p. 220.

My suggestion is that the play was neither written as a tragedy nor as a Morality but as its title literally tells us *The Tragicall History of ...* The term "Tragedy"and "Tragicall History" had in the Renaissance a definite meaning. In England in the latter half of the sixteenth century they were almost synonymous since the tragic figure by definition had to be historical. And the function of the so-called tragedy had nothing of Aristotle's catharsis nor of what C.L. Knights mentions of the freedom that is "concomitant of acceptance with reality" as quoted above. From Sydney in the early 1580(1) to Heywood(2) three decades later, tragedy was to teach people to be good and shun evil. Marlowe's *Doctor Faustus* is nearer to this concept than any other major play of the period. It is written in the spirit in which *The Mirror for Magistrates*, whose stories are all tragedies and all historical, was written.

> For here as in a loking glas, you shall see (if any
> vice be in you) how the like hath bene punished in
> other heretofore whereby admonished, I trust it will
> be a good occasion to move you to the soner amendment.
> This is the chiefest ende, whye it is set furth, which
> God graunt it may attayne.(3)

A.L. French's comments on the prologue's speech in which we are told a summary of the story shows how one can go off the track by not realising the main function of the "Tragicall History" :

> We hear this [the summary] right at the beginning,
> and it is in the past tense ; so that everything which
> happens in the body of the play is merely the working
> out of a predestined fall ; and even if Faustus's attempts
> at contrition were enormously stronger than Marlowe has
> made them, we'd still know that nothing could ever come
> of them.(4)

---

(1) "If evil men come to the stage, they ever go out...so manacled as they little animate folks to follow them". *An Apologie for poetry*, ed. Geoffrey Shepherd, 1965, p. 111.

(2) The Tragic muse justifies herse lf in these words : "That held in awe tyrants of the world,/And playde their liues in publicke Theaters, Making them feare to sinne, since fearlesse I,/Prepar 'd to wryte their liues in Crimson Inke,/And act their shames in eye of the world?. *An Apology for Actors, containing briefe Tratises*, 1612, sig. B2.

(3) "Baldwin's Dedication", *The Mirror for Magistrates*, ed. Lily B. Campbell, Cambridge, 1938, pp. 63—66.

(4) French, *op. cit.*, p. 139.

(5) *Id.*

> If Marlowe is being ironical at all, his irony is so utterly reductive that there it nothing left for us to respect or feel for. We may no longer believe that tragic heroes .... ought to be faultless, but there must surely be some limit to their folly.[1]

The answer to this, again like the answer to all that went before, is that the *Tragicall History of Doctor Faustus* is not a tragedy in the Shakespearean sense (though I wonder whether Mr. French finds a limit to Lear's folly).

Many writers have already found in the play elements that make it nearer a morality than a tragedy-at least they point out "the appearance of the good and bad angels" and "the anonymous Old Man, the 'good council' of many an earlier play". They also point out the elaborate staging used for the descent of the devils at the end of the play and the horrors of hell made visible in an "ever-burning chaire",[2]all of which are familiar elements of the Moralities of the later age. Douglas Cole, finds as well echoes in Marlowe of the "damnation theme that characterises the mystery cycles"[3]

As a morality, the comic scenes would need no justification for, as Cole says, "there is a long tradition of associating evil with comedy in Medieval arts and letters".[4]In support of this Brockbank tells us about the double image of the devil, one defiant and the other comic, and quotes "An early instance in the North Town Fall of Lucifer" :

> at one point Lucifer occupies the throne of God and 'Above sunne and mone and starrys on high' commands the reverence of angels and men ; but the moment he tumbles from Heaven he becomes a comic figure bent on blowing out the fire of hell with his own wind.[5]

This in part can explain *Dr. Faustus*, but it leaves one criticism unanswered, which is that at certain moments Faustus speaks and feels more intensely than any morality figure does. Certainly the tone of his last agonizing speech is out of tune with the placid and even comedy ending of the Morality.[6]

---

(1) A.L. French, *op. cit.*, p. 135.

(2) See Boas, *Christopher Marlowe*, Oxford, 1940, p. 211, and W.W. Greg, *parallel Texts*, *op. cit.*, pp. 130—132.

(3) D. Cole, *op. cit.*, pp. 12—13.

(4) *Ibid.*, p. 14.

(5) Brockbank, *Marlowe : Dr. Faustus*, 1962, p. 20.

(6) See Greg, *parallel Trxts*, *op. cit.*, p. 131—132.

because his characters never give us the impression that "this is a real person, and this is how he and only he would act". Surely we must realize that Marlowe does not want to limit his theme to how "he, and only he" would act. And unfortunstely this is not an attitude that reflects the thirties only, for up till 1968, R. Ornstein objects to the lack of psychological development in Faustus :

> Faustus's spiritual struggles .... might have provided an essential core of psychological and moral action
> between the first and last acts. But though Marlowe
> superbly portrays his hero on the heights of aspiration
> and in the depths of despair, he does not trace the path
> which leads Faustus from one spiritual extreme to the
> other. He is not interested in, or perhaps capable of
> depicting psychological nuances and processes.(1)

Certainly all this-and we hear much of it-is the result of reading the play in the shadow of nineteenth century analysis of Shakespeare, and to read this particular play we must first get away from the nineteenth century concept that drama is character in action. Even Shakespeare is no longer read in terms of character and action. Such an attempt reflects the same mentality that refused the porter scene in *Macbeth* and the fool in *King Lear*. Even when we go beyond such naive reading of what makes a drama we find a comment like this one by L.C. knight on the last speech of Faustus :

> the reader's submission is .... of a different order
> from the submission one gives to the greatest art, where
> a sense of freedom is the concomitant of acceptance with
> reality, however painful this may be.(2)

This is, one would agree, a very valid definition of the tragic art, but the point that I want to arrive at is that the play is not a tragedy. A.L. French refuses the whole play because he cannot see it in any other light. After a vehement attack on the kind of person Faustus is in the play from the very first act, he says :

---

(1) *Ibid.*, p. 60.

(2) "Marlowe and God", *op. cit.*,. p. 1379. See also Cleanth Brook, "The Unity of Marlowe's Faustus", *op. cit.*

(3) L.C. Knight, *op. cit.*, p. 207.

III

If one reads the structure of the play as analysed above — without the intrusion of the horse-courser-Duke and Duchess episode- we have a play with a definite and deliberate form, but which does not follow any definite pre-known pattern, and unfortunately we have not been trained enough to read form and :

> We are often no t subtle enough when the dramatist
> legitimately uses dramatic irony or when he carefully
> complements an action or speech by a later action or speech.(1)

In short we are at a loss, when the dramatist uses a dramatic technique that has nothing to do with Aristotle's beginning, middle and end, nor with the nineteenth century conception of the tragic character, and the tragic flaw, etc. In other words : where the dramatist uses a technique that, strangely enough has been quite recently rediscovered by very modern writers of the twentieth century as Brecht (who incidentally acknowledged his debt to Marlowe) we do not seem able to read him. We think that if a play does not fit any of our pre-formulated forms it is a bad play. But in such cases, it is we who are bad readers.

The greatest harm we can do the play, for example, is to read it as a tragedy and to see in Faustus a tragic hero. Minkov, writing in the thirties, while admitting that we enter into Faustus's feeling, comments that feelings are not enough, for they.

> remain the same for everyone, and thus, though the
> figure of Faustus may move us .... he remains .... a
> shadowy person .... embodying the whole of humanity
> but without any solid background or marked individuality
> of his own.(2)

Who but a reader saturated with Bradley can endorse the assumption of this statement, which is that the whole of humanity is less important than the "marked individuality". Minkov's attitude is further revealed when he praises the play because it "shows a lyrical quality that reaches the very greatest heights" and denounces it because it "lacks the more specifically dramatic qualities that lie chiefly in th e interplay of character of individuality".[3] He criticises Marlowe

---

(1) Leo Kirschbaum, *op. cit.*, p. 225.

(2) Mincov, *op. cit.*, p. 61.

(3) *Id.*

But such an argument does not preclude the fact that the additional matter written by Rowley could have been added to the manuscript. after all, Henslowe paid Samuel Rowley his 4 pounds in 1602,[1] that would make it possible for these additions to be in existence before 1604. The fact that the A-text does not keep all the clowning scenes can be perhaps explained by the fact that whoever prepared the A-version prompt book knew that not all the scenes were authentic. At any rate Greg does not preclude this possibility since he says these scenes are :

> part of the original or at any rate of an *early* version of the play.[2]

Thus this cuts out a little of his confidence :

> that none of the passages peculiar to B represent the additions paid for by Hemslowe in 1602.[3]

My assumption that all this sequence of scenes (v-viii) were added by Rowley in 1602 finds some support in Kocher's conclusion that even though Nashe might have written all the prose scenes of the play he did not write sc.vi. of Act IV or the scene where the clowns bang on the door of the Duchess :

> Nashe's characteristics are not to be discovered in either of these two scenes of the 1616 quarto.[4]

However, all this is mere conjecture, but the fact remains that these scenes add nothing to the play and it loses nothing by cutting them out except, perhaps the four lines beginning :

> What art thou Faustus, but a man....

The lines stand there in the middle of the clowning with no connection with what comes before or after, so that one is led to think that they were taken from another part of the play and inserted here, to make the scenes seem to have something in common with the play.

---

(1) *Henslowe's Diary from* 1591 *to* 1509, ed. W.W. Greg, 1904, entry for 22nd November, 1602.

(2) Greg, *op. cit.*, p. 28. Italics added.

(3) *Ibid.*, p. 29.

(4) Kocher, "Nashe's Authorship, etc." *op. cit.*, p. 34.

bearing whatever on the play-a thing that never happened in any previous secne. The Duke and Duchese scenes fall in the same category, there is no different kind of magic or evil in it; and the subservient tone Faustus uses to the Duke has already been used in addressing the Emperor. Moreover here it lacks the hypocritical tone of the first. I would therefore suggest that the whole group of scenes xv, xvii (v, vi, vii of Act IV) are additions to the text.

That there has been some tampering done with both versions of the play that have come down to us, the 1604 as well as the 1616, is not a question of debate. What is debatable is the specific scenes put in without Marlowe's knowledge. My rejection of the last three scenes is purely on structural grounds. Taken out, the play would have a compactness and cohesion as well as a progression in tone that it loses with them. However, one can bring a certain conjectural textual argument to bear this conclusion out.

W.W. Greg, who is our main authority on the subject, sums up his opinion about the nature and authenticity of each text.

> the B text (1616), so far as it reproduces the manuscript, contains an authoritative text of the original but unrevised version; whereas the A-text (1604) contains a corrupt and debased report of the play as finally revised and acted.[1]

That is, as he explains more fully in his introduction to his *Parallel Texts*, the 1616 edition is nearer to the original yet the 1604 seems the better text, a conclusion which Boas has arrived at sometime earlier.2 Moreover Greg leaves no doubt that the B text relies on the A text in parts, especially on the 1611 edition.3 Hoewver he believes that the additions found in the B text particularly the additions to the Van Holt scene are authentic :

> Here, namely, we find the A-version of the Horse-courser episode (IV.v) amplifying the B version by borrowings from the tavern scene IV.vi which is only preserved in B. Since borrowing in the opposite direction, inherently improbable, is found to be virtually impossible on a detailed examination of the text, we have here conclusive evidence that at least one of the scenes peculiar to B was already in existence at the time the A text took shape.4

---

(1) Greg, ed., *The Tragical History of thv Life and Death of Doctor Faustus... A conjectural reconstruction, ed. cit.* Advertisement, p.v.

(2) Boas, ed., *The Tragicall History of Doctor Faustus,* intro p. 27.

(3) Greg, ee., *parallel Texts,* p. 63—64.

(4) *Ibid.,* p. 28.

The last scene in which the friends meet battered and defeated does not strike me as funny. It is a scene full of pathos in its acceptance of the supremacy of evil, a pathos that the poetry expresses. I do not think an Elizabethan audience would laugh at the final couplet

> Sith black disgrace hath thus eclips'd our fame,
> We'll rather die with griefe than live with shame.

If they do, it will be with the wrong kind of laughter. In fact the distinction between comic and serious has been so sharply reduced at this point that one's feeling is a mixture of both. The comedy has become something like our modern black-comedy-one laughs with a lump in one's throat.

As a meaninful pattern the form of the play has up to Act IV sc.iv been a gradual process with the tone getting more and more serious so that it does lead naturally to the horrible end in Act V. The intrusion of the horse-courser episode, sc.xv, the carter and the Duke and Duchess Van Holt scenes, scenes xvi, xvii (Act IV, sc. v, vi, vii) seems to me to interrupt and distort that pattern. In fact, as Rowley was paid money to add something to the play, I believe his additions to be these particular scenes. They seem to me to disrupt a very compact and articulate design in which every scene had a particular part to play in the overall meaningful structure of the drama.

Let us begin by the first horse-courser-scene. I do not see Faustus's degeneration as that from Pope to Emperor to Duke to layman-for I do not believe that a Protestant audienece would relegate to the Pope a higher position than to the Emperor-but rather I see it lies in his degeneration from a curious student of evil to a doer of evil, at first not with evil intentions then with truly evil intentions. The horse-courser mischief, therefore, has no place in this pattern. For it can be seen, from a certain point of view, as retribution for the horse-courser's own covetousness. Moreover the incident of pulling off Faustus's leg has nothing of the overtones found in the cutting off of his head earlier and comes as an anticlimax to that very pregnant earlier scene. Faustus's cry of 'O, help, help, the villain hath murdered me" (1.37) is such an obvious contradiction to his attitude at his actual murder and to the very basic assumption of the play that one cannot help but reject the whole scene altogether.

The scond scene at the tavern we are told the horse story again, plus the carter-story and some vulgar dialogue between clown and hostess that has no

My gracious ord, not so much for injury done to
me, as to delight your Majesty with some mirth
hath Faustus justly requited this injurious knight.

(11. 107–109)

Faust almost becomes revolting.

The third scene in this episode deals with the Knight's plot to murder Faustus. In this episode several points come to light. This armed clash between the devil's party and the average human being shows the futility of such a fight, and it brings out by contrast the Old Man's superiority when in Act V he is attacked by the devil in vain. One does not fight evil by evil means-one loses in the end. Benvolio in a very significant phrase, cries :

The devil's dead : the furies now may laugh.

(1. 45)

He gloats over Faustus's head in lines that are thoroughly pertinent to the problem of evil :

Was this that stern aspect, that awful frown,
Made the grim monarch of infernal spirits
Tremble and quake at his commanding charms.

(11. 46–48)

One may think he has conquered evil itself–think, at the moment of illusory triumph, that evil is nothing after all ; but then, evil rears its head a few minutes later and we hear the cry "Zounds, the devil's up againl". The scene sets down almost a whole theological creed. The devil never dies-evil nerve dies. Later Faustus explains that nothing can kill him before his time and says a couple of lines so filled with paradox and irony that I cannot understand how anyone can think of the scenes as slapstick comedy. He says that even had they cut him to pieces :

Yet in a minute had spirit return'd
And I had breath'd a man made free from harm.

(11. 75–76)

Is he man or spirit ? or are the two identical in one man ?–is man really evil by nature ? So much is suggested by the lines that they take one's breath away. And then his truly vicious nature appears and in a command to Mephistophilis, whom ironically enough he calls "gentle Mephistophilis", asks him to torture these enemies who dared to think they could kill him. Faustus, with a legion of devils at his command, had finally become truly evil.

Mar. Speak softly sir, least the devil hear you :
For Faustus at the Court is late arriv'd,
And at his heels a thousand furies wait
To accomplish whatever the Doctor please.
(11.23–27.)

The first two lines of Martino's speech almost make an identification between Faustus and the devil, then we know that he is here with a train of devils. There is no doubt now as to Faustus's stature with that group. Then there is another suggestion of devilry and a jibe at the Pope when Benvolio says :

. Has not the Pope [Bruno] enough of conjuring yet ?
He was upon the devil's back late enough :
And if he be so far in love with him
I would he would post with him to Rome again.
(11. 33–36)

With the general attitude of the Protestants to Popes, this, once more, links Faustus with another devil's advocate — the Pope.

Furthermore, the scene establishes sympathy for Benvolio, who is not of the Pope's party on the one hand and who is not so wicked as to be interested in black magic. This sympathy becomes significant as the scenes progress.

In the second scene Faustus presents his vision of Alexander and his paramour to the Emperor. In short he has become, if less a clown, a Master of Ceremony, a juggler. What is more important, however, is the way in which Faustus, for the first time, is becoming petty. He cannot accept the fact that someone, Benvolio, is not interested or impressed by his conjuring. So he swears revenge on Benvolio for this sin. This is where I see the deterioration of Faustus. In the Pope scenes he was merely childish, here he is becoming childish with a wicked purpose. Not only does he make Benvolic a ridiculous sight but he threatens to

raise a Kennel of hounds shall hunt him so
As all his footmanship shall scarce prevail
To keep his carcase from their bloody fangs.
(11. 97–99)

He actually begins to put his threat in effect and calls his devils :

Ho, Belimote, Argiron, Asterote ?

Certainly the revenge is more than the offence deserved. And what makes Faustus more petty is the hypocritical note with which he accepted the Emperor's entreaty for Benvolio :

> odd dramatic indecorum and irresponsibility : the attitude seems to be "it makes good fun so never mind how it fits".(1)

is in fact, the very *raison d'etre* of the scene, which is, as I see it, to get rid of the clowns. Some years later Shakespeare can drop the clown from *King Lear* without any axplanation, but Marlowe had to tie his plot, and Mephistophilis protesting at the clowns' pranks turns the one into an ape and the other into a dog.(2)

The following episode is that of Faustus's visit to the Emperor and his feud with Benvolio. These series of scenes (four in all) which are found in their entirety in the 1616 quarto only and which had for a time been attributed to Bird and Rowly (an attribution refuted by Greg) (3) can be seen as part of the significant structural pattern of the Play. Steane, because be concentrates on the 1604 edition (which has only the Knight's scoffing, the dumb show, and the Knight's re-entrance with the horns from which Faustus releases him at the Emperor's request), finds the joke of the horns "crude and tiresome, and the rest of the scene tedious." (4) In the 1616 edition, however, the four scenes all together have a cumulative effect, and not one of them is superfluous. Frank Manly says re this particular sequence of scenes :

> It is possible, of course, to take all this too seriously. It is slapstick ; it amuses with its sudden acts against nature. (5)

I would perhaps reverse the order of this statement and say that it is possible. of course, to take all this as slapstick comedy, but I take the scenes very seriously indeed.

Let us take the first scene, the one in which Martino and Fredrick wake up Benvolio and give him news of Faustus's arrival. First the scene performs a narrative function, it picks up the thread of the action : we are told that Faustus has arrived from Rome. Secondly the conversation is full of significant prattle.

> Mark What ho, *Benvolio*.
> Ben. What a devil ail you two ?

---

(1) *Op. cit.*, p. 145.
(2) For the fact that they appear again, see below, pp. 26.
(3) *Parallel Texts, op. cit.*, intro., pp. 27—28.
(4) *Op. cit.*, p. 145.
(5) *Op. cit.*, p. 225.

> ...to cross the Pope
> Or dash the pride of his solemnity,
> To make his monks and abbots stand like apes
> And point like antics at his triple crown,
> To beat the beads about the friars' pates
> Or clap huge horns upon the cardinals' heads,
> Or any villainy thou canst devise.
> (II. 81-87)

This very indiscriminating list, recalled, proves that the point was not to shape history but just to do anything regardless of its value. The two scenes at the Pope's residence thus appear to have been motivated by the same childish impulse "to prove Faustu's cunning". In fact the implicit meaning in the Bruno scene became explicit only through juxtaposing it to the other. The important point to notice is that now it is Faustus himself who, structurally speaking, as well as literally speaking is taking over the clown's part. Orstein seems to get very close when he says :

> As Faustus changes shape the tragic-comic contrast begins to coalesce. Scene by Scene the opposing images approach one another until at last we discover beneath the exalted appearance of the fearless rebel the figure of the fool.(1)

It is not "scene by scene" however, that this discovery takes place, but in the Papal court scenes through the technique of juxtaposition, that this coalescence takes place. In one scene Faustus is the great magician, in the next he is the fool and by juxstaposition the second image colours the first.

This interpretation makes the comic scene that follows, the one in which the clown and Dick (or Ralph and Robin) steal a cup from the Vintner superfluous. It is true that it emphasizes the pranky kind of game to which Dr. Faustus's magic can fall to, but the emphasis, in view of the preceding scene, seems unnecessary. The scene, however, is functional. Now that Faustus has become the fool, Marlowe *has* to get rid of his clowns. *They* have become superfluous ; and the calling in of Mephistophilis which Steane finds:

---

(1) *Op. cit.*, p. 145.

This is a point which D. Cole treats in more detail, for according to him the comic exploits of Faust are deliberate contrasts between what he wanted to achieve as stated in his first speech, and what he has actually achieved, and he sees every scene as a deliberate betrayal of one particular ambition.(1)

In general, one does not disagree with any of the preceding ideas, but perhaps the analysis of the scenic structure of the scenes will show some qualifications, and more precise definitions of Faust's deterioration.

Faustus's first step down the ladder is obviously at the Papal court. Till that point in the play Faustus has been deflated by parody, he has done nothing apart from the pact with the devil, that can pin him down to dammation He has been an onlooker. But in this scene he finally asks Mephistophilis that,

> ....in this show let me an actor be, That
> this proud Pope may Faustus cunning see.
> (Sc.viii alias Act III, sc.i, ll. 76-77)

There is irony in the description of the Pope as proud by someone who takes so much pride in his own achievement. In fact Brockbank sees the whole Pope episode as one in which Mephistophilis and Faustus are destroying the pride of the Pope just as the tragedy is going to destroy the pride of Faustus.(2) It seems to me that these scenes carry more significance than Brockbank thinks, I had better state at the outset that I believe the Bruno episode to be very important in the structural pattern of the play and cannot understand that someone like Warren Smith, for example, can leave it out even though it is not in the 1604 edition. The Pope episode is composed of two scenes, the rescuing of Bruno and the clowning at the Pope's repast. In the 'Rescue of Bruno', Faustus's first action of devilry is not at all a prank or a practical joke. It seems to fulfil his dreams of power. He has in fact made international history (whatever the actual historical fact may be). He has thwarted the will of the Pope and in effect gives Bruno the chance to take his place. The first action of Faustus is big-as big as his dreams ; but ... and here we meet with the pattern of deflation met with from the beginning of the play. He starts to clown about with the Pope's food and we soon realize that, the Bruno episode was performed in much the same spirit as this second episode. And in retrospect we remember the alternatives Mephistophilis offered Faustus by which he could impress the Pope :

---

(1) *Op. cit.*, pp. 215 ff.

(2) *Op. cit.*, pp. 49—50.

O brave, Robin, *shall I have Nan Spit, and to mine own use ? On* that condition *I'll feed thy devil with horsebread as he lives, of free cost.* (1)

(II. 31-33, p. 111)

His exclamation of joy and his promise of eternal services to the devil remind one of Faustus's frequent such exclamations and promises. And the equation of Faustus with these clowns can have but one effect on the audience : to take away a great deal of the heroic stature of Faustus, and put him on the same level with the clowns.

The scenes that follow, beginning with the papal scene have as a group received more attention from scholars. W.W. Greg was perhaps the first to find in them a "gradual deterioration of Faustus' character and the prostitution of his powers".[2] In Ornstein's catalogue of Faustus's accomplishments, we have a more detailed picture of this deterioration.

> On the stage Faustus's accomplishments grow increasingly petty ; he discomforts the Pope, horns a knight, entertains an Emperor, cheats a Horse-Courser and delights a Duchess with grapes out of season.[3]

While Helen Gardner, though putting it differently, is, in essence, saying the same thing:

> From a proud philosopher, master of all human knowledge, to a trickster, to a slave of phantoms, to a cowering wretch : that is a brief sketch of the progress of Doctor Faustus.[4]

And Warren Smith whose whole article was to define the Nature of Evil in *Faustus* points out that in these scenes :

> he proceeds downward in rank from Pope, to Emperor, to Duke and Duchess, to horse-course ...[5]

More significant is what he says about

> the vast discrepancy between the actuality of the experience of the hero after the agreement with Lucifer has been made and his anticipation as he prepares to sign the fatal document.[6]

(1) Iicatls added.

(2) "Damnation of Faustus" *op. cit.*, p. 103.

(3) *op. cit.*, pp. 169—70.

(4) *op. cit.*, p. 321.

(5) *op. cit.*, p. 175.

(6) *Ibid.*, p. 173.

Faust. 0, might I see hell and return again safe, how happy were I then :

Luc. Faustus, thou shalt ; at midnight I will send for thee.

The diversion is of the very essence of the struggle for Faustus's soul. The pageant has led Faustus's interest form the Heavens above to the realms of Hell below.

In the pattern I see for the relationship between the more serious (not to use the word tragic) scenes and the comic ones we must accept the placing of the following scene as it recurs in the 1616 edition.(1) This is the scene in which the clown (alias Robin) with the help of one of Faustus's books of magic promises Dick many free pleasures. However, I prefer the reading of the 1604 edition for this particular scene since it has more relevance to the preceding scene of the seven deadly sins than has the reading of the 1616 edition, and is full of echoes parodying Faustus's search for kowledge and pleasure.(2) The scene opens with Robin entering alone with a book in his hand :

Robin. 0, this is admirable! Here I have stolen, one of Doctor Faustus' conjuring books, and i' faith, I mean *to search* some circles for my own use. Now will I make all the maidens in our parish dance at my pleasure stark naked before me, and so by that means *I shall see more than e'er I felt or saw yet.*(3) (11. 1-6. Printed in Appencix I, P.110.)

Once again there is a search for knowledgye on two levels, but this time the speech does more than deflate Faustus. For not only does it look back at Faustus's ecstatic exclamations of "Letchery" "O how this sight doth delight my soul, " but it looks forward to Faustus's last wish, to have Helen for his paramour. Robin's speech and his littleness are a direct comment on the littleness to which Faustus will descend. He, the great Doctor, will eventually end where Robin began. The scene emphasizes the point in Ralph's ecstatic exclamation at the same kind of promise :

---

(1) In the1604 ed. the scene isnumbered viii and comes immediately before a comic scene, the one in which the two steal the goblet from the tavern.

(2) W.W. Greg, in his conjectural reconstruction gives precedence to this practice. "I have throughout kept a watchful eye on that of 1604, which I have followed in certain passages, and from which I have taken a number of individual readings." (*The Tragicall History of the Life and Death of Doctor Faustus, A Conjectural Reconstruction, ed. cit.*, Advertisement, p. vi.)

(3) Italics added.

1616 edition has it. is not logical. Faust does not go to Rome till later, and here the 1604 edition makes more sense, for it goes oni mmediately with the scene of Faustus oscillating between repentance on the one hand and persist-ence in his evil way on the other. The oscillation which leads to Lucifer's pre-sence and his ordering the enforcement of the show of the seven deadly sins.

Some critics take this-because it is in prose- not to have been written by Mar-lowe, and again we hear charge of its being an interlopation. Steane speaks for many when he expresses the opinion that it is "a regrettable scene" and says.

> It is in this sort of thing. mere diversion, that the integrity of the play is compromised.(1)

But is this really a diversion ?Greg says, "The pageant of the Sins hints at the depths of vulgar triviality into which he is doomed to descend."(2) Surely it is more than that. Admittedly it is a pageant but it is a very serious pageant. The danger, from the devil's point of view, of losing Faustus, always comes from the Doctor's curiosity about the world. about which he says in the opening lines of Sc. vi (Act II, sc.i).

> When I behold the heavens , then I repent
> And curse thee, wicked Mephostophilis.

It is the same curiosity that led him a little later to the very dangerous question "Now tell me who made the world?"(1.69) ; and made him cry out for Christ's help. It is at this point that Lucifer decides to win Faustus's curi-osity about the world *he*, Lucifer, has created - in fact to introduce him to *sin*. Frank Manly says.

> the seven deadly sins enact the totality of evil, the entire negative crea-tion of the devil, and Faustus symbolically makes it his own.[3]

And the dialogue between Faustus and Lucifer emphasises this point. We must not stop at Faustus's exclamation "0, how this sight doth delight my soul :" But read the three following lines.

> *Lus.* But Faustus, in hell is all manner of delight.

---

(1) Steane, *op. cit.*, p. 143.

(2) W.W. Greg, *The Damnation of Faustus*. *op. cit.*, p. 102.

(3) "The Nature of Faustus", *Modern philoogy*, LVXI, 1969, p. 223.

In fact Brockbank sees in the very serious scene this kind of deflation through comedy. Faustus's order to Mephistopholis to come back as a Friar, according to him, is an "anti-clerical joke in the manner of protestant interludes" and comments. :

> The lapse into farce is a fall from conjuring in its solemn sense to conjuring in its popular sense - the playing of magical tricks. The joke devalues the claim Faustus makes as he plays it. "I see there is virtue in my heavenly words" and seems to mock the whole rite(1).

In other words, even in the poetic scenes where there is no doubt of authorship whatever, the technique of deflation is used.

Sc. V (i.e Act 11, sc.i, as given in Boas and Greg) in which Faustus signs his contract with the devil, is given in great harrowing detail, with a great deal of ritual and symbolic action. The deed is written in blood, is read out word for word to an audience whose blood must have curlded in their veins as they sat, or rather stood up in the auditorium. In return Faustus is given books that will enlarge his knowledge beyond that of all mankind particularly in the art of necromancy.

All editors are agreed that there is a missing comic or clowning scene at this point(2); and professor Greg suggests it is an episode in preparation for Act II, sc.iii showing the colwn stealing one of Faustus's conjuring books and thus becoming free of Wagner's dominance.(3) I would agree with Professor Greg that it deals with an incident in which the clown gets hold of one of Faustus's books not as he sees it in preparation for the development of the narrative underplot, but rather as a parody of the magnificent Sc. V. alias Act II. sc.1 It, in effect, continues weaving the same pattern woven so far ; so that what Faustus has achieved is diminished by the similar achievement of much lesser presonalities in a comic manner, and perhaps through a much less complicated process. In this way the laugh is directed at Faustus, not the clowns. The substitution of the chorus introducing the papal scene at this point as the

---

(1) *Ibid.*, pp. 36—37.

(2) Boas, ed. *op. cit.*, ftn. p. 88, Greg ed. Paralle Texts, p. 108, Jump ed. *Doctor Faustus*, p. 38, Roma Gill, ed. , *The Tragicall History of Doctor Faustus*, ftn. p. 31.

(3) See *The Tragicall History of Doctor Faustus. A Conjectural Reconstruction*, ed. Greg, 1950, intro, p. 18. This is followed by Jump who also takes the comic missing scene as a scene to tie the subplot (see his edition of the play, p. 34).

up Mephistophilis and prides himself on his magical power, crying out "thou art conujror laureate" (1.34).(1) Mephistophilis however corrects this self-image and informs him that his conjuring :

> ...was the cause. but yet *per accidens* ;
> For when we hear one rack the name of God,
> Abjure the scriptures and his Saviour Christ,
> We fly, in hope to get his glorious soul; (1.48-51)

This information is confirmed in sc.iv, in the wagner/clown scene. Wagner achieves exactly what his master has achieved. He has succeeded in conjuring up Baliol and Belcher and in driving them away - as Faustus did when he ordered Mephistopholis to return as a Frair. Moreover, the clown is as full of self-conceit as was his master in the scene before :

> Wagner (to clown) : Villain, call me master Wagner. (1.45)

Once more the parody makes it obvious that one needs no supernatural powers to call up devils - even a Wagner can do it ; and without realizing it we laugh at what we have admired and feared before.

Once the devil is conjured, the bargaining begins. Faustus in his grand manner says :

> Say he surrenders up his soul.
> So he will spare him four-and-twenty years.
> Letting him live in all voluptuousness.
> Having thee ever to attend on me.
> ....
> And always be obedient to my will. (sc.iii, 11. 92-99)

These are Faustus's terms, and they certainly sound big. But this nolonger remains true put beside the bargaining of Wagner and the clown."I had need to have it (the leg of mutton) well roasted, and good sauce to it, if I pay so dear," (sc.iv.11. 11-12) "This is what appetite and the "conjuring occupation" boil down to at the level of street life,"(2) says Brockbank, and one should add that the juxtaposition of the two scenes *brings down Faustus to that street level.* Faustus is asking for no more than *his* leg of mutton ; it is only a matter of degree and not of kind. Thus the juxtaposition of one scene against the other diminishes the stature of our hero. Deliberately the structure of the play deflates the grandeur of Doctor Faustus.

---

(1) All quotations are from *The Tragical History of The Life and Death of Doctor Faustus*, ed. John D. Junp, 1962 (The Revel Plays series, general ed., Clifford Leach).

(2) *Ibid.*, p. 40.

point I want to stress is that it is through this sophistry that Doctor Faustus reaches his conclusion that necromancy is the science worth pursuing. This is what happens in the comic scene with Wagner; he, like his master, through a process of the same kind of sophistry, outwits the scholars. Moreover in his absurdity he is mocking all learning-the other facet of Faustus's speech. What he is saying in effect is what Faustus has said before, i.e. learning is no good, especially logic, it can lead you into any sort of situation. Ornstein comments :

> Obviously Marlowe does not enhance the main action of his tragedy to reducing it to absurdity scene by scene. He does not magnify Faustus's achievements by having the clowns parody them immediately afterwards.(1)

Though putting it so clearly Ornstein does not draw the most obvious conlusion which is : Marlowe is therefore reducing and debunking his main action. Instead, Ornstein proves that the Elizabethan accepted this kind of parody because it "is its own excuse for being."(2) Whether the Elizabethan accepted it or not there is no doubt that Wagner's clowning with learning and beating the scholars is a comment which would sink in the audienec's mind consciously or unconsciously. Moreover the play on words which Brockbank points out and Steane echoes gives a seriousness to the scene that strengthens the point.

> The moral theme is alive - anxiety about Faustus's spiritual situation becomes the practical question. "How nowsirrah, where's thy master?" and Wagner's cheeky reply "God in heaven knows" is apter than he intends. The patter about "corpus naturale" puts lightly the solemn point that Faustus is "but a man".(3)

This scene is very impotrant, because hardly anybody doubts its authenticity and if we accept this interpretation, and take in its significance we will be able to accept what follows. This pattern of a serious scene followed by another parodying and deflating it is repeated again and again throughout the play. We find it in the relationship between sc.iii and sc.iv. Faustus in sciii conjures

---

(1) R. Ornstein, *op. cit.*, p. 166.

(2) *Ibid.*, p. 117.

(3) Brockank, *op. cit.*, p. 36.

and adds nothing to Greg's analysis of the comic secnes in which Faustus appears, as a study of deterioration. He makes no comment on the horse-courier episodes. J. Steane weakens this part of his analysis because he uses the 1604 text, thus leaving many scenes with no comment.[1] Moreover, one finds it difficult to agree with many details of his commentary. Perhaps the fullest and most satisfying analysis comes from the pen of Brockbank, who gives an analysis of the play scene by scene.[2] However, except for his analysis of Act I, sc.ii and Act I, sc.iv, he does not relate the scenes, from a structural point of view, to the play as a whole.

Boas, writing about the two mock conjuration scenes in which the clowns appear says that this carries on

> a tradition., that was as old as *Fulgens and Lucres*, almost a century before. of an underplot that is a burlesque of the main action.[3]

But Marlowe is not the man to use a tradition without being conscious of its effect on the audience. And if the effect is not the tragical effect which many critics seem to want, then maybe the play is not really a tragedy in the sense they take it.

This is what I propose to do in this paper, to find the pattern and read the form as it stands. I hope this will help us to classify the play's *genre* so that it does not seem to fall between two stools, a Morality become tragedy, or an unrealised Shakespearean tragedy.

Most scholars agree that sc.ii and sc.iv of Act I are parodies of the main theme. As Brockbank puts it : "In classical-comedy style the scholars are outwitted by the servant" ; unfortunately he goes on to say "through a travesty of their own pedantry."[4] As I see it, it is not "their own pedantry" that is in question but Doctor Faustus 's. A.L. French in his essay "The philosophy of Doctor Faustus" shows by his analysis of the Doctor's first speech that Dr. Faustus's knowledge of philosphy was completely confused and when he talked about logic he was really talking about "*false* logic—sophistry."[5] The

---

(1) J. B. Steane, *Marlowe : A Critical Study*, Cambridge, 1964.

(2) Brockbank, *op. cit.*

(3) Boas, Ed., *The Tragicall History of Doctor Faustus*, 1949, 2nd ed., intro., p. 27.

(4) Brockbank, *op. cit.*, p. 36.

(5) *Essays in Criticism* vol. XX, 1970, P. 127.

as it has come down to us, and try to read the pattern so designed, perhaps we can find that these comic and clowning scenes far from providing comic relief — an idea which one hopes to see disappear from all our readings of Elizabethan drama-imposed on Marlowe by his ingorant audience, or later interlopation of the play, form a significant pattern of meaning that fits in with the modern reading of the play, that offered by Kirschbaum,(1)Greg,(2)Lily B. Campbell,(3)Brocknbak,(4)Warren Smith (5) Douglas Cole (6) and others.(7) These, lead by Kirchbaum all agree that Marlowe's presentation of Faustus was not intended to be heroic and that the play is essentially an unfolding of Christian beliefs, and far from exalting Faustus's revolt, it shows his foolishness and the pettiness and degrading power of evil. The comic scenes, as I see it, play a geat part in helping to bring out this meaning.

II

The pattern created by the interplay of serious and comic scenes in *The Tragicall Hiatory of Doctor Faustus* has been, more or less commented on by several writers, but not with the thoroughness they deserve. Warren D. Smith gives a very general survry and estimate of the secnes,(8)Nicholas Brooke sees possibilities only in Act I, sc. ii and Act I, sc.iv, and contempouosly dismisses the rest.(9) Robert Ornstein, the title of whose article "The Comic Synthesis in *Doctor Faustus*"(10) might lead one to expect a great deal, shows interest only in the two scenes from Act I, the same that interested Brooke,

---

(1) Leo Kirschbaum, *op. cit.*

(2) "The Damnation of Faust", *op. cit.*

(3) Campbell, *op. cit.*

(4) Brockbank, *op. cit.*

(5) Warren D. Smith, "The Nature of Evil in Doctor Faustus", *Modern Language Review*, LX, 1965, pp. 171—175.

(6) Douglas Cole, *Suffering and Evil in the Plays of Christopher Marlowe*, 1962.

(7) For example Robert B. Heilman, "The Tragedy of Knowledge : Marlowe's Treatment of Faustus", *Quarterly Review of Literature*, II (1940), 316—332 ; Roland M. Frye, "Marlowe's Doctor Faustus. The Repudiation of Humanity", *South Atlantic Quarterly*, LV (1956), 322—328.

(8) Smith, *op. cit.*

(9) M. Brooke, *op. cit.*

(10) *Journal of English Literary History* (XXII), iii, 1955, Reprinted in *Dr. Faustus: A Case Book*, *op. cit.*

play has a beginning and an end, it has no middle... the whole central body of the play tends to degenerate into a mass of not very witty practical jokes and conjuring tricks...(and leave) a feeling that a great opportunity has been thrown away not only by the hero but also by the poet."(1)

Even when the critics accept the interpretation of the play as a study of degeneration into evil. or a study of the degenerating power of evil, and the scenes in a sense a presentation of this degeneration, they still protest at the inadequacy with which, according to them, Marlowe has realized that idea.

> It is absurd to pretend that these scenes represent a lowering of standard in Faustus's achievement..., but they do reveal clearly the presistent weakness in Marlowe's work... the story of Faustus's fame on earth has to be told, but its telling presents a dramamtic problem which Moralowe has failed to solve. (2)

A great many of these protests and opinions are reached because of a faliure to read the structure of the play as a whole — a tendency to read the serious scenes alone and read the rest as inter-ludes—as scenes that "afford welcome relief from the tauntness of the march of the main theme.(3) or as Sykes quoting Heywood's words in "The General Historie of Women" expressed it, to

> breed in the less capable mirth and laughter, lest the auditôry should be dulled with serious courses which are merely weighty and material. (4)

At best such a divided reading of the play relegates to the comic scenes a very secondary function— a purely extraneous one ; and inevitably leads to a gross misreading of the play. It thus becomes a series of magnificent passages interspersed with a comic plot that has nothing to do with the main tragedy ; an dsomeone with aspen etrating a critical faculty as Cleanth Brooke ends by defining the play as lyrical drama. (5)

This is not the place to discuss whether there can be such a thing as a lyrical drama. Certainly it was as alien a concept to Marlowe as it was to his audience. If, however, we can for a moment accept that the play was written by two different hands, and accept the idea that Marlowe had a hand in designing the play

---

(1) Marco Minkov, *Christopher Marlowe : A Study of his Development*, 1937, p. 58.

(2) Nicholas Brooke, *op. cit.*, p. 125, See also Brockbank, *Marlowe's Doctor Faustus*, 1962, pp. 50—51.

(3) Kocher, *The Tragicall History of Doctor Faustus*, Ed., Intro., p. xiii.

(4) Sykes, *op. cit.*, p. 23.

(5) Cleanth Brooke, "The Unity of Marlowe's Doctor Faustus", *To Neville Coghill from Friends*, Ed., J. Lawlor and W.H. Auden, 1966, pp. 109—110.

> While it is true that the middle,portion shows little trace of Marlowe's hand, I see no reason to doubt that it was he who planned the whole, or that his collaberator or collaborators whoever he or they may have been, carried out his plan substantially according to instructions.(1)

A statement which he makes again in his introduction to the *Parallel Texts* of the play he edited :

> There is thus no reason to assume that clownage scenes did not form as much part of the original play as the tragic, and some evidence that they did. (2)

Not wanting to reject the scenes altogether, such scholars attack the play on structural grounds. One asks : "Was it ever a well ccnstructed play?"(3) And another describes it as "A wandering, illconstructed and for the most part ill-written affair."(4) while L.C. Knights cannot imagine anyone considering it an "entirely satisfying and consistent whole," and though aware of W.W. Greg's theory that the scenes present the degeneration of evil and the disintegration of Faustus,(5) he only sees them "as an escape...(and) what they pad out is a crucial gap in the play's imaginative structure."(6) And long befere Harry Levin stated the idea,(7) Marco Minkov said that "though the

---

(1) W. W .Greg ."The Damnation of Faustus", *Modern Language Review*, XLI, (1946), pp. 99—100.

(2) W. W. Greg, Ed., *Parallel Texts, op. cit.*, p. 95. S. F. Boas takes the same view, (see : *The Tragicall History of Doctor Faustus*, Ed., Boas, intro., p. 28). Kocher on the other hand assumes at the very beginning of his article "Thomas Nashe's Authorship *etc*.", *op. cit.*, that Nashe "does not seem to have been an original contributer with Marlowe", (p. 17). This he arrives at by a conjectural deduction that Nashe wrote his contribution in 1594 which " if ... right" would make it impossible for him to "have been an original collaborator with Marlowe, who died in 1593" (p. 39). Such a conjectural argument cannot stand against the fact that Nashe knew Marlowe well and that he had collaborated with him in *Dido ... Queene of Carthage*.

(3) Curt A. Zimansky, "Marlowe's *Faustus* : the Date Again", *Philological Quarterly*, XLI (1962), pp. 181—182.

(4) Nichlas Brooke, "The Moral Tragedy of Dr. Faustus", *Cambridge Journal*, V, 1951—1952, in *Marlowe, Doctor Faustus : A case Book* Ed., John Jump, 1969, p. 103.

(5) W. W. Greg, "The Damnation of Faustus", *op. cit.*

(6) L. C. Knight, "The Strange Case of Christopher Marlowe", *Further Explication* (1965), p. 90.

(7) Harry Levin, *The Overreacher*, 1954, pp. 146—147. Other writers who attack the middle of the play are : Zimansky, *op. cit.*, p. 182 ; Una Ellis Femor, *Chr istopher Marlowe*, 1927, p. 78 ; Mathew W. Black, Ed., *Typical Elizabethan Plays*, 1949, p. 133—134 ; Michel Poirier, *Christopher Marlowe*, 1951, p. 135—136 ; Ornstein, "Marlowe and God : The tragic theology of Dr. Faustus", *PMLA*, 1968, p. 1378.

It is this veiw of the play as a preparation for Shakespearean Tragedy that makes scholars, even the most unprejudiced, not quite able to aceept the play in its entirety, and are impatient with the clowning and the comic scenes ; and would, therefore, like to explain them away in some way or other.

The easiest way out of this dilemma was the rejection of the clowning scenes and of some of the comic scenes on the basis that they were later interlopations added to the text. It was Professor Molden who first led the way in his introduction to his 1912 edition of the 1604 text :

> Marlowe, therefore, ought not to be held responsible for the dull coarseness that some editors of the play still reprint under his name.[1]

H.D. Sykes and Paul Kocher even went to the trouble of identifying the authors of the scenes. The first to Samnel Rowley([2]), and the second—with the exception of a few scenes—to Thomas Nashe,([3]) Another way out is to ignore the scenes completely. Miss Mahood defines and discusses the tone of the play after stripping "the action of its playhouse acceretion:([4]) In fact this has been the practice of many writers of the last two decades writing on Marlowe's *Faustus* ([5]) Even Leo Kirschbaum, whose analysis of the theme of the play as the most "Christian document in all Elizabethan drama ([6]),opened all eyes to the non-heroic character of Faustus, builds his thesis on analysing the text of the serious scenes, disregarding the rest.

When critics include the comic scenes in their consideration they tend to criticize the play severly for them. These critics take their departure from Greg's final judgment that :

---

(1) William Molden, Ed., *The Tragicall History of Doctor Faustus*, 1912, Intro., p. xxiii.

(2) H. D. Sykes, *op. cit.*

(3) P. H. Kocher, "Nashe's Authorship of the prose Scenes in *Faustus*", *Modern Languages Quarterly*, Vol. III, 1942, pp. 17—40.

(4) "Marlowe's Heroes", *Elizabethan Drama : Modern Essays in Criticism*, Ed., R. T. Kaufmann, 1961, p. 104.

(5) J. C. Maxwell, "The Sin of Faustus", *The Wind and the Rain*, 1947; Lily B. Campbell, "Doctor Faustus : A case of conscious", *PMLA*, LXVII (1952), pp. 219—239 ; Helen Gardner, "The Tragedy of Damnation", *Elizabethan Drama : Modern Essays in Criticism*, Ed., cit., pp. 320 ff.

(6) "Marlowe's Faustus : A Reconsideration", *Review of English Studies*, XIX (1943), p. 233.

THE CLOWNING AND COMIC SCENES IN CHBISTOPHER MARLOWE'S *THE TRAGICALL HISTORY OF DOCTOR FAUSTUS*

By

HODA HEBAISHA

University of Menia. A.R.E.

There can hardly be any doubt that most scholars are not quite satisfied with what has been termed the "clowning scenes" and "comic scenes" that form a great part of Marlow's *The Tragicall History of Doctor Faustus.* To most, the scenes seem to jar on the magnificent tone of the play, and to rob it of a dignity which many feel belongs to it. This is because they still see the play as a tragedy in the Shakespearean sense and therefore find great difficulty in understanding the "tiresome buffoons that disfigure Marlowe's play:[1] Even that most understanding and diligent scholar W.W. Greg, in explaining why some of the comic scenes dropped out of the 1604 edition. which according to his analysis is a later version than that of 1616, betrays this attitude; for he considers that :

> The tragic action is after all, the essence of the play, and alone gives it interest and value.2

The bias towards the tragic parts of the play is again heard in Kocher's admiring but nevertheless condescending tone when he writes :

> Its uniqueness as a tragedy emerges most clearly when we remember that it was written when Elizabethan drama was still young ; and before the plays of Shakespeare.3

---

(1) H. Dugdale Sykes, "The Authorship of *The Taming of The Shrew, The Famous Victories of Henry V,* and *Additions of Marlowe's Faustus*". *The Shakespeare Associations Publication,* 1920, p. 34.

(2) W.W. Greg, Ed., *Marlowe's Doctor Faustus*, 1604, 1616. *Parallel Texts*, Oxford, 1950, p. 97.

(3) Paul H. Kocher, Ed., *The Tragicall History of Doctor Faustus*, New York, 1950, Intro., p. XIV.

CONTENTS

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year; in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Library Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the

Dean of the Faculty of Arts, Giza, A. R. E.

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS

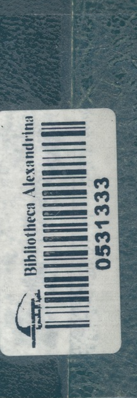


VOL. XXXI—PART I, II

May, December 1969

CAIRO UNIV. PRESS

1977


Bibliotheca Alexandrina
05331333